

١- أيام العرب والفرس

وتشتمل على ما يأتي :

١ - يوم الصفقة .

٢ - يوم ذى قار .

(١) يوم الصَّفقة *

قال ابنُ الكلبي :

بَثَّ كَسْرَى أَبُو شُرَوَانَ ^(١) إِلَى عَامِلِهِ ^(٢) بِالْيَمَنِ بِعِيرٍ تَحْمِلُ نَبْعًا ^(٣) ، وَكَانَتْ عِيرُ كَسْرَى تُبَدِّرُقُ ^(٤) مِنَ الدَّائِنِ حَتَّى تُدْفَعَ إِلَى النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ بِالْحِجِرَةِ ، وَالنِّعْمَانُ يُبَذِّرُهَا بِخَفَرَاءَ مِنْ بَنِي رَيْبَعَةٍ حَتَّى تُدْفَعَ إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ بِالْيَمَامَةِ فَيُبَذِّرُهَا حَتَّى يُخْرِجَهَا مِنْ أَرْضِ بَنِي حَنِيفَةَ ثُمَّ تُدْفَعُ إِلَى تَيْمٍ ، وَتَجْعَلُ لَهُمْ جَمَالَةً ^(٥) قَتْسِيرَ بَهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْيَمَنِ ، وَتَسَلَّمَ إِلَى عَمَّالِ كَسْرَى بِالْيَمَنِ .

وَلَمَّا بَثَّ كَسْرَى هَذِهِ الْعِيرَ وَوَصَلَتْ إِلَى الْيَمَامَةِ قَالَ هَوْذَةُ بْنُ عَلِيٍّ لِلْأَسَاوِرَةِ ^(٦) الَّذِينَ يَرِاقُقُونَهَا : انظُرُوا الَّذِي تَجْعَلُونَهُ لِبَنِي تَيْمٍ فَأَعْطُونِيهِ ، وَأَنَا أَكْفِيكُمْ أَمْرَهُمْ ، وَأَسِيرَ بَهَا مَعَكُمْ حَتَّى تَبْلُغُوا مَا مَنَعَكُمْ .

وَخَرَجَ هَوْذَةُ وَالْأَسَاوِرَةُ وَالْعِيرُ مَعَهُمْ مِنْ هَجَرَ ^(٧) ، حَتَّى إِذَا كَانُوا يَنْطَاعُ ^(٨)

* لِكَسْرَى عَلَى تَيْمٍ ، وَسَمِيَ الصَّفْقَةُ ، لِأَنَّ كَسْرَى أَصْفَقَ الْبَابَ عَلَى بَنِي تَيْمٍ فِي حِصْنِ الْمَشْقَرِ ، وَيُسَمَّى أَيْضًا يَوْمَ الْمَشْقَرِ ، وَالْمَشْقَرُ حِصْنٌ بِالْبَحْرَيْنِ .

الْأَعَانِي ص ٧٥ ج ١٦ ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ص ٣٦٨ ج ١ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ص ٣٥٤ ج ٣ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٢٧٥ ج ١ ، تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ص ١٣٣ ج ٢ ، الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ص ٢٢٥

(١) هُوَ كَسْرَى أَبُو شُرَوَانَ بْنُ قَبَاذَ ، مِنْ أَشْهُرِ مُلُوكِ الْفَرَسِ وَأَعْظَمُهُمْ ذِكْرًا ، وَكَانَتْ نَيْبِلًا طَاهِرًا ، هَلَكَ ثَمَانٌ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ دَوْلَتِهِ (٢) هُوَ وَهْرَزُ الْقَائِدِ الشُّجَاعِ الَّذِي أَرْسَلَهُ كَسْرَى مَعَ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ لِتَطْهِيرِ الْيَمَنِ مِنَ الْجَبَشِ (٣) النَّبْعُ : شَجَرٌ لِلْقَبْصِ وَلِلْسَهَامِ يَنْبِتُ فِي قَلَّةِ الْجَبَلِ (٤) الْبَذْرِقَةُ : الْخَفَارَةُ (٥) الْجَمَالَةُ (مِثْلَةُ) : مَا يُجْعَلُ عَلَى الْعَمَلِ (٦) الْأَسَاوِرَةُ : جَمْعُ أَسْوَارٍ ، وَهُوَ الْقَائِدُ مِنَ الْفَرَسِ (٧) هَجَرَ : اسْمٌ لِأَرْضِ الْبَحْرَيْنِ (٨) نَطَاعُ : اسْمٌ لَوَادِ الْيَمَامَةِ .

بلغ بنى تميم ما صنع هودّة ؛ فساروا إليهم وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه ؛ وقتلوا
عامّة الأساورة وسلبوهم ، وأمروا هودّة بن عليّ ، فاشترى هودّة نفسه بثلاثمائة بعير ،
فساروا معه إلى هجر ، وأخذوا منه فداه^(١) .

وعند ذلك عمد هودّة إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو تميم - وكانوا قد سلبوا -
فكسّاهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى - وكان هودّة رجلاً جيلاً شجاعاً
لينبأ - فدخل عليه وقصّ عليه أمر بن تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من
ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إياها ، وكساه قباء^(٢) ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ،
وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم ، ودعا يعقّد من درّ فعقّد على رأسه^(٣) .

ثم إنه سأله عن ماله ومعيشتة فأخبره أنه في عيش رغد ، وأنه يغزو الفزاري
فيصيب ؛ فقال له كسرى : كم ولّدك ؟ قال : عشرة . قال : فأيهم أحب إليك ؟ قال :
غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ .

قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حَمَلَك على أن طلبت مني الوسيلة .
ثم قال : يا هودّة ؛ رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي ، وأخذوا مالي ؟ أبيتك وبينهم
صلح ؟ قال هودّة : أيها الملك ؛ بيني وبينهم حساء^(٤) الموت ، وهم قتلوا أبي ، فقال
كسرى : قد أدركت نارك ، فكيف لي بهم ؟ قال هودّة : إن أرضهم لا تطيقها

(١) في ذلك يقول الشاعر :

ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا بهودّة مقرون البيدين إلى النحر
وردنا به نخل اليمامة غائباً عليه وناق القد والحلق السم

(٢) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٣) سمى لذلك هودّة ذا التاج (٤) حساء الموت :
تجرع الموت .

أساورتك ، وهم يتمتعون بها ؛ ولكن احبس عنهم الميرة ، فاذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك ، فأقيم لهم السوق ، فإنهم يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خيلك .

فعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الميرة في سنة مجدية ، ثم أرسل إلى هوزة فاتاه ، فقال : إيت هؤلاء فاشفي منهم واشتف . وأرسل معه ألفاً من الأساورة بقيادة رجل يقال له المكعب^(١) ؛ فساروا حتى نزلوا المشقر^(٢) من أرض البحرين ، وبعث هوزة إلى بني حنيفة فاتوه فدنوا من حيطان المشقر ؛ ثم نودي : إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة ، وقد أمر لكم بميرة ، فامتاروا .

فانصب عليهم الناس ، وكان أعظم من أتاهم بنو سعد^(٣) ؛ فجمعوا إذا جاءوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلاً رجلاً ، حتى يذهب به إلى المكعب فتضرب عنقه ، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل ، فإذا مرّ رجل من بني تميم بينه وبين هوزة إخوانه أو رجل يرجوه ، قال للمكعب : هذا من قومي فيخليه له ، فنظر خيرى بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، فقال : ويلكم ! أين عقولكم ؟ فوالله ما بعد السلب إلا القتل ، وتناول سيفاً ، وضرب سلسلة كانت على باب المشقر ، فقطعها

(١) كان المكعب عامل كسرى على البحرين ، واسمه بالفارسية آزاد فردز بن جشنس ، وممته العرب المكعب : لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل ، وآلى ألا يدع من بني تميم عيناً تطرف فقل .
(٢) المشقر : حصن حياه حصن يقال له الصفا ، وبينهما نهر يقال له : محمل (بتشديد اللام) ، بناء رجل من أساورة كسرى يقال له بسك بن ماهبوذ (٣) بنو سعد : بطن من تميم .

وقطع يد رجل كان واقفاً بجانبها ، فانفتح الباب ؛ فإذا الناس يُقَتلون ، فثارت
بنو تميم (١) .

فلما علم هودّة أن القوم قد نَدَرُوا به كَلِمَ الكَعْبِيرِ في مائةٍ من خِيَارِهِمْ ،
فوهبهم له يوم الفِصْحِ (٢) .

(١) هذه رواية العقد الفريد ، وفي الطبري : إن الذي قطع السلسلة هو رجل من بني تميم اسمه
عبيد بن وهب أقدم على سلسلة الباب فقطعها وخرج فقال :

تذكرت هنداً لآت حين تذكر تذكرتها ودونها سير أشهر
حجازية علوية حل أهلها مصاب الحريف بين زور ومنور
ألا هل أتى قومي على النأي أني حيت ذماري يوم باب المشقر
ضربت رجاج الباب بالسيف ضربة تفرج منها كل باب مضبر

(٢) وفي ذلك يقول الأعشى مدح هودّة :

سائل تميم به أيام صفقتهم لما رآهم أسرى كلهم ضمرا
وسط المشقر في غبراء مظلمة لا يستطيعون بعد الضر متفقا
فقال للملك أطلق منهم مائة رسلا من القول مخفوضاً ومارفعا
فك عن مائة منهم لإسارهم وأصبحوا كلهم من غلة خلها
بهم تقرب يوم الفصح ضاحية يرجو الإله بما أسدى وما صنعا
فلا يرون بناكم نعمة سبقت إن قال قائلها حقاً بها وسما

(٢) يوم ذى قار*

كان منزل أيوب^(١) بن مَحْرُفٍ في البيمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، فأصاب دماً في قومه ، فهرب ، ولحق بأوس بن قلاَم^(٢) الحارثي بالحيرة ، وكان بينهما نَسَبٌ من قِبَلِ النساء ، فلما قدم عليه أكرمه ، وأنزله في داره ، فكث معه ما شاء الله أن يمكث .

ثم إن أوساً قال له : يا بن خال ؛ أتريد المقام عندي وفي داري ؟ فقال له : نعم ، فقد علمتُ أني إن أتيت قومي ، وقد أصبتُ فيهم دماً ، لم أَسْلَمْ ، ومالي دارٌ إلا دارُك آخر الدهر . قال أوس : إني قد كبرتُ وأنا خائف أن أموت فلا يعرفُ ولدي لك من الحقِّ مثل ما أعرف ، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ ، فانظر أحبَّ مكان في الحيرة إليك فأعلمني به لا تُقْطِعْكَه أو ابتاعه لك . فاختار موضعاً في الجانب الشرقي من الحيرة ، فابتاعه له بثلاثمائة أوقية من ذهب ، وأنفق عليه مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعائها وفرنساً وقيئة^(٣) . فكث في منزل أوس حتى هلك ؛ ثم تحوّل إلى داره بعد مهلك أوس ،

* لبكر على العجم . ووقعة ذى قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال : اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرورا . وذو قار ماء لبكر قريب من الكوفة . وبعد هذا اليوم من مفاخر بكر .

العقد الفريد ص ٣٧٤ ج ٣ ، تاريخ الطبري ص ١٤٨ ج ٢ ، ابن الأثير ص ٢٨٩ ج ١ ، الأغاني ص ٩٧ ج ٢ (طبعة دار الكتب) ص ١٣٢ ج ٢٠ طبعة الساسي ، خزنة الأدب ص ٣٤٣ ج ١ ، النقاظ ص ٦٣٨ (طبع أوروبا) ، معجم البلدان ص ٣٥٢ ج ٣ ، ص ٨ ج ٧ (١) روى عن ابن الأعرابي أنه أول من سمى أيوب من العرب .

(٢) هكذا ضبط في الأغاني ، وفي الأعلام للزركلي ضبط بضم القاف (٣) الغنية : الأمة .

وَاتَّصَلَ بِالْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحَيْرَةِ ؛ وَعَرَفُوا لَهُ حَقَّهُ وَحَقَّ ابْنِهِ زَيْدٌ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ
مَلِكٌ يَمْلِكُ إِلَّا وَلَوْلَدِ أَيُّوبَ مِنْهُ جَوَائِزُ وَجُمْلَانُ ^(١) .

ثُمَّ إِنَّ زَيْدَ بْنَ أَيُّوبَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ آلِ قَلَّامٍ ، فَوَلَدَتْ حَمَادًا ، ثُمَّ خَرَجَ
زَيْدٌ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ يَرِيدُ الصَّيْدَ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ ، وَهُمْ مُنْتَدُونَ ^(٢) بِحَفِيرٍ ،
فَانْفَرَدَ فِي الصَّيْدِ ، وَتَبَاعَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي امْرِئِ الْقَيْسِ الَّذِينَ
كَانَ لَهُمُ الثَّأْرُ قَبْلَ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ — وَقَدْ عَرَفَ فِيهِ شَبَهَ أَيُّوبَ — مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟
قَالَ : مِنْ بَنِي تَيْمٍ . قَالَ : مَنْ أَبِيهِمْ ؟ قَالَ : مَرَّتِي ^(٣) . قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : وَأَيْنَ مَنْزِلُكَ ؟
قَالَ : الْحَيْرَةُ . قَالَ : أَمِنْ بَنِي أَيُّوبَ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ بَنِي أَيُّوبَ ؟
وَاسْتَوْحَشَ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ ، وَذَكَرَ الثَّأْرَ الَّذِي هَرَبَ أَبُوهُ مِنْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : سَمِعْتُ بِهِمْ ،
وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ . فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : فَمَنْ أَيَّْ الْعَرَبِ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا امْرَأُؤُ مِنْ
طَيْئٍ ، فَأَمْنُهُ زَيْدٌ وَسَكَتَ عَنْهُ . ثُمَّ إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ تَغَفَّلَ زَيْدًا ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ
بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَفَلَقَ قَلْبَهُ ، فَلَمْ يَرَمْ ^(٤) حَافِرُ دَابَّتِهِ حَتَّى مَاتَ .

رَلَبَتْ أَصْحَابُ زَيْدٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ طَلَبُوهُ ؛ وَقَدْ افْتَقَدُوهُ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ
أَمْعَنَ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، فَبَاتُوا يَطْلُبُونَهُ حَتَّى يَنْسُوا مِنْهُ ، ثُمَّ عَدَوْا فِي طَلَبِهِ ، فَاقْتَفَوْا
أَثَرَهُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ ، وَرَأَوْا مَعَهُ أَثَرَ رَاكِبٍ يُسَارِعُهُ ، فَاتَّبَعُوا الْأَثَرَ حَتَّى وَجَدُوهُ قَتِيلًا ؛
فَعَرَفُوا أَنَّ صَاحِبَ الرَّاحِلَةِ قَتَلَهُ ، فَاتَّبَعُوهُ ، وَأَعْدَوْا السَّيْرَ ؛ فَأَدْرَكَهُ مَسَاءُ اللَّيْلِ الثَّانِيَةِ ،
فَصَاحُوا بِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَرْمَى النَّاسِ ؛ فَامْتَنَعَ مِنْهُمْ بِالنَّبْلِ ، حَتَّى حَالَ اللَّيْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ؛

(١) الجملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة (٢) اتندى القوم : اجتمعوا ؛ وحفير :
موضع بالحيرة ، ذكره عدي بن زيد في شعره ، قال :

قد أَرَانَا وَأَهْلَنَا بِحَفِيرٍ نحسب الدهر والسنين شهوراً

(٣) مرَّتِي : نسبة إلى امرئ القيس (٤) لم يرم : لم يرح .

وقد أصاب رجلاً منهم في مرجع^(١) كتفيه بسهم ، فلما أجنّه الليل مات وأفلتته الرّامي ، فرجعوا وقد قُتلَ زيدٌ ورجلٌ آخر معه .

فكث حماد بن زيد في أخواله حتى أيقَعَ^(٢) ، ولحق بالوصفاء^(٣) ، ثم تحوّل إلى دار أبيه ؛ وتعلّم الكتابة فيها ، فكان أول من كتب من بني أيوب ، وخرج من أكتب الناس ؛ وطُلبَ حتى صار كاتب النعمان الأكبر^(٤) ؛ فلبث كاتباً له ؛ حتى وُلِدَ له ابنه زيد ؛ وكان لحامد صديق من الدهاقين^(٥) ، ولما حضرته الوفاة أوصى بابنه زيد إلى الدهقان ، فأخذَه إليه فكان مع ولده ، وكان زيد قد حدّق الكتابة والعريّة قبل أن يأخذَه الدهقان ، فلما أخذَه علّمه الفارسية فلَقِنَهَا .

ثم إنَّ الدهقان أشار على كسرى أن يجعلَ زيداً على البريد في حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعلُ ذلك إلا بأولاد المرازبة^(٦) ، فكث يتولّى ذلك لكسرى زماناً . ثم إنَّ النعمان هلك ، فاختلف أهلُ الحيرة فيمن يملكونه إلى أن يعقِد كسرى الأمرَ للرجل يُنصِّبه ، فأشار عليهم الدهقان بزيد بن حماد : فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء^(٧) .

ثم إنَّ زيداً تزوّجَ نعمة بنت ثعلبة المدويّة ، فولدت له عديّاً ، وولدت للدّهقان ابن سماء شاهان مرّد ، فلما تحرّك عدي بن زيد وأيقَعَ طَرَحَه أبوه في الكتاب ،

(١) مرجع كتفيه : أسفلها (٢) أيقَعَ : يقال : أيقَعَ الغلام إذا شارف الاحتلام .

(٣) الوصفاء : جمع وصيف وهو الغلام دون المراهق (٤) هو النعمان بن امرئ القيس

حكم ثمانية وعشرين عاماً ، وترك الملك سنة ٤٣١ م (٥) الدهاقين : جمع دهقان وهو التاجر

(٦) المرازبان : أحد مرازبة الفرس ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم (٧) هو المنذر بن

امرئ القيس ، وماء السماء اسم أمه ، وكان أشهر ملوك الحيرة ، وهو صاحب يومى التميم والبؤس

توفي سنة ٥٦٣ م .

حتى إذا حَدِّقَ أُرسله الدَّهقان مع ابنه إلى كُتَّابِ الفارسية ، فكان يختلف إليه مع ابنه ،
ويتعلَّم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية ؛
وقال الشعر ، وتعلَّم الرَّمي بالنَّشاب ، ونُفِرَج من الأساورة ^(١) الرُّثامة ، وتعلَّم لِبَـ
العَجَم على الخيل بالصَّوَالجة ^(٢) وغيرها .

ثم إنَّ الدَّهقان وفَدَّ على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد ، فأثبته كسرى مع
سائر أولاد الدَّهقان في صحابته ؛ فقال الدَّهقان لكسرى : إنَّ عندي غلاماً ^(٣)
من العرب خَلَفَه أبوه في حِجْرِي قَرِينَتُهُ ؛ فهو أفصحُ الناس وأَكْتَبُهُم بالعربية
والفارسية ، والملكُ محتاجٌ إلى مثله ؛ فإن رأى أن يُثبته مع ولدي فعل ، فقال :
ادعُه ، فأرسل إلى عدى ، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحسن ، وكانت الفُرسُ تُتَبَرِّكُ
بالوجه الجميل ؛ فلما كَلَّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه ، وأثبته
مع ولد الدَّهقان ، فكان عدى أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى .

فرغب أهلُ الحيرة إلى عدى ورَهَبوه ، ولم يزل بديوان كسرى في المدائن
يُؤدِّنُ له عليه في الخاصَّة ، وهو مُعجَّب به قريب منه ؛ وأبوه زيد يومئذٍ حيٌّ ، إلا أنَّ
ذِكْرَ عدى قد ارتفع وخَمِلَ ذِكْرُ أبيه ، فكان عدى إذا أراد المقام بالحيرة استأذن
كسرى ، فأقام في أهله الشهرَ والشهرين ، وأكثَر وأقلَّ ، ثم يعود .

ثم إنَّ كسرى أُرسله إلى ملك الروم بهديَّة من طُرْف ما عنده ، فلما أتاه عدى
بها أكرمه ، وحمله إلى عمَّاله على البريد ليريه سعة أرضه ، وعظيم مُلكه ؛ وكذلك
كانوا يصنعون ؛ فبن ثم وقع عدى بدمشق ، وقال فيها الشعر . وكان مما قال :

(١) الأساورة : جمع أسوار ، وهو الجيد الرمي بالسهم (٢) الصوالجة : جمع صولجان ،
وهو عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب (٣) يريد عدى بن زيد .

رُبَّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجَزْعِ مِنْ دُوْمَةٍ (١) أَشْهَى إِلَى مَنْ جَيَّرُونِ (٢)
وَنَدَامَى لَا يَفْرَحُونَ بِمَا نَا . لَوْ لَا يَرْهَبُونَ صَرْفَ الْمَنُونِ
قَدْ سَقَيْتُ الشَّمُولَ فِي دَارِ بَشِيرٍ قَهْوَةً مُزَّةً (٣) بِمَاءِ سَخِينِ
وَفَسَدَ أَمْرُ الْحَيْرَةِ ، وَعَدَى بِدَمَشَقٍ ؛ حَتَّى أَصْلَحَ أَبُوهُ زَيْدٌ بَيْنَهُمْ ؛ إِذْ أَنْ أَهْلَ
الْحَيْرَةِ حِينَ كَانَ عَلَيْهِمُ النَّذْرُ أَرَادُوا قَتْلَهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَعْدِلُ فِيهِمْ ؛ وَكَانَ يَأْخُذُهُمْ
أَمْوَالُهُمْ مَا يُعْجِبُهُ ؛ فَلَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّ أَهْلَ الْحَيْرَةِ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ بَعَثَ إِلَى زَيْدٍ ،
فَقَالَ لَهُ : يَا زَيْدُ ؛ أَنْتَ خَلِيفَةُ أَبِي ، وَقَدْ بَلَغَنِي مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَيْرَةِ ، فَلَا حَاجَةَ
لِي فِي مُلْكِكُمْ ، دُونَكُمْ ، مَلِكُوهُ مَنْ شِئْتُمْ . فَقَالَ زَيْدٌ : إِنْ الْأَمْرَ لَيْسَ إِلَيَّ ،
وَلَكِنِّي أَسْبِرُ لَكَ هَذَا الْأَمْرَ ، وَلَا آلُوكَ نَصْحًا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى النَّاسِ فَيُؤَيِّدُهُ تَحِيَّةَ الْمُلْكِ ، وَقَالُوا لَهُ : أَلَا تَبْعَثُ إِلَى عَبْدِكَ
الظَّالِمِ (يَعْنُونَ النَّذَرَ) فَتُرْجِعَ مِنْهُ رَعِيَّتَكَ ؟ فَقَالَ لَهُمْ : أَوْ لَا خَيْرَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا :
أَشِرُّ عَلَيْنَا ! قَالَ : تَدْعُونِي عَلَى حَالِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُلْكٍ ، وَأَنَا آتِيهِ فَأُخْبِرُهُ
أَنَّ أَهْلَ الْحَيْرَةِ قَدْ اخْتَارُوا رَجُلًا يَكُونُ أَمْرُ الْحَيْرَةِ إِلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ غَزْوً أَوْ قِتَالًا ،
فَلِكِ اسْمُ الْمُلْكِ ، وَلَيْسَ إِلَيْكَ سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ . قَالُوا : رَأَيْكَ أَفْضَلُ .

فَأَتَى النَّذَرَ فَأُخْبِرَهُ بِمَا قَالُوا ، فَقَبِلَ ذَلِكَ وَفَرَحَ ، وَقَالَ : إِلَهُكَ يَا زَيْدُ عَلَى
نِعْمَةٍ لَا أَكْفُرُهَا مَا عَرَفْتُ حَقَّ سَبْدٍ (٤) . فَوَلَّى أَهْلَ الْحَيْرَةِ زَيْدًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سِوَى
اسْمِ الْمُلْكِ فَإِنَّهُمْ أَقْرَبُوهُ لِلنَّذَرَ .

ثُمَّ هَلَكَ زَيْدٌ ، وَعَدَى بِالشَّامِ ، وَكَانَ لَزِيدٍ أَلْفُ نَاقَةٍ لِلْحِمَالَاتِ (٥) ، كَانَ

(١) دومة : من منازل جذيمة الأبرش (٢) جيرون : بناء عند باب دمشق (٣) المزة :
الحمر اللذيذة الطعم (٤) سبد : صنم كان لأهل الكوفة (٥) الحمالات : جمع حاملة (بالفتح)
وهي الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم .

أهل الحيرة أعطوه إياها حين ولّوه ما ولّوه ؛ فلما هلك أرادوا أخذها ، فبلغ ذلك المنذر ، فقال : لا ، واللّات والعزى لا يؤخذ مما كان في يد زيد تُفروق^(١) ، وأنا أسمع الصوت .

ثم إن عدياً قدم المدائن على كسرى بهديّة قيصر ، فصادف أباه والدّهقان الذى ربّاه قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى فى الإلام بالحيرة ، فأذن له ، فتوجّه إليها ، وبلغ المنذر خبره ، ففرج فتلّقاه فى الناس ، ورجع معه ، وعدى أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ؛ ولو أراد أن يملكوه للمكوه ، ولكنه كان يؤثر الصّيد والأهـو واللعب على الملك ، فكث سنين يبدو^(٢) فى فصلى السنة ، فيقيم فى جفير^(٣) ويشتو بالحيرة ، ويأتى المدائن فى خلال ذلك ، فيخدم كسرى ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هنداً بنت النعمان بن المنذر ، وهى يومئذ جارية حين بلغت أو كادت .

٢

كان للمنذر ابنان : أحدهما النعمان ، وكان فى حجر آل عدى بن زيد ، فهم الذين أرضعوه وربّوه ، وكان له ابن آخر فى حجر بنى مرينا^(٤) ، وكان له سواهما من الولد عشرة ، وكان يقال لولده الأشّاهب^(٥) لجمالهم ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش^(٦) قصيراً ، فلما احتضر المنذر أوصى بأولاده إلى إياس بن قبيصة

(١) قال الأصمى : التفروق : قمع التمرة والبصرة ، يكنى به عن القلة ، فيقال : ماله تفروق ، أى ماله شيء . (٢) يبدو : يخرج إلى البادية (٣) جفير : موضع بنجد (٤) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد (٥) الشهبه فى الأصل تطلق على البياض الذى يغلب على السواد ، وقد يطلق على مطلق البياض ، قال الأعشى فى بنى المنذر :

وبنى المنذر الأشاهب فى الحيرة عشون غدوة كالسيوف

(٦) الأبرش : الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

الطائي ، وملسكه على الهيرة إلى أن يرى كسرى رأيه ، فكث مملكا عليها أنهرأ ، وكسرى بن هُرْمُز في طلب رجل يملسكه عليهم ، فقال لعدى : من بقي من آل المنذر؟ وهل فيهم أحد فيه خير ؟ فقال : نعم ، أيها الملك السعيد ، إن في ولد المنذر لبقيةً ، وفيهم كلهم خير ، فقال : ابعت إليهم فأحضرهم .

فبعث عدى إليهم فأنزلهم جميعاً عنده ، ثم قال للنعمان : لست أملك غيرك ، فلا يوحشنيك ما أفضّل به إخوانك عليك من الكرامة ، فإني إنما أغترّهم بذلك ، ثم كان يفضل إخوانه جميعاً في النزل والإكرام والملازمة ، ويُرِيهم تنقُصاً للنعمان ، وأنه غير طامع في تمام أمره على يده ، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً ، فيقول : إذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أغرّ ثيابكم وأجلها ، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فقباطنوا في الأكل وصغروا اللقم ، ونزّروا ما تأكلون ، فإذا قال لكم : أنكفوني العرب ؟ فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذّ أحدكم عن الطاعة وأفسد أنكفونيّه ؟ فقولوا : لا ، إن بعضنا لا يقدر على بعض ؛ ليهابكم ولا يطمع في تفرقكم ، ويعلم أن للعرب منعةً وبأساً ، فقبّلوا منه ؛ وخلا بالنعمان ، وقال له : ألبس ثياب السفر ، وادخل متقلداً سيفك ، وإذا جلست للأكل فمظّم اللقم ، وأمرع المضغ والبكع ، وزد في الأكل ، وتجوّع قبل ذلك ، فإن كسرى يمجبه الأكل من العرب خاصة ، ويرى أنه لا خير في العربي إذا لم يكن أكل ولا شراباً ، ولا سيما إذا رأى غير طعامه ، وما لا عهد له به ، وإذا سألك : هل تكفيني العرب ؟ فقل : نعم ، فإذا قال لك : فمن لي بإخوانك ؟ فقل له : إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم لأعجز .

وخلا ابن مَرِينَا بالأَسود أخيه فسأله عما أوصاه به عدى فأخبره . فقال : غَشَك والصليب والممودية ، وما نصحك ، ولئن أطعنتي لتخالفن كل ما أمرك به ،

وَلْتَمَلَّكَنَّ ، وَلِيْنُ عَصِيْتِي لِيُمَلَّكَنَّ النِّعْمَانُ ؛ وَلَا يَغْرَبَنَّكَ مَا أَرَاكَ مِنْ الْإِكْرَامِ
وَالْتَفْضِيلِ عَلَى النِّعْمَانِ ، فَإِنْ ذَلِكَ دِهَاءٌ مِنْهُ وَمَكْرٌ ؛ وَإِنْ هَذِهِ الْمَدِيَّةُ لَا تَخْلُو مِنْ
مَكْرٍ وَحِيلَةٍ . فَقَالَ : إِنْ عَدِيًّا لَمْ يَأْلَنِ نَصْحًا ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِكَسْرِى مِنْكَ ، وَإِنْ
خَلَفْتُهُ أَوْ خَشِئْتُهُ وَأَفْسَدَ عَلَىَّ ، وَهُوَ جَاءَ بِنَا وَوَصَفَنَّا ، وَإِلَى قَوْلِهِ يَرْجِعُ كَسْرِى .
فَلَمَّا أَيْسَ ابْنُ مَرْيَنَةَ مِنْ قَبُولِهِ مِنْهُ قَالَ : سَتَعْلَمُ .

وَدَعَا بِهِمْ كَسْرِى ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ أُعْجِبَهُ جَمَالُهُمْ وَكَلَامُهُمْ ، وَرَأَى رَجُلًا
قَلَمَّا رَأَى مِثْلَهُمْ ، فَدَعَا لَهُمُ بِالطَّعَامِ فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ عَدِيٌّ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى النِّعْمَانِ
مِنْ بَيْنِهِمْ وَيَتَأَمَّلُ أَكْلَهُ ، فَقَالَ لِعَدِيٍّ بِالْفَارْسِيَةِ : إِنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ خَيْرٌ فَنَفِي
هَذَا . فَلَمَّا غَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ جَعَلَ يَدْعُو بِهِمْ رَجُلًا رَجُلًا فَيَقُولُ : أَتَكْفِينِ الْعَرَبُ ؟
فَيَقُولُ : نَعَمْ ، إِلَّا إِخْوَتِي ، حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى النِّعْمَانِ آخِرَهُمْ ، فَقَالَ : أَتَكْفِينِ الْعَرَبُ ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَلَّهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَيْفَ لِي بِإِخْوَتِكَ ؟ قَالَ : إِنْ عَجَزْتُ
عَنْهُمْ فَإِنِّى مِنْ غَيْرِهِمْ أَعْجَزُ . فَلَمَّا خَلَعَ عَلَيْهِ ، وَالْبَسَهُ تَابَجًا قِيَمْتُهُ سِتُونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ فِيهِ اللُّؤْلُؤُ وَالذَّهَبُ .

فَلَمَّا خَرَجَ - وَقَدْ مُلِّكَ - قَالَ ابْنُ مَرْيَنَةَ لِلْأَسْوَدِ : دُونَكَ عُقْبَى خِلَافِكَ لِي .
ثُمَّ صَنَعَ عَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ طَعَامًا ، وَدَعَا عَدِيَّ بْنَ مَرْيَنَةَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنِّى عَرَفْتُ أَنَّ
صَاحِبِكَ الْأَسْوَدَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ يُمَلِّكَكَ مِنْ صَاحِبِى النِّعْمَانِ ، فَلَا تَلْمُزْنِى عَلَى شَيْءٍ
كُنْتُ عَلَى مِثْلِهِ ، وَإِنِّى أَحِبُّ أَلَا تَحْقِدَ عَلَىَّ شَيْئًا لَوْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ رَكْبَتَهُ ، وَإِنْ نَصَبِى
مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِأَوْفَرٍ مِنْ نَصِييِكَ ، وَحَلَفَ لَابْنِ مَرْيَنَةَ أَلَّا يَهْجُوهُ ، وَلَا يَنْفِيهِ
غَائِلَةً أَبَدًا . فَقَامَ ابْنُ مَرْيَنَةَ وَحَلَفَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَهْجُوهُ وَيَنْفِيهِ الْغَوَائِلَ مَا بَقِيَ ، وَقَالَ :

ألا أبلغ عدياً عن عدى فلا تجزع وإن رثت^(١) قواكا
فإن تظفر فلم تظفر حمداً وإن تعطب^(٢) فلا يعمد سواكا
ندمت ندامة الكسبي^(٣) لا رأيت عيناك ما صنعت يداكا

ثم قال عدى بن مريتا للأسود : أما إذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المعدى الذى فعل بك ما فعل ، فقد كنت أخبرتك أن ممدداً لا ينাম كيدها ومكرها ، وأمرتك أن تعصيه فخالفتنى . قال : فأتريد ؟ قال : أريد ألا تأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها على ، ففعل .

وكان ابن مريتا كثير المال والضيعة ، فلم يكن فى الدهر يوم يأتى إلا على باب النعمان هدية من ابن مريتا ، وكان إذا ذكر عدى بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه ، وشيخ ذلك بأن يقول : إن عدى بن زيد فيه مكر وخديعة ، والمعدى لا يصلح إلا هكذا .

فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مريتا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتمونى أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا له : إنه لكذلك ، ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إن الملك - يعنى النعمان - عامله ، وإنه هو ولأه ما ولأه ؟ فلم يزالوا به حتى أضغنوه عليه ؛ فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قهرمان^(٤) له ، ثم دسوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه ؛ وأنوا به النعمان ققرأه ؛ فاشتد غضبه ، فأرسل إلى عدى بن زيد : عزمْتُ عليك إلا زرتنى ،

(١) رثت : ضعفت (٢) عطب كِفَرَح : هلك (٣) الكسبي منسوب إلى كسع ، وهو حى من قيس عيلان ، والكسبي رجل رام ، رى بعد ما أظلم الليل عيراً فأصابه وظن أنه أخطاه ، فكسر قوسه ثم ندم من الفد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلاً لكل نادى على فعله (٤) القهرمان هنا : أمين الملك وخاصته عند الفرس .

فإني قد اشتقتُ إلى رؤيتك - وعدى يومئذ عند كسرى - فاستأذن كسرى فأذن له؛
فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبس لا يدخل عليه فيه أحد؛ فجعل عدى
يقول الشعر، وهو في الحبس، فكان أول ما قاله وهو محبوس :

ليت شعري عن الهمام ويأتيه	ك بخبر الأنبياء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا المال والآذ	ففس إذ ناهدوا اليوم الحال ^(١)
ورضائي في جنبك الناس يرمو	ن وأرعى وكلنا غير آلي ^(٢)
فأصيب الذي تريد بلا غش	ن وأرعى عليهم وأوالي
ليت أني أخذت حثفي بكفة	ي ولم ألق مينة الأقتال ^(٣)
محلوا محامهم ^(٤) لصرعتنا العا	م فقد أوقعوا الرحا بالثفال ^(٥)

وقال :

سعى الأعداء لا يألون شراً	على ورب مكة والصليب
أرادوا كي تمهل عن عدى	لئسجن أو يدده في القلب ^(٦)
وكنتم لراز ^(٧) خصمكم لم أعرد ^(٨)	وقد سلكوك في يوم عصبير
أعاليهم وأبطن كل سر	كما بين اللحاء إلى العسب ^(٩)
ففرزت عليهم لما التقينا	بتاجك فوزة القدح الأريب

(١) إخطار المال والأنفس : بنهما . والناهضة : المناهضة في الحرب ، والحال : الكيد والمكر
(٢) غير آلي : غير مقصّر (٣) الأقتال : جمع قتل وهو العدو (٤) يقال : محل فلان
بصاحبه إذا سعى به إلى السلطان (٥) الثفال : الجلد الذي يسط تحت رجا اليد ليق الطحين من
التراب (٦) ددهه الشيء : حدره من علو إلى سفلى ، والقلب : البئر (٧) أى لا أدع
خصمك يخالف ويعانك (٨) عرد : هرب وفر (٩) العسب : جريدة من النخل مستقيمة
دقيقة يكشط خوصها . واللحاء : قشر الشجر . والمراد : أن السر يبق عنده مكتوماً .

وما دهرى^(١) بأن كدّرتُ فضلاً ولكن ما لقيتُ من العجيب
 ألا من مُبلغُ النعمانِ عني وقد شهدى النصيحة بالغيب
 أحطى كان سلسلةً وقيداً وغلاً والبيانُ لدى الطبيب
 أذاك بأننى قد طال حبسنى ولم تسألم بمسجون حريب^(٢)
 وبتنى مُقفرٌ إلا نساءً أرامل قد هلكن من النحيب
 يبادرن الدموع على عدى كشن خانه خرز الربيب^(٣)
 يُحاذرن الوشاة على عدى وما اقترفوا عليه من الذنوب
 فإن أخطأتُ أو أوهمتُ أمراً قد يهيم المصافى بالحبيب
 وإن أظلم قد عاقبتمونى وإن أظلم فذلك من نصيبى
 وإن أهلك تجد قعدى وتُخذل إذا التقت العوالى فى الحروب
 فهل لك أن تدارك ما لدينا ولا تُقلب على رأى المصيب
 فإنى قد وكّلتُ اليوم أمرى إلى رب قريب مستجيب

ولمّا طال سجنُ عدى كتب إلى أخيه أبى - وهو مع كسرى - بهذا الشعر :

أبلغ أيباً على نأيه وهل ينفعُ المرء ما قد عَلِمَ
 بأن أخاك شقيقَ الفؤادِ كنت به واثقاً ما سَلِمَ
 لدى ملكٍ موثقٍ فى الحديدِ إمّا يحقّ وإمّا ظَلِمَ

(١) ما دهرى بكذا أو كذا ، أى ما لرادى وغايبى كذا (٢) الحريبه : الذى سلب ماله
 (٣) الشن : الخلق من كل آنية صنعت من الجلد ، والمراد بالريب هنا المصلح .

فلا أَعْرِفَنَّكَ كَذَاتِ الْغُلَا م ما لم تجِدْ غَارِمًا تَعْتَرِمُ^(١)
فَارْضَكَ أَرْضَكَ إِنْ تَأْتِنَا تَمَّ نَوْمَةٌ لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَخُوهُ أَبِي :

إِنْ يَكُ خَانَكَ الزَّمَانُ فَلَا عَا جَزُ بَاعٍ وَلَا أَلْفُ^(٢) ضَعِيفُ
وَعَيْنِ الْإِلَهِ لَوْ أَنَّ جَاوَا ء طَحُونًا تَضِي فِيهَا السُّيُوفُ^(٣)
ذَاتَ رِزٍّ بِحِطَابَةٍ غَمْرَةٍ الْمُو تِ صَحِيحٌ مِرْبَالَهَا مَكْفُوفُ^(٤)
كَنتَ فِي حَمْلِهَا لِجُنَّتِكَ أَسْمَى فَاَعْلَمَنْ لَوْ سَمِعْتُ إِذْ تَسْتَضِيفُ^(٥)
أَوْ بِمَالٍ سَأَلْتَ دُونَكَ لَمْ يُعْ نَع تِلَادٌ لِحَاجَةٍ أَوْ طَرِيفُ
أَوْ بَارِضٍ أَسْطِيعُ آتِيكَ فِيهَا لَمْ يَهْلِكْنِي بَعْدُ بِهَا أَوْ مَخُوفُ
وَلَعَمْرِي لَنْ جَزِغْتُ عَلَيْهِ لْجَزُوعٌ عَلَى الصَّدِيقِ أُسُوفُ
وَلَعَمْرِي لَنْ مَلَكَتْ عَزَائِي لَقَلِيلٌ شَرَوَاكَ^(٦) فَمَا أُطُوفُ

وذهب أبي أخوه إلى كسرى ، فكلَّمه في أمره وعرفه خبره ؛ فكتب إلى
النعمان يأمره بإطلاقه ؛ وبعث معه رجلاً - وكان للنعمان خليفة عند كسرى - فلما
علم بأمر كسرى في عدى كتب إليه : إنه قد كُتِبَ إليك في أمر عدى .
ولما جاء الرسول دخل على عدى قبل أن يذهب إلى النعمان وقال له : يا عدى ،

(١) أراد بذات الغلام : الأم المرضع ، والعارم الراضع ، ويقال : اعترمت المرأة : تبغت من يعمرها
أو يمضئ ثديها . قال في اللسان : المراد إن لم تجد من ترضعه درت هي غلبت ثديها ، وقال ابن
الأعرابي : يقال هذا لمن يتكلف ما ليس من شأنه . (٢) الألف : الثقيل البطيء . (٣) الجأواء :
الكتيبة التي يعلوونها السواد لكثرة الدروع . والطحون : الكتيبة العظيمة تطحن ما لقيت .
(٤) الرز : الصوت ، إلبريال : القميص ، والمكفوف من كفت الثوب إذا خُطت حاشيته .
ولعله يريد أنها كتيبة سالمة (٥) تستضيف : تستجير (٦) شرواك . مثلك .

إني قد جئت بإرسالك ؛ فما عندك ؟ فقال : عندي الذي تُحبُّ ، ووعده بعدة سَنِيَةٍ ؛ وقال له : لا تخرجنَّ من عندي ، وأعطني الكتاب حتى أرسله إليه ، فإنك والله إن خرجت من عندي لأُقتلَنَّ ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتي النعمان بالكتاب ، فأوصله إليه ، فانطلق بعضُ من كان هناك من أعدائه ، وأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدى وهو ذاهبٌ به ، وإن فعل والله لم يستبق منا أحداً أنت ولا غيرك . فبعث من قتله .

ودخل الرسولُ إلى النعمان فأوصل الكتابَ إليه ، فقال : نعم وكرامةً ، وبمَث إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية ، وقال له : إذا أصبحت فادخل إليه فخذهُ . فلما أصبح الرسولُ غداً إلى السجن ، فلم يرَ عدياً ، وقال له الحرس : إنه مات منذ أيام ولم نَجْزِئْ على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع الرسول إلى النعمان وأخبره أنه رآه بالأمس ، ولم يره اليوم ، فقال : أبعثُ بك الملكُ إلى فتدخل إليه قبلي ! ثم تهذَّده ورشاه وتوثق منه ألا يُخبر كسرى إلا أنه مات قبل وصوله إلى النعمان .

٣

ندم النعمان على قتل عدى ، وعرف أنه قد احتيل عليه في أمره ؛ واجترأ أعداؤه عليه ، وهاجمهم هجمةً شديدةً . ثم إنه خرج للصَّيد فمَرَّ ابناً لعدى يقال له زيدٌ ، فلما رآه عرف شبهه ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عدى بن زيد ، فكلَّمه فإذا غلامٌ ظريف ؛ فرح به فرحاً شديداً ، واعتذر إليه من أمر أبيه ، وقرَّبه وأعطاه ووصله وجهه ، وسيره إلى كسرى ووصفه له ، وقال : إن عدياً كان ممن أُعِين به الملك في نصِّحه ولُبِّه ، فأصابه ما لا بُدَّ منه ، وانقطعت مدَّتُهُ ، وانقضى أجله ،

ولم يُصَبِّ به أحدٌ أشد من مصيبتى ، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلا جعل الله له منه خلفاً ، لما عظمَ الله من مُلكه وشأنه ، وقد بلغ ابنٌ له ليس بدونه ، رأيتُه يصلحُ لخدمة الملك ، فسرَّحتُه إليه ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليعملْ وليصرفْ عمه^(١) إلى عمل آخر .

فلما وقع زيد بن عدى عند الملك هذا الموقِع سألَه عن النعمان فأحسن الثناء عليه ، وأقام عند الملك سنواتٍ بمنزلة أبيه ، وأعجب به كسرى ؛ فكان يكثرُ الدخول عليه والخدمة له .

وكانت للملوك الأَعْجَمُ صفةٌ من النساءِ مكتوبةٌ عندهم ، وكانوا يبعثون في طلب من يكون على هذه الصِّفة من النساء ، فإذا وُجِدَتْ حُمِلَتْ إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ؛ ولا يظنُّونها عندهم ؛ ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصِّفة ، وأمر فكتبَ بها إلى النواحي ؛ ودخل إليه زيد بن عدى ، وهو في ذلك القول ؛ فخطابه فيما دَخَلَ إليه فيه ، ثم قال : إني رأيتُ الملك قد كتبَ في نسوة يُطلَبْنَ له ، وقرأتُ الصِّفة ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصِّفة .

قال : فاكتبْ فيهن . قال : أيُّها الملك ؛ إنَّ شَرَّ شيء في العرب وفي النعمان خاصَّةً أنهم يتكرَّمون - زعموا في أنفسهم - عن العجم ، فأنا أكرهُ أن يُعيَّيَّنَ عمن تبعثُ إليه ؛ أو يعرضَ عليه غيرهن ، وإن قَدِمْتُ أنا عليه لم يقدرْ على ذلك ؛ فابعثنى وابعث معى رجلاً من رِجَالِكَ يفهمُ الإِغْرِيَّةَ ، حتى أبلغَ ما تحبُّه .

(١) كان عمه الذى يلى المسكنة عن الملك إلى ملوك العرب فى أمورهما وفى خواص أمور الملك ، وكانت له من العرب وظيفة موطقة فى كل سنة .

فبعث معه رجلاً جلدًا فهِمَا ، وخرج به زيد ، وجعل يكرم الرجلَ وَيُلْطِفُهُ حتى بلغ الحيرة ، ودخلا على النعمان ، فأعظمه زيد وقال له : إن كسرى احتاج إلى نساءِ انْفِسِهِ وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث إليك ؟ قال : ما هؤلاء النسوة ؟ قال : هذه صِفَتُهُنَّ قَدْ جُنَّابَهَا .

وكانت الصفة أن النذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر أبي شمر الغساني ؛ وكتب إليه بصفتها ، وبقيت هذه الصفة إلى أيام كسرى بن هرمز حتى أرسل بها إلى النعمان مع زيد ورفيقه ، وهى :

« إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً معتدلةً أَلْخُلُقِ ، نَقِيَّةَ اللَّوْنِ والشَّعْرِ ، بِيَضَاءِ قَمَرَاءَ ، وَطُفَاءِ (١) ، كَحَلَاءَ ، دَعَجَاءَ (٢) ، حَوْرَاءَ (٣) ، عَيْنَاءَ (٤) ، قَنَوَاءَ (٥) ، شَمَاءَ (٦) ، بَرَجَاءَ (٧) ، زَجَاءَ (٨) ، أَسِيلَةَ (٩) الخَدَّ ، شَهِيَّةَ الْمُقْبَلِ ، جُمْلَةَ (١٠) الشَّعْرِ ، عَظِيمَةَ الهَامَةِ ، بَعِيدَةَ مَهْوَى الْقُرْطِ ، عَيْطَاءَ (١١) ، عَرِيضَةَ الصَّدْرِ ، كَاعِبَ الثَّدْيِ ، ضَخْمَةَ مُشَاشِ (١٢) النَّسِيبِ والمُعْضِدِ ، حَسَنَةَ المِعْصَمِ ، لَطِيفَةَ الكَفِّ ، سَبْطَةَ الْبَنَانِ ، ضَامِرَةَ الْبَطْنِ ، نَحْمِيصَةَ الْخَصْرِ ، غَرَّتِي (١٣) الْوِشَاحِ ، رَدَاحَ (١٤) الْأَقْبَالِ ،

(١) الوطفاء : غريزة الأهداب وشعر الحاجبين (٢) الدعج : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها (٣) الحور : اسوداد العين كلها مثل الأطباء ، ولا يكون في بني آدم إلا على الاستعارة (٤) العين : سعة العين (٥) القنا : ارتفاع في أعلى الأنف ، واحديداب في وسطه ، وسبوغ في أعلاه (٦) الشمم في الأنف : ارتفاع القصبه (٧) البرجاء : الجميلة الحسنه (٨) الزجاء : دقيقة الحاجبين في طول (٩) الخد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس (١٠) الجمل من الشعر : للكثيف الأسود (١١) العيطاء : الطويلة العنق (١٢) المشاشه : رأس العظم الممكن المضغ (١٣) غرثي الوشاح : دقيقة الخصر (١٤) الرdach : العجزاء الثقيلة الأوراك النامة الخلق . والأقبال : ما استقبك من مشرف .

رايية الكفل ، لَفَاءُ ^(١) الفَخْذَيْنِ ، رِيًّا الرِّوَادِفِ ، ضَخْمَةٌ المَأْكَمَتَيْنِ ^(٢) ،
مُقَمَّمَةٌ ^(٣) السَّاقِ ، مُشْبَعَةٌ ^(٤) الخَائِخَالِ ، لَطِيفَةُ الكعب والقدَمِ ، قَطُوفُ ^(٥) المشي ،
مِكْسَالُ الضُّحَا ^(٦) ، بَضَّةٌ ^(٧) المتجرَّد ، سَمُوعًا لِلسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِمُخْلَسَاءَ ^(٨) وَلَا مَسْفَعَاءَ ^(٩) ،
رَقِيقَةُ الْأَنْفِ ، عَزِيزَةُ النَّفَرِ ، لَمْ تُغَدَّ فِي بُؤْسٍ ، حَيِّمَةٌ رُزِينَةٌ ، حَلِيمَةٌ رَكِينَةٌ ،
كَرِيمَةُ الْخَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتَسْتَفْنِي بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جِمَاحِ
قَبِيلَتِهَا ، قَدْ أَحْكَمَهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ ، وَعَمِلُهَا عَمِلَ أَهْلُ
الْحَاجَةِ ، صَمَاعَ الْكَفَّيْنِ ، قَطِيعَةٌ ^(١٠) اللِّسَانِ ، رَهْوَةٌ ^(١١) الصَّوْتِ سَاكِنَتُهُ ،
تَزِينُ الْوَلَى ، وَتَشِينُ الْعَدُوَّ ^(١٢) .

ولما قرأ زيدُ هذه الصفة على النعمان شقَّ عليه ، وقال لزيد ، والرسولُ يسمعُ :
أَمَا فِي مَهَا السَّوَادِ وَعَيْنِ فَارِسٍ مَا يَبْلُغُ بِهِ كِسْرَى حَاجَتَهُ ؟ فقال الرسولُ لزيد
بالفارسية : مَا الْمَهَا وَالْعَيْنُ ؟ فقال له بالفارسية : « كَاوَان » أَيْ الْبَقَرُ ؛ فَأَمْسَكَ الرَّسُولُ ،
وقال زيد للنعمان : إِنَّمَا أَرَادَ الْمَلِكُ كِرَامَتَكَ ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا يَشُقُّ عَلَيْكَ لَمْ
يَكْتُبْ إِلَيْكَ بِهِ . فَأَنْزَلَهُمَا يَوْمَيْنِ عِنْدَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى : إِنَّ الَّذِي طَلَبَ الْمَلِكُ
لَيْسَ عِنْدِي ، وَقَالَ زَيْدٌ : اعْذِرْنِي عِنْدَ الْمَلِكِ .

فَعَادَا إِلَى كِسْرَى ، فَقَالَ زَيْدُ لِلرَّسُولِ الَّذِي قَدِمَ مَعَهُ : اصْدُقِ الْمَلِكَ عَمَّا سَمِعْتَ ،
فَإِنِّي سَأَحْدِثُهُ بِمَثَلِ حَدِيثِكَ ، وَلَا أَخَالَفُكَ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى كِسْرَى قَالَ زَيْدٌ :

(١) لَفَاءُ : ضَخْمَةُ الْفَخْذَيْنِ مَكْتَنَزَةٌ (٢) الْمَأْكَمَتَانِ اللَّحْمَتَانِ اللَّتَانِ عَلَى رِجْلَيْ رِءُوسِ الْوَرَكَيْنِ
(٣) مُقَمَّمَةُ السَّاقِ : مَمْتَلِكُهَا (٤) كُنْيَاةٌ عَنِ السَّمَنِ (٥) وَصْفٌ مِنَ الْقَطَافِ ، وَهُوَ تَقَارُبُ
الْخَطُوطِ (٦) الْمِكْسَالُ : الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا تَسْكَادُ تَبْرَحُ مَجْلِسَهَا ، وَهُوَ مَدْحٌ عِنْدَهُمْ (٧) الْبَضَّةُ :
النَّاعِمَةُ (٨) الْخَنَسُ : قَرِيبٌ مِنَ الْفَطَسِ (٩) السَّفْعُ : السَّوَادُ (١٠) لَيْسَتْ سَلِيطَةً
(١١) رَهْوَةٌ : رَقِيقَةٌ (١٢) حَذَفْتُ بَعْضَ الْعِبَارَاتِ الْمُسْتَهْجَنَةِ .

هذا كتاب النعمان إليك ، فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذى كنت خبرتني به ؟ قال : كنتُ خبرْتُكَ بِصِنْتِهِمْ بِنِسَائِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ شَقَائِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ الْجُوعَ وَالْعُرَى عَلَى الشَّبَعِ وَالرَّيَاشِ ، وَإِيْثَارِهِمُ السَّمُومَ وَالرَّيَّاحَ عَلَى طَيْبِ أَرْضِكَ هَذِهِ ، حَتَّى لَمْ يَسْمُومُوهَا السَّجْنُ ، فَسَلَّ هَذَا الرَّسُولُ الَّذِى كَانَ مَعِيَ عَمَّا قَالَ ، فَإِنِ أَكْرِمُ الْمَلِكُ عَنْ مُشَافَهَتِهِ بِمَا قَالَ ، وَأَجَابَ بِهِ . فَقَالَ لِلرَّسُولِ : وَمَا قَالَ ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ إِنَّهُ قَالَ : أَمَا فِي بَقَرِ السَّوَادِ وَفَارِسَ مَا يَكْفِيهِ حَتَّى يَطْلُبَ مَا عِنْدَنَا ؟ فَعُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ مَا وَقَعَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ قَالَ : رَبُّ عَبْدٍ قَدْ أَرَادَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، ثُمَّ صَارَ أَمْرُهُ إِلَى التَّبَابِ .

وشاع هذا الكلامُ حَتَّى بَلَغَ النُّعْمَانُ ، وَسَكَتَ كِسْرَى أَشْمَرَآ عَلَى ذَلِكَ ، وَجَمَلَ النُّعْمَانُ يَسْتَعِدُّ وَيَتَوَقَّعُ ، حَتَّى أَنَاهُ كِتَابَ كِسْرَى : أَنْ أَقْبَلَ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ حَاجَةٌ إِلَيْكَ ، فَاذْطَلِقْ حِينَ أَنَاهُ كِتَابَهُ ، فَحَمَلَ سِلَاحَهُ ، وَمَا قَوَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَحَى بِمِجْلَى طَيْئٍ ، وَكَانَ مَتَزَوِّجًا إِلَيْهِمْ ^(١) ، فَأَرَادَ النُّعْمَانُ طَيْئًا عَلَى أَنْ يُدْخِلُوهُ الْجَبَلَيْنِ وَيَعْتَمُوهُ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ خَوْفًا مِنْ كِسْرَى ، وَقَالُوا لَهُ : لَوْلَا صَهْرُكَ لَقَتَلْنَاكَ ، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مُعَادَاةِ كِسْرَى ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ .

٤

فَأَقْبَلَ يَطُوفُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُهُ ، غَيْرَ أَنَّ بَنِي رَوَاحَةَ

(١) كَانَتْ عِنْدَهُ فِرْعَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَهُ زَيْنَةُ بِنْتُ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ .

ابن قُطَيْمَةَ بن عَبْس قالوا : إن شئت قاتلنا معك - لِمَنْسَةٍ كُفْتُ لَهُ عِنْدَهُمْ - قال :
مَا أَحِبُّ أَنْ أَهْلِكَكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِكَسْرِي .

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ فِي ذِي قَارِ فِي بَنِي شَيْبَانَ ^(١) سُرًّا ، فَلَقِيَ هَانِيَّ بْنَ مَسْعُودٍ ^(٢)
الشَّيْبَانِيَّ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيحًا - فَاسْتَجَارَ بِهِ فَأَجَارَهُ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ لَزِمَنِي ذِمَامُكَ ، وَأَنَا
مَانِعُكَ مِمَّا أَمْنَعُ نَفْسِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي مِنْهُ ، مَا بَقِيَ مِنْ عَشِيرَتِي إِلَّا ذَيْنِ رَجُلٍ ، وَإِنَّ
ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعٍ لِي ، لِأَنَّهُ مُهْلِكِي وَمُهْلِكُكَ ، وَعِنْدِي رَأْيٌ لَكَ ، لَسْتُ أَشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ
لَأَدْفَعَكَ عَمَّا تَرِيدُهُ مِنْ مَجَاوِرَتِي ، وَلَكِنَّهُ الصَّوَابُ . فَقَالَ : هَاتِهِ ، فَقَالَ : إِنْ كُلُّ
أَمْرٍ يَجْمَلُ بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمُلْكِ سُوقَةً ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ
بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَلَئِنْ مَوْتُكَ كَرِيمًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْجَرَّعَ اللَّذْلُ أَوْ تَبْقَى سُوقَةً بَعْدَ الْمُلْكِ ،
هَذَا إِنْ بَقِيَتْ ؛ فَاْمُضْ إِلَى صَاحِبِكَ ، وَاحْمِلْ إِلَيْهِ هَدَايَا وَمَالًا ، وَأَلْقِ بِنَفْسِكَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، فَإِذَا أَنْ صَفَحَ عَنْكَ فَمَدَّتْ مَلِكًا عَزِيزًا ، وَإِذَا أَنْ أَصَابَكَ فَلَوْتُ خَيْرٌ مِنْ
أَنْ يَتَلَبَّ بِكَ صَعَالِيكُ الْعَرَبِ وَيَتَخَطَّفَكَ ذُنَابُهَا ، وَتَأْكُلَ مَالُكَ وَتَعِيشَ فَقِيرًا
مُجَاوِرًا أَوْ تُقْتَلَ مَقْهُورًا . فَقَالَ : كَيْفَ مَجْرَمِي ؟ قَالَ : هُنَّ فِي ذِمَّتِي لَا يُخْلَصُ
لِإِيْنٍ حَتَّى يُخْلَصَ إِلَى بَنَاتِي . فَقَالَ : هَذَا وَأَيْكَ الرَّأْيُ الصَّحِيحُ وَلَنْ أَجَاوِزَهُ .

ثُمَّ اخْتَارَ النِّعْمَانُ خِيَلًا وَحُلَلًا مِنْ عَصَبِ ^(٣) الْإِيْنِ ، وَجَوْهَرًا وَطَرُفًا كَانَتْ عِنْدَهُ ،
وَوَجَّهَ بِهَا إِلَى كَسْرِي ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَمْتَنِدُ ، وَيُعَلِّمُهُ أَنَّ صَائِرَ إِلَيْهِ ، وَوَجَّهَ بِهَا

(١) شَيْبَان : بَطْنٌ فِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ (٢) وَفِي رَوَايَةٍ : إِنْ هَانِيَّ بْنَ مَسْعُودٍ لَمْ يَذْكُرْ هَذَا
الْأَمْرَ ، وَإِنَّمَا هُوَ هَانِيُّ بْنُ قَيْصَةَ بْنِ هَانِيٍّ بْنِ مَسْعُودٍ (٣) الْعَصْبُ : نَوْعٌ مِنْ بَرُودِ الْإِيْنِ يَصْبَغُ
غَزْلَهُ ، أَوْ يَشَدُّ وَيَجْعَمُ ثُمَّ يَصْبَغُ وَيَسْجُ .

مع رسوله ، فقبلها كسرى ، وأمره بالقدوم عليه ، فماد إليه الرسول فأخبره بذلك ، وأنه لم ير له عند كسرى سوءاً .

فضى إليه بعد أن استودع هاني بن مسعود خلقتة وأهله وولده وألف شكة^(١) ، حتى إذا وصل إلى المدائن^(٢) لقيه زيد بن عدى على قنطرة ساباط^(٣) ، فقال له : انجُ نعيم إن استطعت النجاء . فقال له : أفعلتها يا زيد ؟ أما والله لئن عشت لك لأقتلك قتلة لم يقتلها عربي قط ؛ ولألحقنك بأبيك . فقال له زيد : امض لشأنك نعيم ، فقد أخيت لك أخية^(٤) لا يقطعها المهر الأرن^(٥) .

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه ققيده وبعث به إلى سجن^(٦) كان له ، فلم يزل به حتى وقع الطاعون هناك ، فمات فيه^(٧) .

(١) الشكة : السلاح (٢) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها ، وسماها باسمه ، فسميت المدائن (٣) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز (٤) الأخية : عروة تربط إلى وتد مشقوق وتشد فيها الدابة (٥) الأرن النشط (٦) وفي رواية لابن الكلبي : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطنته حتى مات (٧) ولما نعى إلى النافعة وحدث بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالب الملوك ، ثم تمتل :

من يطلب الدهر تتركه مخاطبه	والدهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوى مجد ومكرمة	إلا يشد عليهم شدة الذيب
حتى يبيد على عمد سراتهم	بالتافذات من النيل المصايب
لأن وجدت سهام الموت معرضة	بطل خف من الآجال مكتوب

ورثاه زهير بن أم سلمى فقال :

ألم تر للنعمان كان بنجدة	من الشر لو أن أمراً كان باقياً
فلم أر مخذولاً له مثل ملكه	أقل صديقاً أو خليلاً موافياً
خلا أن حياً من راحة حافظوا	وكانوا أناساً يتقون الخازيا
فقال لهم خيراً وأثنى عليهم	وودعهم توديع ألا تلاقياس

فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان ، وبعث إليه : أن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه . فبعث إياس إلى هاني ابن مسعود يأمره بأن يرسل له ما استودعه النعمان من الدروع وغيرها ، وقال له : لا تكلفني أن أبث إليك ولا إلى قومك بالجنود تقتل المقاتلة ، وتسبي الذرية . فبعث إليه هاني يقول : إن الذي بلغك باطل ، وما عندي قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمر كما قيل ، فأنا أحد رجلين : إما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردها على من أودعه إياها ، ولن يسلم الحر أمانة . أو رجل مكذوب عليه ، فليس ينبغي أن تأخذه بقول عدو أو حاسد .

فلما منها هاني غضب كسرى ؛ ثم أخذت بكر بن وائل تغير في السواد ^(١) ، فوفد قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين على كسرى ، فسأله أن يجعل له أكلًا وطعمة على أن يضمّن له بكر بن وائل ألا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه ، فأقطعهم الأبلّة ^(٢) وما والآها ، وقال : هي تكفيك وتكفي أعراب قومك ، فكانت له حجرة ^(٣) فيها مائة من الإبل للأضياف إذا نحرت ناقة أُقيدت أخرى .

فكان يأتيه من آتاه من بكر فيعطيه جلة ^(٤) تمر وكراسة ^(٥) ، حتى إذا قدم الحارث بن ولة والكسرى بن حنظلة أعطاهما جلتى تمر وكراستين ، ففضبا وأبيا أن يقبلا ذلك منه ، وخرجا واستغويا ناساً من بكر بن وائل ، ثم أغارا على السواد :

(١) السواد : ما حوالى القصبة من القرى . (٢) الأبلّة : بلد على شاطئ دجلة البصرة
(٣) الحجرة : حظيرة للإبل . (٤) الجلة : وعاء من خوص يكنز فيه التمر . (٥) الكراسة : ثوب من قطن .

فلما بلغ ذلك كسرى اشتدَّ حَتْفُهُ عَلَيْهِمْ ، وأُرْسِلَ إِلَى قَيْسِ بْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ بِالْبَلَّةِ
وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ غَرَّرْتَنِي مِنْ قَوْمِكَ ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ تَكْفِينِيهِمْ ، وَأَمَرَ بِهِ فَجُبِسَ
فِي سَابَاطٍ .

ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى إِيَّاسَ بْنِ قَبِيصَةَ ، وَاسْتَشَارَهُ فِي النَّارَةِ عَلَى بَكْرِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا
تَرَى ؟ وَكَمْ تَرَى أَنْ تُفْزِيَهُمْ مِنَ النَّاسِ ؟ فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ : إِنْ الْمَلِكُ لَا يَصْلَحُ أَنْ يَعْصِيَهُ
أَحَدٌ مِنْ رَعِيَّتِهِ ، وَإِنْ تُطْعَنِي لَمْ تُعْلَمْ أَحَدًا لِأَيِّ شَيْءٍ عَبَرْتَ وَقَطَعْتَ الْفِرَاتَ ،
فَيُرَوِّا أَنْ شَيْئًا مِنَ الْعَرَبِ قَدْ كَرَبَكَ ، وَلَكِنْ تَرْجِعُ وَتَضْرِبُ عَنْهُمْ ، وَتَبْعَثُ
عَلَيْهِمُ الْعِيُونَ حَتَّى تَرَى غِرَّةً مِنْهُمْ ، ثُمَّ تَرْسِلُ حَلْبَةَ ^(١) مِنْ الْعَجَمِ فِيهَا بَعْضُ
الْقِبَائِلِ الَّتِي تَلِيهِمْ ، فَيُوقِعُونَ بِهِمْ وَقْعَةَ الدَّهْرِ ، وَيَأْتُونَكَ بِطَلَيْتِكَ .

فَقَالَ لَهُ كَسْرَى : أَنْتَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَبَكْرُ بْنُ وَائِلٍ أَخْوَالُكَ ؛ فَأَنْتَ
تَتَعَصَّبُ لَهُمْ ، وَلَا تَأْلُوهُمْ نُصْحًا . فَقَالَ إِيَّاسُ : رَأَى الْمَلِكُ أَفْضَلَ .

فَقَامَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عَدَى بْنِ زَيْدِ الْمَبَادَى - وَكَانَ كَاتِبُهُ وَتَرْجَمَانُهُ بِالرَّيْبَةِ وَفِي
أُمُورِ الْعَرَبِ - فَقَالَ لَهُ : أَقِمْ أَيْهَا الْمَلِكُ ، وَابْعَثْ إِلَيْهِمُ بِالْجُنُودِ يَكْفُوكَ .

وَكَانَ عِنْدَهُ النُّعْمَانُ بْنُ زُرْعَةَ التَّغَلَبِيُّ - وَهُوَ يَحِبُّ هَلَكَ بَكْرٍ ؛ فَقَالَ لِكَسْرَى :
يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ ، أَذَلِكَ عَلَى عَدُوٍّ يَطْلُبُهُمْ ، وَعَلَى غِرَّةٍ بِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَهْلِنَا حَتَّى
نَقِيطَ ، فَإِنَّهُمْ لَوْ قَدْ قَاطَوا تَسَاقَطُوا عَلَى مَاءٍ ، يَقَالُ لَهُ ذُو قَارٍ تَسَاقَطَ الْفِرَاسُ فِي النَّارِ ؛
فَأَخَذَتْهُمْ كَيْفَ شِئْتَ ، وَأَنَا عِنْدَكَ إِلَى أَنْ أَكْفِيَكُمْ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنْ مُطَالَيْتَهُمْ فِي
ذَلِكَ الْوَقْتُ كَثِيرٌ ، وَذَلِكَ مِمَّا يُؤْهِنُ كَيْدَهُمْ وَيَكُونُ أَيْسَرُ عَلَى الْمَلِكِ هَلَاكُهُمْ .

(١) الْحَلْبَةُ : الدَّفْعَةُ مِنَ الْخَيْلِ تَجْمَعُ لِلْسَبَاقِ أَوْ الْغَارَةِ .

فواقفه كسرى وأقرهم، حتى إذا قاظوا جاءت بكر بن وائل فزلت بالحنو^(١)
حنو ذي قار.

٦

ولما بلغ كسرى، نزولهم عقد للنعمان بن زُرعة على تغلب والنمر، وعقد لخالد بن
يزيد البهراني على قضاة وإباد، وعقد لياس بن قبيصة على العرب، ومعه كتيبتاهم
الشهباء والدوسر^(٢). فكانت العرب ثلاثة آلاف، وعقد للهامرز^(٣) على ألف من
الأساورة، وعقد لحنابز بن علي ألف، وبعث معهم باللطيمة. وقد كانت تخرج من
العراق فيها البر والعطر والأطاف توصل إلى بأذان عامل كسرى باليمن - وأمر عمرو
ابن عدي أن يسير بها، وكانت العرب تخفرهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيمة
اليمن، وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر ودنوا منها أن يبعثوا النعمان بن
زُرعة يُخَيِّرهم بين ثلاث خصال: إما أن يمتطوا بأيديهم فيحكم فيهم الملك بما شاء،
وإما أن يعمروا الديار، وإما أن يأذنوا بحرب.

وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك بيني تميم يوم الصفقة^(٤)، فالعرب وجلة خائفة
منه. وكانت همد بنت النعمان في بني سنان، فلما علمت بمسير جموع كسرى قالت
تمنذر العرب:

ألا أبلغ بني بكر رسولا فقد جدد النفير بعنفقير^(٥)
قلت الجيش كلهم فداكم ونفسي والسرير وذو السرير

(١) هو من ذي قار على مسيرة ليلة (٢) الشهباء ودوسر: كتيبتان حريتان، كان قد
جعلهما يزدجرد ملك الفرس تحت تصرف النعمان بن المنذر ومن بعده، وكان رجال الشهباء من
الفرس ورجال دوسر من عرب تنوخ (٣) كان الهامرز على مسلة كسرى بالسواد
(٤) انظر يوم الصفقة ص ٢ (٥) العنقير: الداهية.

كَأَنِّي حِينَ جَدَّ بِهِمْ إِلَيْكُمْ مَغْلَقَةٌ الدَّوَابِّ بِالْعُبُورِ (١)
فَلَوْ أَنِّي أَطَقْتُ لَدَاكَ دَفْعًا إِذَا لَدَفَعْتَهُ بَدْرِي وَزِيرِي (٢)

فلما بلغ الخبر بَكْر بن وائل سار هَانِي بن مسمود حتى انتهى إلى ذِي قَار، فنزل به،
وَأَقْبَلَ النِّعْمَان بن زُرْعَةَ حتى نَزَلَ عَلَى ابْنِ أُخْتِهِ مَرَّةً بن عمرو، فحمد الله النِّعْمَان
وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ أَخْوَالِي وَأَحَدُ طَرَفِي، وَإِن الرَّاثِد لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَقَدْ
أَنَا كَمَ مَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ مِنْ أَحْرَارِ فَارَسَ وَفُرْسَانَ الْعَرَبِ، وَالْكُتَيْبَتَانِ: الشَّهْبَاءُ
وَالدَّوْسَرُ؛ وَإِن فِي الشَّرِّ خِيَارًا، وَلَآنَ يَفْتَدِي بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ
تَضْطَلَمُوا (٣)؛ انْظُرُوا هَذِهِ الْحُلُقَةَ فَادْفَعُوهَا، وَادْفَعُوا رَهْنًا مِنْ أُنْثَاكُمْ بِمَا أَخْذَتْ
سَفَهَاءُكُمْ. فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: نَنْظُرُ فِي أَمْرِنَا.

٧

ثُمَّ بَشَّوْا إِلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ بَكْرٍ، وَبَرَزُوا بِيَطْحَاءَ ذِي قَارِ بْنِ الْجَلْهَتَيْنِ (٤)،
وَأَخَذُوا يَرْتَقِبُونَ (٥) مَنْ يَأْتِي مِنْ قِبَائِلِ بَكْرٍ؛ لَا تُرْفَعُ جَمَاعَةٌ إِلَّا قَالُوا سَيَدُنَا فِي

(١) العبور: نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْجُزَاءِ (٢) الزير: مَا اسْتَحْكَمَ قَلْبُهُ مِنَ الْأَوْتَارِ (٣) تضطلعوا:
تَسْتَأْصِلُوا وَتَتَبَدَّوْا (٤) جَلْبَةُ الْوَادِي: مَقْدَمُهُ وَمَا اسْتَقْبَلَكَ مِنْهُ وَاتَّسَعَ لَهُ (٥) رَوَى فِي الْأَغَانِي:
أَنْ مَرَدَّ سَأْسَ السُّلَمِيِّ كَانَ مَجَاوِرًا فِي بَكْرِ يَوْمَئِذٍ، فَلَمَّا رَأَى الْجِيُوشَ قَدْ أَقْبَلَتْ إِلَيْهِمْ حَمَلَ عِيَالَهُ وَخَرَجَ
عَنْهُمْ وَأَنْشَأَ يَحْرُضُهُمْ:

بَلَغَ سَرَاةَ بَنِي بَكْرٍ مَغْلَقَةٌ
السَّرِيَّةُ: الْجَمَاعَةُ يَفِيرُونَ. وَالْوَارِي: التَّلْبِيحُ
إِنِّي أَرَى الْمَلِكَ الْمَاهِرَ مِنْصَلًّا
يَرْجِي جِيَادًا وَرُكْبًا غَيْرَ أَعْيَارِ
الْمَنْصَلُ: الْمَسْرَعُ، وَالْأَعْيَارُ: جَمْعُ عَيْرٍ وَهُوَ الْحَمَارُ
لَا تَتَّقِطُ الْبَعِيرُ الْحَوْلَى نَسْوَتَهُمْ
لِلجَائِزِينَ عَلَى أَعْطَانِ ذِي قَارِ
الْأَعْطَانُ: مِبَارِكُ الْإِبِلِ

فَأَبَتْ أَيْتَمُ قَانِي رَافِعُ طَعْنِي
الْلُوبُ: هَمُّ التُّوبِ، وَهَمُّ جَبَلٍ فِي السُّوْدَانِ
وَجَاعَلَ بَيْنَنَا وَرَدًّا غَوَارِبَهُ
رَبَا: ارْتَفَعَ، وَ« وَرَدًّا غَوَارِبَهُ » أَرَادَ الْبَحْرَ.

هذه ؛ فرُفعت لهم جماعة، فقالوا: سيدنا في هذه ، فلما دَنَوْا إذا هم ببعد عمرو بن بشر ابن مرثد ، فقالوا : لا . ثم رُفعت لهم أخرى، فقالوا: سيدنا في هذه ، فإذا هو جبلة ابن باعث بن صريم اليشكري ، فقالوا : لا . فرُفعت أخرى، فقالوا : في هذه سيدنا ، فإذا هو الحارث بن وعله بن المجالد الذهلي ، فقالوا : لا . ثم رُفعت لهم أخرى، فقالوا: في هذه سيدنا ؛ فإذا فيها الحارث بن ربيعة بن عثمان التيمي في تيم الله ، فقالوا : لا ، ثم رُفعت لهم أخرى أكبر مما كان يجيئ فقالوا : لقد جاء سيدنا ، وإذا رجل أصلع الشعر ، عظيم البطن ، مُشرب حمرة ، هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ؛ فقالوا : يا أبا معدان قد طال انتظارنا ، وقد كرهنا أن نقطع أمراً دونك ، وهذا ابن أختك قد جاءنا ، والرائد لا يكذب أهله ، وهذا هاني بن قبيصة بهم يركوب الفلاة ، ويقول لنا : لا طاقة لكم بجموع الملك^(١) . قال حنظلة : فما الذي أجمع عليه رأيكم واتفق عليه مَلؤكم^(٢) ؟ قالوا : إن اللخي^(٣) أهون من الوهي ؛ وإن في الشر خياراً ، ولأن يفتدَى بعضنا بعضاً خيراً من أن نصطلم جميعاً .

فقال حنظلة : قدح الله هذا رأياً ! لا تجرأ أحرار فارس أرجلها يبطحاء ذى قار وأنا أسمع هذا الصوت ، ثم أمر بقبضته فضربت بوادي ذى قار ، ثم نزل ونزل الناس فأطافوا به . ثم قال : لا أرى غير القتال ؛ فإننا إن ركبنا الفلاة متناً عطشاً ، وإن أعطينا بأيدينا تقتل مقاتلتنا وتُسبي ذرارينا . ثم قال لهاني بن مسعود : يا أبا أمامة ؛ إن ذمتكم ذمتنا عامة ، وإنه لن يوصل إليك حتى تقبلي أرواحنا ، فأخرج هذه الحلقة ففرقها بين قومك ؛ فإن تظفر فترد عليك ، وإن تهلك فأهون مفقود .

(١) قال في العقد الفريد : لم تر من هاني سقطة قبلاً (٢) الملا : جماعة القوم

(٣) اللخي : إعطاء المال ، يريدون أن فقد المال خير من الهلاك .

فَأَمَرَ بِهَا هَانِي فَأُخْرِجَتْ وَفُرِّقَتْ فِي الْقَوْمِ . ثُمَّ التَفَتْ حَنْظَلَةُ إِلَى النُّعْمَانِ وَقَالَ : لَوْلَا أَنْكَ رَسُولٌ لَمَا أَتَيْتَ إِلَى قَوْمِكَ سَالِكًا ، فَرَجَعَ النُّعْمَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْمُ ، فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِلْقِتَالِ ، وَبَكَرُوا يَتَأَهَّبُونَ لِلْحَرْبِ ^(١) .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَقْبَلَتِ الْأَعَاجِمُ نَحْوَهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى تَعْيِيَةٍ ^(٢) ، وَمَعَهُمُ الْجَنُودُ وَالْأَفْيَالُ عَلَيْهَا الْأَسَاوِرَةُ ؛ وَكَانَ نَازِلًا فِي بَنِي شَيْبَانَ رَيْمَةَ بْنِ غَزَالَةَ السَّكُونِي ثُمَّ التَّجِيبِي هُوَ وَقَوْمُهُ ، فَقَالَ : يَا بَنِي شَيْبَانَ ؛ أَمَّا إِنِّي لَوْ كُنْتُ مِنْكُمْ لَأَشْرْتُ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ مِثْلِ عُرْوَةِ الْعِلْمِ ^(٣) ، فَقَالُوا : أَنْتَ وَاللَّهِ مِنْ أَوْسَطِنَا فَأَشِرْ عَلَيْنَا ؛ فَقَالَ : لَا تَسْهَدُوا لَهُذِهِ الْأَعَاجِمِ ، فَتَهْلِكُمْ بِنَشَابِهَا ^(٤) ؛ وَلَكِنْ تَكْرَدَسُوا كِرَادِيسَ ^(٥) ، فَإِذَا أَقْبَلُوا عَلَى كِرْدُوسٍ شَدَّ الْآخَرِ ، فَقَالُوا : قَدْ رَأَيْتَ رَأْيًا .

٨

وَلَمَّا تَقَارَبَ الرَّحْفَانُ قَامَ حَنْظَلَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ فَقَالَ : إِنَّ النُّشَابَ الَّذِي مَعَ الْأَعَاجِمِ يُفَرِّقُكُمْ ، فَإِذَا أَرْسَلُوهُ لَمْ يَخْطُكُمْ ؛ فَمَا جُلُوهُمُ اللَّقَاءَ ، وَابْدُءُوهُمْ بِالشَّدَّةِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى وَضِينِ ^(٦) رَاخِلَةً أَمْرَأَتَهُ فَقَطَعَهُ ، ثُمَّ تَلَبَّعَ الظَّنَّ يَقْطَعُ وَضِينَ ^(٧) ، فَلَسَقَطَنَّ عَلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ : لِيُقَاتِلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ حَلِيلَتِهِ ، ثُمَّ ضَرَبَ قَبْضَةً عَلَى نَفْسِهِ يَبْطَحُهَا ذِي قَارَ ، وَآلَى لَا يَفِرُّ حَتَّى تَفِرَّ الْقَبْضَةُ . وَقَطَعَ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ مِنْ شَيْبَانَ أَيْدَى أَقْبَيْتِهِمْ مِنْ مَنَاكِبِهَا لِتُخَفَّ أَيْدِيهِمْ لِضَرْبِ السِّمُوفِ . وَقَامَ هَانِي ^(٨) بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : « يَا قَوْمُ مَهْلِكٌ مَقْدُورٌ خَيْرٌ مِنْ نَجَاءٍ مَعْرُورٍ ^(٩) وَإِنْ الْحَذَرُ لَا يَدْفَعُ الْقَدَرَ ، وَإِنْ

(١) شهدت بكر جميعا هذه الحرب عدا حنيفة (٢) عبي الجيش تعيية : أصلحه وهيام (٣) أي العلم الذي يوثقه ، وهو يريد ، الرأي السديد (٤) النشاب : النبل (٥) الكر دوس : قطعة من الخيل (٦) الوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر ، وقيل لا يكون إلا من الجلد (٧) سمى حنظلة بعد ذلك مقطع الوضين (٨) في الأمالي : هي لهاني بن قبيصة الشيباني ، ورواية الأمالي فيها اختلاف عما هنا (٩) معرور : مغاب .

الصَّبْر من أسباب الظَّفَر ، النِّيَّة ولا الدِّيَّة ، واستقبال الموت خيرٌ من استِدْبَارِهِ ،
والطَّعْن في الثَّغَر ، أَكْرَمُ من الطَّعْن في الدَّبَر ، ياقوم جِدُّوا فَمَا مِنَ الموتِ بَدٌّ ، فَتَحْ
لو كان له رجال ، أسمع صوتاً ولا أرى قوماً ، ويا آل بكر شَدُّوا واستَعِدُّوا ، وإِلا
تَشَدُّوا تُرَدُّوا .

وقام شريك بن عمرو بن سراحيل فقال : ياقوم ، إِنما تهابونهم أَنكم ترونهم عند
الحفاظ أَكْثَر منكم ، وكذلك أَنتم في أعينهم ؛ فعليكم بالصبر ، فَإِن الأَسِنَّة تُرَدِّي
الأَعِنَّة ، يا آل بكر ، قَدْما ^(١) قَدْما !

وجعل الناس يتحاضون ويرجزون ؛ فقالت امرأة من عجل ^(٢) :

إِن هُزِمُوا نَمَانِقُ وَنَفَرَشُ النَّمَارِقِ ^(٣)

أَوْ هُزِمُوا نَفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمِقْ

وقال حنظلة بن ثعلبة :

قَدْ جَدَّ أَشْيَاعُكُمْ فِجْدُوا مَا عَلَّتِي وَأَنَا مُؤَدِّ ^(٤) جِلْدُ

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرُّ عُرْدُ ^(٥) مِثْلَ دِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

قَدْ جَعَلْتُ أَخْبَارُ قَوْي تَبْدُو إِن الْمَنَايَا لَيْسَ مِنْهَا بُدُّ

هَذَا عُمَيْرُ حَيَّهِ أَلَدُّ يَقْدُمُهُ لَيْسَ لَهُ مَرَدُّ

حَتَّى يَمُودَ كَالْكُمَيْتِ الْوَرْدُ خَلُّوا بَنِي شَيْبَانَ فَاسْتَبَدُّوا

نَفْسِي فِدَاكُمْ وَأَبِي وَالْجَدُّ

وقال يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

(١) أَي تَقْدِمُوا (٢) عَجَل : بَطْنٌ فِي شَيْبَانَ (٣) النَّمَارِقُ : جَمْعُ نَمْرَقَةٍ ، وَالتَّمْرَقَةُ الْوَسَادَةُ
الصَّغِيرَةُ ، أَوْ اللَّيْثَةُ ، أَوْ الطَّنْفَسَةُ فَوْقَ الرَّحْلِ (٤) مُؤَدِّ : ذُو أَدَاةٍ مِنَ السَّلَاحِ تَامَةٌ ، أَي
لَا عَذْرَ لِي (٥) عُرْدٌ : شَدِيدٌ .

من فرّ منكم فرّ عن حرّيه وجارِه وفرّ عن نديهِ
أنا ابنُ سيار على شكيمِه إن الشراك قدّ من أدِيعِه (١)
وكلّهم يجرى على قديمِه من قارِح الهجْنَة أو صميمِه (٢)

وقال عمرو بن جبلة اليشكري :

يا قوم لا تفرركم هذِي الخرق ولا وميضُ البيض في الشمس برّق
من لم يقاتل منكم هذا العنق (٣) فجنبوه الراح واسقوه الرق
ووقف الجيشان متقاً بلّين ، فكانت بنو عجل في الميمنة بإزاء خنازين وعليهم
حنظلة بن ثعلبة ، وبنو شيان في اليسرة بإزاء كتيبة الهامرز ، وعليهم بكر بن يزيد
ابن مسهر ، وأفناء بكر في القلب وعليهم هاني بن مسعود ، فخرج أسوار من الأعاجم
في أذنيه درّتان من كتيبة الهامرز يتحدثى الناس للبراز ، فنادى في بني شيان فلم
يرز إليه أحد ، حتى إذا دنا من بني يشكر برّز له يزيد بن حارثة ، فشدّ عليه بالرّمح
فطمّنه ودقّ صلبه ، وأخذ حليّته وسلاحه (٤) .

وخرج الهامرز يدّعو إلى البراز فخرج إليه الحوفزان (٥) فقتله . وفي ذلك الحين
أرسلت إباد - وكانت في جيوش كسرى - مرّاً إلى بكر ، وقال رسولهم : أي الأمرين

(١) الشراك : سير النعل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد اللدبوغ (٢) القارح : الحصان ،
والهجين : عربي ولد من غير عربي (٣) العنق : الجماعة وهو مذكّر (٤) وذلك قول سويد بن
أبي كاهل يفتخر :

ومنا يزيد إذ تحرى جوعكم فلم تقربوه المزيات الشهر

تحرى : نازع القلبة

وبارزه منا غلام بصارم حسام إذا لاقى الضريبة يتر

الضريبة : ما ضربته بالسيف

(٥) اسمه الحارث بن شريك .

أعجب إليكم ؛ أن نظيرَ تحتَ لَيْكَتِنَا فنذهب ، أو نقيم ونفرّ حين تلاقون القوم ؟ قالوا : بل نقيمون ؛ فإذا التقى الناسُ انهزمتم بهم .

وقال يزيد بن حمار السَّكُونِي - وكان حليفاً لَشَيْبَانَ - أطيعوني واكْمَنُوا لهم كَمِينًا ، ففعلوا ، وجعلوا يزيد رأسهم ، وكمَنُوا في مكان يقال له الحبيء واجتَلَدُوا ، وحملت مَيْسَرَةُ بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وحملت مَيْمَنَةُ بكر وعليها يزيد ابن مسهر على مَيْسَرَةِ الجيش ، وخرج عليهم الكمينُ من النَّخِيِّ وعليهم يزيد بن حمار ، فشدُّوا على قلب الجيش ، وولَّتْ إِيَادُ مُهْزَمَةٍ كما وَعَدْتَهُمْ ؛ وانهزمت الفرس ، وتبعتم بكر .

ولحق مرثد بن الحارث النعمان بن زُرْعَةَ فأهدى له طَمَنًا ، فسبقه النعمان بصدرِ فرسه فأفْلَتَهُ^(١) ، ولكن أسود بن بجير المجلي وضع يده في يده ، ثم جزَّ ناصيته ، وخطى سبيله .

ثم اتبعت بكر الفُرسَ وأخْلَافَهُمْ من العرب يقتلونهم بقيةَ يومهم وليلتهم حتى أصبحوا من الغد وقد شارفوا السَّوَادَ ، ودخلوه في طلب القوم . أما إِيَّاسُ بن قبيصةَ فكان أَوَّلَ مَنْ انصرف إلى كسرى بالهزيمة ، وكان لا يأتيه أحدٌ بهزيمة جيش إلا نزع كَتِفِيهِ ؛ فلما أتاه إِيَّاسُ سَأَلَهُ عن الخبر فقال : هَزَمْنَا بكر بن وائل ، فأتيناك بنسائهم ، فأعجبَ ذلك كسرى وأمر له بكسوة . ثم استأذنه إِيَّاسُ فقال : إن أخي قيس بن قبيصة مريض بين التمر فأردت أن آتيه^(٢) ، فأذن له

(١) وذلك قول مرثد :

وخيل تبارى للطعان شهدتها فأغرقت فيها الرمح والجمع محجم
وأفلتني النعمان فوت رماحنا وفوق قطاة المهر أزرقت لهضم
القطاة : موضع الردف من الدابة ، واللهزم : كل شيء من سنان أو سيف قاطع .
(٢) قال ذلك ليتبعني عنه .

كسرى، فركب فرسه الحميمة^(١) ولحق بأخيه . ثم أتى كسرى رجلاً من أهل الحيرة وهو بالخوَرَنَق فسأل : هل دخل على الملك أحد ؟ فقيل : نعم، إياس، فقال : شككت إياساً أمه ، وظن أنه قد حدثه الخبر ، فدخل عليه وحدثه بهزيمة القوم وقتلهم ، فأمر به فنزعت كتفاه .

١ — وفي ذلك اليوم^(٢) يقول أغشئ قيس مُفْتَحِرًا :

أما نعيمٌ فقد ذاقَ عداوتنا وقيسٌ عيلان مسَّ الخِزْيُ والأَسَفُ
وجندٌ كسرى غداةَ الحنو صبَّحهم منا غطَّاريفُ ترجو الموت وانصرفوا
لقوا مُملَمةً^(٣) شهباءَ يقدمها للموت لا عاجزٌ فيها ولا خرف^(٤)
فرع نمتُه فروغٌ غيرُ ناقصةٍ موقفٌ حازمٌ في أمره أرف^(٥)
فيها فوارسٌ محمودٌ لقاؤهم مثل الأسنَّةِ لا ميلٌ ولا كُشف^(٦)
بيضُ الوجوه غداةَ الرُّوعِ تحسبهم جنانَ عين عليها البيضُ والزَّغَفُ^(٧)

(١) لهذه الفرس خير ذكره صاحب الأغاني ؛ وهو أن هذه الفرس كانت لا يأس ثم أودعها عند رجل من نيم الله يقال له أبو ثور ، ولما أراد إياس أن يغزو قومه أرسل إليه أبو ثور بها ، فنهاه أصحابه أن يفعل ، فقال : والله ما في فرس إياس ما يمز رجلاً أو يذله ، وما كنت لأقطع رحمه فيها ، فقال إياس :

غزاها أبو ثور فلما رأيتها دخييس دواء لا أضيع غزاها
دخييس : صميئة ، والدواء : تسمين الفرس
فأعددتها كفتنا لكل كربة

(٢) رأينا أن نعرض هنا بعض ما قيل في هذا اليوم من الشعر (٣) كتيبة ملهومة ومللمة : مجمعة مضموم بعضها إلى بعض (٤) خرف الرجل : فسد عقله من الكبر ، فهو خرف ، والأنتى خرفة (٥) الجمل الأنف التلول المواتى الذى يأنف من الزجر ومن الضرب ويعطى من السير عفواً سهلاً ، قال في اللسان : وكذلك المؤمن لا يحتاج إلى زجر ولا عتاب وما لزمه من حق صبر عليه وقام به (٦) الكشف : جمع أ كشف وهو الذى لا ترس معه ، كأنه متكشف غير مستور (٧) جنان جمع جان ، وهو من الجن ، والزغف : الدروع .

لَا رَأُونَا كُشِفْنَا عَنْ جَاهِنَا لِيَمْلُوا أُنَا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُوا
 قَالُوا : الْبَقِيَّةُ ^(١) ، وَالْهِنْدِيُّ يَحْصُدُهُمْ وَلَا بَقِيَّةَ إِلَّا السَّيْفُ فَانْكَشَفُوا
 لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعْدٍ كَانَ شَارِكِنَا فِي يَوْمِ ذِي قَارِ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرْفُ
 لَمَا أَتَوْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ يَقْدَمُهُمْ مُطَبَّقِ الْأَرْضِ تَغْشَاهَا ^(٢) بِهِمْ سُدْفُ
 بِطَارِقٍ وَبَنُو مَلِكٍ مَرَاذِيهَ مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النَّطْفُ ^(٣)
 مِنْ كُلِّ مَرَجَانَةٍ فِي الْبَحْرِ أَحْرَزَهَا تِسَارُهَا وَوَقَاهَا طِينُهَا الصَّدْفُ
 وَظَعْنُهَا خَلْفَنَا تَجْرِي مَدَامُهَا أَكْبَادُهَا وَجَلَّأَمَا تَرَى تَجِفُ ^(٤)
 كَأَنَّمَا الْآلُ فِي حَافَاتِ جَمْعِهِمْ وَالْبَيْضُ يَرِقُ بَدَا فِي عَارِضِ يَكِفُ
 يَحْسِرُنَ عَنْ أَوْجِهِ قَدْ عَايَنَتْ عِيدَا وَلَا حَا عِبْرَةَ أَلْوَانِهَا كِسْفُ ^(٥)
 مَا فِي الْخُدُودِ صُدُورُهُ عَنْ وَجُوهِهِمْ وَلَا عَنْ الطَّلَنِ فِي اللَّبَّاتِ مُنْحَرَفُ
 لَمَا أَمَالُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيهِمْ مِلْنَا بَيْضَ فَظْلٍ الْهَامُ يُقْتَتِفُ ^(٦)
 وَخَيْلُ بَكْرٍ فَاتَفَكَ تَطْحَنُهُمْ حَتَّى تَوَلَّوْا وَمَكَادِ الْيَوْمِ يَنْتَصِفُ

٢ — وَقَالَ يَمْدَحُ بَنِي شَيْبَانَ :

فَدَيْ لَبْنِي ذُهْلُ بْنُ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ وَقَاتِ
 كَفُّوا إِذَا نَى الْهَامِرُ زُتْخَفَقُ ^(٧) فَوْقَهُ كَظَلَّ الْعَقَابُ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتِ
 أَذَاقُوهُمْ كَأَسَا مِنَ الْمَوْتِ مَرَّةً وَقَدْ بَدَخَتْ ^(٨) فِرْسَانُهُمْ وَأَذَلَّتِ

(١) العرب تقول للعدو إذا غلب : البقية : أي أبقاوا علينا ولا تستأصلونا ، وفي اللسان : قالوا البقية والخطي يأخذهم (٢) في الديوان : تغشاها لهم (٣) النطف : الأفرات وفي رواية : الشنف (٤) تجف : تضرب (٥) قطعاً ، أي أن ألوانها مختلفة (٦) رواية القند : ملنا ببيض لملل الهام تحتطف (٧) في الديوان : تحف ، والحنف : الليل (٨) بدخ : تناول وتكبر ، وفخر ، وعلا ، وبدخ البعير : اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء .

فصَبَّحَهُم بِالْحِنُو حِنُو قَرَارِ وَذَى قَارَهَا مِنْهَا الْجُنُودُ فَقَلَّتْ (١)
 عَلَى كُلِّ مَحْبُوكٍ (٢) السَّرَاةُ كَأَنَّهُ عِقَابٌ مَرَّتْ مِنْ مَرْقَبٍ إِذْ تَدَلَّتْ (٣)
 فَجَاءَتْ عَلَى الْهَامُرِزِ وَسَطَ بَيُوتِهِمْ شَائِبٌ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ فَاسْتَهَلَّتْ
 تَنَاهَتْ بَنُو الْأَحْزَابِ إِذْ صَبَرَتْ لَهُمْ فَوَارِسٌ مِنْ شَيْبَانٍ غُلْبَ فَوَلَّتْ

٣ — وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : سَمِلَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ ، وَقَدْ تَنَافَرُوا إِلَيْهِ عَجَلِي وَيَشْكُرِي ؛
 فَزَعَمَ الْعَجَلِي أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ يَوْمَ ذِي قَارٍ غَيْرُ شَيْبَانِي وَعَجَلِي ، وَقَالَ الْيَشْكُرِي : بَلْ
 شَهِدْتُهَا قِبَائِلَ بَكْرِ وَحُلَفَاؤُهُمْ ، فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : قَدْ فَصَلَ بَيْنَكُمَا التَّغْلُبِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَخَاكَ عَمْرًا مَرَّةً يَقْضَى وَضِيعَتُهُ بَنَاتِ الْعُجْرَمِ (٤)
 فِي غَمْرَةِ الْمَوْتِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي غَمْرَاتِهَا الْأَبْطَالُ غَيْرُ تَغْمُغُمُ
 وَكَأَنَّمَا أَقْدَامُهُمْ وَأَكْفَهُمْ مَرَبٌّ (٥) تَسَاقَطَ فِي خَلِيجٍ مُقْعَمٍ
 لَمَّا سَمِعَتْ دَعَاءَ مُرَّةٍ قَدْ عَلَا وَأَتَى رَيْعَةً فِي الْعِجَاجِ الْأَفْتَمِ
 وَعَلَّمُ يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَاهِمِهِمْ وَالْمَوْتُ تَحْتَ لَوَاءِ آلِ عُلْمٍ
 لَا يُصِرُّونَ عَنِ الْوَعْنَى بِوُجُوهِهِمْ فِي كُلِّ سَابِقَةٍ كُلُّونَ الْعِظَمِ (٦)

(١) روي هذا البيت في اللسان :

وَمُ ضَرَبُوا بِالْحِنُو حِنُو قَرَارِ مَقْدَمَةُ الْهَامُرِزِ حَتَّى تَوَلَّتْ

قَالَ : وَصَوَابُ انْتِشَادِهِ : مُمْ ضَرَبُوا ، وَهَذِهِ هِيَ رِوَايَةُ الدِّيَوَانِ ؛ وَرِوَايَةُ النِّقَاطِزِ أَيْضًا .

(٢) فِي الدِّيَوَانِ : مَجْبُولٌ ، وَالتَّصْحِيحُ عَنِ اللِّسَانِ (٣) فِي اللِّسَانِ : عِقَابٌ سَرَتْ مِنْ مَرْقَبٍ
 وَتَمَلَّتْ (٤) يِقَابٌ وَضَعَتْ عِنْدَ فُلَانٍ وَضِيعَةً ، وَفِي التَّهْذِيبِ وَضِيعَةً ، أَيْ اسْتَوْدَعْتَهُ وَدِيعَةً ،
 وَيُقَالُ لِلْوَدِيعَةِ وَضِيعٌ . وَالْعَجْرَمَةُ شَجَرَةٌ مِنَ الْعَصَاةِ غَلِيظَةٌ عَظِيمَةٌ لَهَا عَقِيدٌ كَقَعْدِ الْكَعَابِ تَتَّخِذُ
 مِنْهَا الْقَسِي ، وَالْجَمْعُ عَجْرَمٌ بَضْمُ الْعَيْنِ وَالرَّاءُ وَكُسْرُهَا ، قَالَ الْعَجَّاجُ يَصِفُ الْمَطَايَا :

* نَوَاحِلًا مِثْلَ قَسَى الْعَجْرَمِ *

(٥) السَّرْبُ بِالْحَرِيكِ : الْمَاءُ السَّائِلُ (٦) الْعِظَمُ : عَصَارَةُ شَجَرٍ لَوْنُهُ كَالنِّيلِ أَخْضَرُ إِلَى الْكَدْرَةِ ،
 وَالْعِظَمُ أَيْضًا : صَبِغٌ أَحْمَرٌ .

ودعت بنو أمّ الرقاع فأقبلوا عند اللقاء بكل شاكٍ مُعَلِّمٍ
وسمعت يشكرُ تُدْعَى بِحَبِيبٍ^(١) تحت العجاجة وهي تقطر بالدم
يمشون في حلق الحديد كما مشَتْ أَسَدُ العَرَيْنِ بيوم نَحْسٍ مُظْلَمٍ
والجمعُ من ذهل كأن زهاءهم^(٢) جُرْبُ الجبال يقودها ابنًا قَشْعَمٍ
والخيلُ من تحت العجاج عوابسًا وعلى مناسِجِها^(٣) سحائبُ من دمٍ

٤ — وقال المديل بن الفرج العجلي :

ما أوقَدَ الناسُ من نارٍ لِكُرْمَةٍ إلا اصْطَلَيْنَا وَكُنَّا مُوقِدِي النارِ
وما يمدُّون من يوم سمعتُ به للناس أفضلَ من يومِ بَدَى قَارِ
جَنَّتْنا بِأَسْلَابِهِمُ والخيلُ عَابِسَةٌ لَّا اسْتَلَبْنَا لِكِسْرَى كلِّ إِسْوَارِ^(٤)

٥ — وقال أبو كَلْبَةَ التيمي :

لولا فوارسُ لَا مِيلٍ وَلَا عُزْلُ^(٥) مِنَ اللَّهِامِ زِمِ^(٦) مَا فُظِّمُ^(٧) بِدِي قَارِ
إِنِ الْفَوَارِسَ مِنْ عِجْلٍ هُمْ أَنْفَوْا مِنْ أَنْ يُخَلِّقُوا لِكِسْرَى عَرَصَةً^(٨) الدَّارِ

(١) الحبيب : الصاحب ، والجناب : الشيطان ، ويصح أن يكون تصغيراً لواحد منهما

(٢) زهاء الشيء : شلخته ، واحده كجمعه ، وأشد ابن الأعرابي :

* دهماً كأن الليل في زهاؤها *

زهاؤها : شخوصها ، يصف نخلا يعني أن اجتماعها يرى شخوصها سواداً كالليل

(٣) المنسج بكسر الميم بمنزلة الكاهل من الإنسان (٤) الاسوار بكسر الهزة وضما :

قائد الفرس ، وقيل : هو الجيد الرمي بالسهم ، وقيل : هو الجيد الثبات على ظهر الفرس ، والجمع

أساورة وأساور (٥) الأميل : الذي لا سيف معه ، وقيل الذي لا رمح معه ، وقيل هو الذي

لا ترس معه ، وقيل هو الجبان ، أو هو الذي لا يثبت على ظهور الخيل ، وجمعه ميل . والعزل :

الذي لا سلاح معه (٦) اللهازم : بنو تميم الله بن ثعلبة (٧) في بعض الروايات : فطم ، وفاظ

الرجل : مات ، وفي مهذب الأغاني : فطم (٨) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها

بناء ، والجمع العراض والعرضات .

لَا قَوْا فَوَارِسَ مِنْ عَجَلٍ بِشَكَّتِهَا^(١) لَيْسُوا إِذَا قَلَصَتْ حَرْبٌ بِأَغْمَارٍ^(٢)
 قَدْ أَحْسَنْتَ ذَهْلَ بْنِ شَيْبَانَ وَمَا عَدَلْتُ فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ فُرْسَانَ ابْنِ سَيَّارٍ
 هُمُ الَّذِينَ أَتَوْهُمْ عَنْ شَمَائِلِهِمْ كَمَا تَلَبَّسَ وَرَادَ بِصُدَّارٍ^(٣)

٦ — وَقَالَ الْأَعَشَى بِحَبِيهِ^(٤) :

أَبْلُغْ أَبَا كَلْبَةَ التَّمِيمِيِّ مَأْلَكَةً فَأَنْتَ مَنْ مَغْشَرِ وَاللَّهِ أَشْرَارِ
 شَيْبَانَ تَدْفَعُ عَنْكَ الْحَرْبَ آوَنَةً وَأَنْتَ تَنْبِجُ نَبِجَ الْكَلْبِ فِي الْغَارِ

٧ — وَقَالَ الْأَعَشَى يَلُومُ قَيْسَ بْنَ مَسْعُودٍ :

أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودٍ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَإِلُّ
 أَطُورِينَ فِي عَامِ غَزَاةٍ وَرَحْلَةٍ أَلَا لَيْتَ قَيْسًا عَرَفْتَهُ الْقَوَائِلَ
 لَقَدْ كَانَ فِي شَيْبَانَ — لَوْ كُنْتُ عَلَامًا — قَبَابٌ وَفِيهِمْ رَحْلَةٌ وَقَبَائِلُ
 رَحِلْتُ وَلَمْ تَنْظُرْ وَأَنْتَ عَمِيدُهُمْ فَلَا يَبْلُغُنِي عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
 فَعَرَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ كَمَا عَرَيْتَ مِمَّا تُنَمِّرُ الْمَغَازِلَ
 لَمَلِكٍ يَوْمَ الْجُنُودِ إِذْ صَبَّحَتْهُمْ كِتَابُ مَوْتٍ لَمَّا تَعَظَّكَ الْعَوَازِلَ

(١) الشُّكَّةُ : السِّلَاحُ (٢) رَجُلٌ غَمَرٌ : لَا تَجَرِبَةُ لَهُ بِحَرْبٍ وَلَا أَمْرٌ ، وَلَمْ تَحْنُكُ التَّجَارِبُ ، وَجَمْعُهُ أَغْمَارٌ (٣) رَوَايَةُ النَّقَائِضِ :

نَحْنُ أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عِنْدِ أَشْمَلِهِمْ كَمَا تَلَبَّسَ وَرَادَ بِصُدَّارٍ

(٤) وَفِي النَّقَائِضِ : فَلَمَّا بَلَغَ الْأَعَشَى قَوْلَ أَبِي كَلْبَةَ قَالَ : صَدَقَ ، ثُمَّ قَالَ مُعْتَذِرًا :

مَتَى تَقْرَنُ أَصَمٌ بِجَحِلٍ أَعَشَى يَتَّبِعُهَا فِي الضَّلَالِ وَفِي الْخَسَارِ

فَلَسْتُ بِبَصِيرٍ مَا قَدْ يَرَاهُ وَلَيْسَ بِسَامِعٍ أَبَدًا حَوَارِي

٨ - وكتب لقيط الابدی إلى بنی شیيان فی يوم ذی قار شعراً یقول فیہ :

قوموا قیاماً علی أمشاط أرجلکم ثم افزعوا ، قد ینال الأمن من فزعاً
وقلدوا أمرکم ، لله درکم ! رجب الدراع بأمر الحرب مضطلماً
لا مترفاً إن رخاء المیش ساعده ولا إذا عَصَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشِماً
ما زال یحلبُ هذا الدهرُ أشطره^(١) یكونُ متبعاً طورا ومتبعاً
حتى استمرَّ علی شزر مریرته مستحکم الرأی لاقحمًا^(٢) ولا ضرعاً

٩ - وقال بُکیر أصمُّ بنی الحارث بن عباد یمدح شیيان :

إن كنت ساقية المدامة أهلها فاستقی علی کرم بنی همّام
وأبا ربیعة کلها ومحلماً سبقاً بغایة أمجد الأيام^(٣)
ضربوا بنی الأحرار يوم لقوهم بالشرقی علی مقیل الهام
شدَّ ابن قیس شدَّةً ذهبت لها ذکرًا له فی مُعْرِقٍ^(٤) وشام
عمرٌ وماعمرٌ وبقحم^(٥) دالف^(٦) فیها فیها ولا غمیر ولا بُغلام

(١) حلب فلان الدهر أشطره : أى خبر ضروبه ، یعنی أنه مز به خیره وشره وشدته ورخاؤه
تشیباً بحلب جمیع أخلاف الناقة ، ما کان منها حفلاً و غیر حفل وداراً و غیر دار (٢) القحم :
الکبیر من الإبل ، قال فی اللسان : ولو شبه به الرجل کان جائراً (٣) فی مذهب الأغاني : بغایة
أفضل الأقسام (٤) فی رواية : مغرب (٥) القحم : الکبیر من الإبل ، ولو شبه به الرجل
کان جائراً ، وقال الجوهري : شیخ قحم : أى هم کبیر (٦) فی الکامل : ولا داله .

٢ - أيام القحطانيين فيما بينهم

وتشتمل على ما يأتي :

- ١ - يوم البردآن .
- ٢ - » الكلاب الأول .
- ٣ - » عين أباغ .
- ٤ - » حليمة .
- ٥ - » اليحاميم .
- ٦ - حروب الأوس والخزرج :

- (١) حرب سمير .
- (٢) » كعب .
- (٣) » حاطب .
- (٤) » يوم بعاث .
- ٧ - » » سحبل .

(١) يوم البردان *

كان حُجْرٌ ^(١) بن عمرو بن معاوية الكندى قد أغار في كِنْدَةَ وربيعة على البَحْرَيْنِ فبلغ زياد بن الهُبُولَةَ ^(٢) خبرهم ، فسار إلى كِنْدَةَ وربيعة وأموالهم ، وهم خُوفٌ ^(٣) ، ورجالهم في غزاتهم المذكورة ، فأخذ الحريم والأموال ، وسبى منهم هند بنت ظالم زوج حُجْرٍ ؛ وسمع حجر بنارة زياد فطلبه ، وصحبته من أشرف ربيعة : عَوْف بن عَلم بن ذهل بن شَيْبَانَ ، وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شَيْبَانَ وغيرها ، فأدركوا عمراً بالبردان ، وقد أَمِنَ الطَّلَب .

فزل حُجْرٌ في سَفْحِ جَبَلٍ ، ونزلت بكر وتغلب وكِنْدَةُ مع حُجْرٍ دون الجبل . فتمجَّلَ عَوْف بن عَلم وعمرو بن أبي ربيعة وقالوا لحُجْرٍ : إنا مُتَمَجِّلَانِ إلى زياد لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا ؛ فسارا إليه ، وكان بينه وبين عَوْفٍ إِخَاءٌ فدخل عليه وقال له : يا خَيْرَ الْفِتْيَانِ ^(٤) : ارْدُدْ عَلَيَّ امرأتى أمانة ، فردّها عليه ، وهى حامل ^(٥) . ثم إن عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد : يا خيرَ الْفِتْيَانِ ؛ ارْدُدْ عَلَيَّ ما أخذت من

* لحجر آكل المرار (من كندة) : على زياد بن الهبولة (من قضاة) ، والبردان : علم على مواضع كثيرة ذكرها ياقوت في معجم البلدان ، ولم يعين الموضع الذى وقع فيه ذلك اليوم .

ابن الأثير ص ٣٠١ ج ١ ، والأغانى ص ٨٢ ج ١٥

(١) حجر بن عمرو : يعرف بآكل المرار ، وهو جد امرئ القيس ، استعمله تبع ملك اليمن ، ولم يزل ملكاً حتى خرف (٢) كان زياد بن الهبولة ملكاً على الشام ، وكان من قضاة (٣) الخُوف : الذين ذهبوا من الحى . ويقال أيضاً لمن حضر منهم ، وهو من الأضداد ، والمراد الأول (٤) تلك كانت تحية ملوك الشام عند العرب (٥) ولدت له بنتاً ، فأراد عوف أن يشدها فاستوهبها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال : لعلنا تلد لإناساً ، فتزوجها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، فولدت عمراً ، فعرف بابن أم لإناس .

لِإِبْلِ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ ، وَفِيهَا فَحَلُّهَا ، فَنَازَعَهُ الْفَحْلُ إِلَى الْإِبْلِ فَصَرَعه عمرو ، فقال له زياد : يا عمرو ؛ لو صَرَغْتُمُ يَا بَنِي شَيْيَانَ الرَّجَالَ كَمَا تَصْرَعُونَ الْإِبْلَ لَكُنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ . فقال له عمرو : لقد أُعْطِيتَ قَلِيلًا ، وَسَمِيتَ جَلِيلًا ، وَجَرَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَيَلًا طَوِيلًا ، وَلَتَجِدَنَّ مِنْهُ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ حَتَّى أُرَوِيَ سِنَانِي مِنْ دَمِكَ ، ثُمَّ رَكِضْ فَرَسَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى حُجْرٍ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ .

فَأَقْبَلَ حَجْرٌ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْحَفِيرُ ، أَرْسَلَ سَدُوسُ بْنُ شَيْيَانَ وَصَلِيعُ بْنُ عَبْدِ غَنَمٍ يَتَجَسَّسَانِ لَهُ الْخَبَرَ ، وَيَعْلَمَانِ عِلْمَ الْعَسْكَرِ ؛ فَخَرَجَا حَتَّى هَجَمَا عَلَى عَسْكَرِهِ لَيْلًا ، وَقَدْ قَسَمَ الْغَنِيمَةَ ، وَأَطْعَمَ النَّاسَ تَمْرًا وَسَمْنًا ، فَلَمَّا أَكَلَ نَادَى : مَنْ جَاءَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ فَلَهُ فِدْرَةٌ ^(١) تَمْرٌ ؛ فَجَاءَ سَدُوسُ وَصَلِيعُ بِحَطَبٍ ، فَنَافَا لِهَمَّا تَمْرًا ، وَجَلَسَا قَرِيبًا مِنْ قُبَّتِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ صَلِيعُ إِلَى حُجْرٍ فَأَخْبَرَهُ بِعَسْكَرِ زِيَادٍ ، وَأَرَاهُ التَّمْرَ .

وَأَمَّا سَدُوسُ فَقَالَ : لَا أَبْرَحُ حَتَّى آتِيَهُ بِأَمْرِ جَلِيٍّ ، وَجَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ . وَهَذَا امْرَأَةٌ حُجْرٌ خَلْفَ زِيَادٍ ؛ فَقَالَتْ لَزِيَادٍ : إِنَّ هَذَا التَّمْرَ أَهْدَى إِلَى حُجْرٍ مِنْ هَجَرَ ، وَالسَّمْنُ مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ .

ثُمَّ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ زِيَادٍ عَنْهُ ، فَضَرَبَ سَدُوسُ يَدَهُ إِلَى جَلِيسٍ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ خَافَهُ أَنْ يَسْتَنْسِرَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : أَنَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ ، وَدَنَا سَدُوسُ مِنْ قُبَّةِ زِيَادٍ بِحَيْثُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ، وَدَنَا زِيَادٌ مِنْ هَذَا امْرَأَةِ حَجْرٍ فَقَالَ لَهَا : مَا ظَنُّكَ الْآنَ بِحَجْرٍ ؟ فَقَالَتْ : مَا هُوَ ظَنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَقِينُ ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَنْ يَدَعَ طَلَبَكَ حَتَّى يُطَالِعَ الْقُصُورَ الْحُمْرَ - تَعْنِي قُصُورَ الشَّامِ - وَكَأَنِّي بِهِ فِي فَوَارِسَ مِنْ بَنِي شَيْيَانَ

(١) فِدْرَةٌ مِنْ تَمْرٍ : قَدْرٌ مِنْ تَمْرٍ . وَكَانَ ابْنُ الْمُبَوَّلَةِ قَدْ أَصَابَ فِي عَسْكَرِ حَجْرٍ مَا لَا كَثِيرًا .

يذمرهم^(١) ويذمرونه ، وهو شديد الكلب تُزبد شفتاه ، وكأنه بصير آكل
مرارا^(٢) ؛ فالنجاء النجاء ! فإن وراءك طالباً حثيثاً ، وجمعاً كثيفاً ، وكيداً متيناً ،
ورأياً صلياً .

فرفع يده فلطمها ، ثم قال لها : ما قلت هذا إلا من عجبك به ، وحُبك له .
فقلت : والله ما أبغضتُ ذانسةً قط بُغضى له ، ولا رأيتُ رجلاً أحرَمَ منه نائماً
ومستيقظاً ، إن كان لثنامُ عيناه فبعضُ أعضائه مستيقظ ، وكان إذا أراد النوم
أمرني أن أجعل عنده عُساً^(٣) من لبن ، فبينما هو ذات ليلة نائم وأنا قريب^(٤) منه
أنظر إليه إذ أقبل أسودُ صالح^(٥) إلى رأسه فتحى رأسه ، فمال إلى يده فقبضها ، فمال
إلى رجليه فقبضها ، فمال إلى العسّ فشر به ثم مجّه . فقلت : يستيقظ فيشر به فيموت
فأستريح منه ، فانتبه من نومه ، فقال : على بالإناء . فأتيته به ؛ فشمه ثم ألقاه
فهريق^(٦) ، فقال : أين ذهب الأسود ؟ فقلت : مارأيتُه . فقال : كذبتُ والله ! وذلك
كله بأذن سدوس ، فلما نامت الأخراس خرج يسرى ليلته حتى صبح حجراً ، فقال :
أتاك المُرْجفونَ بِرَجْمٍ^(٧) غيب على دهش وجئتُك باليقين

(١) ذمره : لأمه وحضه وحثه (٢) المرار : شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت عنه مشافرها
قيل : سمى حجر آكل المرار من يومئذ . وقد وردت هذه العبارة في اللسان : إن ابنة كانت له
سباها ملك من ملوك سلبق قال له ابن هبولة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبي قد جاء كأنه جل
آكل المرار - يعني كاشراً عن أبيابه ، فسمى بذلك . ثم أورد سيباً آخر لهذه التسمية (لسان)
مادة مرر (٣) العس : إناء كبير (٤) هذا اللفظ يستوى فيه الواحد والثني والجمع ، وفي
المصباح : للقريب في اللغة معنيان أحدهما قريب قرب ، فيستوى فيه للذكر والمؤنث ، يقال زيد قريب
منك ، وهند قريب منك ، لأنه من قرب المكان والمسافة فكانه قيل هند موضعها قريب ، ومنه
إن رحمة الله قريب من المحسنين . والثاني قريب قرابة فيطابق ، فيقال هند قريبة ، وهما قريبتان
(المصباح واللسان - مادة قرب) (٥) أسود صالح : الشديد السواد من الحيات ؛ ويقال له : صالح
لأنه يسلم جلده كل عام (٦) هريق : أريق (٧) المرجفون : الذين يولدون الأخبار الكاذبة ،
والرجم : التكمم بالظن .

فمن يك قد أتاك بأمر لبس فقد آتى بأمر مستئين

ثم قص عليه ما سمع به ، فأسف و نادى بالرحيل ، فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهبولة فاقتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب ابن الهبولة ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، واستنقذت بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي ، وعرف سدوس زياداً فحمل عليه فاعتنقه وضرعه ، وأخذه أسيراً ، فلما رآه عمرو بن أبي ربيعة حسده فطعن زياداً فقتله ، فغضب سدوس وقال : قتلت أسيرى ، وديته دية ملك ، فتحاكماً إلى حُجره فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك ، وأعانهم من ماله ، وأخذ حجر زوجته هنداً فربطها في فرسين ، ثم ركضهما حتى قطعاهما ، وقال فيها :

إن من غره النساء بشيء بعد هنيء لجاهل مغرور
حُلوة العين والحديث ومر كل شيء أجن منها الضمير
كل أنى - وإن بدا لك منها آية الحب - حُبها خيتعور (١)

(١) خيتعور : كل شيء يتلون ، ولا يدوم على حال .

* قال ابن الأثير بعد إيراد هذا اليوم : ليس زياد بن هبولة ملكاً على الشام ، لأن ملوك سليج كانوا بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى قنسرين والبلاد للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً للروم كما كان ملوك الحيرة عمالاً للملوك الفرس ، ولم تكن سليج ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال . وزياد بن هبولة السليجي ملك مشارف الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل ، لأن حجراً هو جد الحارث بن عمرو ابن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بال عراق أيام قباز أنوشروان ، وبين ملك قباز والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة ، وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليج ستائة سنة ، وقيل خمسمائة ، وأقل ما سمعت فيه ثلاثمائة وست عشرة سنة ، وكانوا بعد سليج ، ولم يكن زياد آخر ملوك سليج فتزيد اللدة زيادة أخرى ، وحيث أطبقت رواية العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها ، وأصلح ما قيل فيه : إن زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام حتى يستقيم هذا القول . على أن أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر أن ابن هبولة من سليج بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان

(٢) يوم الكلاب الأول*

كان الحارث بن عمرو المقصور^(١) بن حُجْر آكل المرار قد ملك الحيرة في أيام قباد بن فيروز ملك الفرس لدخوله في دين الزدكية^(٢) الذي دعا إليه ، بعد أن نفي المنذر بن ماء السماء^(٣) عنها . واشتغل بالحيرة عما كان يراعيه من أمور البوادي ، فتفاسدت^(٤) القبائل من زرار ؛ فأتاه أشرافهم ، وشكوا إليه ما حلّ بهم من غلبة السفهاء ، وحُكْم الأقوياء ، وطلبوا إليه أن يملك أبناءه عليهم .

فلما أتاه حُجْر على بنى أسد وغطفان ، وابنه شريحيل على بكر بن وائل بأسرها وعلى بنى حنظلة ، وملك ابنه معديكرب على بنى تغلب والنمير بن قاسط وسعد بن زيد ، وملك ابنه سلمة على قيس عيلان .

ثم إن الحارث خرج يتصيد فرأى جماعة من حمر الوحش فشده عليها ، وانفرد منها حماراً فتتبعه ، وأقسم ألا يأكل شيئاً قبل كَيْدِه ، فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأتى به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوى على النار وأطعم من كَيْدِه وهي حارة ، فأت .

* سلمة بن الحارث بن عمرو المقصور آكل المرار على أخيه شريحيل . والكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة .

الأغانى ص ٦٠ ج ١١ ، معجم البلدان (كلاب) . ابن الأثير ص ٢٣١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٥٣ ج ٣ ، شرح ديوان امرئ القيس ١٨٩

(١) سمى المقصور ؛ لأنه قصر على ملك أبيه حُجْر بعد موته . (٢) للزدكية : أتباع مزدك ، وهو فيلسوف إباضي ظهر في فارس على عهد قباد ، ودعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم ، وأبيده قباد وصادف رواجاً عند الكثيرين من الفرس . (٣) وكان سبب نفي المنذر عن الحيرة أن قباد دعاه إلى أن يدخل في دين الزدكية ، فأبى حمية وأثقة ؛ ففناه وقرب الحارث وملكه بعد أن أجاب دعوته إلى المذهب المزدكي . (٤) تفاسدت القبائل : قطعت الأرحام .

ولما هلك الحارثُ تشتت أمرُ أولاده وتفرقت كلمتهم ، ومشى بينهم الرجال ، وتفأقم أمرهم حتى جمع كلُّ واحد منهم لصاحبه الجوع ، وزحف إليه بالجيوش .
وبلغت العداوة أشدها بين سُرحبيل وسلمة ، بفضل المنذر الذي عاد إلى الحيرة بعد هلاك قباز ، وأخذ يُغري بين الأخوين .

وسار سُرحبيل ومن معه حتى نزلوا « الكلاب ^(١) » وأقبل سلمة فيمن معه ، وكان نصحاء سُرحبيل وسلمة نهوها عن الفساد والتحاسد ، وحذروها عثرات الحرب ، وسوء مغبتها ، فلم يقبلا ولم يبرحوا ، وأقاما على التنازع ^(٢) واللبجاجة في أمرها ، واقتتل القوم قتالا شديداً ، وثبت بعضهم لبعض . فلما كان آخر النهار نادى منادى سُرحبيل : مَنْ أتانى برأس سلمة فله مائة من الإبل ؛ ونادى منادى سلمة : من أتانى برأس سُرحبيل فله مائة من الإبل .

واشتد القتال حينئذ ، كلُّ يطلب أن يظفرَ لعله يصلُ إلى قتل أحد الرّجلين ليأخذ مائة من الإبل ؛ وكانت الغلبة لسلمة وأتباعه ، ومضى سُرحبيل منهزماً ، فقبضه من بني تغلب ذو السّنينة ^(٣) ، فالتفت إليه سُرحبيل ، وضربه على ركبته فأطن ^(٤) رِجله .

وكان لدى السّنينة أخ لأمه اسمه عصيم بن مالك الجُشمي ، ويكنى أبا حنش فقال له إذ رآه : قتلى الرجل ، ثم هلك ، فقال أبو حنش لسُرحبيل : قتلى الله إن لم أقتلك ، وحمل عليه حتى أدركه . فقال : يا أبا حنش ؛ اللّبن اللّبن ^(٥) ! فقال : قدهرقت لبناً كثيراً .

(١) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من البصرة (ياقوت) (٢) التنازع : يقال يتنازع في الأمور أى يرمى بنفسه فيها من غير تثبت .
(٣) اسمه حبيب بن عتيبة من جشم بن بكر ، وكانت له سن زائدة (٤) أطن رِجله : قطعها .
(٥) يريد الدية .

فقال شرحبيل : يا أبا حنشل ، أملكنا بسوقة ! فقال : إن أخى كان ملكى ، ثم طعمته وألقاه عن فرسه ، ونزل إليه ، فأخذ رأسه ^(١) ، وبعث به إلى سلمة مع ابن عمه له اسمه أبو أجا بن كعب ، فأناه وألقى الرأس بين يديه ، فقال سلمة : لو كنت ألقىته إلقاء رفيقاً ! فقال : ما صنع بى وهو حى شر من هذا . فقال سلمة : وقد دمعت عيناه ! أنت قتلته ؟ فقال : لا ؛ ولكن قتله أبو حنشل . وعرف أبو أجا الندامة فى وجه سلمة ، وظهر عليه الجزع لموت أخيه ، فهرب وهرب أبو حنشل ، ثم نظر سلمة إلى رأس أخيه وبكى وقال ^(٢) :

ألا أبلغ أبا حنشل رَسَولاً فما لك لا تجئ إلى الثواب
تعلّم ^(٣) أن خير الناس طرّاً قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جُشم بن بكر وأسلمه جماعيس ^(٤) الرباب ^(٥)
قتيل ما قتيلك يابن سلمى ^(٦) تضرّ به صديقك أو تُعاني
وبلغت الأبيات أبا حنشل فقال مجيباً :

أحاذر أن أجيشك ثم تجبو حباء أهلك يوم صنيعات ^(٧)

(١) ويقول امرؤ القيس فى مقتل شرحبيل وهلاك آبائه :

وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنية بالأياب
أبعد الحارث للملك ابن حرب وبعد الخير حجر ذى الباب
واعلم أننى مما فليل سأنشب فى شبا ظفروناب
كما لاقى أبى حجر وجدى ولا أنسى قتيلاً بالكلاب

(٢) قيل إن هذا الشعر لم يذكر أبى شرحبيل ، وكان صاحب سلامة معتزلاً عن حربها
(٣) تعلم : اعلم (٤) الجماعيس : جمع جمسوس ، وهو القصير الدمى (٥) الرباب : أحياء
ضبة ، وقد كانت هى وجشم بن بكر مع شرحبيل (٦) سلمى : أم أبى حنشل ، وهى بنت عدى
ابن ربيعة ، بنت أخى كليب (٧) صنيعات : موضع ذكره ياقوت ، وارجع أيضاً إلى النقائص
ومجم الأمثال ، قتيها : قوله يوم صنيعات : إن ابناً للحارث كان مسترضعاً بين حين من العرب تميم
وبكر ، فأتى يقال لدغته حبة فأخذ خمسين رجلاً من بكر فقتلهم بذلك .

فكانت غَدْرَةٌ شنعاء تهفو تقلدُها أبوك إلى الممات ^(١)
وسمع بقتل شُرْحَبِيل أخوه معد يكرب - وكان صاحب سلامة ، معزلاً عن جميع
الحروب - فقال يرثيه :

إِنْ جَنَّبِي عَنِ الْفَرَّاشِ لَنَأْبَى كَتَجَافِي الْأَسْرَ فَوْقَ الظَّرَابِ ^(٢)
مَنْ حَدِيثٍ نَمَّا إِلَى فَمَا تَرَى قَأْ عَيْنِي وَلَا أُسَيِّغُ شَرَابِي .
مُرَّةٌ كَالذَّعْلَفِ أَكْتَمَهَا النَّا سَ عَلَى حَرٍّ مَلَّةٌ ^(٣) كَالشَّهَابِ
مِنْ شُرْحَبِيلٍ إِذْ تَعَاوَرَهُ الْأَرُ مَاحَ فِي حَالِ لَذَّةٍ ^(٤) وَشَبَابِ
يَا بَنُ أُمِّیْ وَلَوْ شَهِدْتُكَ إِذْ تَد عَو تَمِيمًا وَأَنْتَ غَيْرُ مُجَابِ
يَوْمَ ثَارَتْ بَنُو تَمِيمٍ وَوَلَّتْ خِيْلُهُمْ يَتَقَيْنَ بِالْأَذْنَابِ
وَيُحْكَمُ يَا بَنِي أَسِيدٍ إِنِّي وَيُحْكَمُ رَبِّكُمْ وَرَبُّ الرَّبَابِ
أَيْنَ مَعْطِيَكُمْ الْجَزِيلَ وَحَائِيَكُمْ عَلَى الْفَقْرِ بِالْمِثْنِ اللَّبَابِ ^(٥)
فَارِسٌ يَطْعَنُ الْكَمَاةَ جَرِيٌّ تَحْتَهُ قَارِحٌ ^(٦) كَلَوْنُ الْغَرَابِ

وَلَمَّا قُتِلَ شُرْحَبِيلُ قَامَ عَوْفُ بْنُ شَجْنَةَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَعْدِ دُونَ عِيَالِهِ فَمِنْهُمْ ،
وَحَالُوا بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَهُمْ ، وَدَفَعُوا عَنْهُمْ حَتَّى أَحَقُّوهُمْ بِقَوْمِهِمْ وَمَا مِنْهُمْ ، وَبَلَغَ امْرَأُ الْقَيْسِ
ابْنَ أَخِي شُرْحَبِيلٍ أَمْرُهُمْ مَعَ عَمِّهِ فَقَالَ يَمْدَحُهُمْ ؛ وَيَعْرِضُ بَيْنِي حَنْظَلَةُ الَّذِينَ خَذَلُوهُ :

(١) قال معلق الأعشى (من ٦٢ ج ١٦ ساسي) قال هشام : قلت لأبي : أي شيء كان حياء
أبيه يوم صنيعات ؟ قال : كان الحارث بن عمر غلام مسترضع في بني تميم وبكر . ، وكانوا يقيمون
في صنيعات ، فمشت حبة الغلام ، فاتهم به الحيين جميعاً ، فجاءوا يعتذرون إليه ، بأنهم لم يقتلوه ،
فقال : أثبتوني بأمان حتى أسأل عن ابني وما حاله ، فأتاه من هؤلاء وهؤلاء نفر قتلهم جميعاً .
(٢) يقال بعير أسر : إذا كان في سرته ذاء فيتجافى إذا برك ، والظراب : جمع ظرب ، وهو
ماتئاً من المجارة (٣) الملة : الجر (٤) في اللسان : في حال صوبة (٥) اللباب : خيار
الإبل (٦) القارح : الفارس .

أَحْظَلَّ لَوْ حَامِيْتُمْ وَصَبَرْتُمْ لَأَثْنَيْتُمْ خَيْرَ صَالِحَاءَ وَلَا رُضَائِي
 أَلَا إِنْ قَوْمًا كُنْتُمْ أَمْسَ دُونَهُمْ هُمْ مَنَعُوا جَارَكُمْ آلَ غُدْرَانَ^(١)
 ثِيَابَ بَنِي عَوْفٍ طَهَارِي نَقِيَّةً وَأَوَجَّهُهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غُرَّانُ^(٢)
 عُورٍ^(٣) وَمَنْ مِثْلَ الْمُؤِيرِ وَرَهْطِهِ وَأَسْعَدَ^(٤) فِي لَيْلِ الْبَلَابِلِ صَفْوَانَ
 هُمْ أَبْلَقُوا حَيَّ الْمَضَلَّ أَهْلَهُمْ وَسَارُوا بِهِمْ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْرَانَ
 فَقَدْ أَصْبَحُوا - وَاللَّهِ أَصْفَاهُمْ بِهِ - أَبْرَ بِمِثْقَالِ وَأَوْفَى بِجِيرَانِ

(١) قال الوزير أبو بكر شارح ديوان امرئ القيس : يقول : ألا إن قوماً نزلت عليهم وتحمرت بهم ثم منعوا جاراً لكم بالأمس دونهم ، أي كنت بالأمس جاراً لكم دونهم ، فأردتم أن تغدروا بي وأضمرت ذلك ، فأتمم أهل غدر (٢) قال في اللسان : رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه من قوم غر وجران ، ثم أشد هذا البيت . وفيه إقواء (٣) عوير : هو عوف بن شجنة ، وصفوان من سادات بني سعد ، والمضلل : يريد شرحبيل ، وقال شارح الديوان : المضلل : المحير الذي لا يدري أين يتوجه ، ولا حيث يأخذ ، يريد أن قبائل العرب كانت تتحاماه ولا تحيره ، خوفاً من الملك الذي كان يطلبه (٤) أسعد : أعان ، في ليل البلابل : في الهجوم والأفكار ، كأنه خفف بعضها .

(٣) يوم عَيْنِ أَبَاغٍ

سار المنذر^(١) بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة في معدّ كلّها حتى نزل بعينِ أَبَاغٍ ، فأرسل إلى الحارث^(٢) الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام وقال له : إما أن تعطيني الفدية فأنصرف عنك بمجنودى ، وإما أن تأذن بحرب .

فأرسل إليه الحارث : أنظرنا ننظر في أمرنا ، فجمع عساكره ، وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له : إنا شيخان ، فلا تهلك جنودى وجنودك ، ولكن يخرج رجل من ولدى ، ويخرج رجل من ولدك فنقتل خرج عَوْضه آخر ، وإذا فني أولادنا خرجت أنا إليك ، فن قتل صاحبه ذهب بالملك ، وتماهدا على ذلك .

فعمد المنذر إلى رجل من شُجْمان أصحابه ، وأمره أن يخرج فيقف بين الصّفيين ، ويُظهر أنه ابنُ المنذر ، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كريب ، فلما رآه رجع إلى أبيه وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، إنما هو عبده ، أو بعض شُجْمان أصحابه .

* للحارث الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام على المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة . وعينِ أَبَاغٍ : واد وراء الأنبار على طريق القرات إلى الشام .

ابن الأثير ص ٣٢٦ ج ١ ، المقد الفريد ص ٣٧٤ جزء ٣ ، ديوان الحماسة ص ٣٤٦ ج ٢ ، شواعر العرب ص ٥٦ ، لسان العرب ص ٢٩٨ ج ١٠ ، معجم البلدان ص ٦٨ ج ١ ، تاريخ العرب القدائى (للشيخ محمد فخر الدين) ص ٣٨ ، تاريخ العرب قبل الإسلام (لجورجى زيدان) .

(١) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وفتحاً ، عاصر من ملوك الفرس قباد وابنه أنوشروان ، ومن قياصرة الروم الامبراطور جستنيان ، ومن الفساسنة الحارث الأكبر المذكور في هذا اليوم ، وفي بعض الروايات إنه صاحب يوم النعم والبؤس (٢) الحارث بن جبلة : أشهر ملوك غسان وأعلام همة وأبدم صوتاً ، وهو الذى سهل لأمير القيس طريق الوصول إلى قيصر توفى سنة ٥٥٦ م .

فقال : يا بني ، أجزعت من الموت ؟ ما كان الشيخُ ليغدر ! فعاد إليه وقتله ، فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر وعاد ؛ فأمر الحارث ابنًا له آخر بقتاله ، والطلب بثأر أخيه ، فخرج إليه ، فلما واقفه رجع إلى أبيه ، وقال : يا أبت ؛ هذا والله عبدُ المنذر ، فقال : يا بني ؛ ما كان الشيخُ ليغدر ! فعاد إليه ، وشدَّ عليه الرجل وقتله .

فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي ، وكان مع المنذر - وكانت أمه غسانية - قال له : أيها الملك ؛ إن الغدرَ ليس من شيم الملوك ولا الكرام ، وقد غدرت بابن عمك دفتين .

فغضب المنذرُ وأمر بإخراجه ، فلحق بمسكر الحارث وأخبره ، فقال له : سل حاجتك ، فقال له : *حُلتك وخُلتك* ^(١) . فلما كان الغد حرض الحارث أصحابه - وكان في أربعين ألفاً - واصطفوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل المنذر ، وهُزمت جيوشه .

فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحُمِلَا على بعير بمنزلة المِدين ^(٢) ، وجعل المنذر فوقهما فرداً ، وقال : يا لِمِلاوة بين المِدين ، وسار إلى الحيرة فنهبا وأحرقها ، ودفن ابنيه بها ، وبني الغريين ^(٣) عليهما .

وفي ذلك يقول ابنُ الرِّعَاء الضَّبَّائي :

كَمْ تَرَكْنَا بِالْمِدينَ عَيْنُ أَبَاغٍ مِنْ مَلُوكٍ وَسُوقَةٍ أَكْفَاءٍ

(١) الحلة : الصداقة (٢) العدل : التل ، ويقال : عادله في المحمل ركب معه (٣) الغريان : بناءً لمن بالكوفة ، وفي بعض الروايات : إن الذي بنى الغريين هو النعمان بن المنذر علي قبرى نديعه .

أمطرهم سحابُ الموتِ تَرى إن في الموتِ راحةَ الأَشقياءِ
ليس من مات فاستراحَ بِمَيِّتٍ إنما المَيِّتُ ميت الأَحْيَاءِ
وفي ذلك اليوم قُتِلَ فُروة وقيس ابنا مسعود بن عامر ، فقالت ابنة فُروة^(١)
ترى أباهما :

بَينَ أباغَ قاسمنا النَكايا فكان قسيمُها خيرَ القَسيمِ^(٢)
وقالوا ماجداً منكم قَتَلنا كذلك الرمحُ يَكلِفُ بالكَرَمِ^(٣)

(١) في لسان العرب : إن قائلة هذه الأبيات إنما هي ابنة المنذر في أبيها (٢) المعنى : إن المنايا لما قاسمتنا أخذت خير قسم ، وهما المرثيان (٣) ماجداً انتصب على أنه مفعول مقدم والمعنى ؛ تبادلوا : ماجداً منكم قتلنا . فأجيبوا : الرمح يمشق الكرام ويولع بهم مثل ذاك . وزواية اللسان بتقديم البيت الثاني على الأول ، وروى البيت الثاني :

وقالوا فارساً منكم قتلنا فقلنا الرمح يكلف بالكرم

(٤) يوم حليلة *

لما تولى المنذر بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة^(١)، واستقر في ملكه سار إلى الحارث الغساني^(٢) طالباً بثأر أبيه عنده، وبعث إليه: إني قد أعددت لك السكحول على الفحول^(٣)، فأجابه الحارث: قد أعددت لك الرد على الجرود^(٤). وسار المنذر حتى نزل بمرج حليلة، وسار إليه الحارث أيضاً، ثم اشتبكوا في القتال، ومكثت الحرب أياماً ينتصف بعضهم من بعض.

فلما رأى ذلك الحارث قعد في قصره، ودعا ابنته حليلة، وكانت من أجل النساء، فأعطاها طيباً وأمرها أن تطيب من مر بها من جنده، فجمعوا يمرّون بها وتطيّبهم^(٥)، ثم نادى: يا فتیان غسان؛ من قتل ملك الحيرة زوجة ابنتي. فقال ليبد بن عمرو الغساني^(٦) لأبيه: يا أبت؛ أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة،

* للحارث الأعرج بن جبلة، ملك العرب بالشام على المنذر بن المنذر بن ماء السماء، ملك العرب بالحيرة، وحليمة هي بنت الحارث، وفي هذا اليوم ضرب الثلث: ما يوم حليلة يسر.

ابن الأثير ص ٣٢٨ ج ١، الفضليات ص ١٨٧، معجم البلدان ص ٣٣٠ ج ٣، خزنة الأدب ص ٣٠٣ ج ٣، ثمار القلوب ص ٢٤٨، رغبة الأمل من شرح التكميل (للمرصفي) ص ٣٣ ج ١، مجمع الأمثال ص ٢٠٢ ج ٢، تاريخ العرب القدامى (للشيخ محمد فخر الدين) ص ٤٤، تاريخ العرب قبل الإسلام (لجورجي زيدان) ص ١٩٣.

(١) كان يلقب بالأسود، ولم يمكث في الملك طويلاً مات سنة ٥٨٢ م (٢) في ابن الأثير: إن الحارث هذا هو صاحب يوم عين إياغ، ويرى جورجي زيدان، أنه غيره، (ص ١٩٣) من تاريخ العرب قبل الإسلام (٣) الفحول: المذكور من كل حيوان، والسكحول: جمع كهل وهو من كانت سنة بين الرابعة والثلاثين والحادية والخمسين (٤) الرد جمع أمرد وهو الشاب طر شاربته ولم تنبت لحيته، والجرود: جمع أجرد وهو الفرس السباق (٥) وفي خزنة الأدب: إنها أخرجت لهم مراكناً من طيب وطيبتهم (٦) قال الحارث بن أبي شمر عنه لابنته: هو أرجاء عندي ذكاء فؤاد.

ولست أرضى فرسى فأعطيني فرسك ، فأعطاه فرسه ، فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شدّ لبيد على المنذر فضر به ضربة ، ثم ألقاه عن فرسه ، وانهزم أصحاب المنذر من كل وجه ، ونزل لبيد فاحترّ رأسه ؛ وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم ، فألقى الرأس بين يديه ، فقال له الحارث : شأنك بابنة عمك ^(١) ، فقد زوجتكها . فقال : بل أنصرف فأوأسى أصحابي بنفسى ، فإذا انصرف الناس انصرفت .

ورجع فصادف أخا المنذر قد رجع إليه الناس وهو يُقاتل ، وقد اشتدت نكايته ، فتقدم لبيد فقاتل حتى قُتل ، ولكن لخمًا انهزمت ثانية ، وقتلوا في كل وجه . وانصرفت غسان بأحسن الظفر ، بعد أن أسروا كثيرًا ممن كانوا مع المنذر من العرب .

وكان من أسرهم الحارث مائة من بنى تميم ، فيهم شأس بن عبدة ، ولا سمع أخوه علقمة ^(٢) وفد إليه مُستشفعًا وأنشده هذه القصيدة :

طَحَابِكْ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ	بُعَيْدَ الشَّهَابِ عَصْرَحَانَ مَشِيبُ ^(٣)
يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا	وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ ^(٤)
مُنَاعِمَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا	عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تَزَارَ رَقِيبُ ^(٥)
إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تُفَشِّ سِرَّهُ	وَتَرْضَى إِيَّابَ الْبَعْلِ حِينَ يَتُوبُ
فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُنْعَمٍ	سَقَمْتُكَ رَوَايَا الْأُزْنِ حَيْثُ تَصُوبُ ^(٦)

(١) يريد حليمة (٢) هو علقمة بن عبدة الفعل ، ولقب بالفعل لأنه غلب امرأ القيس — وكان معاصراً له — في الشعر ، وتزوج أمه ، وله ديوان مطبوع توفي سنة ٦٥١ م (٣) طحا : ذهب في مذهب بعيد ، وطروب : كثير الطرب ، وحان : قرب (٤) شط : بعد ، وليها : قربها ، والعوادي : حوادث الأيام (٥) الناعمة : المرأة الحسنة الغداء كالنعمة ، وروى في الفضليات : منعمة (٦) المنعمة : الذي لم يجرب ، والروايا : الإبل التي تحمل الماء ، شبه سحاب الزن بها .

سَفَاكَ يَمَانٍ ذُو حَبِيٍّ وَعَارِضٌ^(١) تَرْوُحُ بِهِ جُنْحَ الْعَشِيِّ جَنْوَبٌ^(٢)
وَمَا أَنْتَ؟ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَبِيعَةٌ يُحِطُّ لَهَا مِنْ ثَرَمَدَاءَ قَلِيبٍ^(٣)
فَإِنَّ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي خَيْرٌ^(٤) بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِ نَصِيبٌ
يُرِدُّنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وَشَرَحُ الشَّيْبِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ
فَدَعُهَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ كَهَمِّكَ فِيهَا بِالرَّدَافِ خَيْبٌ^(٥)
وَنَاجِيَةٌ أَفْنَى رَكِيبَ ضُلُوعِهَا وَحَارِكُهَا تَهْجُرُ فِدْهُوبٌ^(٦)
تَتَّبَعُ أَفْيَاءَ الظَّلَالِ عَشِيَّةٌ عَلَى طَرَقِ كَأَنَّهَا سُجُوبٌ^(٧)
بِهَا حَيْفُ الْحَسْرِ فَأَمَّا عَظَامُهَا فَيَبِضُ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ^(٨)
فَأَوْرَدُهَا مَاءَ كَأَنَّ حِمَامَهُ مِنْ الْأَجْنِ حِنَاءً مَعَ وَصِيبٍ^(٩)
تُرَادَى عَلَى دِمَنِ الْحِيَاضِ فَإِنْ تَعَفَّ فَإِنَّ الْمَنْدَى رِخْلَةٌ فَرُكُوبٌ^(١٠)

(١) المحي: السحاب (٢) أم: حرف رد به الاستفهام قبله، وذكرها: تذكرها وربيعه: منسوبة إلى ربيعة، ويحيط فيها من الخط وهو الحفر. وثرمداء: موضع مشهور بالخصب. والقليب: البئر. يقول: ما شأنك تبدلت حالك من صحو إلى سكرة، أم ما تذكرك ليلى وهي ربيعة ذات غنى وسعة. ورواه في اللسان: أما ذكرها ربيعة (٣) في المفضليات: بصير (٤) الجسرة: الناقة المماضية، وكهمك: كعزمك، والرداف: جمع رديف وهو من يركب خلفك، والحبيب نوع من السير (٥) الناجية: الناقة تنجوبركائها، والركيب: ماركب على الضلوع من الشحم، والحارك عظم مشرف من جانبي الكاهل، والتهجر: السير في الهجرة، والدوب: المبالغة في السير (٦) يريد بالتبويب: ما تنسجه بالتهاريد الرياح الحارة (٧) الحسرى من الإبل التي كالت وتبنت، والصليب: الصديد (٨) حمامه: مياهه الكثيرة، والأجن: اختلاط الماء بغيره، والصيب: الدم، يصف الماء بالتغير بعد العهد (٩) ترادى: تراود، واليمن: بقية الماء في الحوض، والتندية: أن تورد الإبل فتشرب قليلا، ثم ترعى، ثم ترد إلى الماء.

- وَتُصْبِحُ عَنْ غِيبِ الشَّرَى وَكَأَنَّهَا (١)
 تَعَفَّقُ بِالْأَرطَى لَهَا وَأَرَادَهَا (٢)
 إِلَى الْحَرْثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي (٣)
 لِتُبَلِّغَنِي دَارَ امْرِئٍ كَانَ نَائِيًا (٤)
 إِلَيْكَ أَيْتَ اللَّعْنِ كَانَ وَجِيفُهَا (٥)
 هَدَانِي إِلَيْكَ الْفَرْقَدَانِ وَلَا حِبُّ (٦)
 وَأَنْتَ امْرُؤٌ أَفْضَتُ إِلَيْكَ أَمَانَتِي (٧)
 فَادَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَيْبَهَا (٨)
 فَوَاللَّهِ لَوْلَا فَارَسُ الْجَوْنِ مِنْهُمْ (٩)
 نَقَدَّمَهُ حَتَّى تَغَيِبَ حُجُولُهُ (١٠)
 مُظَاهِرٌ سِرْبَالِي حَدِيدٍ عَلَيْهِمَا (١١)
 مَوْلَةٌ تَخْشَى الْقَنِيصَ شُبُوبُ (١)
 رَجَالٌ فَبَذَلَتْ نَبْلَهُمْ وَكَلِيبُ (٢)
 لِكُلِّكِلْهَا وَالْقَصْرَيْنِ وَحَيْبُ (٣)
 فَقَدْ قَرَّبْتَنِي مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ (٤)
 بِمُسْتَهَابٍ هَوْلُهُنَّ مَهِيْبُ (٥)
 لَهُ فَوْقَ أَصْوَاءِ الْمَتَانِ عُلُوبُ (٦)
 وَقَبْلَكَ رَبَّتَنِي فَضِضْتُ رُبُوبُ (٧)
 وَغَوْدِرُ فِي بَعْضِ الْجَنُودِ رَيْبُ (٨)
 لَأَبُوا خَزَايَا وَالْإِيَابِ حَيْبُ (٩)
 وَأَنْتَ لِبَيْضِ الدَّارَعَيْنِ ضَرْوبُ (١٠)
 عَقِيلًا سَيُوفٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ (١١)

(١) غيب كل شيء : آخره ، والمولعة : البقرة الوحشية ، والقنيص : الصائد ، والشبوب : الشابة من البقر (٢) تعفّق : لاذ ، والضير للصائد ، والأرطى : شجر ، وبذت : سبقت ، والكليب : جماعة الكلاب : يشبه ناقته في شدة عدوها عقب سيرها ليلا ببقرة وحشية تحذر قنيصاً تواري بشجر الأرطى ليختلها ، وقد أعد لها نبلاً وكلاباً فرماها بهما فسبقتهما ولم يدركاها (٣) أعمل الناقة : ساقها ، والكلكل : الصدر ، والقصريان : ضلعان ، والوجيب : الحفطان (٤) القروب : اسم الناقة (٥) الوجيف : نوع من سير الإبل ، والمستهبات : الطرق الغامضة ، ومهيب : يهاب الناس اقتحامه (٦) اللاحب : الطريق الواضح ، وأصواء المتان : ما غلظ على متن الأرض ، والعلوب : الآثار ؛ يصف وضوح الطريق بآثار السيارة (٧) أفضت : انتهت ، وأمانتي : طاعتي ، والربوب كالأرباب (٨) ريبها : هو المنذر (٩) فارس الجون : هو الحارث الفسائي ، والجون قرسه ، وضير منهم راجع إلى الفسائين ، يقول : لولا أن غلبت كتاب المنذر جنود الشام (١٠) تقبمه : الضمير راجع إلى الفرس (الجون) (١١) ظاهر بين درعين ، أي لبس إحداها فوق الأخرى ، والسربال : الدرع ، وعقيل كل شيء : أكرمه ، ومخذم ورسوب : سيفان .

فجالدتهم حتى اتقوا بكبشهم وقد حان من شمس النهار غروب
وقاتل من غسان أهل حفاظها وهنب وفأس جالدت وشيب^(١)
تخشخش أبدان الحديد عليهم كماخشخش يئس الحصاد جنوب^(٢)
تجود بنفس لا يجاد بمثلها وأنت بها يوم اللقاء خصيب^(٣)
كان رجال الأوس تحت لبانه وما جمت جل مما وعيت^(٤)
رغا فوقهم سقب السماء فداحض كأنهم صابت عليهم سحابة^(٥)
فلم تنج إلا شطبة بلجامها صواعقها لطيرهن ريب^(٦)
والأ طير كالقناة نجيب^(٧) ولا كمي ذو حفاظ كأنه
بما ابتل من حد الطباة خصيب^(٨) وأنت الذي آثاره في عدوه
من البؤس والنعمى لمن ندوب^(٩) وفي كل حي قد خبطت بنعمة
فحق لشأس من نذاك ذنوب^(١٠) فلا تحرمي نائلا عن جنابة
فأتى امرؤ وسط القباب غريب^(١١)

(١) هنب وفأس وشيب: أحياء في العرب (٢) الخشخشة: صوت الثوب الجديد إذا تحرك ،
والأبدان: البروع ، والجبوب: ريح (٣) خصيل: كريم لا يرض بنفسه (٤) لبانه: أي
لبان فرسه ، والأوس وجل وعيت: قبائل (٥) رغا فوقهم سقب السماء: يعني أنهم قد استوصلوا
وهلكوا كما هلكت ثمود حين عقروا الناقة فرغا سقبها ، والسقب ولد الناقة ، والداحض الذي يحرك
رجليه عند الموت ، والشكة جلة السلاح ، كأن القتلى أكبر من أن يحاط بهم فنهزم من سلب ومنهم
من لم يسلب (٦) صابت: من الصوب وهو نزول المطر ، والصواعق: النار التي تسقط من السماء
مع الرعد ، واطيرهن: يريد لما تاطير منها (٧) الشطبة: الفرس السبطة اللحم ، والطيور:
الفرس المستعد للوثب ، والتجيب: الكريم من الحيل (٨) خصيب: محضوب بحمرة
(٩) الندوب: آثار الجرح (١٠) الذنوب: النصيب (١١) يريد بالنائل: إطلاق شأس ،
والجنابة: البعد والغربة ، ومعناه: لا تحرمي بعد غربة وبعد عن ديارى .

ولما بلغ إلى قوله : « فحَقَّ لشَأْس من نَدَاكَ ذَنُوب » قال الملك : -أى والله وأذنبه ، ثم أطلق شَأْسًا وقال له : إن شئت الحِباء ، وإن شئت أسراء قومك . وقال لجلسائه : إن اختار الحِباء على قومه فلا خير فيه ، فقال : أيها الملك ، ما كنت لأختار على قومي شيئًا ، فأطلق له الأسرى من تميم وكساة وحَبَاه ، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزودهم زادًا كثيرًا ، فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشَأْس وقالوا له : أنت كنت السبب في إطلاقنا ، فاستمعن بهذا على دهرِكَ ، فحصل له كثير من إبل وكسوة وغير ذلك .

٥ - يوم اليجاميم *

كان الحارثُ بن جَبَلَةَ الفسَّاني قد أصلح بين قبائل طيٍّ ، فلما هلك عادت إلى حربٍها ، فالتقتْ جَدِيلَةُ والغوثُ بموضعٍ في حرب ، فقتل قائدُ بني جَدِيلَةَ وهو أسبع ابن عمرو بن لأم ، وأخذ رجلٌ من سَنَيْسِ أذنيه فخصفَ بهما نَعْلَيْهِ . وفي ذلك قال أبو سروة السنيسي :

نَخْصِفُ بِالْأَذَانِ مِنْكُمْ نِعَالَنَا ونشرب كُرْهًا مِنْكُمْ فِي الْجَاهِمِ
وتناقل الحيَّان في ذلك أشعاراً كثيرة .

وعظم ما صنعت الغوثُ على أوس بن خالد بن لأم ، وعزم على لقاء الحرب بنفسه ، وكان لم يشهد الحروب المتقدمة ، هو ولا أحد من رؤساء طيٍّ ، كحاتم بن عبد الله ، وزيد الخليل ، وغيرهم من الرؤساء ؛ فلما تجهَّز أوس للحرب ، وأخذ في جمع جَدِيلَةَ وَلَفَّهَا قال أبو جابر :

أقيموا علينا القصد يا آل طيٍّ وإلا فإنَّ العلم عند النَّحَّاسِبِ
فمن مثَّلنا يوماً إذا الحربُ شمرت ومن مثَّلنا يوماً إذا لم نُحَّاسِبِ
وبلغ الغوثُ جمعُ أوس لها ، وأوقدت النار على ذِرْوَةِ أَجَا^(١) - وذلك أول يوم تُوقد عليه النار - فأقبلت قبائلُ الغوث ، كل قبيلة وعليها رئيسُها ؛ ومنهم زيد الخليل ، وحاتم .

* لغوث على جَدِيلَةَ (كلاماً من طيٍّ) ويعرف أيضاً بقارات حوق . واليجاميم ماء على طريق مكة .

ابن الأثير ص ٣٨٨ ج ١ ، مذهب الأغاني صفحة ٧٨ ج ١
(١) أَجَا وسلي : جبلان لطيٍّ .

وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لأم ، وحلف أوس ألا يرجع عن
طبي حتى ينزل معها جبلها أجاً وسلمى ، وتُجبي له أهلها ، وتراحفوا ، فاقتلوا
قتالا شديداً .

قال عدى بن حاتم : إني لواقف يوم اليعاميم والناس يقتتلون إذ نظرت إلى
زيد الخليل قد أحضر ابنه مكنفاً وحُرثاً في شعب لا منفذ له وهو يقول : أَيْ بَنِي ؛
أَبْقِيا على قومكما ، فإن اليوم يوم التفاني ، فإن يكن هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال ؛
فقلت : كأنك قد كرهت قتال أخوالك ؛ فاحمرت عيناه غضباً ، وتطاول إلى ، حتى
نظرتُ إلى ما تحته من سرجه فخفته ؛ فضربتُ فرسي ، وتنحيت عنه ، واشتغل
بنظره إلى عن ابنه ، فخرجا كالصقْرَيْن ، ثم انهزمت جديلة عند ذلك ، وقُتِل فيها
قتلٌ ذريع .

فلم يبق لجديلة بقية للحرب بعد يوم اليعاميم ، فدخلوا بلاد كلب ، فحالفوهم
وأقاموا معهم .

٦ - حروب الأوس والخزرج *

(١) حرب مُسمير

لما كان سيل العَرِم خرجت الأزد^(١) من اليمن مع رؤسائهم إلى تهامة ، ثم هاجروا إلى النواحي الشمالية منها ، ونزل الأوس والخزرج بضواحي المدينة ، ولم يكونوا حين نزلوا أهل نَعَم وشَاء وخَيْل وأموال ، وإنما كان ذلك كله لليهود ، فماشوا بين اليهود بالضواحي والقرى في شَطَف من العيش ، وهوان وإذلال من اليهود ؛ إذ حكموهم وتحكّموا فيهم ، وألزموهم أداء الخراج .

وظلّوا على هذه الحال مدة حتى وفد وافدٌ منهم ؛ هو مالك بن العجلان الخزرجي إلى الفسانيين بالشام ، ونزل على أحد أشرافهم واسمه أوجييلة ، واشتجاره على اليهود ؛ فأجاره ، وجاء إلى المدينة ، وقتلَ عطاء اليهود ، ثم عاد إلى الشام بعد أن مكّن للأوس والخزرج بالمدينة .

* الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الفطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وقد نشبت بينهم تلك الحروب في الجاهلية ؛ وهذه أشهرها :

(١) حرب مُسمير : للأوس على الخزرج .

(٢) حرب كعب : للخزرج على الأوس .

(٣) حرب حاطب : للخزرج على الأوس .

(٤) يوم بعاث : للأوس على الخزرج .

ابن الأثير ص ٤٠٢ ج ١ ، تاريخ العرب القداني ص ٢٥٠ ، العرب قبل الإسلام ص ٢٥٠ ، الأغاني ص ١٨ ج ٣ (طبعة الدار) ، ص ١١٨ ج ١٣ طبعة الساسي ، جهرة أشعار العرب ص ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، مهذب الأغاني ص ١٢٢ ج ١ ، الفضليات ص ١٣٥ ، رغبة الأمل من

كتاب الكامل ص ٢١٢ جزء ٢

(١) الأزد : شعب من كهلان .

وظل الحيّان على اتفاق ووِثام، حتى وفد على المدينة وافدٌ من ذبيان اسمه كعب الثعلبي، ونزل على مالك بن العجلان الخزرجي وحالفه وأقام معه، ثم خرج كعب يوماً إلى سوق بني قينقاع^(١)، فرأى رجلاً من غطفان معه فرس وهو يقول: لِيَأْخُذْ هذا الفرس أعزُّ أهلِ يَثْرِبِ^(٢)، فقال رجل: فلان، وقال رجل آخر: أحيحة بن الجلاح الأوسي، وقال غيرها: فلان ابن فلان اليهودي أفضل أهلها.

وقال كعب الثعلبي: مالك بن عجلان أعزُّ أهل يثرب، وكثر الكلام، ثم قبل الرسول قول كعب الثعلبي، ودفع الفرس إلى مالك بن العجلان الخزرجي. فقال كعب: ألم أقل لكم إن حليف مالكا أفضلكم! فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له: مُسمِر بن يزيد، وشتمه واقتربا، وبقي كعب ما شاء الله.

ثم قصد سوقاً لهم بقباء، فقصده مُسمِر، ولازمه حتى قتله، وأخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلتم هنا قتيلاً، فأرسلوا إلينا بقاتله، فلما جاءهم رسول مالك ترأّموا به؛ فقال بنو زيد: إنما قتلته بنو جحجج بنو جحجج بنو جحجج: إنما قتلته بنو زيد^(٣)؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قُتِلَ فيها صاحبكم ناس كثير، ولا يُدرى أيهم قتله.

ولما تأكد عند مالك أن مُسمِرًا هو الذي قتله أرسل إلى قومه بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال: إنما قتله مُسمِر، فأرسلوا به إلى أقتله، فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل مُسمِرًا من غير نيّة. وكثرت الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يعطوه مُسمِرًا أو يابون أن يعطوه إياه. ثم إن بني عمرو كرهوا أن يُنْشَبُوا بينهم وبين مالك حرباً،

(١) بنو قينقاع: شعب من اليهود (٢) قيل: إن الذي بعثه هو عبد ياليل الثقفي

(٣) بنو جحجج وبنو زيد: بطنان في الأوس.

فأرسلوا إليه : إن صاحبكم حليف ، وليس لكم فيه إلا نصف الدية . فغضب مالك وأبى إلا أن يأخذ الدية كاملة أو يقتل مُسمراً ، فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية ، ثم دعوه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس^(١) ، أحد بني الحارث بن الخزرج ، فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج ، ف قضى على مالك بن المجلان أنه ليس له في حليفه إلا دية الحليف ، وأبى مالك أن يرضى بذلك ، وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب ، واستنصر قبائل الخزرج ، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضباً حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس ، فقال مالك يذكر خذلان بني الحارث ، وحدب بني عمرو على مُسمِر ، ويحرّض بني النجار على نُصرتِه :

إِنْ مُسْمِرًا أَرَى عَشِيرَتَهُ قَدْ حَدَبُوا دُونَهُ وَقَدْ أَنْفُوا

إِنْ يَكُن الظَّنَّ صَادِقًا يَبْنِي النِّجَارَ لَا يَطْعَمُوا الَّذِي عُلِفُوا^(٢)

لَا يُسَلِّمُونَا لِمَعْشَرٍ أَبَدًا مَا دَامَ مِنَّا بَبْطُهُمَا شَرَفٌ^(٣)

لَكِنْ مَوَالِيٍّ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ رَأْيٌ سَوَى مَا لَدَى أَوْ ضَعُفُوا

بَيْنَ بَنِي جَحْجَجِي وَبَيْنَ بَنِي زَيْدٍ فَأَنَّى لِحَارِي التَّلَفُ

يَعْمَشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالذُّرُوعِ كَمَا تَمْشِي جَمَالُ مَصَابِ قُطْفٍ^(٤)

كَأَمْشَى الْأَسُودُ فِي رَهْجٍ^(٥) الْمَوْتِ إِلَيْهِ وَكُلُّهُمْ لَهْفُ

(١) جد عبد الله بن رواحة الأنصاري (٢) قال صاحب الأغاني: يقال علفوا الضيم إذا أقر وابه، أي ظني بهم أنهم لا يقبلون الضيم (٣) الشرف: الشريف (٤) البيض: جمع بيضة، وهي ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية في الحرب، والمصاعب: جمع مصعب، وهو الفحل الذي لم يرك ولم يسه جل حتى صار صعباً، والقطف: البطيئة الخطو (٥) الرهج: الغبار.

وقال درهم بن زيد أخو سمير في ذلك :

يا قوم لا تقتلوا ^١سميراً فإنَّ القتل فيه البوارُ والأسفُ
 إن تقتلوه ترنُ نسوتكم على كريم ويفزع السلفُ ^(١)
 إني لعمري الذي يحجُّ له الناس ومن دون بيته سرِّف
 عيني برِّ بالله مجتهد يحلف إن كان ينفع الحلف
 لا نرفعُ العبدَ فوق سنَّتِهِ ما دام منا يبطنها شرفُ
 إنك لاقى غدا غواة بني عمي فانظر ما أنت مُزدهفُ ^(٢)
 فأبدي سيماك يمرِّفوك كما يُبدون سيام فتمترِفُ ^(٣)

ثم أرسل مالك إلى بني عمرو يؤذنههم بالحرب ، ويمدِّهم يوماً يلتقون فيه ، وأمر
 قومه فتهيئوا للحرب ، وتحاشد الحيان ، وجمع بعضهم لبعض ، ثم زحف مالك بمن
 معه من الخزرج ، وزحفت الأوس بن معها من حلفائها من قريظة والنضير ، والتقوا
 بفضاء قريب من قُبَاء ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانصرفوا وهم منتصفون جميعاً ، ثم
 التقوا مرةً أخرى عند أطم بني قَيْنُقَاع ، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظفر
 للأوس على الخزرج ، وفي ذلك قال أبو قيس بن الأسلت :

لقد رأيت بني عمرو فاهنوا عند اللقاء وما هموا بتكذيب
 ألا فدي لهم أُمى وما ولدتُ غداة يمشون إرقال المضاعيب ^(٤)

(١) ترن نسوتكم : يرفعن أصواتهن بالبكاء . (٢) مزدهف : مقتحم . (٣) قال صاحب
 الأغاني : معنى قوله : فأبدي سيماك : أن مالك كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف
 فيقصد . (٤) الإرقال : الإسراع في السير .

بكل سَهْمَةٍ كَالْأَنْيَمِ ماضِيَةٍ وكل أبيض ماضٍ الحدِّ مخشوب^(١)
ولبث الأوس والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر ضمير يتماودون القتال في
تلك السنين، وكثرت أيامهم ومواطنهم.

ولما رأيت الأوس طول الشر، وأن مالكا لا ينزع^(٢)، قال لهم سويد بن صامت
الأوسى^(٣): يا قوم، أرضوا هذا الرجل من حليفه، ولا تقيموا على حرب إخوتكم؛
فيقتل بعضكم بعضاً، ويطمع فيكم غيركم، وإن حملتم على أنفسكم بعض الحمل.

فأرسلت الأوس إلى مالك يدعونه إلى أن يحكم بينهم وبينه ثابت^(٤) بن النذر بن
حرام ثم فأجابهم إلى ذلك، وخرجوا حتى أتوا ثابت بن النذر، فقالوا: إنا حكمناك
بيننا؛ فقال: لا حاجة لي في ذلك، قالوا: ولم؟ قال: أخاف أن تردوا حكمي كما
رددتم حكم عمرو بن قيس، فقالوا: فإننا لا نرد حكمك، فاحكم بيننا، قال: لا أحكم
بينكم حتى تعطوني موثقاً وعهداً لترضون بحكمي وما قضيت به، وتسلمن له.
فأعطوه على ذلك عهدهم وموآثيقهم، فحكم بأن يودى حليف مالك دية الصريح،
ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه: الصريح على دية والحليف على دية،
وأن تمد القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم، ثم يكون بعض ببعض،
ثم يعطوا الدية لمن كان له فضل في القتلى من الفريقين.

فرضي بذلك مالك، وسمعت الأوس، وتفرقوا، على أن يكون على بني النجار
نصف دية جار مالك معونة لإخوتهم، وعلى بني عمرو بن عوف نصفها. فرأت بنو عمرو

(١) السهبة: الطويلة من الخيل، والأيم: الحية، والمخشوب: المصقول (٢) ينزع: يكف

(٣) كان يقال له في الجاهلية الكامل، وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعراً كاتباً راعياً

سموه الكامل (٤) أبو حسان بن ثابت.

أنهم لم يُخرجوا إلا الذي كان عليهم ، ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب ، ووَدِيَ جَارُهُ دِيَةَ الصَّغِيرِ .

وفى تلك الحرب قال قيس ^(١) بن الخطيم الأوسى ، ولم يدرك هذه الحرب ، ولكنه قال ذلك بعدها بزمان :

رَدَّ الْخَلِيطُ الْجَمَالَ فَانصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا ^(٢)
لَوْ عَرَّجُوا سَاعَةَ نُسَائِلِهِمْ رَيْثُ يُضْحَى جَمَالَهُ السَّلَفُ ^(٣)
فِيهِمْ لَعُوبُ الْعِشَاءِ آنَسَةُ الدَّلِّ عَرُوبٌ يَسُوءُهَا الْخُلْفُ ^(٤)
بَيْنَ شُكُولِ النِّسَاءِ خَلَقَتْهَا قَصْدٌ فَلَا جَبَلَةٌ وَلَا قَصَفٌ ^(٥)
تَنَامُ عَنْ كُبْرٍ شَأْنَهَا فَإِذَا قَامَتْ رُؤِيدًا تَكَادُ تَفْغَرُ ^(٦)
تَفْتَرِقُ الطَّرْفُ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نَزْفٌ ^(٧)
حَوَرَاءُ جَيِّدَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا كَأَنَّمَا خُوطُ بَانَةِ قَصَفٍ ^(٨)
قَضَى اللَّهُ لَهَا حِينَ صَوَّرَهَا الـ يَخَافُ أَلَّا يُكَيِّفَ سَدَفٌ ^(٩)

(١) قيس بن الخطيم : شاعر جاهلي أوسى ، جيد الشعر ، حسن الديباجة ، أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الإسلام ، وتلا عليه شيئاً من القرآن ، فقال : إني لأسمع كلاماً عجباً ، فدعني أنظر في أمرى هذه السنة ، ثم أعود إليك ، فأتى قبل الحول سنة ٦١٢ م (٢) أى ردوا جمالهم من الرعى ليرتحلوا (٣) الريث : مقدار المهلة من الزمان ، ويضحي : من الضحاء وهو أن يرعى الإبل ضحى ، والسلف : القوم الذين يتقدمون الظعن في السير (٤) لعوب العشاء : تسمر مع السنان وتلهو ، والعروب : الحساء التحية إلى زوجها (٥) شكول : أنواع ، والجبلية : الغليظة ، والقصف : القليلة اللحم (٦) تنغرف : تنقص من دقة خصرها (٧) يريد : من نظر إليها استغرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر إلى غيرها وهي لاهية غير محتفلة وقال أبو منصور : أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمعها منزوف (٨) الحوراء : الواسعة العين ، والجيداء : الطويلة الجيد ، والحوط : الفصن ، والقصف : الناعم الثني (٩) السدف : الظلمة ؛ أى أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .

حَوْذُ يَفْتُ الْحَدِيثُ مَا صَمَّتْ وهو يفيها ذو لذة طَرْفُ (١)
 تَخَزُّنُهُ وهو مُشْتَهَى حَسَن وهو إذا ما تكلمت أَثْفُ (٢)
 أَبْلَغَ بَنَى جَجَجِي وَلِاخْوَتِهِمْ زَيْدًا بَانًا وِرَاءَهُم أَثْفُ (٣)
 إِنَّا وَإِنْ قَلَّ نَصْرُنَا لَهُمْ أَكْبَادُنَا مِنْ وِرَائِهِمْ نَجِيفُ
 لَمَّا بَدَتْ نَحْوَنَا جِبَاهُهُمْ حَفَّتْ إِلَيْنَا الْأَرْحَامُ وَالصَّحُفُ (٤)
 نَفْلَى بِمَجْدٍ الصَفِيحِ هَامِهِمْ وفلينا هَامِهِمْ بِهَا جَنْفُ (٥)
 يَتَّبِعُ آثَارَهَا إِذَا اخْتَلَجَتْ سُخْنٌ عَبِيطُ عُرُوقُهُ تَكِيفُ (٦)
 إِنْ بَنَى عَمَّا طَفَّوْا وَبَفَّوْا وَلَجَّ مِنْهُمْ فِي قَوْمِهِمْ سَرَفُ
 فَرَدَّ عَلَيْهِ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ النَّجَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ (٧) ، وَلَمْ يَدْرِكْ هَذِهِ الْحَرْبَ أَيْضًا :
 مَا بِالْ عَيْنِيكَ دَمْعَهَا يَكِيفُ مِنْ ذِكْرِ حَوْذٍ شَطَّتْ بِهَا قَذْفُ (٨)
 بَانَتْ بِهَا غَرْبَةً تَوْمُ بِهَا أَرْضًا سَوَانًا وَالشَّكْلُ يُخْتَلِفُ
 مَا كُنْتُ أَدْرِي بِوَشْكَ يَنْهَمُ حَتَّى رَأَيْتُ الْحُدُوجَ تَنْقَذِفُ
 دَعُ ذَا وَعْدَ الْفَرِيضِ فِي تَفْرِ يَرْجُونَ مَدْحِي وَمَدْحَى الشَّرَفِ
 إِنْ تَدْعُ قَوْمِي لِلْمَجْدِ تُلْفَهُمْ أَهْلَ فَعَالٍ يَبْدُو إِذَا وَصِفُوا
 إِنْ سَمِيرًا عَبْدُ طَفَى سَفَهَا سَاعِدُهُ أَغْبَدَ لَهُمْ نَطَفُ (٩)

(١) الحوذ : الثابة الناعمة ، والطرف : المستطرف المحبوب (٢) الأثف : المستأنف الجديد
 (٣) أثف : ذوو أئمة ، ندفع الضيم عنهم وتنصرهم (٤) الصحف : العهود (٥) يقال فلاه
 بالسيف ؛ إذا علاه ، والصفيح : جمع صفيحة ، وهى السيف العريض . والجنف : انحراف وميل
 عما توجهه القربى والرحم . قال شارح ديوانه : يريد أُنْتُ قَتَلْنَا إِيَّاهُمْ عَنَفَ مَنَا ؛ لأنهم قومنا وبنو
 عمنا (٦) اختلجت : انتزعت . وسخن عبيط : دم طرى ساخن (٧) حسان بن ثابت : فحل
 من فحول الشعراء ، وأحد المعمرين المخضرمين ، كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي
 صلى الله عليه وسلم في النبوة ، وشاعر البين في الإسلام ، توفي سنة ٥٤ هـ (٨) قذف : بعيدة
 (٩) النطف : القرط .

(٢) حرب كعب بن عمرو*

تَوَجَّحَ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمَازِنِيِّ الْحَزْرَجِيُّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَالِمٍ^(١)، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا، فَقَعِدَ لَهُ رَهْطٌ مِنْ بَنِي جَحْجَحٍ مِنَ الْأَوْسِ بِمَرْصَدٍ، فَضَرَبُوهُ حَتَّى قَتَلُوهُ أَوْ كَادُوا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَخَاهُ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ خَرَجٍ وَخَرَجَ مَعَهُ بَنُو النَّجَّارِ^(٢) وَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي جَحْجَحٍ يُؤْذِنُهُمْ بِحَرْبٍ، فَنَلَقَوْا بِالرُّحَابَةِ^(٣)، وَاقْتَتَلُوا اقْتِتَالًا شَدِيدًا، وَانْهَزَمَتْ بَنُو جَحْجَحٍ، وَكَانَ مَعَهُمْ أُحَيْحَةُ بْنُ الْجُلَّاحِ الْأَوْسِيُّ، فَطَلَبَهُ عَاصِمٌ فَأَذْرَكَهُ وَقَدْ دَخَلَ حِصْنَهُ، فَرَمَاهُ بِهِمْ فَوْقَ فِي بَابِ الْحِصْنِ، وَرَجَعَ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ، وَمَكَّنُوا أَيَّامًا. ثُمَّ إِنَّ عَاصِمًا طَلَبَ أُحَيْحَةَ لَيْلًا لِيَقْتُلَهُ فِي دَارِهِ، وَبَلَغَ أُحَيْحَةُ ذَلِكَ فَقَالَ :

نَبَّئْتُ أَنَّكَ جِئْتَ تَسْرِى بَيْنَ دَارِي وَالْقُبَابَةِ^(٤)
فَلَقَدْ وَجَدْتُ بِجَانِبِ الضَّحْيَانِ^(٥) شَبَانًا مُهَابَةً
فَتَيَّانَ حَرْبٍ فِي الْحَدِيدِ وَشَامِرِينَ كَأَسَدٍ غَابَهُ
هَمْ نَكْبُوكَ عَنِ الطَّرِيقِ فَبِتَّ تَرْكِبُ كُلِّ لَابَةٍ^(٦)
أَعَصِمَ لَا تَجْزِعُ فَإِنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ بِالْذُّعَابَةِ
فَأَنَا الَّذِي صَبَّحْتُكُمْ بِالْقَوْمِ إِذْ دَخَلُوا الرُّحَابَةَ
وَقَتَلْتُ كَعْبًا قَبْلَهَا وَعَلَوْتُ بِالسَّيْفِ الذُّؤَابَةَ

(١) بنو سالم : قبيلة في الحزرج (٢) بنو النجار : قبيلة في الحزرج (الأَنْصَار) (٣) الرحابة :

نحصر بالمدينة (٤) القبابة : حصن بالمدينة (٥) الضحيان : حصن بناه أُحَيْحَةُ فِي أَرْضِ الْقَبَابَةِ

(٦) اللابة : الحرمة من الأرض .

وبلغ عاصم قوله فأجابه :

أَبْلَغُ أُحِيحَةَ إِنَّ عَرْضْتَ بداره عَنِّي جوابه
وأنا الذي أَعْجَلْتُه عن مقعد أُلْهِى كَلَابَهُ
ورميتُهُ سَهْمًا فَأَخْطَاهُ وَأَعْلَقَ نِمْمَ بَابَهُ

وكان أُحِيحَةُ إِذَا أَمْسَى جَلَسَ بِحِذَاءِ حِصْنِهِ الصَّخَّيَّانِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ كَلَابًا لَهُ تَنْبِجُ
دُونَهُ عَلَى مَنْ يَأْتِيهِ مَنِ لَا يَعْرِفُ ، حَذَرَ أَنْ يَأْتِيَهُ عَدُوٌّ يَصِيبُ مِنْهُ غِرَّةً ، فَأَقْبَلَ
عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو يَرِيدُهُ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ لِيَقْتُلَهُ بِأَخِيهِ ، وَقَدْ أَخَذَ مَعَهُ تَمْرًا ، فَلَمَّا نَبَجَتْهُ
الْكَلَابُ حِينَ دَنَا مِنْهُ أَلْقَى لَهَا التَّمْرَ فَوَقَفَتْ ؛ فَلَمَّا رَأَاهَا أُحِيحَةُ قَدْ سَكَتَ حَذِرٌ ،
فَقَامَ فَدَخَلَ حِصْنَهُ ، وَرَمَاهُ عَاصِمٌ بِسَهْمٍ فَأَحْرَزَهُ ^(١) الْبَابُ ؛ فَوَقَعَ السَّهْمُ بِالْبَابِ ،
فَلَمَّا سَمِعَ أُحِيحَةُ وَقَعَ السَّهْمِ صَرَخَ فِي قَوْمِهِ ، فَجَرَى عَاصِمٌ وَأَعْجَزَهُمْ حَتَّى
أَتَى قَوْمَهُ .

ثُمَّ إِنَّ أُحِيحَةَ جَمَعَ لَبْنَى النَّجَّارَ وَأَرَادَ أَنْ يَفْتَرَّهُمْ ، فَوَاعَدَهُ قَوْمُهُ لذلِكَ -
وَكَانَتْ عِنْدَ أُحِيحَةَ سَلْمَى ^(٢) بِنْتُ عَمْرٍو إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي النَّجَّارِ - وَكَانَ لَهُ مِنْهَا ابْنُهُ
عَمْرٍو بْنُ أُحِيحَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ فَطِيمٌ أَوْدُونَ الْفَطِيمِ ، فَلَمَّا رَأَتْ عَزَمَ أُحِيحَةُ عَلَى غَزْوِ
قَوْمِهَا عَمِدَتْ إِلَى ابْنِهَا فَرَبَطَتْهُ بِخَيْطٍ حَتَّى إِذَا أَوْجَعَتِ الصَّبِيَّ تَرَكْتَهُ فَبَاتَ يَبْكِي وَهُوَ
تَحْمَلُهُ ، وَبَاتَ أُحِيحَةُ مَعَهَا سَاهِرًا يَقُولُ : وَيَحْكُ ! مَا لِابْنِي ؟ فَتَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي
مَالَهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ اللَّيْلُ أَطْلَقْتَ الْخَيْطَ عَنِ الصَّبِيِّ فَنَامَ . وَلَمَّا هَذَا الصَّبِيُّ قَالَتْ :

• (١) أَحْرَزَهُ الْمَكَانَ : الْجَأَاءُ (٢) هِيَ أُمُّ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، خَلْفَ عَلَيْهَا هِشَامٌ بَعْدَ أَنْ
طَلَقَهَا أُحِيحَةُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً شَرِيفَةً لَا تَتَزَوَّجُ الرِّجَالُ إِلَّا وَأَمْرُهَا يَبْدُو ، إِذَا كَرِهَتْ مِنْ رَجُلٍ
شَيْئًا تَرَكْتَهُ .

ورأساه ! فقال أحيحة : هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة ، وبات يمصب لها
رأسها ويقول : ليس بك بأس ، حتى إذا لم يبق من الليل الا أقله قالت له : قم فإني
أجدني صالحة ، وقد ذهب عني ما كنت أجده - وإنما فعلت ذلك ليثقل رأسه ،
وليشتد نومه على طول السهر - فلما نام قامت وأخذت حبلاً^(١) وأوثقته برأس الحصن
ثم تدلت منه ، وانطلقت إلى قومها فأندرتهم ، وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه
من ذلك ؛ فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا ؛ فأقبل أحيحة فوجد القوم على حذر
قد استعدوا ، فلم يكن بينهم كبير قتال ، ثم رجع أحيحة وقد فقد زوجته ، ففطن
لحذر القوم ، وعلم أن سلمى قد خدعته .

ملبس امرئ

١٢
٩

(٣) حرب حاطب

كان حاطبُ بن قيس الأوسى رجلاً شريفاً سيّداً ، فأناه رجل من ذُبْيَان ، ونزل عليه . ثم إنَّ الضيفَ غدا يوماً إلى سوق بني قَيْنَقَاع ، فرآه رجل من بني الحارث ابن الخزرج اسمه يزيد ، فقال لرجل يهودى : لك ردائي إن كَسَمْتُ (١) هذا الذُّبْيَانِي . فأخذ رداءه وكَسَمَهُ كَسَمَةً سَمِعَهَا مَنْ بالسوق ؛ فنَادَى الذُّبْيَانِي : يَا حَاطِبُ ؛ كَسِمَ ضَيْفُكَ وَفُضِحَ !

وأخْبَرَ حاطب بذلك فجاء إليه ، فسأله مَنْ كَسَمَهُ ؟ فأشار إلى اليهودى ؛ فعدَا إليه وضربه بالسيف ضربةً فلقَ بها هامته ، وأخبر يزيد بذلك ، فأَسْرَعَ خَلْفَ حاطب وأدركه وقد دخل بيوتَ أهله ، فأدرك رجلاً من الأَوْس فقتله .

ونارت الحربُ بين الأَوْس والخزرج ، واحتشدوا واجتمعوا على جسر بني الحارث ابن الخزرج ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البَيَاضِي ، وعلى الأَوْس حُضَيْر بن سَمَّاك الأَثَمَلِي . وعلم عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وخِيار بن مالك الْفَزَارِيَّان بِالْأَمْرِ قَدْ قَدَمَا إِلَى الدِّينَةِ ، وَتَحَدَّثَا مَعَ الْأَوْس وَالْخَزْرَجِ فِي الصَّلَاحِ ، وَضَمْنَا أَنْ يَتَحَمَّلَا كُلُّ مَا يَدَّعَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَأَبَوْا .

ووقعت الحرب عند الجسر وكانت الدائرةُ على الأَوْس .

(١) كَسَمَهُ : ضربه برجله في دبره .

(٤) يوم بُعَاث

كانت الأوسُ قد استعانت ببني قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ^(١) في حروبهم التي كانت بينهم ، وبلغ ذلك الخَزْرَجَ ، فبعثت إليهم : إن الأوسَ فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ، ولن يُعْجِزَنَا أَنْ نَسْتَعِينَ بِأَعْدَادِكُمْ وَأَكْثَرِ مَنْسِكُمْ مِنَ الْعَرَبِ ؛ فَإِنْ ظَفَرْنَا بِكُمْ فَذَلِكَ مَا تَكْرَهُونَ ، وَإِنْ ظَفَرْتُمْ لَمْ نَتَمَّ عَنْ الطَّلَبِ أَبَدًا ، فَتَصِيرُوا إِلَى مَا تَكْرَهُونَ ، وَتَشْفَلُكُمْ مِنْ شَأْنِنَا مَا أَنْتُمْ الْآنَ مِنْهُ خَالُونَ ، وَأَسْلَمُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَدْعُونَا وَتَحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا .

فلما سمعوا ذلك علموا أَنَّهُ الْحَقُّ ؛ فَأَرْسَلُوا إِلَى الْخَزْرَجِ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ الَّذِي بَلَّغَكُمْ وَالتَّمَسَتْ الْأَوْسُ نَصْرَنَا ، وَمَا كُنَّا لَنَنْصُرَهُمْ عَلَيْكُمْ أَبَدًا ؛ فَقَالَتْ لَهُمُ الْخَزْرَجُ : فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَايْمُوا إِلَيْنَا بِرَهَائِنَ تَكُونُ فِي أَيْدِينَا ؛ فَبِعَثُوا إِلَيْهِمْ بِأَرْبَعِينَ غَلَامًا مِنْهُمْ ؛ فَفَرَّقَهُمُ الْخَزْرَجُ فِي دُورِهِمْ ، وَمَكَّثُوا بِذَلِكَ مَدَّةً .

ثُمَّ إِنَّ عَمْرُو بْنَ النَّمَّانِ الْبَيَّاضِيَّ قَالَ لِقَوْمِهِ بَيَّاضَةً^(٢) : إِنْ أَبَاكُمْ أَنْزَلَكُمْ مَنْزِلَ سُوءٍ بَيْنَ سَبَخَةٍ^(٣) وَمَقَازَةٍ^(٤) ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَمَسُّ رَأْسِي غَسَلٌ حَتَّى أَنْزَلَكُمْ مَنَازِلَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ عَلَى عَذَابِ الْمَاءِ وَكَرِيمِ النَّخْلِ ؛ ثُمَّ رَاسَلَهُمْ إِمَّا أَنْ تَحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِيَارِكُمْ نَسْكُنُهَا ، وَإِمَّا أَنْ تَقْتُلَ رُءُوسَكُمْ ؛ فَهَمُّوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ كَعْبُ ابْنِ أَسَدِ الْقُرَظِيِّ : يَا قَوْمُ ؛ ائْتَمُّوا دِيَارَكُمْ وَخَلُّوهُ بِقَتْلِ الرُّهُنِ ، وَاللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ يُصِيبُ فِيهَا أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ حَتَّى يُوَلِّدَ لَهُ غَلَامًا مِثْلَ أَحَدِ الرُّهُنِ ؛ فَاجْتَمَعَ رَأْسُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ؛

(١) قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ : حَيَّانَ فِي الْيَهُودِ . (٢) قَبِيلَةٌ فِي الْجَزِيرَةِ . (٣) السَّبْخَةُ : أَرْضٌ ذَاتُ تَرَفٍّ وَمَلْجَأٍ . (٤) الْمَقَازَةُ : الْقَلَاةُ لَا مَاءَ بِهَا .

فأرسلوا إلى عمرو بآل نُسَلَمَ لَكُمْ دُورَنَا ، وانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رُهْنِنَا فقومُوا لنا به ؛ فمَدَا عمرو بن النعمان البياضى على رُهْنِهِمْ هو ومن أَطَاعَهُ من الخزرج فقتلوه ، وأبى عبد الله بن أبي - وكان سَيِّدًا حَلِيمًا - وقال : هذا عقوق ومَأْتَمٌ وَبَغْيٌ ، فليست مُعِينًا عليه ، ولا أحد من قومي ^(١) أَطاعنى ، وخابى عمن عنده من الرُّهْن .

فناوشت الأوس الخزرج يوم قَتَلَ الرُّهْن شيئًا من قتال غير كبير ، واجتمعت قُرَيْظَةُ والنَّضِير إلى كعب بن أسد القرظى ، ثم تَأَمَّرُوا أَنْ يُعِينُوا الأوس على الخزرج ، فبعثت إلى الأوس بذلك ، ثم أَجْمَعُوا عليه ، على أَنْ ينزل كلُّ أهل بيت من النَّبِيت ^(٢) على بيت من بنى قُرَيْظَةَ ؛ ففزلوا معهم فى دورهم . ثم أرسلوا إلى سَائِر الأوس فى الحرب والقيام معهم على الخزرج ، فأجابوهم إلى ذلك .

فاجتمع المَلَأُ منهم ، واستحکم أمرهم ، وجدُّوا فى حربهم ؛ فلما سمعت الخزرج اجتمعوا حتى جاءوا عبد الله بن أبي ، وقالوا له : قد كان الذى بَلَغَكَ من أمر الأوس وأمر قُرَيْظَةَ والنَّضِير واجتماعهم على حَرْبِنَا ، وإنا نرى أَنْ تقاتلهم ، فإن هزمناهم لم يُحْرِزْ أَحَدٌ منهم مَقْلَهُ ولا مَلْجَأٌ حتى لا يبقِ منهم أحد .

فلما فرغوا من مقاتلتهم قال لهم عبد الله : إن هذا بنى منكم على قومكم وعقوق ، والله ما أحبُّ أَنْ رَجَلًا ^(٣) من جَرَادِ الْفَيَئَاهُمْ ، وقد بلغنى أَنهم يقولون هؤلاء قومُنَا مَتَّعُونَا الحَيَاةَ أَفِيمَتَمُونَا الموت ؟ والله إني أرى قومًا لا ينتهون أو يهلكوا عامتهم ، وإني لأخاف إِنْ قَاتَلُوكُمْ أَنْ يُنْصَرُّوا عَلَيْكُمْ لِيُغَيِّبَكُمْ عَلَيْهِمْ ، فقاتلوا قومكم كما كنتم

(١) هم بنو سالم الحلبى . (٢) النبى : حى فى الأوس ، أطلق عليهم لقب أبيهم ، واسمه عمرو ابن مالك بن الأوس (٣) الرجل : جماعة الجراد .

تَقَاتُلُونَهُمْ ، فَإِذَا وَلَّوْا فَخَلَّوْا عَنْهُمْ ، فَإِذَا هَزَمُوكُمْ فَنَدَخَلْتُمْ أَدْنَى الْبُيُوتِ خَلَّوْا عَنْكُمْ .
فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ النَّمَانِ الْبَيَاضِي : انْتَفَخَ وَاللَّهِ سَحْرُكُ^(١) يَا أَبَا الْحَارِثِ حِينَ بَلَغْتَ
حَلْفَ الْأَوْسِ وَقَرِيطَةَ وَالنَّضِيرِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَاللَّهِ لَا حَضَرَ تَكُمُ أَبَدًا ، وَلَا أَحَدٌ
أَطَاعَنِي أَبَدًا ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ قَتِيلًا تَحْمِلُكَ أَرْبَعَةٌ فِي عِبَاءٍ^(٢) .

وَتَابِعَ عَبْدُ اللَّهِ رِجَالَهُ مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَاجْتَمَعَ كَلَامُ الْخَزْرَجِ عَلَى أَنَّ رَأْسُوا عَلَيْهِمُ
عَمْرُو بْنُ النَّمَانِ الْبَيَاضِي ، وَوَلَّوْهُ أَمْرَ حَرْبِهِمْ ، وَلَبِثَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً
يَتَصَنَعُونَ^(٣) لِلْحَرْبِ ، وَيَجْمَعُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَيُرْسِلُونَ إِلَى حُلَفَائِهِمْ مِنْ قِبَائِلِ
الْعَرَبِ ، فَأُرْسِلَتِ الْخَزْرَجُ إِلَى جَهِينَةَ وَأَشْجَعٍ ، وَأُرْسِلَتِ الْأَوْسُ إِلَى مَزِينَةَ ، وَذَهَبَ
حُضَيْرُ الْكِتَابِ الْأَشْهَلِيُّ إِلَى أَبِي قَيْسِ الْأَسَلْتِ^(٤) ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْمَعَ لَهُ أَوْسَ اللَّهِ ،
فَجَمَعَهُمْ لَهُ أَبُو قَيْسٍ ، فَقَامَ حُضَيْرٌ ، فَاعْتَمَدَ عَلَى قَوْسِهِ ، وَعَلَيْهِ نَمْرَةٌ^(٥) تَشْفَعُ عَنْ
عَوْرَتِهِ ، فَحَرَّضَهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ فِي حَرْبِهِمْ ، وَذَكَرَ مَا صَنَعَتْ بِهِمُ الْخَزْرَجُ مِنْ
إِخْرَاجِ النَّبِيِّتِ ، وَإِذْلالٍ مِنْ تَخَلُّفٍ مِنْ سَائِرِ الْأَوْسِ فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ ؛ وَجَعَلَ كُلَّمَا ذَكَرَ
مَا صَنَعَتْ بِهِمُ الْخَزْرَجُ يَسْتَنْشِيطُ وَيَحْمِي ، فَأَجَابَتْهُ أَوْسُ اللَّهِ بِالَّذِي يُحِبُّ مِنَ النَّصْرَةِ
وَالْمُؤَاوَزَةِ الْجِدِّ فِي الْحَرْبِ .

ثُمَّ اجْتَمَعَتِ الْأَوْسُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَأَجَالُوا الرَّأْيَ ؛ فَقَالُوا : إِنْ ظَفَرْنَا بِالْخُرُوجِ
لَمْ نُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَلَمْ نَقَاتِلْهُمْ كَمَا كُنَّا نَقَاتِلُهُمْ . فَقَالَ حُضَيْرٌ : يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ ؛
مَا مُسِمِّيَّتُ الْأَوْسِ إِلَّا لِأَنَّا بَكْمُ تَوْسُونٍ^(٦) الْأُمُورِ الْوَاسِعَةِ !

(١) أصل السحر : ما التزق بالخلق والمريء ، ويقال للجبان : انتفخ سحره ، أى ملأ الخوف
قلبه (٢) العباء : كساء (٣) يتصنعون : يتجهزون ويتأهبون (٤) حضير وأبو الأسلت :
كلاهما من الأوس (٥) النمرة : بردة من صوف تلبسها الأعراب (٦) أى تعالجون الأمور .

يا قوم قد أصبحتم دوارا لمَشر قد قتلوا الخِيارا

يوشِكُ أن يستأصلوا الديارا

ثم طرحوا بين أيديهم عمراً ، وجعلوا يأكلون وحُضير الكتائب جالسٌ وعليه بُرْدَةٌ له قد اشتمل بها الصَّمَاءُ ^(١) ، وما يأكل معهم ولا يَدْنُو إلى التمر غضباً وحقناً ، فقال : يا قوم ؛ اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت ، فقال لهم أبو قيس : لا أقبلُ ذلك ، فإني لم أرَأْسَ على قوم في حرب قط إلا هُزِموا وتشاءموا برياستي .

ثم جاءتهم أوس مناة ، وقَدِمَت مُزينة ، فانطلق حُضير وأبو عامر الراهب إلى أبي قيس ، فقالوا : قد جاءتنا مُزينة واجتمع إلينا من أهل يثرب مالا قَبيل للخزرج به ، فما الرأي إن نحنُ ظَهَرْنَا عليهم : الانجاز أم البقية ؟ فقال أبو قيس : اقتلوهم حتى يقولوا : بزأب ^(٢) . ثم اختلفوا في ذلك ؛ فأقسم حُضير ألا يشرب الخمر ، أو يظهر ويهدم مَزَاحماً : أطم عبد الله بن أبي . ثم لبثوا شهرين يعدُّون ويستعدون .

وكان اللقاء ببُعَاث ، وحشد الحيَّان فلم يتخلف عنهم إلا من لا ذِكْر ^(٣) له ، ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التَّقَوا فيه . فلما رأت الأوس الخزرج أعظموهم وقالوا الحُضير : يا أبا أسيد ؛ لو حاجزت القوم ، وبعثت إلى من تخلف من حلفائك من مزينة ؟ فطرح قوساً كانت في يده ثم قال : أنتظر مزينة وقد نظر إلى القوم ونظرت إليهم ! الموت قبل ذلك . واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت الأوس حين وجدوا مسَّ

^(١) اشتمال الصاء : أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعلى عاتقه الأيسر ، ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيها جميعاً . بزأب : كلمة كانوا يقولونها إذا غلبوا . ^(٢) تخلف عن الأوس بنو حارثة ، فبعثوا إلى الخزرج : إنا والله ما نريد قتالكم ، فبعثوا إليهم أن ابشوا إلينا برهائن منكم يكونون في أيدينا ، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً .

السَّلاح ، فولّوا مصعدين في حرّة قَوْزَى^(١) ، فنزل حُضير ، وصاحت بهم الخزرج :
أين الفرار ، فلما سمع حُضير طمن بيمينان رُمَحِه فَنَحَده ، ونزل وصاح وعَقَّراه^(٢) ،
والله لأُرِم حتى أَقْتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسَلِّموني فافعلوا ؛ فتعطّفت
عليه الأوس ، وقام وعلى رأسه غلامان من بني عبد الأشهل ، وهما يومئذ مُعْرِسان^(٣)
ذوا بَطْش ، فجعلوا يرتجزان ويقولان :

أى غلامى ملك ترانا فى الحرب إذ دَارَتْ بنا رَحَانَا
وعَدَد الناسُ لنا مكانَا

فقاتلا حتى قُتِلَا ، وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان البيضاى رأس
الخبزرج فقتله ، لا يدرى من رَمَى^(٤) به . ثم انهزمت الخزرج ، ووضعت الأوس فيهم
السلاح ، وصاح صائح : يا معشر الأوس ؛ أَسْجِحُوا^(٥) ولا تُهْلِكُوا إخوانكم ؛
فتناهت الأوس ، وكفّت عن سلبهم بعد إِيْتِخَان فيهم^(٦) ، وسلميتهم قُرَيْظَة والنضير ،

(١) موضع فى نواحي المدينة (٢) المقر : قطع قوائم البعير بالسيف لينحر (٣) يقال :
أعرس فلان إذا اتخذ عرساً (٤) رواوا : أنه بينما كان عبد الله بن أبي يتردد على بئلة له قريباً من
بعث ، يتجسس أخبار القوم ؛ إذ طلع عليه بعمر بن النعمان ميتاً فى عباء يحمله أربعة إلى داره ،
فلما رآه قال : من هذا ؟ قالوا : عمرو بن النعمان فقال : ذق وبال العقوق (٥) أَسْجِحُوا :
أحسنوا العفو (٦) روى فى الأغاني أن يهودياً أعمى من بني قريظة كان يومئذ فى أطم من أطامهم
فقال لابنة له : أشرقى على الأطم فانظرى ما فعل القوم ، فأشرفت فقالت : أسمع الصوت قد ارتفع
فى أعلى قورى وأسمع قاتلاً يقول : اضربوا يا آل الخزرج ، فقال : الدولة إذاً على الأوس ، لا خير
فى للبقاء . ثم قال : ما ذا تسمعين ؟ فقالت : أسمع رجالاً يقولون : يا آل الأوس ، ورجلاً يقولون :
يا آل الخزرج ، فقال : الآن حمى القتال . ثم لبث ساعة ، وقال : أشرقى فاسمعى ، فأشرفت فقالت :
أسمع قوماً يقولون : « نحن بنو صخرة أصحاب للرعل » . فقال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت
وأنه الأوس ، ثم جرى فرحاً نحو باب الأطم ، وضرب رأسه بالباب ، وكان من حجارة ، فسقط
ومات .

وحملت الأوس حضيراً من الجراح التي به ، وهم يرتجزون حوله ويقولون :

كُتِبَتْ زَيْنُهَا مَوْلَاهَا لَا كَهْلُهَا هُدًى وَلَا فِتْنَاهَا

وجعلت الأوس تحرق على الخزرج نَخْلَهَا ودُورَهَا . ثم خرج سعد بن معاذ الأشهلي ^(١) ، حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم وأموالهم جزاء لهم بيوم الرِّعْل ^(٢) .

وأقسم كعب بن أسد القرظي ^(٣) لِيُذِلَّنَّ عبد الله بن أبي ، وليحلقنَّ رأسه تحت حِصْنِهِ مُزَاحِم . فناداه كعب : انزل يا عدو الله ، فقال عبد الله : أنشدك الله ! ما خذَلْتُ ^(٤) عنكم . فسأل عما قال ، فوجده حقاً ، فرجع عنه .

وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا القيس بن الأسلت بعد الهزيمة ، فقال له حضير : يا أبا قيس ؛ إن رأيت أن تأتي الخزرج قصر أقصرأ ، ودارأ دارأ ، تقتل ونهزم حتى لا يبقى منهم أحد ! فقال أبو قيس : والله لا نفعل ذلك . فغضب حضير وقال : ما سُمِّيتُم الأوس إلا لأنكم تؤسسون الأمر أوساً ؛ ولو ظفرت الخزرج بمثلها ما أقالونا . ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم .

وقتل على حضير الجراح ، فذهب به كليب بن عبد الأشهل إلى منزله ، فلبث عنده أياماً ، ثم مات . فقال خُفَاف بن نُدْبَة ^(٥) يرثيه :

(١) من بني عبد الأشهل ، وهم قبيلة في الأوس (٢) الرعل : مال لعبد الأشهل ، وبنو سلمة قبيلة في الخزرج ، وكانوا يوم الرعل أغاروا على مال لبني عبد الأشهل وقتلوه ، فخرج سعد بن معاذ الأشهلي جراحة شديدة ، فاحتمله بنو سلمة إلى عمرو بن الجوح الخزرجي فأجاره وأخاه وأجار الرعل من الحريق وقطع الأشجار ، فلما كان يوم بعث جازاه سعد (ابن الأثير ص ٤١٥ جزء ١) (٣) من بني قريظة حلفاء الأوس (٤) أي ما تركت نصرتكم ، وهو يشير إلى ما كان بينه وبين قومه من الخزرج ، من امتناعه عن محاربة بني قريظة والضياع (٥) كان خفاف نديمه وصديقه .

أتاني حديث فكذبته وقيل خليلك في الرمس^(١)
 فياعين بكى حُضِيرَ الندى حُضِيرَ الكتائب والمجلس
 ويوم شديد أوار الحديد تقطعُ منه عُرَى الأنفس
 صليتُ به عليك الحديد دُم ما بين سَلْع^(٢) إلى الأعرس
 فأودى بنفسك يوم الوغى ونقى ثيابك لم تدنس

وفي ذلك اليوم قال قيس بن الخطيم الأوسى^(٣) :
 أتعرف رسماً كاطرادٍ المذاهب لعمرةٍ وحشا غير موقف راكب^(٤)
 ديارٍ التي كانت ونحن على منى تحلّ بها لولا نجاء النجائب^(٥)
 تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب
 ولم أرها إلا ثلاثاً على منى وعهدى بها عذراء ذات ذوائب
 ومثلك قد أصببتُ ليست بكثرة ولا جارة ولا حكيمة صاحب

(١) يريد القبر (٢) موضع قرب المدينة (٣) في الأغاني : جلس النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ، ثم استشهدهم قصيدة قيس بن الخطيم :
 أتعرف رسماً كاطراد المذاهب لعمرة وحشاً غير موقف راكب
 فألشد بعضهم لياها ، فلما بلغ إلى قوله :
 أجالدم يوم الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعب
 فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان كما ذكر » ؟ فشهد له ثابت بن قيس وقال له : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه ، عليه غلالة وملحفة مورسة ، فإلادنا كما ذكر . هذا وقد أورد صاحب الجهرة هذه القصيدة ، ووعدها من المذهبات (٤) الاطراد : التتابع . المذاهب : جلود كانت تذهب واحدها مذهب (بضم الميم) : يحصل فيها خطوط مذهبة بعضها في إثر بعض . ووَحْشاً : قرأ ، وغير موقف راكب : لا يصلح للنزول . وقد روى في الفضليات : كاطرأز المذهب (٥) النجاء : السرعة ، والنجائب : الإبل الكريمة ، وفي مذهب الأغاني : لولا نجاء الركائب .

دعوتُ بني عوف لحِقْنِ دمائهم
وكنْتُ امرأً لا أبثُ الحربَ ظالماً
أرْبْتُ بدفعِ الحربِ لِمَا رَأَيْتُهَا
إِذَا لم يكنْ عن غَايَةِ المَوْتِ مدْفَعٌ
فلما رَأَيْتُ الحربَ حرباً مجرّدتُ
مُضَاعَفَةً يَغْشَى الأَنَامِلَ فضلُهَا
وسامحَ فيها ملكاهنِ ومالكُ
رجالٌ متى يُدْعَوْنَ إِلَى المَوْتِ يُرْقِلُوا
تَرى قَصْدَ الرُّءْى أَن تَهْوَى كَأَنَّهَا
صَبَحْنَا بِهَا الآطَامَ حَوْلَ مُزَاحِمٍ
لو أَنَّكَ تُلْقَى حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا
إِذَا مَا فَرَرْنَا كَانَ أَسْوَأَ فِرَارِنَا
صدودُ الخدودِ والقنَا مُتَشَاكِراً
ولا تَبْرَحُ الأَقْدَامُ عِنْدَ التَّضَارِبِ

فلما أَبَوَا سَامَحْتُ فِي حَرْبِ حَاطِبِ (١)
فلما أَبَوَا أَشْمَعْتُهَا كُلَّ جَانِبِ
عَنِ الدَّفْعِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَقَارُبِ (٢)
فَأَهْلًا بِهَا إِذْ لَمْ تَزَلْ فِي المَرَاكِيبِ
لَبِستُ مَعَ البُرْدَيْنِ ثَوْبَ الحَارِبِ
كَأَنَّ قَتِيرَها عَيُونُ الجَنَادِ (٣)
وَتَلْعَبُ الأَخْيَارُ رَهْطُ ابنِ غَالِبِ (٤)
إِلَيْهِ كَارِ قَالِ الجَمَالِ المَصَافِ (٥)
تَذَرُعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوْاطِبِ (٦)
قَوَانِسُ أُولَى بَيْضِنَا كَالسَّكْوَاكِ (٧)
تَذْخَرُجُ عَنِ ذِي سَامِهِ المُتَقَارِبِ (٨)
صُدُودُ الخُدُودِ وَأَزْوَارُ المَنَاقِبِ
وَلَا تَبْرَحُ الأَقْدَامُ عِنْدَ التَّضَارِبِ

(١) سَامَحْتُ : تَابَعْتُ . حَاطِبُ : حَلِيفٌ لَهُمْ قَتَلَ فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ فِي قَتْلِهِ (٢) كَانَتْ لِي لُزْبَةٌ : أَيْ حَاجَةٌ ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْإِثِيرِ : أَذِنْتُ ، وَفِي مَهْذَبِ الْأَغَانِي : حَتَّى رَأَيْتُهَا (٣) الْمُضَاعَفَةُ : الدَّرَجَةُ الَّتِي ضَوْعُفَ حَلْقُهَا ، وَالْقَتِيرُ رَدُّ وَسِ الْمَسَامِيرِ (٤) قَالَ صَاحِبُ مَهْذَبِ الْأَغَانِي : مَلِكَاهِنِ : قَرِيقَةُ وَالتَّضْيِيرُ ، وَرِوَايَةُ الْجُمُهرَةِ : أَلْكَاهِنَانِ فِي الْجُمُهرَةِ : رَهْطُ الْقَبَائِبِ ، قَالَ : الْقَبَائِبُ : الشَّجْعَانُ وَجَمَاعَاتُ الْكِرِيهَةِ (٥) يُقَالُ : أَرْقَلَ الْقَوْمُ إِلَى الْحَرْبِ أُسْرِعُوا ؛ قَالَ النَّابِغَةُ : إِذَا اسْتَنْزَلُوا اللَّطْعَنَ عَنْهُمْ أَرْقَلُوا إِلَى الْمَوْتِ إِذْ قَالَ الْجَمَالُ الْمَصَافِ

(٦) الْقَصْدُ : الْقَطْعُ ، وَالْمَرَانُ : الرَّمَاةُ . وَالتَّذْرُعُ : قَالَ صَاحِبُ اللِّسَانِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ : تَذْرُعُ فُلَانٌ الْجَرِيدَ إِذَا وَضَعَهُ فِي ذِرَاعِهِ فَشَطَبَهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ قَيْسٍ : تَرَى قَصْدَ . . . الْحِجْ ، وَالْخِرْصَانُ : الْفَضِيانُ ، وَالشَّوْاطِبُ : النِّسَاءُ يَشَقُّقْنَ الْقَضْبَانَ (اللِّسَانُ - مَادَّةُ ذَرْعٍ) (٧) مُزَاحِمُ : حَصْنٌ بِالْمَدِينَةِ ، وَقَوْنِسُ الْبَيْضَةِ مِنَ السِّلَاحِ : أَعْلَاهَا (٨) السَّامُ : عُرُوقُ الذَّهَبِ ، وَأَرَادَ بِهِ خُطُوطَ ذَهَبٍ عَلَى الْبَيْضِ تَمُوهُ بِهَا .

إِذَا قَصَرْتُ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا
أَجَالُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا
وَيَوْمَ بُعَاثٍ أَسْلَمْتَنَا سَيُوفُنَا
يُعْرَيْنَ بِيضًا حِينَ نَلْقَى عَدُوَّنَا
أَطَاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أَمِيرًا نَهَاهُمْ
رَضِيَتْ لِعَوْفٍ أَنْ تَقُولَ نَسَاؤُهُمْ
صَبَحْنَاكُمْ بِيضَاءُ يَبْرُقُ بِيضُهَا
أَصَابَ صَرِيحَ الْقَوْمِ غَرْبُ سَيُوفِنَا
وَمَنَا ^(٧) الَّتِي آتَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
رَضِيَتْ لَهُمْ إِذْ لَا يَرِيعُونَ قَعْرَهَا
فَلَوْلَا ذَرَا الْأَطَامِ قَدْ تَعْلَمُونَهُ
فَلَمْ تَمْنَعُوا مِنَّا مَكَانًا زَيْدُهُ
خُطَانَا إِلَى أَعْدَانَا بِالتَّقَارُبِ
كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقُ لَاعِبٍ ^(١)
إِلَى حَسْبٍ فِي جَذَمٍ غَسَّانٍ ثَاقِبٍ ^(٢)
وَيُعْمِدُنَ حَمْرًا نَاحِلَاتِ الْمَضَارِبِ ^(٣)
عَنِ السَّلَمِ حَتَّى كَانَ أَوَّلُ وَاجِبٍ ^(٤)
- وَيَهْزَأْنَ مِنْهُمْ - لَيْتَنَا لَمْ نُخَارِبْ
تُبِينَ خَلَائِلَ النِّسَاءِ الْهَوَارِبِ ^(٥)
وَعُودُ أَوْلَادِ الْإِمَاءِ الْخَوَاطِبِ ^(٦)
عَنِ الْحَمْرِ حَتَّى زَارَكُمُ بِالْكَتَائِبِ
إِلَى عَازِبِ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِصَاحِبِ
وَتَرَكُ الْقَضَا شُورَكُمْ فِي الْكَوَاعِبِ ^(٨)
لَكُمْ مُحَرَّرًا إِلَّا ظَهْرُ الْمَشَارِبِ ^(٩)

(١) الحديقة : قرية من أعراض المدينة ، والمخرق : خرقه مفتولة يلعب بها الصبيان ، وفي الجمهرة : يوم الخنادق (٢) يريد أنهم حققوا غير انتسابهم إلى غسان . وهذه رواية صاحب الجمهرة ، ورواية اللسان : إلى نشب في حزم غسان ثاقب (٣) روى صاحب الجمهرة البيت كما يأتي :

يجردن أيضاً كل يوم كريهة ويعمدن حمراً خاضبات المضارب
(٤) واجب : ميت (٥) صبحناكم : أي دهنناكم صباحاً ؛ ويريد بالبيضاء الحرب غلب عليها لون السيوف ، والهوارب : النساء المهاريات من الذعر (٦) الصريح من القوم : السيد فيهم ، وغرب السيف : حده ، والإماء : الجوارى ، وأبناء الخواطب : أبناء حملات الخطب من النساء (٧) أبو قيس بن الأسلت (٨) يريد : لأنكم لولا أنكم هربتم في أعلى الهضاب لأنكم في عداد السبايا (٩) المشارب : الغرب .

فَهَلَا لَدَى الْحَرْبِ الْعَوَافُ صَبْرُكُمْ لَوْفَعْنَا وَالْيَأْسُ صَعْبُ الرَّاكِبِ
ظَارُنَا كَمْ بِالْبَيْضِ حَتَّى لَا نَتَمَّ أَذَلُّ مِنَ الشَّقْبَانِ بَيْنَ الْحَلَائِبِ ^(١)
وَلَا هِبَطْنَا الْحَرْثَ قَالَ أَمِيرُنَا حَرَامٌ عَلَيْنَا الْحُمْرُ مَا لَمْ نُضَارَبْ
فَسَامَحَهُ مِنَّا رُجَالُهُ أَعَزَّةٌ فَارْحُوا حَتَّى أُحِلَّتْ لَشَارِبِ
فَلَبَّتْ سَوِيدَ آرَاءٍ مِنْ جَرٍّ مِنْكُمْ وَمَنْ فَرَّ إِذْ يَجِدُونَهُمْ كَالْحَلَائِبِ
فَأُبْنَا إِلَى أَبْنَانِنَا وَنِسَائِنَا وَمَا مِنْ تَرْكُنَا فِي بُعَاثٍ بِأَبْ
وُغِيَتْ عَنْ يَوْمِ كَنَنْتَنِي عَشِيرَتِي وَيَوْمَ بُعَاثٍ كَانَ يَوْمَ التَّنَائِبِ
وَعَادَ أَبُو قَيْسٍ بِنَ الْأَسَلَتِ ^(٢) إِلَى امْرَأَتِهِ ، بَعْدَ أَنْ مَكَثَ فِي الْحَرْبِ أَشْهُرًا آثَرَهَا
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى شَحِبَ لَوْنُهُ وَتَغَيَّرَ ، فَدَقَّ الْبَابَ فَفَتَحَتْ لَهُ ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِيَدِهِ
فَدَفَعَتْهُ وَأَنْكَرَتْهُ ، فَقَالَ : أَنَا أَبُو قَيْسٍ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ حَتَّى تَكَلَّمْتَ ،
فَقَالَ ^(٣) :

قَالَتْ - وَلَمْ تَقْصِدْ لِقَائِي الْخَنَاءَ - مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي ^(٤)
أَنْكَرْتَهُ حِينَ تَوَسَّمْتُهُ وَالْحَرْبُ غُولٌ ^(٥) ذَاتُ أَوْجَاعٍ
مَنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرًّا وَتَحْبَسُهُ بِجَمْعِجَاعٍ ^(٦)
قَدْ حَصَّتْ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ ^(٧)

(١) ظَارُنَا كَمْ : عطفناكم على ما نريد . السبق : الذكر من أولاد الإبل (٢) قال صاحب :
الأغاني : لم يقع لي اسمه ، والأسلت لقب أبيه ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوس
قد أسندت إليه حربها يوم بعث ، وجعلته رئيساً عليها ، فكفى وساد ، وأسلم ابنه عقبة ، واستشهد
يوم القادسية (٣) وقد ررى هذه القصيدة صاحب الجهرة ، وصاحب المفضليات ، والرصني في
رغبة الآمل (٤) الخنا : العار ، والمعنى آلمني خبرك حتى لا أريد سماعه (٥) غول : مقاتلة .
(٦) الجمجاع : المكان الغليظ (٧) حصت : أذهبت شعره ، والبيضة : ما تلبس في الرأس
عند الحرب ، يريد أنه من طول لبسها أذهبت شعر رأسه ، والتهجاع : النوم الخفيف .

أَسْمَى عَلَى جُلٍّ (١) بَنَى مَالِكٌ كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ سَاعَ
أَعْدَدْتُ لِلْأَعْدَاءِ مَوْضُوعَةً فَضْفَاضَةً كَالْتِهَى (٢) بِالْقَاعِ
أَخْفِزُهَا عَنَى بَدَى رَوْنَقٍ مَهْنَدٌ كَالْمَلْحِ (٣) قِطَاعِ
صَدَقِ حُسَامٍ وَادِقِ حَدُّهُ وَمُجْنَأٍ أَسْمَرُ قَرَاعٍ (٤)
بَزُّ أَمْرٍ مُسْتَبْسِلٌ حَازِرٍ لِلدَّهْرِ جَلَدٍ غَيْرِ مِجْزَاعٍ (٥)
الْحَزْمُ وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِدْهَانِ وَالْفَسْكَةِ وَالْهَامِ (٦)
لَيْسَ قِطَاعًا مِثْلُ قُطْعَى وَلَا أَلْ مَرَعَى فِي الْأَقْوَامِ كَالرَّاعِي (٧)
لَا نَأْلُ الْقَتْلَ وَنَجْزِي بِهِ الْأَعْدَاءَ كَيْلَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ (٨)
نَدُوذُهُمْ عَنَّا بِمُسْتَنَّةٍ ذَاتِ عَرَانِينَ وَدُفَاعٍ (٩)
كَأَنَّنَا أَسَدٌ لَدَى أَشْبَلٍ يَنْهَتَنُ فِي غِيلٍ وَأَجْزَاعٍ (١٠)
حَتَّى تَجَلَّتْ وَلَنَا غَايَةٌ مِنْ بَيْنِ جَمْعٍ غَيْرِ مُجَاعٍ (١١)

(١) الجُلُّ : ما يوضع على الدابة (٢) الموضوعة : الدرع المنسوجة ، بعض حلقة مداخل في بعض ، والتهى : الغدير ، والقاع : المكان المستوى ؛ شبه نسيجها بما تنسجه الريح فوق سطح الماء بذلك القاع (٣) الخفز في الأصل : دفعك الشيء من خلفه ؛ يريد أدفع ثقلها بغمد سيف ذي روتق والروتق : ماء السيف وصفائه . وشبه السيف بالملح لصفائه (٤) صدق : صادق الضربة ؛ وادق حده : ماض في ضربيته ؛ والمجنأ : الترس سمي به لانحنائه ، وقراع : صلب ؛ سمي به لصبره على القرع (٥) البز : السلاح ، والحاذر : المتأهب الشاكي السلاح (٦) الإدهان : اللين ، والفسكة : ضعف الرأي ، والهام : سوء الحرص مع الضعف (٧) ورد هذا البيت موردالثلث ، وليس قِطَاعًا مِثْلُ قُطْعَى : ليس الأمر الكبير كالصغير ؛ وليس المرعى كالراعى : ليس السائس كالسوس (٨) يريد أنه لا يفوتنا أحد بوتر ، ولا ينقص من حقنا (٩) المستنة : الكتيبة تستن في عددها من استن الفرس ؛ مضى على وجهه ، والعرايين : جمع عرين وهو الأنف ، وأراد به رؤساءهم ، والدفاع : جمع دافع ؛ وهم الذين يدافعون الأعداء (١٠) النهيت : صوت الأسد ، والفيل : الأجمة والأجزاء : الوديان المنقطعة (١١) الغاية : الراية ، والجماع : أخلاط الناس ؛ يريد لم نستعن بأحد من غيرنا .

هلا سألت الخيل إذ قلصت ما كان إبطائي وإسراعي^(١)
 هل أبذل المال على حبة فيهم وآبي دعوة الداعي
 وأضرب القوئس يوم الوغى بالسيف لم يقصُر به باعي^(٢)
 وأقطع الخرق يُخاف الردى فيه على أدماء هِلْوَاع^(٣)
 ذات أساهيج جُماليَّة حششتها كورى وأنساع^(٤)
 تمطى على الأين وتنجومن الضَّ رب أمون غير مِظْلَاع^(٥)
 كأن أطراف وليَّاتها فى شمال حصاء زَعَزَاع^(٦)
 أزيْنُ الرِّحْل بمَقْمُوة حارية أو ذات أقطاع^(٧)
 أقضي بها الحاجات إن الفتى رهن بذى لوئيه خَدَاع^(٨)

هذا ، وقد وقعت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة اقتصرنا منها على ما تقدم
 منها يوم السراة ، ويوم الربيع ، ويوم فارغ ، ويوم البقيع ، ويوم مبس ومضرس ،
 وغيرها ، فارجع إلى ما أشرنا من مراجع إن أردت الزيادة .

(١) قلصت : شمرت ؛ من قلصت الإبل فى سيرها ؛ إذا استمرت فى مضيتها . (٢) القوئس :
 مقدم بيضة السلاح أو أعلاها (٣) الخرق : القفر ، ويريد بالأدماء الناقة ، من الأدماء وهى فى الإبل
 البياض الواضح ، والهلواع مثل الهلواعة : الناقة الشبهة التى تخاف من السوط . وهذه رواية صاحب
 المفضليات والرصنى فى رغبة الأمل ، ورواية صاحب الجمهرة :

فلك أفعالى وقد أقطع الخرق على أدماء هلواع

(٤) الأساهيج : فنون فى السير مختلفة ، لا واحد لها ، وجالية : تشبه الجمل فى خلقته ،
 وحششتها : يريد أعطيتها ، والكور : الرحل ، والأنساع : حبال من جلد مضفورة تشد عليها
 الرحال (٥) تمطى على الأين : يريد تمطى سيراً سريعاً ، والأمون : المأمونة الشار ، وغير
 مِظْلَاع : من الظلم ، وهو العرج والفتى (٦) الولايات : جمع ولىة ، وهى الكساء
 يوضع تحت الرحل ، جل كل جزء ولىة فجمع ، وحصاء : شديدة الهبوب ، وزعزاع : ترعزع
 كل ما تعرضه ؛ يريد كأن أطراف ذلك الكساء على ربح الشمال من شدة سرعتها فى السير
 (٧) المقومة : المشوية ، وحارية منسوبة إلى الحيرة على غير قياس ، والأقطاع : الطنافس المشاة .
 توضع تحت الرحل على كنف البعير (٨) أى بدهر ذى خير وشر .

(٧) يوم سجيل

كان جعفر^(١) بن عُلبَةَ يزور نساء من بني عُقَيْل^(٢) بن كَعْب ، وكانوا متجاورين لهم وبنو الحارث^(٣) بن كعب ، فأخذته بنو عقيل ، وكشفوا عَوْرَتَهُ ، وربطوه إلى جُمْتِهِ ، وضربوه بالسياط وكَتَفُوهُ ، ثم أقبِلُوا به وأَدْبَرُوا ، على النَّسوة اللاتي كان يتحدَّث إليهن على تلك الحال لِيُغَيِّظُوهُنَّ ، وَيَفْضَحُوهُ عِنْدَهُنَّ ، فقال لهن : يا قوم ؛ لا تَفْعَلُوا ؛ فَإِنَّ هَذَا الْفِعْلَ مُثَلَّةٌ ، وَأَنَا أَحْلَفُ لَكُمْ بِمَا يُثَلِّجُ صُدُورَكُمْ ؛ أَلَّا أَزُورَ بَيْتَكُمْ أَبَدًا وَلَا أَلِجَهَا . فلم يقبلوا منه . قال : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ فَحَسْبُكُمْ مَا قَدْ مَضَى ، وَمُنُوا عَلَى الْكَفِّ عَنِّي ؛ فَإِنِّي أَعِدُّهُ نَعْمَةً لَكُمْ ، وَيدَأْ لَا أُكْفِرُهَا أَبَدًا ؛ أَوْ فَاقْتُلُونِي وَأَرْيَحُونِي فَأَكُونَ رَجُلًا آذَى قَوْمًا فِي دَارِهِمْ فَقْتُلُوهُ .

فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عَوْرَتَهُ بَيْنَ أَيْدِي النِّسَاءِ وَيَضْرِبُونَهُ ، وَيُرُونُ بِهِ سَفَهَاءَهُمْ ، حَتَّى شَفَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهُ ، ثُمَّ خَلَّوْا سَبِيلَهُ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ زَيْدٍ ، فَقَالَ يَتَوَجَّعُ لْجَعْفَرِ :

* ابْنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ (بطن في كهلان) على بني عقيل بن كعب (بطن في قيس) وسجيل موضع في ديار بني الحارث بن كعب . وهذا اليوم ، وإن اتصل بالإسلام ، إلا أننا وضعناه هنا ؛ لأنه لا يمت إلى الوقائع والحروب الإسلامية بصله ، ولذلك وضع في مجمع الأمثال في الأيام الجاهلية . معجم البلدان ص ٤٣ ج ٥ ، الأغاني ص ١٤١ ج ١١ ، معاهد التنصيص ص ٤٣ ج ١ ، شرح الحماسة للتبريزي ص ٥٦ ج ١

(١) جعفر بن علبَةَ بن ربيعة من بني الحارث بن كعب ، ينتهي نسبه إلى عبد يغوث الشاعر ، أسير يوم السلاب الثاني ، كنيته أبو عارم ، وعارم ابنه . وهو من مخضري الدولتين : الأموية والعباسية ، شاعر غزل فارس مذکور في قومه (٢) بنو عقيل : بطن من قيس (٣) بنو الحارث بن كعب : من كهلان .

أُباعِهمَ كَيْفَ اغْتَرَرْتَ وَلَمْ تَكُنْ تُفَرِّ إِذَا مَا كَانَ أَمْرٌ تُحَاذِرُهُ (١)
فَلَا صَلَحَ حَتَّى يَخْفِقَ السِّيفُ خَفَقَةً بَكَفٍّ فَيَجْرَتْ عَلَيْهِ جِرَارُهُ
ثُمَّ مَضَتْ أَيَّامٌ ، وَأَخَذَ جَعْفَرُ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَرَصَدَ الْمُقِيلِينَ حَتَّى ظَفَرَ
بِرَجُلٍ مِنْهُمْ كَانَ يَصْنَعُ بِهِ ذَلِكَ ، فَقَبِضُوا عَلَيْهِ ، وَفَعَلُوا بِهِ شَرًّا مِمَّا فَعَلَ بِجَعْفَرٍ ، ثُمَّ
أَطْلَقُوهُ ، فَرَجَعَ إِلَى الْحَيِّ ، فَأَنْذَرَهُمْ ، فَتَمِيمُهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ فَارَسًا مِنْ بَنِي عَقِيلٍ حَتَّى
لَحِقُوا بِهِمْ بِوَادِي سَحْبَلٍ ، فَقَاتَلَهُمْ جَعْفَرُ ، وَقَتَلَ فِيهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُقِيلِينَ إِلَّا
ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ ، وَعَمِدَ إِلَى الْقَتْلِ فَشَدَّهُمْ عَلَى الْجَمَالِ وَأَنْفَذَهُمْ مَعَ الثَّلَاثَةِ إِلَى قَوْمِهِمْ . وَقَالَ
جَعْفَرُ فِي ذَلِكَ :

وَسَائِلُهُ عِنَّا بَغِيْبٌ وَسَائِلُ بَمَصْدَقِنَا فِي الْحَرْبِ كَيْفَ تُقَاتِلُ
أَلْهَمَى بِقُرَى سَحْبَلٍ حِينَ أَحْلَبْتُ عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْمَدَوِّ الْمَبَاسِلُ (٢)
قَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا : صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سِلَاسِلُ (٣)
قَتَلْنَا لَهُمْ : تِلْكَمَ إِذَا بَعْدَ كَرَّةٍ تُغَادِرُ صَرَغَى نَوَاهَا مَتَخَاذِلُ (٤)
وَلَمْ نَذَرِ إِنْ جِضْنَا مِنَ الْمَوْتِ جِيْضَةً كَمَ الْعَمْرُ بَاقٍ وَالْمَدَى مُتَطَاوِلُ (٥)
إِذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَا زِقًا فَرَجَّتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ (٦)

(١) اغتررت: أثبتت على غفلة (٢) ألهمني: أصله ألهمي، والتلفظ: التوجع، وقرى: موضع بوادي سحبل، وأحلبت: أعانت، والولاي يريد بها العشائر والقبائل، والمباسلة: المصاولة في الحرب (٣) يقول: لانهم قالوا لنا: إما أن تصبروا على القتال فلنقاتلكم بالرمح، وإما أن تستأسروا فتأخذكم في السلاسل (٤) الإشارة إلى التخيير، والكرة: المرة من الكر، وتغادر: تترك والمفعول مخوف تقديره تغادركم، والنوء التهوض، يقول: فأجبنهم بأن ذلك الخيار بين هاتين لا يكون إلا بعد كرة عليكم تترككم مصروعين عاجزين عن التهوض (٥) يقال: جاض أى انحرف وعدل (٦) المأزق: مضيق الحرب، يقول: إذا استبقنا إلى مضيق في الحرب وسعته لنا سيوف مصقولة بأيماننا.

لهم صدرُ سيفي يوم بطحاء سَحْبِلٍ ١ ولى منه ما ضُمَّتْ عليه الأَنَامِلُ (١)
واستمدتْ بنو عُقَيْلٍ عليهم السرى بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر
النصور، فأرسل إلى عُلمبة بن ربيعة، والد جعفر، وأخذ بهم ثم حبسه، حتى
دفعهم وسائر من كان معهم إليه.

وكان ممن حبس مع جعفر في بني عُقَيْلٍ علي بن جُنْدب - وكان صديقه - والنضر
ابن مضارب؛ أما علي فإنه أفلت من الحبس وهرب، أما النضر فإنه استُقيِدَ منه
بِجَرَاخَةٍ، ولكن بقي جعفر في حبسه يقول الشعر، وكان مما قال:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُضْمِدُ ٢ جَنِبُ وَجْهِي بِمَكَّةَ مُوثِقُ (٢)
عَجِبْتُ لِمَسْرَاها وَأَنَّى تَخَلَّصْتُ ٣ إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مُعْتَقُ
أَلَمْتُ (٣) خَيْتٌ ثُمَّ قَامْتُ فَوَدَعْتُ ٤ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَحْشَعْتُ (٤) بَعْدَكُمْ ٥ لَشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزْدَهِيَا وَعَيْدُهُمْ ٥ وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقْتُ (٥)
وَلَكِنْ عَرَنْتَنِي مِنْ هَوَاكَ صَبَابَةٌ ٦ كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذَا أَنَا مُطْلَقُ
ثم إن جعفرا أخبر بأنه مقتول؛ فقال:

أَلَا لَا أَبَالِي بَعْدَ يَوْمٍ بِسَحْبِلٍ ٧ إِذَا لَمْ أَعْذَبْ أَنْ يَجِيءَ حَمَامِيَا
تَرَكْتُ بِأَعْلَى سَحْبِلٍ وَمَضِيْقِهِ ٨ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا

(١) يريد: أن للأعداء صدر سيفه يعمل فيهم، وفي يده مقبضه، ورواية اللسان: يوم صحراء
سحبيل. قال: وصحراء سحبيل: موضع (٢) هوى: مهوى، والركب: ركبان الإبل خاصة،
واليمانون: جمع يمان، وهو النسوب إلى اليمن، والمصد: البعد من الإصعاد وهو الإبعاد،
وجنب بمعنى مجنوب: مستتبع، والجئان: البدن (٣) ألت من الإلغام بمعنى الزيادة
(٤) تحشمت: تكلفت الجشوع (٥) يزدهيها: يستغفها. والأخرق: القليل الرقيق بالشيء.

شفيتُ به غَيْظِي وحربِ مواطني وكان شفاء آخرَ الدهرِ باقيا
أرادوا لِيَتَنُونِي فقلتُ تَجَنَّبُوا طريقَ فسالى حاجةً من وراثيا
فدى لِبَنِي عَمِّ أَجَابُوا لِلدَّعْوَى شَقُوا من بنى القُدعاءِ عَمِي وخاليا
كَأَنَّ الْعَقِيلِينَ يَوْمَ لَقِيَتَهُم فِرَاحُ قَطَا لَاقَيْنَ صَقْرًا يَمَانِيَا
تَرَكَنَاهُمْ صَرَغَى كَأَنَّ ضَحِيجَهُم ضَجِيجُ دُبَارَى النَّيْبِ لَاقَتْ مُدَاوِيَا
أَقُولُ - وَقَدْ أَجَلْتُ مِنَ الْقَوْمِ عِرْكَ - لِيَكِ الْعَقِيلِينَ مِنْ كَانَ بَاكِيا
فَإِنْ يَقْرَى سَحْبِلٌ لِأَمَارَةٍ وَنَصَحَ دِمَاءُ مِنْهُمْ وَحَايَا^(١)
وَلَمْ أَتْرِكْ لِي رِييَةً غَيْرَ أَنِّي وَدَدْتُ مَعَاذًا كَانَ فِيمَنْ أَتَانِيَا^(٢)
شَفِيتُ غَلِيلِي مِنْ خَشِينَةٍ بَعْدَمَا كَسَوْتُ الْهَذِيلَ الْمَشْرِفِي الْيَمَانِيَا^(٣)
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاطِرًا صَحَارَى نَجْدٍ وَالرِّيَاحِ الدَّوَارِيَا
وَلَا زَائِرًا شَمَّ الْعَرَانِينَ تَنْتَمِي إِلَى عَامِرٍ يَحْلُلُنْ رَمْلًا مُعَالِيَا
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْحَارِثِيَّاتِ فَأَنْتَمِي لَهُنَّ وَخَبْرُهُنَّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا
وَقَوْدَ قُلُوصِي يَنْهِنَنَّ فَإِنِّي سَتَبْرُدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيا
أَوْصِيكُمْ إِنْ مِتَّ يَوْمًا بِمَارِمٍ^(٤) لِيَفْنَى شَيْئًا أَوْ يَكُونَ مَكَانِيَا

ولما أخرج جعفر للقوق قال له غلام من قومه : أسقيك شربة من ماء بارد ؛
فقال له : اسكت ؛ لا أم لك ؛ إني إذا لمهيف^(٥) ، وانقطع شسع نعله ، فوقف
فأصلحه ، فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

(١) الحايي : آثار حيوم من الضعف (٢) أي وددت أن معاذًا كان أتاني معهم فأقتله
(٣) خشينة والهديل : اثنان من بني عقيل قتلها جعفر (٤) عارم : ابنه (٥) رجل ميوف
ومهيف : لا يصبر على المطش .

أشدَّ قَبالَ نعلِي أن يراني عَدُوِّي للحوادث مستكينا
ثم ضُرِبَتْ عنه .

ولما قُتِلَ قام نساء الحِي يبيكين عليه ، وقام أبوه ^(١) إلى كل ناقة وشاة فنحر
أولادها ، وألقاها بين يديها ، وقال : ابكين معنا على جعفر ، فما زالت النوق تنغو ،
والنساء يَصْحَنُ ويبيكين . وهو يبكي ممهناً فما رُئِيَ يوم كان أوجع ، ولا مأتماً
أكثر حزناً في العرب من يومئذ ^(٢) .

وهناك رواية أخرى أوردتها التبريزي في شرح الحماسة هذا نصها :

كانت بنو عقيل بن كعب وبنو الحارث بن كعب حالين بصَيْهَد ^(٣) ، وفي عشيّة
جاء فتّيانهم يلعبون ، وبرزت لهم فتيات ينظرن إليهم . فبصر رجل من بني الحارث
رجل من بني عقيل يُومِضُ بامرأة من قومه ؛ فأخذ رُمحاً وطعن به العقيلي في
رفيه ، فدَقَّ نابه ، وشقَّ لثته ، وحسب أن الرُمح قد بلغ منه فولّى . واستثار رجل
من العقيلين أخا العقيلي - واسمه عباس - ولكنه وثب وولّى هارباً ^(٤) . ووثب رجل
من بني عقيل فرمى الحارثي بسهم ؛ فجذَمَ ^(٥) صُلْبَهُ ومات .

(١) كان مما قاله أبوه في حبس ابنه :

لمعرك إن الليل يأم خالد	على وإن علتنى لطويل
أحاذر أنباء من القوم قد دنت	وأوبة أنقاض لهن دليل
لمعرك إن ابني غداة تقوده	عقل لناي الناصرين ذليل

(٢) هذه الرواية مأخوذة عن الأغاني ، ومعجم البلدان ، ومعاهد التنصيص ^(٣) صيهد : فلاة
لا ينال مأوها ، وموضع بين اليمن وحضرموت (٤) وفي هربه تقول امرأة من بني الحارث :
أشهد أن وعد الله حق وأشهد أن عباساً جبان

(٥) جذم : قطع .

وَعَقِلُ^(١) بنو عقيل لبني الحارث ، وبرى العقيل من طمئنته ، ومضى زمان ، ونسى الناس ذلك .

ثم نشأ نُسُ في بني الحارث عُيْرُوا بما فعلت بهم بنو عقيل ، وفي بني الحارث شابان مُتَرَفَّانِ متخالان : علي بن جُنْدُب ، وجعفر بن عُلبَة . ثم لقي بنو الحارث نفرًا من بني عقيل ، فقتل جعفر وعلي رجلا من بني عقيل اسمه خُشِينَة ، وضربا عُرْقُوبِي آخر ، وضربا ثالثا بين الشارب والأنف .

ولما فعلوا ذلك أتيا عُلبَة أبا جعفر ، فأخبراه الخبر ، وقالاه : ما ترى لنا ؟ أَنَهْرُبُ ؟ فقالا : لا تهربا ، ولكن اتيا صهرى محمد بن هشام ، وأنا لكما جار من أن يَصِيرَ كما من هذا شيء .

وأُبرِدَ^(٢) إلى ابن هشام بالكتاب أن علي بن جندب وجعفر بن عُلبَة قد أحداثا حدثا ؛ فما رأيك ؟ فكتب إليه : إني لهما جار فليأتيا .

وحذر بنو عقيل ابن هشام ، فاستمدوا الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب لهم إلى أمير نجران : أن خذ الحارثيين وإن قام بنو عقيل بينك ، فأقدهما ممن قتلاه ، وخذنهم بحقهم .

فلما لقوا التقى قال : لقد لحقا بصهرهما ابن هشام بمكة ، ولا أقدر عليهما ، وقد لحقا بمن هو علي ؛ فرجموا حتى أتوا هشاما ، فقالوا : حال محمد بن هشام بيننا وبين حقنا أن نأخذه من القوم وهم أصهاره ، فكتب هشام إلى محمد بن هشام : أن أعط القوم حقهم ، وأتق الله .

(١) عقل القتيل : وداه ، وعنه أدى جنايته ، وله دم فلان : ترك القود للدية (٢) أبرده : أرسله بريداً .

فلما جاء العقيليون طُلابُ الدم أخذ ابنُ هشام جعفرًا وعليًا وقيدَهما ، وقال للعقيلين : ائتوني بالبيّنة ، فقالوا : قَسامة^(١) ! كيف نأتى بالبيّنة ؟ وكيف نقيم من يشهد لنا ، وقد استودى^(٢) بدمائنا ، وتغنّى بها واعترف ؟ فقال : أمّا قتلاً فلستُ قاتلاً ، ولكنى عاقلٌ لكم ومُوفٍ نذر دمائكم وخيلكم .

فراجع القومُ الثالثة هشاما ، فكتب إليه : ألا تطيلُ دماء القوم ، وقد نطقت الأشعار واعترفوا على أنفسهم .

فكتب ابنُ هشام إلى هشام : أن رُدّهم إليّ إذا أتوك ، فإن بنى الحارث أصهارى أفضلُ دماءٍ منهم ؛ وإنى أحبّهم ، أرجو أن يأخذوا العقْل^(٣) .

فرجع العقيليون الرابعة حتى أتوا هشاما ، فلما أراد رُدّهم إليه قالوا : ليس ينصفنا ابنُ هشام ، ولا تُجاوزك أبداً ، فخذُ لنا أثنا رَنا^(٤) ؛ فقال لهم هشام : اكتب إليّ يعطيكم العقْل ؛ ويريضكم فقد تحرّز به صِهره ، فقال العقيليون : لا ، إلا أن يبرز لنا جعفر بنُ علبة فيرى الناس أنّا قدرنا على حقنا ، وأننا نترك عن قُدرة ؛ ثم نأخذ حينئذ منه العقْل .

فكتب لهم إلى ابن هشام بذلك ، وأخذ عليهم العهد أنكم تفونُ بذا ، وإنى أعطيكم العهد ، ففعل .

وقال العقيليون لرجل منهم لم يكن يعرف ، يقال له رَحمة : سرّ قريباً منا ، وادخل إذا دخلنا ، ولا تنزل حيث نزل ، ولا تنتسب عقيلياً ، فإذا ما برز الرجل فاضربْ عُنقه ، وانحس^(٥) بين الناس .

(١) القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء ويأخذونه ، أو يشهدون (٢) استودى : أقر واعترف (٣) العقْل : الدية (٤) جمع ثأر (٥) انحس : تأخر .

وأبرز ابن هشام جعفر بن عُلْبَة، عليه حُلَّتُهُ أَحْسَنُ النَّاسِ، وقد وضع على العقيليين
حَرَسًا أَنْ تَبْدُرَ مِنْهُمْ بَادِرَةٌ، وخاف غَدْرَهُمْ .
فلما برز أهدى إليه رَحْمَةً فقتله . فأخذ ابن هشام فحبسه وأبَسَهُ (١) وعذَّبه ،
وحبس العقيليين وقال : لَا غِيْظَنَّاكُمْ، وَكَانَ يَمْدُبُ رَحْمَةً . وَلَا يُطْعِمُهُ . فمات يوم الجمعة ؛
ولم تأت الجمعة أخرى حتى مات هشام بن عبد الملك، وقام الوليد بن يزيد ؛ فبعث يوسف
ابن عمر الثقفي ؛ فأخذ ابني هشام ؛ وعذَّبَهُمَا حَتَّى مَاتَا فِي عَذَابِهِ وَسِجْنِهِ .

(١) أبس الرجل : حقره وصغره به .

٣- أيام القحطانيين والعدنانيين

- ١- يوم طخفة
- ٢- يوم أواره الأول
- ٣- » » الثاني
- ٤- » السلان
- ٥- » خزاز
- ٦- » حجر
- ٧- » الكلاب الثاني
- ٨- » فيف الرياح
- ٩- » ظهر الدهناء

(١) يوم طخفة*

كانت الردافة بمنزلة الوزارة ، وكان الرديف يجلس على يمين الملك إذا جلس ، ويردّفه وراءه إذا ركب ، وإذا نزل جلس عن يمينه فتصرف إليه كأس الملك إذا شرب ، وله رُبْع غنيمة الملك من كل غزوة يغزو ، وله إتاوة على كل مَنْ في طاعة الملك .

وكانت ردافة ملوك الحيرة في بني يربوع^(١) ، وفي عهد الملك المنذر^(٢) بن ماء السماء كانت الردافة لعتّاب بن هَرَمي بن رَبَاح بن يربوع ، ولما مات نشأ له ابن يُقال له عَوْف بن عتّاب ، فقال حاجبُ بن زُرارة^(٣) للمنذر : إن الردافة لا تصلح لهذا الغلام لحدائته سنّه ، فاجعلها لرجل كهّل ، قال : ومن هو ؟ قال : الحارث بن يَببَةَ الجاشعي . ففدا الملك بني يربوع ، وقال لهم : إن الردافة كانت لعتّاب وقد هلك ، وابنه هذا لم يبلغ ؛ فأغقبوا إخوتكم من بني مجاشع^(٤) ؛ وإني أريد أن أجعلها للحارث بن يَببَةَ . فقالت بنو يربوع : إنه لا حاجة لإخوتنا فيها ؛ ولكن حسدونا مكاننا من الملك ؛ وعوف بن عتّاب -

* لبني يربوع على المنذر بن ماء السماء . وطخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة .

معجم البلدان ص ٣٢ ج ٦ ، العقد الفريد ص ٣٥٩ ج ٣ ، النقايس ص ٤٤٨ ، ٩٢٤ ، ٢٨٥
٦٦ ، الأغاني ص ١٧٦ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٦ ج ١

(١) يربوع : بطن في تميم ، وقيل : إن بني يربوع كانوا أكثر العرب إغارة على ملوك الحيرة ، فصالحهم على أن يجعلوا لهم الردافة ، ويكفوا الفارة عن أهل العراق (٢) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وفتحاً ، عاصر من ملوك الفرس قباد وابنه أنوشروان ، ومن قياصرة الروم الإمبراطور جستنيان ، ومن الفساسنة الحارث الأكبر المذكور في هذا اليوم ، وفي بعض الروايات هو صاحب يومى التميم والبؤس ، مات سنة ٥٦٣ هـ (٣) حاجب بن زُرارة بن عبد الله بن دارم التميمي ، أحد الذين أوفدم النعمان على كسرى ، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى ووفى بهنّه ، وبهسا ضرب المثل ، وسارت الأشعار (٤) مجاشع : بطن في تميم .

على حَدَاثَةِ سَنَةٍ - أُخْرِى بِالرَّدَاةِ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ يَبْنَةَ ، وَلَنْ نَفْعَلَ وَلَنْ نَدْعَهَا . قَالَ :
فَإِنْ لَمْ تَدْعُوهَا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ ؛ قَالُوا : دَعْنَا نَسِرَّ عَنْكَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ آذَنَّا بِحَرْبٍ
وَسَارَتْ بَنُو يَرْبُوعَ ذَاهِبَةً عَنِ الْمَلِكِ ، وَمَعَهَا بَرَجَةٌ مِنَ الْبَرَاجِمِ ^(١) حَتَّى نَزَلُوا
شِعْبًا بِطِخْفَةٍ ؛ وَدَخَلُوا فِيهِ هُم وَعِيَالُهُمْ ؛ فَجَعَلُوا الْعِيَالَ فِي أَعْلَاهُ ؛ وَالْمَالَ فِي أَسْفَلِهِ ،
وَهُوَ شِعْبٌ حَصِينٌ لَهُ مَدْخَلٌ كَالْبَابِ ؛ وَلَمَّا مَضَى ثَلَاثُ أَرْسَلِ الْمَلِكُ قَابُوسَ ابْنِهِ وَحَسَّانَا
أَخَاهُ ، فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ مِنْ أَفْنَاءِ ^(٢) النَّاسِ ، وَاحْتَبَسَ عِنْدَهُ شِهَابُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ
الْيَرْبُوعِيَّ وَحَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، فَلَمَّا مَضَى لِلجَيْشِ ثَلَاثُ دَعَا هُمَا الْمَلِكُ - وَكَانَتْ الْمُلُوكُ
تُعْطَى الْعَرَبَ عَلَى حُسْنِ ظَنُونِهِمْ ، وَالْكَلَامَ الْحَسَنَ تَسْتَقْبِلُ بِهِ الْمُلُوكُ - فَقَالَ لِحَاجِبٍ :
يَا حَاجِبُ ؛ قَدْ سَهَرْتُ اللَّيْلَةَ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ لِتُحَدِّثَنِي أَنْتَ وَشِهَابُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا ظَنُّكَ
بِالجَيْشِ يَا حَاجِبُ ؟ فَقَالَ حَاجِبُ : ظَنِّي أَنَّكَ قَدْ أَرْسَلْتَ جَيْشًا لَا طَاقَةَ لِبَنِي يَرْبُوعَ بِهِ ،
وَسَيَاتُونُكَ بِهِمْ وَبَأَمْوَالِهِمْ ظَافِرِينَ .

ثُمَّ التَفَتَ النَّذِيرُ إِلَى شِهَابٍ وَقَالَ : وَمَا ظَنُّكَ أَنْتَ يَا شِهَابُ ؟ فَقَالَ : أَرْسَلْتُ جَيْشًا مُخْتَلَفَ
الْأَهْوَاءِ - وَإِنْ كَثُرُوا - إِلَى قَوْمٍ عِنْدَ نِسَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، يَدُهُمْ وَاحِدَةٌ ، وَهَوَاهُمْ وَاحِدٌ ،
يَقَاتِلُونَ فَيَصْدُقُونَ ، وَظَنِّي أَنَّ سَوْفَ يَظْفَرُونَ بِجَيْشِكَ ، وَيَأْسِرُونَ ابْنَكَ وَأَخَاكَ ؛
فَقَالَ حَاجِبُ : كَذَبْتَ ؛ أَنْتَ قَدْ أَهْتَرْتَ ^(٣) . فَقَالَ شِهَابُ : أَنْتَ أَكْذَبُ ،
ثُمَّ تَرَاهُنْ هُوَ وَحَاجِبُ عَلَى مَائَةٍ لِمَائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَكَانَ لِشِهَابِ رِيٌّ ^(٤) مِنَ الْجَنِّ ،
فَقَامَ مُغْضِبًا وَأَتَى مُضْجَعَهُ ، وَاتَّبَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ :

(١) البراجم : خمسة رجال من بني تميم اجتمعوا وقالوا نحن براجم الكف ، فقلب عليهم ، وهم
قيس وعمرو وغالب وكلفة والظلم بنو حنظلة بن مالك (٢) أفناء الناس : أخلاطهم ، والواحد
فنو (٣) أهتر : خرف (٤) الرئي : الجنى في زعم العرب ؛

أنا بشير نفسيه نَفَرْتُ حاجباً مِيه^(١)

وردَّدها مراراً ، فسمعها الملك فقال لحاجب : ما يقول هذا ؟ قال : ^(٢)يهجير ، قال : لا والله ما أهجر ، ولكن جيشك قد هُزم ، وأسرَ ابنك وأخوك ، وآية ذلك أن يُصَبِّحَكَ رَاكِبٌ بِمِير ، جاعلاً أعلى رِجْله أسفله يُخْبِرُكَ بذلك .

أما جيشُ قابوس فإنه كان قد انطلق حتى أتى الشعب فدخل الجيش فيه ، حتى إذا كانوا في مَضَايقِهِ حَمَلَتْ عَلَيْهِمُ بَنُو يَرْبُوعِ النِّعَمَ ، وخرجت الفرسان من شِعَابِهِ ، فقمقموا بالسلح للنعم فدَّعَرها ذلك ، وحمل على الجيش فردُّوا وجوههم ، واتَّبعَتْهُمْ خِيَلُ بَنِي يَرْبُوعٍ تَقْتُلُ وَتَطْعَنُ . ثم انهزم قابوس ومن معه ، وضرب طارقُ بْنُ دَيْسَقٍ فَرَسَ قابوس فعفره وأسرهُ ، وأراد أن يَجْزِيَ نَاصِيَتَهُ ، فقال : إن الملوك لا تُجْزَى نَوَاصِيَهُمْ ، فأرسله ؛ وأما حَسَّانُ فأسره عمرو بن جوين ، وهُزِمَ الجيش ، وأخذت الأنهاب .

ثم صَبَحَ الملك - تلك الغدَاة التي قال في ليلتها شهاب ما قال - رجلٌ انهزم من أول الجيش على بمير ، فأخبره ما قال شهاب له لم يَخْرِمَ مِنْهُ شَيْئاً .

فدعا المنذرُ شهاباً فقال له : يا شهاب ؛ أَدْرِكْ ابْنِي وَأَخِي ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُمَا حَيَّيْنِ فَلْبَنِي يَرْبُوعِ حَكْمُهُمْ ، وَأَرُدُّ عَلَيْهِمْ رِدَائَتَهُمْ ، وَأُهْدِرُ عَنْهُمْ مَا قَتَلُوا ، وَأَهْنُتُهُمْ مَا غَنَمُوا ، وَأَحْمِلُ^(٣) لَهُمْ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ فَأَعْطِيَهُمْ بِهَا أَلْفَى بِمِير .

فخرج شهاب فوجد الرجلين حيَّيْنِ ، فضمن لهم ما قال المنذر فرفضوا ، وعادت الرِّدَاةُ إِلَى ابْنِ عَتَابٍ ، ولم تزل لهم حتى مات المنذر .

(١) يريد أنه قد استحق المائة من الإبل التي تراهنا عليها (٢) أهجر في منطقه : آتى بالقيح من الكلام (٣) احتمل الدية .

وفي تلك الموقعة قال شريح بن حارث اليربوعي :

وكنْتُ إذا ما بابُ ملكٍ قرعته قرعت بآباءِ أولي شرفٍ ضخم
بأبناء يربوعٍ وكان أبوم إلى الشرف الأعلى بآبائه ينمي
هم ملكوا أملاك آل مُحَرِّق وزادوا أبا قابوسَ رغماً على رغم
وقادوا بكرهٍ من شهابٍ وحاجبٍ رءوسَ معدٍ بالأزمة والخطم
علاً جدُّهم جدُّ الملوك فأطلقوا بطخفة أبناء الملوك على الحكم
وكنا إذا قوم رميناً صفاتهم تركنا صدوعاً بالصفاة التي نرعى
وزعى حى الأقوام غير محرم علينا ولا يرعى حمانا الذي نحصى

وقال متمم بن نويرة :

ونحن عقرنا مهرَ قابوس بعد ما رأى القوم منه الموت والخيال تلعب^(١)
عليه دلاص^(٢) ذات نسجٍ وسيفه جُراز^(٣) من الهندي^(٤) أبيض مقضب

وقال عمرو بن حوط بن سلمى بن هرم بن رباح :

قسطننا يوم طخفة غير شك على قابوس إذ كره الصباح
لعمرو أهلك والأبناء تنمى لنعم الحى فى الجلى رباح
أبوا دين الملوك فهم لقاح^(٥) إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا
فا قوم كقومى حين يعلو شهاب الحرب تسعره الرماح

(١) تلعب : تلتهب (٢) الدلاص : من الدروع : اللينة (٣) الجراز من السيوف :
الماضى النافذ (٤) فى القناص : الجنى ، والجنى : بالكسر والضم : من أجود الحديد
(٥) اللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحدها لقوح ولقحة .

فيا قوم كقومي حين يُحْشَى على الخلود المخذرة الفضاخ
أذب عن الحفائظ في معدن إذا ما جد بالقوم النطاح^(١)
كانهم لو وقع البيض بزل^(٢) تفض الطرف واردة قحاح^(٣)
صبرنا نكسر الأسلات^(٤) فيهم فرحنا قاهرين لهم وراحوا
ورحنا تحقق الرايات فينا وأبنا والملوك لهم أحاح^(٥)

(١) المراد الحرب (٢) بزل البعير : انشق نابه فهو بازل ذكرأ كان أو أتى وذلك في السنة التاسعة ، وربما في السنة الثامنة . والبزل أيضاً : العنز (٣) القامح من الإبل : الذي اشتد عطشه حتى قتر لذلك فوراً شديداً (٤) الأسلة : طرف السنان ، وأسلة التصل : مستدقه ، أو هي الرماح فقد جمع الفرزدق الأسل (الرماح) أسلات فقال :

قد مات في أسلاتنا أو عضه غضب بروتقه الملوك تقتل
أى في رماحنا (٥) في صدره أحاح وأحيحة من الضغن والغيظ .

(٢) يوم أوارَة الأول*

أُخْرِجَتْ تَغْلِبُ سَلَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ^(١) مِنْ بَيْنِهَا بَعْدَ يَوْمِ السِّكْلَابِ الْأَوَّلِ ، فَالْتَجَأَ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَلَحِقَتْ تَغْلِبُ بِالْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ ، فَلَمَّا صَارَ سَلَمَةُ عِنْدَ بَكْرِ أَدْعَنْتَ لَهُ وَحْشَدَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : لَا يَمْلِكُنَا غَيْرُكَ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمُنْذِرَ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَأَبَاوْا ذَلِكَ ، فَحَلَفَ الْمُنْذِرُ لِبَسِيرِنَ الْإِيهِم ، فَإِنْ ظَفَرَ بِهِمْ فَلْيَذْبَحْهُمْ عَلَى قَلْعَةِ جَبَلِ أَوَارَةِ . حَتَّى يَبْلُغَ الدَّمُ الْحَضِيضَ .

وَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي جَمْعِهِ ، فَالْتَقَوْا بِأَوَارَةِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْهَزَمَتْ بَكْرٌ ، وَأَسْرَ يَزِيدُ بْنُ شُرْحَبِيلَ الْكِنْدِيُّ ، فَأَمَرَ الْمُنْذِرُ بِهِ فَقُتِلَ ، وَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ بَشَرٌ كَثِيرٌ .

وَأَسْرَ الْمُنْذِرُ مِنْ بَكْرِ أَسْرَى كَثِيرَةً ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَذُبُّوا عَلَى جَبَلِ أَوَارَةِ . فَجَعَلَ الدَّمُ يَجْمَدُ ؛ فَقِيلَ لَهُ : أَيَّتَ اللَّعْنِ ! لَوْ ذَبَحْتَ كُلَّ بَكْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لَمْ تَبْلُغَ دِمَاؤُهُمُ الْحَضِيضَ^(٢) ، وَلَكِنْ لَوْ صَبَبْتَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ! فَقَعَلَ فَسَالَ الدَّمُ إِلَى الْحَضِيضِ ، وَأَمَرَ بِالنِّسَاءِ أَنْ يُحْرِقْنَ بِالنَّارِ . وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مَنَاقِعًا إِلَى الْمُنْذِرِ ، فَكَأَمَّهُ فِي سَنَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، فَأُطْلِقَهُنَّ الْمُنْذِرُ ؛ فَقَالَ الْأَعَشَى يَفْتَخِرُ بِشَفَاعَةِ الْقَيْسِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ فِي بَكْرِ :

وَمِمَّا الَّذِي أَعْطَاهُ بِالْجَمْعِ رَبُّهُ عَلَى فَاقَةِ وَلِلْمُلُوكِ هِبَاتُهَا

سِبَايَا بَنِي شَيْبَانَ يَوْمَ أَوَارَةِ عَلَى النَّارِ إِذْ تَجَلَّى بِهِ فَتْيَانُهَا

* لِلْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ عَلَى بَكْرِ . وَأَوَارَةُ : اسْمُ جَبَلٍ لَبْنِي تَقِيمَ .

ابْنُ الْأَثِيرِ ج ١ ص ٣٣٤ ، الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ لَجُورَجِيِّ زَيْدَانَ ص ٢٠٦

(١) هُوَ سَلَمَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو ، وَكَانَ أَبُوهُ الْحَارِثُ مُلْكًا مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ ، مُلْكٌ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا مَاتَ فَرَّقَ بَنِيهِ فِي قِبَالَتِ مَعَدٍ ، فَكَانَ سَلَمَةُ وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ عَلَى بَنِي تَغْلِبَ وَالثَّمَرِ بْنِ قَاسِطٍ وَبَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ بْنِ تَقِيمَ (٢) الْحَضِيضُ : قَرَارُ الْأَرْضِ عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ ، وَقِيلَ : هُوَ فِي أَسْفَلِهِ .

(٣) يوم أواره الثاني *

— ١ —

كان عمرو بن المنذر^(١) قد عاقد طيئاً ألا ينزعوا ولا يفزعوا ولا يفاخروا ، ثم غزا عمرو اليمامة ، فرجع منفضاً ؛ فرّ بطيئاً ، فقال له زُرارة بن عدس : أبيت اللعن ، أصب من هذا الحى شيئاً . قال : ويلك ! إن لهم عقداً . قال : وإن كنن ؛ فإنك لم تكتب العقد لهم كلهم . فلم يزل به حتى أصاب نسوةً وأذواداً . فقال في ذلك قيس بن جرّوة الطائي :

ألا حتى قبل البين من أنت عاشقه	ومن أنت مُشتاقٌ إليه وشائقه
ومن لا تُؤاني داره غير فينة ^(٢)	ومن أنت تبكي كل يوم تفارقة
وتعدو بصحراء الثوية ^(٣) ناقي	كعدو النحوص قد أخت نواهقه ^(٤)
إلى الملك الخير ابن هند تزوره	وليس من الفتى الذي هو سابقه ^(٥)
وإن نساء غير ما قال قائل	غنيمة سوء بينهن مهارقة ^(٦)

* لعمرو بن هند على بني تميم . وأواره : اسم جبل لبني تميم .

معجم البلدان ص ٣٦٤ ج ١ ، ابن الأنبر ص ٣٣٤ ج ١ ، النقاظ ص ٦٥٢ ، ١٠٨١ ، أمثال الميداني ص ٢٦٦ ج ١

(١) عمرو بن هند : هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ، ويعرف باسم أمه هند بنت عمة امرئ القيس الشاعر ، وكان شديد البأس وافر البطش عظيم الكبرياء ، مات مقتولاً بسيف عمرو ابن كلثوم سنة ٥٧٨ م (٢) أي لا تأتي داره إلا ساعة (٣) الثوية : موضع قريب من الكوفة (٤) النحوص : الأتان الوحشية ، وأخت : صار لها منخ ، والنواهي : عظام في الساق والمراد أنها صمينة (٥) أي ليس هذا عند ابن هند مما يفوت عارفاً ويسبقه (٦) المهارق : الصعائف ، وهو حرير يسقى صمغاً ، ويصقل ثم يكتب فيه .

ولو نِيلَ فِي عَهْدٍ لَنَا لِحْمِ أَرْنَبٍ رَدَدْنَا وَهَذَا الْعَهْدُ أَنْتَ مُعَالَفُهُ (١)
فَهَبَكَ ابْنُ هَنْدٍ لَمْ تُعْمَقْ مَلَامَةٌ وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا عَهْدُهُ وَمَوَاقِفُهُ
وَكُنَّا أَنْاسًا خَافِضِينَ بِنِعْمَةٍ يَسِيلُ بِنَا تَلْعُ الْمَلَأَ وَأَبَارِقُهُ (٢)
فَاقْسَمْتُ لَا أُحْتَلُّ إِلَّا بِصَهْوَةٍ حَرَامٌ عَلَيْنَا رَمْلُهُ وَشَقَائِقُهُ (٣)
أَكَلْتُ خَمِيسٍ أَخْطَأَ الْغَنَمَ مَرَّةً وَصَادَفَ حَيًّا دَائِثًا فَهُوَ سَائِقُهُ (٤)
فَاقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِيَّ وَمَا خَبٌّ فِي بَطْحَايِ بْنِ دَرَادِقِهِ (٥)
لَنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ فَعَلْتُمْ لِأَنْتَحِينَ الْعَظْمَ ذُو أَنَا عَارِقُهُ (٦)
فَبَلَغَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ هَذَا الشَّعْرَ ، فَقَالَ لَهُ زُرَّارَةُ بْنُ عَدِسٍ : أَيُّتَ اللَّعْنِ ! إِنَّهُ
ابْتَوَعَدَكَ . فَقَالَ عَمْرُو بْنُ شُعَاثِ الطَّائِي : أَيُّهَجُونِي ابْنُ عَمِّكَ (٧) وَيَتَوَعَّدُنِي ؟ قَالَ :
لَا ، وَاللَّهِ مَا هِجَاكَ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ جَارَكُمْ مَا أَنْ كَسَاكُمْ غُصَّةً وَهَوَانًا
وَسِلَاسِلًا يَبْرُقُنْ فِي أَعْنَاقِكُمْ وَإِذَا لَقِطَّعَ تَلَكُمُ الْأَقْرَانَا (٨)
وَلَكِنْ عَادَتَهُ عَلَى جِيرَانِهِ ذَهَبًا وَرَيْطًا رَادِعًا (٩) وَجَفَانَا
وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ تَذْهَبَ سَخِيمَتُهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَتْلَنَّهُ ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَارِفًا فَقَالَ :

(١) معالقه : متعلق به (٢) التلع : جمع تلعة ، وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض (من الأضداد) ، والأبارق : جمع أبرق وهي أرض مختلطة بحجارة ورمل (٣) صهوة كل شيء : أعلاه ، والشقائق : قطع غلاظ بين جبال الرمل واحدها شقيقة (٤) دائئًا : مطيعًا ، والخميس : الجيش (٥) الدرادي : صغار الإبل ، ومني : موضع بمكة (٦) ذو بمعنى الذي وهي لغة طيء ، وعرق العظم : أنزع منه اللحم ، وسمي الشاعر عارقاً لهذا البيت (٧) هو ابن عم قيس بن جروة (٨) الأقربان : الحبال (٩) يقال قيس رادع إذا كان مصبوغاً بالزعفران .

من مُبْلَغٌ عمرو بن هند رسالة إذا استحققتها العيس تنفضي من البعد (١)
 أيوعدني والزمل بيني وبينه تأمل رويداً ما أمانة من هند
 ومن أجلاً حولي رعان كائها قنابل خيل من كميته ومن وردي (٢)
 غدرت بأمر كنت أنت دعوتنا إليه ، وبئس الشيمة الغدر بالمهد (٣)
 فبلغ عمرو شعره ، ففزا طيئاً ، وأمر من بني عدي (٤) سبعين رجلاً ، وفيهم قيس بن
 جحدر ابن خالة حاتم الطائي ، وحاتم يومئذ بالحيرة ، فلما قدم جعلت المرأة تأتبه
 بالصبي ، فتقول : يا حاتم أسير أبو هذا ؛ فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى عمرو بن
 هند - وكذلك كان يصنع - فوهمهم له إلا قيس بن جحدر ؛ لأنه كان من رهط
 عارق ؛ فقال حاتم :

فككت عدياً كلها من إسارها فأنعم وشفعتني بقيس بن جحدر
 أبوه أبي ، والأمهات أمهاتنا فأنعم فذلك اليوم نفسى ومعشرى
 فقال : هولاك يا حاتم .

وقد كان المنذر بن ماء السماء - أبو عمرو بن هند - وضع ابناً (٥) له يقال له مالك عند
 زرارة بن عدس - وكان أصغر بني المنذر - فبلغ حتى صار رجلاً ؛ وإنه خرج ذات يوم
 بتصيد ، فأخفق فرأى يابل لسويد بن ربيعة الدارمي - وهو زوج بنت زرارة قد ولدت
 له سبعة غلمة ، فأمر مالك ببيكرة منها فنحرها ، ثم اشتوى ، وسويد نائم ،

(١) أى إذا حملها الإبل هزلت لبعده السافة (٢) الرعان : جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل
 والقنابل : الجماعات من الجبل ، وأجاً : جبل طيء (٣) بروى : كنت احتديتنا ، واحتدى من
 الحدبو وهو السوق (٤) رهط/حاتم الطائي (٥) فى رواية : أخته له .

فلما انتبه سُويِدَ شدَّ على مالك بعضاً - ولم يعرفه فأَمَّه^(١) ومات ؛ فخرج سُويِد هارباً حتى لحق بمكة ، وعلم أنه لا يأمنُ ، فحالف بني نوفل بن عبد مناف ، واختطَّ بمكة^(٢) . ثم ملك عمرو بن هند - وعلم بذلك - فزاهم ، وكانت طيِّ تطلب عَرَات زُرارة وبنى أبيه ، حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك^(٣) ، فأنشأ عمرو بن مِلْقَط الطائي يقول :

من مبلغُ عمراً بأنَّ المرءَ لم يُخلَقْ صُبَّارَةً^(٤)

وحادثُ الأيامِ لا يَبْقَى لها إلا الحِجَارَةُ

ها إنَّ عَجْزَةَ أُمِّهِ بالسَّفْحِ أُسْفِلَ من أَوَارِهِ^(٥)

تَسْفِي الرِّيحُ خِلَالَ كَشِّ حَيْهِ وقد سَلَبُوا إِزَارَهُ

فأَقْتُلْ زُرَّارَةَ لا أرى في القومِ أوفى من زُرَّارَةٍ^(٦)

فلما بلغ عمرو بن هند هذا الشعر بكى وفاضت عيناه ؛ وبلغ زُرارة الخبر ، فهرب ، وركب عمرو في طلبه ، فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته ، وهي حُبْلَى - فقال : أَذْكَرُ في بَطْنِكَ أمْ أُنْثَى ؟ قالت : لا عِلْمَ لي بذلك ، قال : ما فعل زُرارة الغادرُ الفاجر ؟ قالت : إن كان ما عمت لطيبُ العَرَقِ ، سمينُ المَرَقِ ، لا ينام ليلةً يخاف ، ولا يشبع ليلةً يُضَاف ؛ فبقِرَ بطنُها وانصرف .

فقال قومُ زُرارة له : والله ما أنتَ قتلْتَ أخاه ، فأَتِ الملكَ فاصدُقْهُ ، فإن الصَّدَقَ يَنْفَعُ عنده ؛ فأَتاه زُرارة فأخبره الخبر ، فقال : فجنني بسويد . قال : قد لحق بمكة . قال : فعكَّيْ بِنْتِيهِ . فَأَتَى بِنْتِيهِ السبعة من ابنة زُرارة ، وهم غِلْمَةٌ بعضهم فوق بعض ،

(١) أمه : قصده (٢) اختط بمكة : استملك فيها (٣) سبق أن ذكر أنه ابنه

(٤) الصبارة : الحجارة اللس ، كأنه يقول : ليس الإنسان بحجر فيصبر على مثل هذا

(٥) أول وله المرأة يقال له زكمة ، والآخر عجرة (٦) الأبيات في لسان العرب مادة صبر .

فأمر بقتلهم، فتناولوا أحدهم وضربوا عنقه، فتعلق الآخرون بزُرارة، فقال زُرارة :
يَا بَعْضِي سَرِّحْ بَعْضاً^(١)، ثم قَتَلُوا، وآلَى عمرو بآلِيسَةَ لِيُحْرِقَنَّ مِنْ بَنِي دَارِمِ^(٢)
مائة رجل.

وخرج يريدهم، وبعث على مُقَدَّمَتِهِ عمرو بن مَلِيقَط الطائي، فوجد القوم قد
نَدَرُوا به، فأخذ ثمانية وتسعين منهم بأسفل أُورارة من ناحية البحرين. ولحقه عمرو
ابن هند في الناس، حتى انتهى إلى أُورارة؛ فضرب به قُبَّتَهُ، وأمر لهم بِأَخْذِ دُودٍ،
فخَذُّ لَهُمْ، ثم أضرَم ناراً؛ فلما تَلَطَّتْ واحتدمت قذف بهم فيها فاحترقوا^(٣).

وأقبل راكب عند المساء من بني كُلْفَةَ بن مالك بن حنظلة من البراجم^(٤)، لا يعلم
بشيء مما كان، يُوضِعُ^(٥) بَعِيرَهُ، فأناخ، وأقبل يَعدُّو، فقال له عمرو: ما جاء بك؟
قال: حبُّ الطعام؛ قد أَقْوَيْتُ^(٦) ثلاثاً، لم أَذُق طعاماً؛ فلما سطع الدخان ظَنَنْتُ
أنه دخانُ طعام. فقال عمرو: ممن أنت؟ قال: من البراجم، فقال عمرو: إن
الشقيَّ وافدُ البراجم^(٧)، وري به في النار^(٨).

(١) ذهب مثلاً (٢) دارم: بطن في تميم (٣) ومن هذا سميت العرب عمرو بن هند محرقاتاً
(٤) البراجم: خمسة رجال من بني تميم: قيس وعمرو وغالب وكلفة وطليم بنو حنظلة بن مالك
ابن زيد مناة بن تميم. اجتمعوا وقالوا: نحن كبراجم الكف فقلب عليهم، والبراجم: رؤوس
السلاميات من ظهر الكف إذا قبض الشخص كفه يبرزت وارتفعت؛ الواحدة: برجة
(٥) أوضع المرء بعيده: إذا جعله يسرع في سيره (٦) أقوى الرجل: نفد طعامه
(٧) ذهب مثلاً (٨) هجت العرب بذلك تيمناً فقال ابن الصق: بآية ما يحبون الطعام

ألا أبلغُ لَدَيْكَ بني تميم
وقال أبو مهبوش الفقعسي:

إذا ما مات ميت من تميم	فسرك أن يعيش فجىء بزاز
بجنز أو بلحم؛ أو بتمر	أو الشيء الملقف في البجاد
تراه ينقب الآفاق حولاً	ليأكل رأس لقمان بن عاد

وأقام عمرو ولا يرى أحداً ، فقيل له : أبيت اللعن ! لو تحملتَ بامرأةٍ منهم ،
 فقد أحرقتَ تسعة وتسعين ؛ فدعا بامرأة من بني نهشل بن دارم ، فقال : من أنتِ ؟
 قالت : أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر . قال : إني لأظنك أعجمية . قالت : ما أنا
 بأعجمية ، ولا ولدني الأعاجم :

إني لبنتُ ضمرَةَ بن جابرٍ ساد معداً كبيراً عن كبيرٍ
 إني لأختُ ضمرَةَ بن ضمرَةَ إذا البلادُ لَقَعَتْ بِجمرِهِ

قال : فمن زوجك ؟ قالت : هوذة بن جروول . قال : وأين هو الآن ؟ أمتعرفين
 مكانه ؟ قالت : هذه كلمة أحق ، لو كنتُ أعرفُ مكانه حال بينك وبينى . قال :
 وأى رجل هو ؟ قالت : هذه أحق من الأولى ! أعن هوذة يسأل ! قال عمرو :
 أما والله لو لا مخافةُ أن تلدى مثلك لصرفتُ النارَ عنك ، قالت : والذي أسأله أن
 يضع وسادك ، ويخفيض عمادك ، ويصغر حصانك ، ويسلب بلادك ، ما قتلت إلا
 نسيّاً^(١) أعلاها تُدِي ، وأسفلها حُلِي . ووالله ما أدركت ثأراً ولا محوت عاراً ، وليس
 من فعلت هذا به ، بغافل عنك .

قال : اقدفوا بها في النار ، فالتفتت فقالت : ألا فتى مكان العجوز^(٢) ! فلما
 أبطئوا عليها قالت : كأن الفتیان حمماً^(٣) ، وقد قُذِفَ بها في النار فاحترقت ،
 فقال لقيط بن زُرارة يُعَيِّرُ بنى مالك بن حنظلة بإحراق عمرو وإياهم :

أمن دِمنةً أَفقرتُ بالجنابِ إلى السَّفحِ بين المَلأِ فالهَضابِ^(٤)
 بكيت لِعِزِّ فانِ آياتِها وهاج لك الشوقُ نَعْبُ الغُرابِ

(١) تصغير نسوة : نسية أو هي بالفتح وهو الذى لا يعد فى القوم لأنه منسى (٢) فى أمثال
 الميدانى : مكان عجوز ، فذهبت مثلاً (٣) يروى : هيات صارت الفتیان حمماً ، وقد ذهبت مثلاً
 (٤) الجناب والملا والهضاب : مواضع .

فَأَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي مَالِكٍ مُعْلَمَةٌ^(١) وَسَرَاةَ الرَّبَابِ
فَإِنْ أَمْرًا أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَحْقُونُ قُبَّتَهُ بِالْقِيَابِ
يُهَيِّفُ سَرَائِكُمْ عَابِدًا وَيَقْتُلُكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ
فَلَوْ كُنْتُمْ إِلَّا أَمْلَحَتْ^(٢) لَقَدْ نَزَعَتْ لِلْيَاهِ الْمِذَابِ
وَلَكُنْتُمْ غَنَمٌ تُصْطَفَى وَيُتْرَكُ سَائِرُهَا لِلذُّنَابِ
لِعَمْرِ أَيْبِكَ أَبِي الْخَيْرِ مَا أُرِدْتَ بِقَتْلِهِمْ مِنْ صَوَابِ
وَلَا نِعْمَةً إِنْ خَيْرَ الْمَوِ لِكَ أَفْضَلِهِمْ نِعْمَةً فِي الرَّقَابِ^(٣)

ولما ظهرت براءة زُرارة عند ابن النذر ، وجن عليه الليل اجلوز^(٤) ، فلحق
بقومه ، ثم لم يلبث أن مريض .

ولما حضرته الوفاة قال : يا حاجب ؛ إليك غِلْمَتِي فِي بَنِي نَهْشَل ، ويا عمرو بن
عَمْرٍو ؛ إليك عمرو بن مِلْقَطِ الطَّائِي ؛ فإنه حَرَضَ عَلَى الْمَلِكِ . فقال عمرو : لقد
أَسْنَدْتَ إِلَيَّ يَا عَمَّاهُ أَبْعَدَهَا شَقَّةً وَأَشَدَّهَا شَوْكَةً .

فلما مات زُرارة هَيَّأَ عمرو بن عمرو فِي جَمْعٍ ، ثُمَّ غَزَا طَيْئًا^(٥) فَأَصَابَ الطَّرِيفَيْنِ
طَرِيفَ بَنِي مَالِكٍ ، وَطَرِيفَ بَنِي عَمْرٍو ، وَأَفْلَتَهُ الْمَلَّاقُطُ ، فَقَالَ عُلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِةٍ فِي ذَلِكَ :
وَنَحْنُ جَلْبَنًا مِنْ ضَرِيَّةِ خَيْلِنَا نَجْنِبُهَا حَدَّ الْإِكَامِ قَطَا طَيًّا^(٦)
أَصْبَنَ الطَّرِيفَ وَالطَّرِيفَ بَنِي مَالِكٍ وَكَانَ شِفَاءً لَوْ أَصْبَنَ الْمَلَّاقُطَا
إِذَا عَلِمُوا مَا قَدَّمُوا لِنَفْسِهِمْ مِنَ الشَّرِّ ، وَإِنْ الشَّرُّ مَرُّوْ أَرَاهُطَا

(١) المفلطة : الرسالة المحمودة من بلد إلى بلد (٢) أملت : وردت ماء ملحا (٣) ولما أراد
بذلك بني مالك بن حنظلة لأنهم كانوا يخدمون عمرو بن هند والملوك (٤) اجلوز : أسرع
(٥) هذا هو يوم طيء ، راجع التفاضل ص ٤٥ (٦) في اللسان : تكلفها حد الإكام . قال
أبو عمرو : أي تكلفها أن تقطع حد الإكام فتقطعها بجوافرها ، قال : وواحد القطائط قطوط .
وقال غيره : قطائطاً : رعلا وجماعات في تفرقة .

(٤) يوم السلان *

كان بنو عامر بن صعصعة قوماً مُحَسَّسًا^(١) لِقَاحًا^(٢) ، فلما ملك النعمان^(٣) بن المنذر كان يجهز كل عام لطيمة^(٤) لتباع بُسْكَاط ، فتمرّض لها بنو عامر يوماً ؛ فغضب لذلك النعمان ، وبعث إلى وبرة الكلبي ، أخيه لأمه ، وبعث إلى صنائمه^(٥) وَوَضَائِمِهِ^(٦) ، وأرسل إلى بني ضبّة بن أد وغيرهم من الرّباب وتميم ، فأجابوه ، وأتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيهِ كلهم فوارس ، ومعه حبش بن ذلف - وكان فارساً شجاعاً - واجتمعوا في جيش عظيم ، وجهز النعمان معهم عيراً ، وأمرهم بتسييرها ، وقال لهم : إذا فرغتم من عُكَاظ ، وانسلخت الأشهر الحُرُم^(٧) ، فاقصدوا بني عامر ؛ فإنهم قريبٌ مِنَوَاحِي السِّلَان .

فخرجوا وكتّموا أمرهم ، وقالوا : خرجنا لثلاثا يعرض أحدٌ للطيمة الملك . فلما فرغ الناس من عُكَاظ علمت قريش بمحالمهم ، فأرسل عبد الله^(٨) بن جدعان

* لبنى عامر على النعمان بن المنذر ، والسلان في الأصل بطون من الأرض غامضة ذات شجر ، ثم سميت بها بعض الموطن .

ابن الأثير ص ٣٩١ ج ١ . تاريخ العرب القدامى ص ٤٦ ، معجم البلدان ص ١٠٤ ج ٥ .

(١) المحس : المتشددون في دينهم المتحمسون (٢) القاح : الذين لا يهينون للبلوك

(٣) هو النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ، كان شهماً شجاعاً ميلاً إلى العمارة سرياً كريماً . قصده الشعراء من بلاد بعيدة فبالغ في إكرامهم ، وبلغت الحيرة في عهده درجة عظيمة من الرقي . مات في سجن كسرى لإبروز بخافقين (٤) اللطيمة : غير تحمل المسك (٥) الصنائع : جماعة كانوا ينتخبون من بني ثعلبة خاصة كالحرث لا يرحون باب الملك (٦) الواضع : ألف رجل من الفرس كانوا يستخدمون في نصرة العرب ، ويستبدلون بمثلهم كل سنة (٧) الأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب (٨) عبد الله بن جدعان التيمي ، كان من مشاهير الأجواد وكان يسمى بحاسي الذهب لأنه كان يشرب في إناء من الذهب ، وهو ابن عم عائشة زوج الرسول وأخباره في الكرم كثيرة .

قاصداً إلى بني عامر يُعلمهم الخبر ، فسار إليهم وأخبرهم خبرهم ، فحذروا وتهيبوا للحرب ، وتحزّزوا ووضعوا العيون ، وجاءوا ، عليهم عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، وأقبل الجيش فالتقوا بالسلّان ، واقتتلوا قتالا شديداً ، وبيناهم يقتتلون إذ نظر يزيد ابن عمرو بن خويلد ^(١) الصّمعق إلى وبرة الكلبى أختي النعمان ، فأعجبته هيئته ، فحمل عليه وأسره ، فلما صار في أيديهم همّ الجيش بالهزيمة ، فنهاهم ضرار بن عمرو الضبي ، وقام بأمر الناس ، فقاتل هو وبنوه قتالا شديداً ؛ فلما رآه أبو براء عامر بن مالك وما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه - وكان أبو براء رجلاً شديد السّاعد - فلما حمل على ضرار اقتتلا ؛ فسقط ضرار إلى الأرض ، وقاتل عليه بنوه حتى خلّصوه وركب ، وكان شيخاً ، فلما ركب قال : من سرّه بنوه ساءتة نفسه ^(٢) .

ثم جعل أبو براء يلجّ على ضرار طمعاً في فدائه ، وجعل بنوه يحمّونه ، فلما رأى ذلك أبو براء قال له : لتموتنّ أو لأموتنّ دونك ، فأحلتني على رجل له فداء ، فأومأ ضرار إلى حبش بن دلف - وكان سيّداً - فحمل عليه أبو براء فأسره ، وكان حبش أسود نحيفاً دميماً ، فلما رآه كذلك ظنه عبداً ، وأن ضراراً خدعه ، فقال : إنا لله ، ألا في الشؤم وقعت ! فلما سمعها حبش منه خاف أن يقتله ، فقال : أيها الرجل ، إن كنت تريد اللّين ^(٣) فقد أصبتّه ، وافتدى نفسه بأربعمائة بعير . وهزم جيش النعمان ، ولما رجع الفلّ ^(٤) إليه أخبروه بأسر أخيه وبقيام ضرار بأمر الناس ، وما جرّبي له مع أبي براء ، وافتدى وبرة الكلبى نفسه بألف بعير وفرس من يزيد بن الصّمعق فاستغنى يزيد ، وكان قبله خفيف الحال .

(١) يزيد بن عمرو بن خويلد ، وخويلد يقال له الصّمعق ، قال ابن الكلبي : سمى بهذا الاسم ، لأنه عمل طعاماً لقومه بعاظ ، فجاءت روح بغبار فسيها ولعنها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقتة
(٢) ذهبت مثلاً (٣) اللّين : الإبل (٤) الفل : القوم المنهزمون .

(٥) يوم خَزَاز*

كان من حديثه أن مَلِكاً من ملوكِ اليمَن كان في يديه أسارى من مُضَرٍ وربيعة وقُضَاعَة ، فوفد عليه وفد من وجوه بني معدة ؛ ومنهم سدوس بن شيدان ، وعوف ابن محلم ، وعوف بن عمرو ، وجُثَم بن ذهل ، فاحتبس الملكُ عنده بعضَ الوفد رهينة ، وقال للباقيين : ائتوني برؤساء قومكم لَأُخَذَ عليهم الموائيق بالطاعة لى ؛ وإلاّ قتلْتُ أصحابكم .

فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر ، فاجتمعت معدة على كليب وائل ، وسار بهم - وعلى مقدّمته سلمة بن خالد المعروف بالسفّاح التغلبي - وأمرهم أن يوقدوا على خَزَاز نارا لِيَهْتَدُوا بها ، فبلغ مَذْحِجاً اجتمع ربيعة ومسيرُها ، فأقبلوا بجموعهم ، واستنَفَرُوا مَنْ يليهم من قبائل اليمَن ، وساروا إليهم ، فلما سمع أهلُ تهامة بمسيرِ مذحج انضمُّوا إلى ربيعة ، ووصلت مذحج إلى خَزَاز ليلاً ، وكان كليب قال لسلمة : إن غَشِيكَ العدو فأوقد نارين ؛ فلما رأى جموعَ مذحج أوقد نارين ، فأقبل كليب بالجوع ، وصبح مَذْحِجاً بخَزَاز ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، أكثروا فيه القتل ، وانهزمت مذحج .

* * *

هذه رواية ابن الأثير ، وفي معجم البلدان^(١) رواية أخرى هذا نصها :

اجتمعت مضر وربيعة على أن يجعلوا منهم ملكا يقضى بينهم ، فكلُّ أراد أن يكون منهم ، ثم راضوا أن يكون من ربيعة ملك ، ومن مضر ملك ، ثم أراد كل

* لمعد على مذحج ، وخزاز جبل ما بين البصرة إلى مكة ، وكان هذا اليوم من أعظم أيام العرب في الجاهلية ، وكانت معد لا تستنصف من اليمَن ، ولم تزل اليمَن قاهرة لها حتى كان هذا اليوم فاتصرت معد ، ولم تزل لها المنعة حتى جاء الإسلام .

ابن الأثير ص ٣١٠ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٤ ج ٣

(١) ص ٤٢٨ ج ٣

بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا على أنه يتخذوا ملكا من
اليمين ، فطلبوا ذلك إلى بني آكل المرار من كندة ، فملك بنو عامر شراحيل بن
الحارث من بني آكل المرار ، وملك بنو تميم وضبة محرق بن الحارث ، وملك
واثل شرجيل بن الحارث ، وملك تغلب وبكر سلمة بن الحارث ، وملك
بقية قيس مديكرب بن الحارث ، وملك بنو أسد وكنانة حُجر بن الحارث ، أبا
امرى القيس ، فقتل بنو أسد حُجرًا ، ونهضت بنو عامر على شراحيل فقتلوه ، وقتلت
بنو تميم محرقًا ، وقتلت واثل شرجيل ، فكان حديث يوم الكلاب ، ولم يبق من
بني آكل المرار غير سلمة ، فجمع جموع اليمين ، وسار ليقول نزارًا ، وبلغ ذلك نزارًا ،
فاجتمع منهم بنو عامر بن صعصعة ، وبنو واثل ، تغلب وبكر ، وبلغ الخبر كليب واثل ،
فجمع ربيعة . وقدّم على مقدمته السفاح التغلبي ، وأمره أن يملو خزازًا ، فيوقد بها
ليهندى الجيش بناره ، وقال : إن غَشِيكَ المدو فأوقد نارين .

وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها ، فأقبل ومعه قبائل مذحج ، وكلما مرّ بقبيلة
استنفرها ، وهجمت مذحج على خزاز فرغ السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع
ربيعة إليهم فصبّحهم ، والتقوا بخزاز ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزمت جموع
اليمين .



وفي ذلك اليوم قال السفاح التغلبي :

وليل بة أوقد في خَزَازِي^(١) هديت كتابيًا متحيرات
ضللن من الشهاد وكنّ لولا سهاد القوم أحسب هاديات
فكنّ مع الصباح على جذام ولخم بالسيوف مشهرات

(١) خزازي : لغة في خزاز .



وقال ابن الخائك :

كانت لنا بخرّازى وقمة عجب لما التقينا وحادى الموت يحديها
ملنا على وائل فى وسط بلدتها وذو الفخار كليبُ العزّ يحمّيها
قد فوضوه وساروا تحت رايته سارت إليه معدّة من أقاصيها
وحير قومنا صارت مقاولها ومذحج العزّ صارت فى تعانيتها

(٦) يوم حُجْر*

— ١ —

كان الحارث^(١) بن عمرو ملكاً على الحيرة ، ثم تفاسدت القبائل من نزار ، فأتاه
أشرافهم فقالوا : إنا في دينك ، ونخاف أن نتفانى فيما يحدث بيننا ، فوجه معنا
بنيك يترلون فينا ، فيكفون بعضنا عن بعض .

ففرق ولده في قبائل العرب ، فللك ابنه حُجْر على بني أسد وغطفان ، وملك
ابنه شُرْحَيْبِل على بكر بأسرها وبني حنظلة بن مالك ، والرَّباب . وملك ابنه
معديكرب على بني ثعلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة ، وطوائف من بني دارم
والصنائع^(٢) ، وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملك ابنه سامة على قيس ،

* لبني أسد على حجر . وحجر ملك من ملوك كندة .

الأغاني ص ٨١ ج ٩ ، ابن الأثير ص ٣٠٤ ج ١

(١) الحارث بن عمرو : أعظم ملوك كندة ، حكم الحيرة على عهد الملك قباذ ملك الفرس ، وعلا
صيته زماناً ، ولكنه لم يلبث أن ولى ملك الفرس كسرى أنوشروان ، فولى على الحيرة المنذر بن
ماء الساء ، فهرب الحارث وتبعه المنذر في عرب الحيرة ولكنه نجا وأقام بأرض كلب حتى مات
سنة ٥٤١ م ، وأخذ المنذر ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ، قومه ، وفيهم عمرو ومالك
ابنا الحارث ، وأمر بضرب رقابهم في ديار بني مرينا ، وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقونا المشية يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصبوا ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مرملينا

الفصل : ما يغسل به الرأس

تظل الطير عاكفة عليهم وتنزع الحواجب والعيونا

(٢) الصنائع : قوم من شذاذ العرب ، يصحبون الملوك .

وكانت لحجر على بنى أسد إتاوة في كل سنة مؤقّنة ، وغبر^(١) على ذلك دهرًا ،
ثم أرسل جابيه الذى كان يجيبهم ، فمنعوه ذلك - وحجّر^(٢) يومئذ بهامة - وضربوا
رُسْلَه وضَرْجُوهم^(٣) ضَرْجًا شديدًا قبيحًا ، فبلغ ذلك حُجْرًا ، فساد إليهم بجند^(٤) من
ربيعة ، وجند^(٥) من جند أخيه من قيس وكِنانة ، فأتاهم وأخذ سراتهم ؛ وجعل
يقتلهم بالمصا^(٦) ، وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألا يساكنوهم
في بلد أبدًا ، وحبس جماعة من أشرافهم .

ثم سارت إليه بنو أسد ثلاثًا ، ودخلوا إليه يستعطفونه ، وفيهم عبيد بن الأبرص
فقام وقال : أيها الملك ؛ اسمع مقالتي :

ياعينُ فابكى ما بنى أسد فهم أهل الندامة
أهل القبابِ الحمرِ واللِّمَمِ المؤبِّلِ^(١) والمدامة
وذوى الجيادِ الجردِ والِ أسلِ الثَّقَفَةِ المُقامِ
حِلًّا أيتَ اللعنِ حِلًّا إِنْ فيما قلتَ آمه^(٢)
في كلِّ وادٍ بين يثربَ فالقُصُورِ إلى اليمامة
تطريبُ عانٍ أو صياحُ محرقٍ أو صوتُ هامه
ومنمَّهمْ مجدًا فقد حلُّوا على وجلِ بهامة
برمتُ بنو أسدِ كما برمتُ ببيضتها الحمame
جملتُ لها عُودين من فشمٍ وآخرَ من ثُمَامه^(٣)

(١) غبر : لبث (٢) ضربه : أدماه (٣) لذلك سموها : عبيد العضا
(٤) المؤبِّل : المقتنى (٥) حلا : أى تحلل من عيئك ، والآمة العيب (٦) النشم : شجر
جبلى تتخذ منه القسي ، والثامة : نبت بالبادية .

إِذَا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْوَاً أَوْ قَتَلْتَ فَلَا مَلَامَةَ
أَنْتَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ
ذَلُّوا لِسَوِّطِكَ مَثَلًا ذَلَّ الْأَشْيَقِرُّ ذَوَا الْحِزَامَةِ (١)

فَرَّقَ لَهُمْ جُحْرَهُ حِينَ سَمِعَ قَوْلَهُ ، وَأَرْسَلَ مَنْ يَرُدُّهُمْ .

ثُمَّ إِنْ حَجَرَ أَوْ قَتَلَ عَلَى أَبِيهِ الْحَارِثَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى هَلَكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا إِلَى بَنِي أَسَدٍ ، وَكَانَ يُقَدِّمُ بَعْضُ ثَقَلَهُ (٢) أُمَامَهُ ، وَيُهَيِّئُ نَزْلَهُ ثُمَّ يَجِيءُ وَقَدْ هَيَّأَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُجِبُّهُ فَيَنْزِلُ ، وَيُقَدِّمُ مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَنَازِلِ فَيُضْرَبُ لَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ الْآخَرَى ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنْ بَنِي أَسَدٍ - وَقَدْ بَلَغَهُمْ مَوْتُ أَبِيهِ - طَمَعُوا فِيهِ ، فَلَمَّا أَظْلَمَ ، وَضُرِبَتْ قَبَائِبُهُ اجْتَمَعَتْ بَنُو أَسَدٍ إِلَى نُوْفَلِ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَالَ : يَا بَنِي أَسَدٍ ؛ مَنْ يَتَلَقَّى هَذَا الرَّجُلَ مِنْكُمْ فَيَقْتَطِعَهُ ؟ فَإِنِّي قَدْ أَجْمَعْتُ عَلَى الْفَتْكِ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : مَا لِدَٰلِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ . فَخَرَجَ نُوْفَلٌ فِي خَيْلِهِ حَتَّى أَغَارَ عَلَى الثَّقَلِ ، فَقَتَلَ مِنْ وَجَدَ فِيهِ ، وَسَاقَ الثَّقَلَ ، وَأَصَابَ جَارِيَتَيْنِ قَيْتَيْنِ لِحَجَرٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى قَوْمَهُ .

وَبَلَغَ حَجَرَ أَمْرَهُمْ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُمْ . فَلَمَّا غَشِيَهُمْ نَاهَضُوهُ الْقِتَالَ ، وَلَمْ يَكْبِتُوا أَنْ هَزَمُوا أَصْحَابَ حَجَرٍ وَأَمْرُوهُ خَبَسُوهُ .

وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِي قَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ كَاهِنٌ مِنْ كَهَنَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ حَبَسُوهُ لِيَرَوْا فِيهِ رَأْيَهُمْ : أَيُّ قَوْمٍ ! لَا تَعْمَلُوا بِقَتْلِ الرَّجُلِ حَتَّى أَرْجُرَ لَكُمْ ؛ وَانصَرَفَ عَنِ الْقَوْمِ لِيَنْظُرَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ .

(١) الْأَشْيَقِرُّ : تَصْغِيرُ الْأَشْقَرِ ، وَهُوَ الْأَحْمَرُ مِنَ الدَّوَابِّ . وَالْحِزَامَةُ : حَلَقَةٌ مِنْ شَعْرِ تَحْمِلُ فِي وَتَرَةٍ أَنْفَ الْبَعِيرِ يَشُدُّ بِهَا (٢) الثَّقَلُ : مَتَاعُ الْمَسَافِرِ .

فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله ، فدعا غلاماً من بني كاهل^(١) - وكان حجر قتل أباه - وقال له : يا بني ؛ أعنذك خير فتشأر بأبيك ، وتنال شرف الدهر ، وإن قومك لن يقتلوك ؟ ولم يزل بالغلام حتى حرّبه^(٢) ، ودفع إليه حديدَةً قد شحذها وقال : ادخل عليه مع قومك ، ثم اطعمنه في مقتله . فعمد الغلام إلى الحديدية فخبأها ، ثم دخل على حجر في قيمته التي حُبس فيها . فلما رأى الغلام منه غفلة طعمنه طعمنةً أصابت مقتلاً .

ولما علم حجر أنه ميّت أوصى ودفع كتابه إلى رجل ، وقال له : انطلق إلى ابني نافع - وكان أكبر ولده - فإن بكى وجزع فاله عنه ، وأستقرهم واحداً واحداً ، حتى تأتي امرأة القيس - وكان أصغرهم - فأيهم لم يجزع ، فادفع إليه سلاحي وخيلي وقدورى ووصيتي . وكان قد بين في وصيته من قتله ، وكيف كان خبره . ولم يلبث حجر أن مات ، فوثب القوم على الغلام قاتله ، فقال الغلام : إنما ثارتُ بأبي ، فخلوا عنه . وأقبل كاهنهم المزدرج ، فقال : أى قوم ! قتلتموه ! ملكٌ شهر ، وذلّ دهر . أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبداً .

— ٢ —

وانطلق الرجل بوصية حجر إلى نافع ابنه ، وأخبره ؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه ، ثم استقرهم واحداً واحداً ، فكلمهم فعل ذلك . وكان حجرٌ في حياته قد طرد ابنه امرأة القيس ، وآلى ألاّ يقيم معه أنفةً من قوله الشعر - وكانت الملوك تأنف من ذلك - فكان يسير في أحياء العرب ، ومعه

(١) بنو كاهل : بطن في بني أسد . (٢) حرّبه : حرشه .

أَخْلَاطٌ مِنْ شَذَازِ طَيْبٍ وَكَلْبٍ وَبَكْرٍ ، فَإِذَا صَادَفَ غَدِيرًا أَوْ رَوْضَةً أَوْ مَوْضِعَ صَيْدٍ أَقَامَ فَنَذِيجَ لَنْ مَعَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَخَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ فَتَصِيدُ ، ثُمَّ عَادَ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا مَعَهُ ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ وَسَقَامَ ، وَغَنَمَهُمْ قِيَانُهُ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْفَدَ مَا ذَلِكَ الْغَدِيرُ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ .

ثُمَّ جَاءَ الرَّسُولُ فَوَجَدَهُ مَعَ نَدِيمٍ لَهُ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَيَلَاعِبُهُ بِاللَّتْدِ ، فَقَالَ لَهُ : قُتِلَ حَجْرٌ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَمْسَكَ نَدِيمُهُ ، فَقَالَ لَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ : اضْرِبْ ، فَضَرَبَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ ، قَالَ لَهُ : مَا كُنْتُ لَأُفْسِدَ عَلَيْكَ دَسْتَكَ . ثُمَّ سَأَلَ الرَّسُولَ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ كُلِّهِ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : ضِيعَتْنِي صَغِيرًا ، وَتَحَلَّنِي دَمُهُ كَبِيرًا ، لَا صَحْوَ الْيَوْمِ ، وَلَا سُكْرَ غَدَا ، الْيَوْمَ خَمْرٌ ، وَغَدَا أَمْرٌ .

ثُمَّ شَرِبَ سَبْعًا ، فَلَمَّا صَحَا إِلَى آلَا يَأْكُلُ لَحْمًا ، وَلَا يَشْرَبُ خَمْرًا ، وَلَا يَدْهِنُ بَدْنَهُ ، وَلَا يَصِيبُ امْرَأَةً ، وَلَا يَغْسِلُ رَأْسَهُ مِنْ جَنَابَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَ ثَأْرُهُ .

وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرْقًا فَقَالَ :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بَلِيلِ أَهْلٍ يُضِي سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَنَا فِي حَدِيثٍ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَزَعَزَعُ مِنْهُ الْقُلَلُ
بَقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٍ (١)
فَأَيْنَ رَبِيعَةٌ عَنْ رَبِّهَا وَأَيْنَ تَمِيمٌ وَأَيْنَ الْخَوْلُ
أَلَا يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِهِ كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا أَكَلُ

ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى نَزَلَ بِكَرَاءٍ وَتَغَلَّبَ ، وَسَلَّاهُمُ النَّصْرُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ ، وَلَمَّا عَلِمَ بَنُو أَسَدٍ

بما عَزَمَ عليه امرؤ القيس قدم عليه رجال منهم ، فيهم كهول وشبان ، وفيهم قبيصة ابن نعيم ، وكان في بني أسدٍ مقيماً ، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ورداً وصدرًا .
ولا علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإتزالهم ، وتقدم بإكرامهم ، والإفضال عليهم واحتجب عنهم ثلاثاً . فسألوا مَنْ حضر من رجال كندة ، فقالوا : هو في شغل بإخراج ما في خزائن حُجر من السلاح والعدة . فقالوا : اللهم غفرًا ، إنما قدمنا في أمر تناسى به ذِكر ما سلف ، ونستدرك به ما فرط ، فليبلغ ذلك عنا .

فخرج عليهم في قباء وخُفٍّ وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تَعْتَمُ بالسوداء إلا في الترات . فلما نظروا إليه قاموا له ، وبَدَرَ إليه قبيصة وقال : « إنك في المحلِّ والقدر والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدته أيامه ، وتنتقل به أحواله ؛ بحيث لا يحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تدكير مجرب . ولك من سوؤد منصبك وشرَف أعراقك ، وكرم أصلك في العرب مُحْتَمَلٌ مُحْتَمَلٌ ما يُحْمَلُ عليه من إقالة العترة ورجوع عن الهفوة . ولا تتجاوز المهم إلى غاية إلا رجعت إليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصَفْح ، في الذي كان من الخطب الجليل ، الذي عمت رزيتته زاراً واليمن . ولم تُخصَّصْ به كندة دوننا ، للشرف البارِع . كان لحجر التاج والعمة فوق الجبين الكريم ، وإخاء المحند ، وطيب الشيم ؛ ولو كان يُفدى هالكٌ بالأنفس الباقية بعده ، لما بَخِلْتَ كرائعاً على مثله ببذل ذلك ، ولقد ينأه منه ؛ ولكن مَضَى به سبيلٌ لا يرجع أولاهُ على أخراه ، ولا يُلْحَقُ أقصاهُ أدناه . فأحمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال : إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء المكرمات صوتاً ، فقد نأه إليك بنسعة^(١)

(١) النسعة : سير مضمور يجعل زماماً للبعير .

تذهب مع شَقَرَاتِ حُسَامِكَ قَصَرَتَهُ^(١) ، فيقول : رجل امْتَحَنَ بِهَيْلِكَ عَزِيزٌ ، فلم تستَلْ سَخِيمَتَهُ إِلَّا بِتَمَكِينِهِ مِنَ الْإِنْتِقَامِ ؛ أَوْ فِدَاءً بِمَا يَرْوَحُ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعْمَاهَا ، فَهِيَ أَلَوْفٌ تَجَاوَزُ الْحَسْبَةَ ، فَكَانَ ذَلِكَ فِدَاءً رَجَعْتَ بِهِ الْقُضْبُ إِلَى أَجْفَانِهَا ، لَمْ يَرُدُّدْهُ تَسْلِيْطُ الْإِحْنِ عَلَى الْبُرَاءَاءِ ؛ وَإِمَّا أَنْ تَوَادَعْنَا ، حَتَّى تَضَعَ الْحَوَامِلَ فَتَسْدِلَ الْأَزْرَ وَنَقْدَ الْحُمْرِ فَوْقَ الرَّأْيَاتِ .

فبَكَى امْرَأُ الْقَيْسِ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « لَقَدْ عَلِمْتُ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفَّءَ لِحَجَرٍ فِي دَمٍ ، وَإِنِّي لَنْ أَعْتَاضَ بِهِ جَلَاءَ أَوْ نَاقَةٍ ، فَكَتَسَبَ بِذَلِكَ سَبَّةَ الْأَبَدِ ، وَفَتَّ الْعَصْدُ . وَأَمَّا النَّظْرَةُ^(٢) فَقَدْ أَوْجَبَهَا الْأَجَنَّةُ فِي بَطُونِ أُمَهَاتِهَا ، وَلَنْ أَكُونَ لِعَاطِبِهَا سَبِيحًا ، وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ، تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَقَقًا ، وَفَوْقَ الْأَسَنَةِ عَاقًا^(٣) .

إِذَا جَالَتِ الْخَيْلُ فِي مَازِقِ تَصَافَحُ فِيهِ الْمَنَايَا النَّفُوسَا
أَتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟ قَالُوا : بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْإِخْتِيَارِ ، وَأَبْلَى الْإِجْتِرَارِ
بِمَكْرُوهِهِ وَأَذْيَةٍ ، وَحَرْبِ وَبَلِيَّةٍ ، ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ ، وَقَبِيصَةً يَقُولُ مِمَثْلًا :
لَمَلَّا أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْمَوْتَ إِنْ غَدَتْ كَتَائِبُنَا فِي مَازِقِ الْمَوْتِ تُمَطِّرُ
فَقَالَ امْرَأُ الْقَيْسِ : لَا وَاللَّهِ لَا أَسْتَوْخِمُهُ ، فَرَوَيْدًا يَنْكَشِفُ لَكَ دُجَاهَا عَنْ قُرْصَانِ
كِنْدَةَ وَكَتَائِبَ حَمِيرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ هَذَا أَوْلَى بِي ؛ إِذْ كُنْتُ نَازِلًا بِرَبْعِي ؛
وَلَسْتُ أَكُنْ قَلْتُ فَأَجَبْتُ . فَقَالَ قَبِيصَةً : مَا تَتَوَقَّعُ فَوْقَ قَدْرِ الْعَاطِبَةِ وَالْإِعْتَابِ . قَالَ
امْرَأُ الْقَيْسِ : فَهُوَ ذَلِكَ .

(١) القصة : العنق (٢) النظرة : الإمهال (٣) العلق : الدم .

وعزم امرؤ القيس على أخذ الثأر ، وسار يقصد بني أسد فنذروا به ، ولجئوا إلى بني كنانة^(١) ، فلما كان الليل قال علباء بن الحارث لبني أسد : والله إن عيون امرئ القيس قد أتتكم ، ورجعت إليه بخبركم ، فارتحلوا ليل ولا تعلموا بني كنانة . ففعلوا ؛ وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة - وهو يحسبهم بني أسد - ووضع السلاح فيهم وقال : يا ثارات الملك ! يا ثارات الهمام ! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت : أيت اللعن ! لسنك ثأر ، نحن من كنانة ، فدونك ثأرك فاطلبهم ؛ فإن القوم قد ساروا بالأمس ، وتبع بني أسد ولكنهم فاتوه ليلتهم ، فقال فيهم :

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرُ قَوْمٍ هُمُ كَانُوا الشَّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
وَقَاهُمْ جَذْمُ بَنِي أَبِيهِمْ وَالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ^(٢)
وَأَفْلَتْنِ عِلْبَاءُ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفَرُ الْوِطَابِ^(٣)

ثم أدركهم ظهراً وقد تقطعت خيله ، وقطع أعناقهم العطش ، وبنو أسد جامون^(٤) على الماء ، فنهَد إليهم وقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم . وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم

(١) كنانة وأسد ابنا خزيمية : أخوان (٢) جذم : حطيم ، والأشقين : جمع أشقى ، أى وقى بني أسد حطيم ، إذ وقع العقاب بكنانة بني أبيهم (٣) علباء : قاتل حجر ، والضير في أفلتني للخليل ، وجريضاً ، أى بعد جهد ، والمراد : أنهم لو أدركوا علباء لقتلوه فيكون جسده صفرأ من دمه كما يصفر الوطاب من اللبن (٤) جامون : مجتمعون .

وقالوا له : قد أصبَتْ ثأرك . قال : والله ما فعلتُ ولا أصبْتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسدٍ أحداً . فقالوا : بلى ؛ ولكنك رجل مشئوم ، وكرهوا قتال بني أسدٍ وانصرفوا عنه .

ومضى لوجهه هارباً حتى لحق باليمن ، واستنصر أزدَ شُئوة ، فأبوا أن ينصروه ، وقالوا : إخواننا وجيراننا . فاستنصر مرثد الخير بن ذى جَدَن الجُمَيْرى - وكانت بينهما قرابة - فأمدّه بخمسمائة رجل من حمير . ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم ، وقام بالملك بعده رجل يُقال له قرَمَل بن الحميم ، فأنفذَ له الجيش ، وتبعه شُذاذ من العرب ، واستأجر غيرهم ، وسار إلى بني أسد .

ومرَّ في طريقه بنبالة^(١) ، وبها صنم^(٢) تعظمه العرب ، فاستقسم^(٣) عنده بقِدَاحه ، وهى الأمر والنهى والترقب ، فأجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها فخرج الناهى ، فجمعها وكسرها وضرب بها وجهَ الصنم ، وسبّه وقال له : لو أبوك قتل ما عَفَتْنى ، ثم خرج فظفر بيني أسد .

وعلم بمكانه المنذرُ بن ماء السماء ملك الحيرة ، فوجهَ الجيوشَ في طلبه ، فتفرقت عنه عُصبة حمير ، ونجا في جماعة من بني آكل الرأر ، حتى نزل بالحرث بن شهاب في بني يربوع بن حنظلة ، ومعه أدراعه الخمسة :

الفَضاضة ، والصفافية ، والمحصنة ، والخربق ، وأم الديول ؛ كُنَّ لبني مرار

(١) نبالة : موضع بين مكة واليمن (٢) اسمه ذو الخلصة : قالوا إنه كان مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج ، وكان سدنها من بني أمية من باهلة ، وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ، ومن قاربهم من بطون العرب ، ويقال : إنه ما استقسم عند ذى الخلصة بعد امرئ القيس بقدر حتى جاء الإسلام ، وهدمه جرير من عبد الله البجلي (٣) الاستقسام : طلب معرفة ما قسم للمرء .

يَتَوَارَثُونَهَا مَلِكًا عَنْ مَلِكٍ ، فَقَلَمًا لَيْثُوا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ النُّذْرَ مَائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ بَنِي آكَلَ الْمَرَارَ فَأَسْلَمَهُمْ ، وَنَجَا امْرَأُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ الْحَارِثِ^(١) وَبَنَتُهُ هِنْدُ ، وَالْأُدْرَعُ وَالسَّلَاحُ ، وَمَالٌ كَانَ بَقِيَ عِنْدَهُ ، وَمَضَى إِلَى أَرْضِ طَيْيٍّ ، وَنَزَلَ عِنْدَ الْمَعْلَى بْنِ تَيْمٍ^(٢) ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ، وَاتَّخَذَ إِبِلًا ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ خَرَجَ فَنَزَلَ بِعَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ ، وَاتَّخَذَ عِنْدَهُ إِبِلًا ، ثُمَّ هَمَّ عَامِرٌ أَنْ يَغْلِبَ امْرَأَ الْقَيْسِ عَلَى مَالِهِ وَأَهْلِهِ ، فَفَظِنَ امْرَأُ الْقَيْسِ لِمَا أَرَادَ ، وَخَافَ مِنْهُ ، وَانْتَقَلَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ^(٣) ، وَاسْتَجَارَ بِهِ ، فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَامِرٍ وَبَنِي ثَعْلٍ مِنْ أَجْلِهِ ؛ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجَوَارِ حَتَّى يَرَى ذَاتَ عَمِيئَةَ^(٤) ، فَقَالَ لَهُ الْفَزَارِيُّ : يَا بَنُ حُجْرٍ ؛ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلٍّ مِنْ قَوْمِكَ ، وَأَنَا أَنْفَسُ^(٥) بِمَثَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ ، وَقَدْ كِدْتُ بِالْأَمْسِ تَوَكَّلُ فِي دَارِ طَيْيٍّ ، وَأَهْلُ الْبَادِيَةِ أَهْلُ بَرٍّ لَا أَهْلُ حُصُونٍ تَمْنَعُهُمْ ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ أَهْلِ الْبَيْنِ ذُؤْبَانٌ مِنْ قَيْسٍ ، أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ ! فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ ، وَجِئْتُ النِّعْمَانَ ، فَلَمْ أَرِ لَضَيْفٍ نَازِلٍ وَلَا لِحِجْدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ .

فَقَالَ : مَنْ هُوَ ؟ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ ؟ فَقَالَ : السُّمُوْدُ بَنِي مَعْمَرٍ ، وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ ؛ هُوَ يَمْنَعُ ضَمْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ عَمِيئِكَ ، وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ ، وَحَسَبٌ كَبِيرٌ .

(١) ابن عمه (٢) مدحه امرؤ القيس فقال :

كَأَنِّي إِذَا نَزَلْتُ عَلَى الْمَعْلَى نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَاذِخِ مِنْ شِمَامِ

شِمَامٍ : اسم جبل

فَمَا مَلِكُ الْعِرَاقِ عَلَى الْمَعْلَى بِمَقْتَدِرٍ وَلَا مَلِكُ الشَّامِ

أَفَرَحْتُ بِأَمْرِ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ

(٣) ثعل : من طيء اشتهروا بالرماية (٤) يزيد ينظر في أمره ويصلح من شأنه

(٥) أنفس : أضن .

فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ فقال : أوصلك إلى من يُوصلك إليه ؛
فصاحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضُبُع الفَزَارِيّ ممن يأتي السَّمَوَل فيجمله
ويعطيه ؛ فلما صار إليه قال له الفَزَارِيّ : إن السموئل يعجبه الشعر ، فتعال تَنَاشِدْ
له أشعاراً ؛ ثم مضوا حتى قدموا على السموئل ، وأنشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ؛
وأُنزل المرأة في قُبّة آدم ، وأُنزل القوم في مجلس خاص ، فكان عنده ما شاء الله .
ثم إنه طَلَبَ إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر النفساني بالشام ، ليوصله
إلى قيصر ، فاستنجد له رجلا ، واستودع عنده المرأة والأدراع والمال ، وأقام معها
يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه ، ومضى حتى انتهى إلى قيصر ، فقبله وأكرمه ،
وكانت له عنده منزلة .

ثم اندسّ رجل من بني أسد - يقال له الطَّمَاح - وكان امرؤ القيس قد قَتَلَ
أَخَاهُ من بني أسدٍ ، حتى أتى بلادَ الروم ، فأقام مُسْتَخْفِيًا - وبعد مدّة ضمّ
قيصرُ إليه جيشًا كثيفًا ، وفيهم جماعةٌ من أبناء الملوك . فلما فصل قال الطَّمَاح
لقيصر : إن امرأ القيس غَوَى عَاهِر ، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه
كان يرسل ابنتك ويواصلها ، وأنه يقول فيها أشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها
ويفضحك .

فبعث إليه بحلّة وثي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : إني أرسلت إليك
بحلتي التي كنت ألبسها تكرمةً لك ، فإذا وصلت إليك فألْبَسْها باليمن والبركة ،
واكتب إلى بخبرك من منزل منزل .

فلما وصلت إليه ، لبسها واشتدّ سروره بها ؛ فأسرع إليه السّم وسقط جلده ،
ففطن لما أريد به وقال :

لقد طمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبِسَنِي مِمَّا يَلْبَسُ أَبُو سَا
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا
وَلَمَّا صَارَ إِلَى أَنْقَرَةِ احْتَضَرَ بِهَا ، وَرَأَى قَبْرَ امْرَأَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مَاتَتْ هُنَاكَ ،
فَدُفِنَتْ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ عَسِيبُ ، فَسَأَلَ عَنْهَا فَأَخْبَرَ بِقِصَّتِهَا ، فَقَالَ :
أَجَارْتَنَا إِنْ الْمَزَارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارْتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
ثُمَّ مَاتَ وَدُفِنَ هُنَاكَ .

(٧) يوم الكلاب الثاني *

لما أوقع كسرى بيني تميم يوم الصَّفقة^(١) أدارُوا أمرهم، وقال ذُوو الْحِجَى منهم: إنكم قد أغضبْتُمُ الملك، وقد أوقع بِكُمْ حتى وَهَنْتُمْ، وتسامعت بما لَقِيتُمُ القبائل، فلا تأمنون دَوران العرب.

ثم اجتمعوا إلى سبعة منهم وشاوروهم في أمرهم: أ كُتُم بن صيفي الأسدي، والأَعيمر بن يزيد المازني، وقيس بن عاصم المنقري، وأبيير بن عصمة التيمي، والنعمان ابن الحسحاس التيمي، وأبين بن عمرو السعدي، والزُّبْرَقَان بن بدر السعدي؛ وقالوا لهم: ماذا ترون؟ فقال أ كُتُم: «إن الناس قد بلغهم ما قد لَقِينَا، ونحن نخافُ أن يطمعوا فينا». ثم مسح يده على قلبه وقال: «إني قد نَيْفْتُ على التسمين، وإنما قلبي بَضْعَةٌ^(٢) من جِسمي، وقد نَحَلْ كما نَحَلْ جِسمي، وإني أخاف ألا يدرك ذِهْنِي الرَّأْيَ لَكُمْ، وأنتم قومٌ قد شاع في الناس أمرُكم، وإنما كان قوامكم أَسِيفًا وَعَسِيفًا^(٣)، وصرْتُم اليوم إنما ترعى لكم بناتكم. فليعرض على كل رجل منكم رأيه وما يحضره، فإني متى أسمع الحزم أعرفه».

فقال كل رجل منهم ما رأى، وأ كُتُم ساكتٌ لا يتكلم، حتى قام النعمان ابن الحسحاس فقال: «يا قوم؛ انظروا ماء يجمُّمُكم، ولا يعلمُ الناس بأى ماء أنتم

(*) تميم على مذبح، والكلاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة.

المقد العريد ص ٣٥٤ ج ٣، ابن الأثير ص ٣٧٩ ج ١، النفاض ص ١٣٧ ج ١ (طبع مصر)، خزنة الأدب ص ٣٧٠ ج ١، ص ١٧٠ ج ٢، شواجر العرب ص ٩٥ شعراء النصرانية ص ٧٥ ج ١، الأغاني ص ٧٢ ج ١٥، مهذب الأغاني ص ٥٠ ج ١، ذيل الآمال صفحة ١٣٢

(١) سبق يوم الصَّفقة ص ٢ (٢) البضعة في الأصل: القطعة من اللحم (وتكسر)

(٣) الأسيف: العبد، والأسيف: الأجير.

حتى يقوى ظهرُكم ، ويشتدَّ أزرُكم ، وقد جمتمُ^(١) وصَلَحَت أحوالكم ، وانجبرَ كسبُكم ، وقوى ضعیفُكم ، ولا أعلم ماءً يجمعكم إلا قِدة^(٢) .
فلما سمِعَ أكرمُ بنُ صبيحٍ كلامَ النعمان قال : هذا هو الرأي . وارتحلوا حتى نزلوا الكلاب ، ونزلت الرِّباب^(٣) وسعد بأعلى الوادي ، ونزلت حَنْظَلَة بأسفل^(٤) .
وكانوا لا يخافون أن يَفْزُوا في القَيْظ ، ولا يستطيع أحدٌ أن يقطع تلك الصحارى لُبُدِّ مسافتها ، وشدة حرِّها ، وأقاموا بقية القَيْظ لا يعلم أحدٌ بمكانهم ، حتى إذا تَهَوَّرَ^(٥) القَيْظ ، مرَّ بهم رجل من أهل مدينة هَجَرَ ، فرأى ما عندهم من النعم ، فانطلق إلى مدحج وقال : هل لكم في جارية عذراء ، ومهرة شوهاء^(٦) ، وبكرة^(٧) حمراء ؟ فقالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال : تِلْكُمْ تميمُ ألقاء^(٨) مطروحوون بقِدة . فقالوا :
إي والله !

ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغْتَنِمُوا من بني تميم ، وبمئوا الرُّسل في قبائل اليمن وأحلافها من قُضاعة ، واستشاروا كاهنهم المأمور^(٩) الحارثي ، فأشار عليهم بالكف .

ولكنهم عَصَوْه . وخرجوا لغزو تميم ، وجعلوا عليهم أربعة رؤساء كلُّ منهم اسمه يزيد : يزيد بن عبد الدان ، ويزيد بن الحرَّم ، ويزيد بن اليكسُم ،

(١) التجميع : التعة ، وفي اللسان كان مسلة بن عبد الملك عربياً ، وكان يقول في خطبته : إن أقل الناس في الدنيا هم أقلهم حمأ ، أي مالا ومتاعاً ، وهو من التجميع : التعة (٢) ماء بالكلاب (٣) الرِّباب : للنسايين أقوال كثيرة في تفسير الرِّباب ، ويقول صاحب القاموس : إنهم أحياء ضبة ، لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا (٤) سعد وحَنْظَلَة : من تميم (٥) تهوور : ذهب (٦) المهرة : الفرس ، والشوهاء من الحيل : الطويلة الرائعة (٧) البكرة : الفتية (٨) ألقاء : جمع لقي ، وهو ما طرح على الأرض (٩) جمع بين القروسية والكهانة ، وكانت مدحج في أمره تتقدم وتتأخر .

ويزيد بن هوير ، ومعه عبد يغوث بن صلاء الحارثي ، وكان مع كل واحد منهم ألفان ، فاجتمع لهم ثمانية آلاف (١) .

ولما بلغ تيمّا أن مذحجاً وأحلافهم عازمون على غزوهم فرّعوا إلى أكنم بن صيفي - وله يومئذ مائة وتسعون سنة - فقالوا له : حقق لنا هذا الأمر ، فإننا قد رضيناك رئيساً . فقال لهم : « لا حاجة لي في الرئاسة ، ولكني أشير عليكم : لتنزل حنظلة بالدّهناء ، وتنزل سعد والرباب بالكلاب ، فأى الطريقين أخذ القوم كفى أحدُهما صاحبه . ثم قال لهم : « احفظوا وصيتي : أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصباح من الفشل ، والمرء يمجز لا محالة ؛ يا قوم تثبتوا فإن أحرَمَ الفريقين الرّكين (٢) ، وربّ عجلة تهب ريثاً ، واتزروا للحرب ، وادّرعوا اللّيل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف عليه ، وإذا عزّ أخوك فهنّ ، البسوا جلود النّمر ، والثبات أفضل من القوّة ، وأهنا الظفر كثرة الأمرى ، وخيرُ الفئيمة المال ، ولا ترهبوا الموت عند الحرب ؛ فإن الموت من ورائكم ، وحُبّ الحياة لدى الحرب زلل ، ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن جساس »

فقبلوا مشورته ، ونزلت حنظلة الدّهناء وسعد والرباب الكلاب .

ولما وردت مذحج وأحلافها رآهم رجلٌ كان يرعى الإبل ، فذهب إلى سعد وأنذَرهم ، فجاء وإذا مذحج قد انتهت النعم وراجزهم يقول :

في كل عام نعم ننأبه . على الكلاب غيب أصحابه

فسمعه غلامٌ من سعد فأجابه :

(١) قالوا : إنه لا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منه ومن جيش كسرى يوم ذي قار ومن يوم شعب جيلة (٢) الركين : الرزين .

في كل عام نعمٌ يحوونه^(١) يَلْفَحُهُ قَوْمٌ وَيَنْتَحُونَهُ^(٢)
أَرْبَابَهُ نَوَكِي فلا يحمونه^(٣) ولا يلاقون طعامًا دونه
أَنعمَ الأبناء^(٤) تحسبونه هيهات هيهات لما ترجونه

ولما اقترب جمعهما قال ضمرة بن لبيد الحماسي لقومه من مدحج : « انظروا ،
إنكم ستستاقون النعم ، فإن أتت الخيل عُصْبًا عُصْبًا ، وثبتت الأولى للأخرى حتى
تلتحق بها فإن أمر القوم هين ، وإن لحق بكم القوم فلم ينظروا إليكم حتى يردوا
النعم ، ولا ينتظر بعضهم بعضاً فإن أمر القوم شديد » .

وقد تمت سعد والرباب ، فالتقوا في أوائل الناس ، ولم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا
النعم من قبل وجوهه ، وأخذوا يصرفونه بأرماحهم ، واقتتلوا قتالا شديداً يومهم ،
حتى إذا كان آخر النهار قُتِلَ النعمان بن جساس^(٥) ، وظن أهل اليمن أن بني تميم

(١) « في كل عام نعم تحوونه » استشهد به صاحب الكافية على أنه بتقدير (حواية نعم)
ليصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمان ، واستشهد به سيبويه على أن جملة تحوونه صفة للنعم ،
واستشهد به صاحب الكشف على جواز تدكير الأنعام (٢) يقال : أَلْفَحَ الفحل الناقة إذا
أَجْبَلَهَا ، ونتاج الناقة أهلها إذا استولدوها . وهو يريد : يحملون الفحولة على النوق فإذا حملت
أغرتم أتم عليها فأخذتموها وهي حوامل فتلد عندهم (٣) نوكي : جمع أبوك وهو الأحمق الضعيف
التدبير والعمل (٤) الأبناء كل بني سعد بن مزيد إلا بني كعب بن سعد (٥) رماه رجل من
أهل اليمن ، كانت أمه من بني حنظلة ، فقال حين رمى : خذها وأنا ابن الحنظلية ، فقال النعمان :
تسكنك أمك ! رب حنظلية قد غاظني (فذهبت مثلاً) .

وفي قتل النعمان قالت صفية بنت الحراع (ولعلها زوجه) :

قد غاب عنه فلم تشهد فوارسه ولم يكونوا غداة الروع يحذونه

يقال : أشهد إذا قتل ، ويحذونه : يحذون حذوه فيموتون مثله .

نطاقه هندواني وجنته فضاضة كأضائة الهى موضونه

النطاق : منطقة السيف ، والجنة الفضاضة : الدرع السابعة ، والأضائة والهى : البدير ، وتشبه

بهما الدرع في الصفاء ، والموضونة : الدرع المنسوجة المتقاربة الحلقات

فقد قتلنا شفاء النفس لو قتعت وما قتلنا به إلا امرأ دونه

تريد بذلك قتل عبد يغوث سيد بني الحارث — من شواعر العرب ص ٩٥

سيهزمهم قتلُ النعمان ، ولكن ذلك لم يزدهم إلا جرأة عليهم ، وما زالوا على قتالهم حتى حجزَ بينهم الليلُ ، وبات يحرس بعضهم بعضاً .

ولما أَصْبَحُوا تَوَلَّى قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ النِّقْرَى إمْرَةً بَنَى تَيْمٍ ، وَحَمَلُوا عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ حَمَلَةً صَادِقَةً ، فَانْهَزَمُوا ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ انْهَزَمَ مِنْهُمْ وَعَلَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُرُمِيُّ صَاحِبُ اللَّوَاءِ ، ثُمَّ تَابَعَتْ عَلَيْهِمُ الْهَزَائِمُ ، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ يَنَادِي : يَا تَيْمِ ! لَا تَقْتُلُوا إِلَّا فَارِسًا ، فَإِنَّ الرِّجَالَ ^(١) لَكُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ :

لَا تَوَلُّوْا عُصْبًا شَوَازِبًا ^(٢) أَقْسَمْتُ لَا أُطْعِمُ إِلَّا رَاكِبًا

إِنِّي وَجَدْتُ الطَّمْنَ فِيهِمْ صَائِبًا

وما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون ^(٣) حتى أُسِرَ عَبْدُ يَفْوْثٍ ^(٤) بِنَ صَلَاةٍ سَيِّدُ بَنِي الْحَارِثِ ، أُسِرَهُ قَتِيٌّ مِنْ بَنِي عَمِيرِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى أَهْلِهِ ، وَكَانَ الْعَبْشِيُّ أَهْوَجَ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ - وَرَأَتْ عَبْدَ يَفْوْثٍ عَظِيمًا جَمِيلًا - مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ ، فَضَحِكَتْ وَقَالَتْ : قَبِّحَكَ اللَّهُ مِنْ سَيِّدِ قَوْمٍ حِينَ أُسِرَكَ هَذَا الْأَهْوَجُ ^(٥) !

ثم قال لها: أَيُّهَا الْحَرَّةُ؟ هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: أُعْطِيَ ابْنُكَ مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، وَيَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَهْتَمِ ^(٦)، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْتَرِعَنِي سَعْدُ وَالرَّيَّابُ مِنْهُ،

(١) جمع راجل ، وهو ما ليس له ظهر يركبه (٢) شواذب : ضواير (٣) قالوا : كان قيس إذا أخذ أسيراً سأله : ممن أنت ؟ فيقول : من بني رعييل (وهم أنذال) يريدون بذلك رخص الفداء ، فجعل إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بني تميم ويقول : أمسك حتى أصطاد لك رعبلة أخرى (فذهبت مثلاً) (٤) كان عبد ينفوث شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيداً لقومه من بني الحارث بن كعب (٥) ولهذا قال : وتضحك مني شيخة عبشمية

كأن لم تر قبلي أسيراً يمانياً (٦) هو عمرو بن سنان والأهتم لقبه ، كان من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام .

ثم ضمّن لها مائة من الإبل ، وأرسل إلى بنى الحارث ^(١) فوجّهاوا بها إليه ، وقبضها
المبشّمي وانطلق به إلى الأهم ، وأنشأ عبد يعوث يقول :

أَأَهْمُ بِأَخِيرِ الْبَرِيَّةِ وَالْأَدَا وَرَهْطًا إِذَا مَا النَّاسُ عَدُّوا الْمَسَاعِيَا
تَذَارِكُ أَسِيرًا عَانِيًا فِي بِلَادِكُمْ وَلَا تَتَّقُنِي التَّيْمُ الْقَيِّ الدَّوَاهِيَا
فَشِيتْ سَمِيدَ الرَّبَابِ فِيهِ ، فَقَالَتِ الرَّبَابُ : يَا بَنِي سَعْدِ ؛ قُتِلَ فَارِسُنَا ، وَلَمْ يَقْتُلْ
لَكُمْ فَارِسَ مَذْكَورٍ ، فَدَفَعَهُ الْأَهْمُ إِلَيْهِمْ ، فَأَخَذَهُ عَصْمَةُ بْنُ أَبِي التَّيْمِيِّ ، وَانْطَلَقَ
بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ يَعُوثَ : يَا بَنِي تَيْمٍ ؛ اقْتُلُونِي قِتْلَةً كَرِيمَةً ، فَقَالَ لَهُ عَصْمَةُ :
وَمَا تِلْكَ الْقِتْلَةُ ؟ فَقَالَ : اهِقُونِي خَيْرًا ، وَدَعُونِي أَنْحُ عَلَى نَفْسِي ، فَقَالَ عَصْمَةُ : نَعَمْ ،
وَسَقَاهُ الْحَمْرَ ، ثُمَّ قَطَعَ لَهُ عِرْقًا يَقَالُ لَهُ الْإِكْحَلُ ، وَتَرَكَهُ يَنْزِفَ ، وَمَضَى عَنْهُ عَصْمَةُ
وَتَرَكَ مَعَهُ ابْنَيْنِ : فَقَالَا لَهُ : جَمَعَ أَهْلُ التَّيْمِ ، وَجِئْتُ تَصْطَلِمُنَا ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ
صَنَعَ اللَّهِ بِكَ ؟ فَقَالَ عَبْدُ يَعُوثَ :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا يِيَا فَيَا لَكُمَا فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا يِيَا ^(٢)
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ ، وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شَيْئَالِيَا ^(٣)
فَيَا رَاكِبًا إِذَا عَرَضْتَ فَبَلَنْتِ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَلَا تَلَايَا ^(٤)
أَبَا كَرْبٍ • وَالْأَيُّهَمَيْنِ كُلِيهْمَا وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ ^(٥) الْمَيَايَا

(١) يريد بنى الحارث قومه (٢) الخطاب لاثنتين حقيقة ، واللوم مفعول مقدم ، وما فاعل
مؤخر ، أى كفى ما أنا فيه فلا تحتاجان إلى لومى مع ما تريان من لئسارى وجهدى
(٣) التمثال : الخلق ، وهو يأتي جماعاً ومفرداً ، وهنا جمع (٤) الراكب : راكب
الإبل ، ولا تسمى العرب راكباً على الإطلاق إلا راكب البعير والنساقة . وعرضت أى أتيت
العروض وهى مكة والمدينة . والتداعى : جمع ندمان ، وهو المشارب . ونجران مدينة بالحجاز
(٥) أبو كرب . والأيهمان : الأسود بن غلقة وعبد المسيح بن الأبيض وقيس بن معدى كرب
هؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكروهم عند موته وحن إليهم . يروى أن قيساً لما بلغه هذا البيت
قال : « ليك وإن كنت قد أخرجتني » .

جزى الله قومي بالكلاب ملامةً صريحهم والآخريين الموالياً^(١)
 ولو شئتُ نجّيتُ من الخيل نهدةً ترى خلفها الحوَّ الجياد^(٢) توالياً
 ولكنني أحمي ذِمارةً أيكم^(٣) وكان الرماحُ يختطفنُ الحاميا
 أقول وقد شدّوا لساني بنسفة^(٤) : أمعشَرَ تيمَ أطلقوا لي لسانيا
 أمعشَرَ تيمَ قد ملككم فأسججوا^(٥) فإن تطلقوني تقتلوا بي سيّداً
 أحقاً عباد الله أن لستُ سامعاً نشيدَ الرعاء^(٦) العزّيين المتألياً
 وتضحك مني شيخنة عبشميةً كأن لم تَرى قبي أسيراً^(٨) يمانيا
 وظلّ نساء الحى حولى ركدًا يرؤدن مني ما تريدُ نساءيا
 وقد علّمتُ عرسي مُليكةً أننى أنا اللّيثُ معدّياً عليه وعاديا
 وقد كنتُ نَحَّارَ الجزور ومعملًا مطىً وأمضى حيثُ لا حىً ماضيا

- (١) الصريح : الخالص ، والمواليا : الحلفاء النصّيين إليهم ، والكلاب : اسم موضع الوقعة
 (٢) النهدة : المرتفعة ، والحو من الخيل : التى تضرب إلى خضرة ، وهى أصبر الخيل . وتواليا :
 جمع تالية ، أى تابعة ؛ والمعنى : إن فرسى لحقتها تسبق الحو ؛ فهى تتلو فرسى (٣) الذمار :
 ما يجب على الرجل حفظه (٤) النسفة : سير منسوج ، وفى شرح هذا البيت قولان : الأول
 أن هذا مثل وذهب إليه القائل وابن الأبارى ؛ لأن اللسان لا يشد بنسفة ، ولما أراد : افعلوا بى
 خيراً لينطلق لساني بشركم ، وإنكم ما لم تفعلوا فلساني مشدود ، لا أقدر على مدحكم ، والشانى
 أنهم شدوه بنسفة حقيقة ، وإليه ذهب الجاحظ فى البيان والتبيين والأصفهاني فى الأغاني ؛ قيل لأنهم
 ربطوه بنسفة مخافة أن يهجوم ، وكانوا سمّوه ينشد شعراً ، فقال : أطلقوا لى عن لساني أذم أصحابي
 وأنوح على نفسى ، فقالوا : إنك شاعر ، ونحذر أن تهجوننا ، فهاهمم ألا يهجوم ، فأطلقوا له عن
 لسانه (٥) أسججوا : سهّلوا ويسروا ، والبواء : السّواء ؛ أى لم يكن أخوكم نظيراً لى
 فأكون بواء له ، ويريد به النعمان (٦) تحربوني : تسلبوني وتغلبوني (٧) الرعاء :
 جمع راع ، والمعرب : المتنحى بإبله ، والمتألى : التى تتج بعضها وبقي بعض ؛ جمع متلية
 (٨) قوله : كأن لم تَرى ، رجوع إلى من الإخبار إلى الخطاب ، وكان محققة واسمها مضمر فيها
 وروى فى ذيل الأمالى : لم ترن بالنون ، وارجع إلى ذيل الأمالى والغنى فى مبحث (لم) .

وَأُتْحِرُ لِلشَّرْبِ الْكِرَامِ مَطِيتِي وَأُصَدِّعُ بَيْنَ الْفَيْنَتَيْنِ ^(١) رِدَائِيَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَصَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاءِ ^(٢) بَنَانِيَا
وَعَادِيَةِ سَوِّمِ الْجَرَادِ وَزَعْمُهَا بِكَفِّي وَقَدْ أُنْحَوَا إِلَى الْعَوَالِيَا ^(٣)
كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ لَخَيْلِي كَرَّمِي نَفْسِي ^(٤) عَنْ رِجَالِيَا
وَلَمْ أُسْبَأِ الزُّقَّ الرُّوَّى وَلَمْ أَقْلُ لَا يُسَارِ صَدْقِي أُعْظِمُوا ضَوْءَ نَارِيَا ^(٥)
وَلَمْ يَلْبَثْ عَبْدٌ يَفُوتُ أَنْ مَاتَ ^(٦).

-
- (١) القرب : جمع : شارب ، وأصدع : أشق ، والفينة : الأمة مغنية كانت — كما هنا — أم لا
(٢) شمسها : نخسها لتتحرك ، ويروى شمسها بالسين ، والليق من اللبابة .
(٣) العادية : القوم يعمدون من العدو وهو الركض ، وسوم الجراد أى كسومه وهو انتشاره .
وزعمتها : كفتها ، والوازع : الكاف والمائع ، وأنحوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها من النحر
وهو القصد ، والعالية من الرمح : أعلاه (٤) نفسى : وسعى (٥) السباء : اشتراء
النحر للشرب لا للبيع ، والأسار : الذين يضربون الفداح : جمع ياسر (٦) قال الجاحظ فى
البيان والتبيين : ليس فى الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يفوت ؛ فإن قسنا جودة أشعارهما
فى وقت لحاظ الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية .

(٨) يوم قَيْفُ الرِّيحِ*

كانت بنو عامر^(١) تطلبُ بنى الحارث بن كعب بأوثانٍ كثيرة ، فجمع لهم الحصين بن يزيد الحارثي - وكان يفزو بمن تبعه من قبائل مذحج - وأقبل في بنى الحارث وجُفَيَّ ، وزُبيد ، وقبائل سعد العشيرة ، ومرادٍ وصداءٍ ونهدٍ ، واستمانوا بقبائل خثعم^(٢)؛ فخرج شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مُدْرِك ، وأقبلوا يريدون بنى عامر ، وهم مُنتَجِمون مكاناً يقال له «قَيْفُ الرِّيحِ» ، ومع مذحج النساء والذراري ، حتى لا يفرّوا ؛ إما ظفروا وإما ماتوا جميعاً .

فاجتمعت بنو عامر كلها إلى عامر^(٣) بن الطفيل ، فقال لهم عامر - حين بلغه بحجى القوم : أغيروا بنا عليهم ، فإنى أرجو أن نأخذ غنائمهم ، ونسبي نساءهم ، ولا تدعوهم يدخلون عليكم داركم .

فتابعوه على ذلك ، وقد جعلت مذحجُ ولفها^(٤) رُقباء ، فلما دنت بنو عامر من القوم صاح رُقباءوهم : أنا كم الجيش ؛ فلم يكن بأسرع من أن جاءتهم مسالحهم^(٥)

(*) لمذحج على عامر ، وقَيْفُ الرِّيح : موضع بأعلى نجد

النقائض ٤٦٩ ، ذيل الأمل ١٤٦ ، العقد الفريد ج ٣٥٩ ، أمثال الميداني ص ٣٠٨ ج ٢ ، ابن الأثير ص ٣٨٧ ج ١ ، الأغاني ص ٢١ ج ٥ ، معجم البلدان ص ٤١٣ ج ٦
(١) بنو عامر في قيس عيلان ، وفيهم بطون كثيرة (٢) بنو الحارث وسعد العشيرة وجعفي وزبيد في مذحج ، ومراد بطن في كهلان . وصداء ونهد بطنان في قضاة وخثعم بطن في كهلان (٣) كان عامر بن الطفيل فارس قيس وسيدهم ، وكان شاعراً جيد الشعر ، ومن شعره :

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها لهم ساحاتها سهلاً وحزوما

وقد نال آفاق السنوات مجدنا لنا الصحو من آفاقها وغيوما

(٤) لف القوم : من كان فيهم من الحلفاء وغيرهم (٥) المسالِح : جمع مسلحة ، وهم القوم ذو سلاح .

تَرَكْضُ إِلَيْهِمْ ؛ فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مُدْرِكَ لِقَوْمِهِ (١) : انْصَرَفُوا بَنَاءً ، وَدَعُوا هَؤُلَاءَ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَلَا أَظُنُّ عَامِرًا تَرِيدُنَا ؛ فَقَالَ لَهُمُ الْحَصِينُ بْنُ زَيْدٍ : افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرَادُ دُونَكُمْ ، وَمَا نَحْنُ بِبَشَرٍ بِلَاءٍ عِنْدَ الْقَوْمِ ، فَانْصَرَفُوا إِنْ شِئْتُمْ ، فَإِنَّا نَرْجُو إِلَّا نَعِجَزَ عَنْ بَنِي عَامِرٍ ، فَرُبَّ يَوْمٍ لَنَا وَلَهُمْ قَدْ غَابَتْ سَعُودُهُ ، وَظَهَرَتْ نَحْوُهُ .

فَقَالَتْ خَتْنَمُ لَأَنَسٍ : إِنَّا كُنَّا وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى مِيَاهٍ وَاحِدَةٍ فِي مِرَاعٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُمْ لَنَا سَلِيمٌ وَهَذَا عَدُوٌّ لَنَا وَلَهُمْ ، فَتَرِيدُ أَنْ نَنْصَرِفَ عَنْهُمْ ! فَوَاللَّهِ لَئِنْ سَلِمُوا وَغَنِمُوا لَنَنْدَمَنَّ إِلَّا نَكُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ ظَفِرَ بِهِمْ لَتَقُولَنَّ الْعَرَبُ : خَذَلْتُمْ حِيرَانَكُمْ ! فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَقَاتِلُوا مَعَهُمْ .

وَجَعَلَ حُصَيْنٌ لَخَتْنَمَ ثَلَاثَ الْمِرْبَاعِ (٢) ، وَمَتَّاهُ الزَّيَادَةَ ؛ وَقَدْ كَانَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ بَثَ إِلَى بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ ، فَاشْتَرَى مِنْهُمْ أَرْبَعِينَ رُمْحًا بِأَرْبَعِينَ بَكْرَةً فَقَسَمَهَا فِي أَفْئَاءِ بَنِي عَامِرٍ .

وَالْتَقَى الْقَوْمُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يُقَادُونَهِمُ الْقِتَالُ بِفَيْفِ (٣) الرِّيحِ ؛ فَالْتَقَى الصَّمِيمُ بْنُ الْأَعُورِ (٤) الْكَلَابِي ، وَعَمْرُو بْنُ صُبَيْحِ النَّهْدِيِّ (٥) ، فَطَمَنَهُ عَمْرُو ، فَذَهَبَ الصَّمِيمُ بِطَمَئِنِّهِ مُعَانِقًا فَرَسَهُ ، حَتَّى أَقْبَاهُ فَرَسُهُ إِلَى جَانِبِ الْوَادِي ، فَاعْتَنَقَ صَخْرَةً وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَرَبَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ خَتْنَمَ ، فَأَخَذَ دِرْعَهُ وَفَرَسَهُ ؛ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ .

وَشَهِدَتْ بَنُو نَعِيرٍ يَوْمَئِذٍ مَعَ عَامِرٍ ، فَسَمَوْا حُرْبَ بَجَّةٍ (٦) الطَّعْمَانَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي عَامِرٍ

(١) أَيْ قِبَائِلُ خَتْنَمَ (٢) الْمِرْبَاعُ : مَا يَأْخُذُهُ الرَّئِيسُ وَهُوَ رِبْعُ الْغَنِيمَةِ (٣) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كَانَتْ وَقْعَةُ فَيْفِ الرِّيحِ وَقَدْ بَثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكْرَةً . (٤) مِنْ بَنِي كَلَابٍ ، وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ عَامِرٍ . (٥) مِنْ نَهْدٍ وَهُمْ أَخْلَافُ بَنِي الْحَارِثِ (٦) أَيْ اجْتَمَعُوا بِقَبَائِلِهِمْ ، فَصَارُوا بِمَنْزِلَةِ الْحَرْجَةِ ، وَهِيَ شَجَرٌ يَجْتَمِعُ ، وَسَمَوْا ذَلِكَ الْيَوْمَ حَرْبَ بَجَّةِ الطَّعْمَانِ .

جالوا جَوْلَةً إلى موضعٍ يقال له العُرْقُوبُ، فالتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني نعيم، فوجدهم قد تخلّفوا في قتال القوم، فرجع عامرُ يصيح: يا صباحاه! يا نُمَيْراه! ولا نُمَيْر لي بعد اليوم، حتى أقحم فرسه وسط القوم، فطعن يومئذ بين ثُغْرَةِ نحره إلى سُرَّتِهِ عشرين طعنةً.

وبرز يومئذ حُسَيْل بن عمرو الكلبي، فبرز له صخر بن أعْيَى التَّهْدِي؛ فقال عامر بن الطفيل لحسيل: ويلك يا حُسَيْل! لا تبرّز له، فإن صخرًا صخرة^(١)، وإن أعْيَى يمينا عليك، ولكن حسيلا لم يستمع لقوله، وبرز للقتال؛ فقتله صخر.

وقتل خُلَيْف بن عبدالمزى التَّهْدِي كعب الفوارس بن معاوية بن عبادة بن البكاء؛ فمرَّ بعد ذلك خُلَيْف على بني جمدة^(٢)، فمروا بزة كعب وفرسه، فشدَّ عليه مالك بن عبد الله بن جمدة فقتله، وأخذ الفرس والبرزة فردَّهما إلى بني البكاء^(٣).

وكان عامر بن الطفيل يتممّد الناس فيقول: يا فلان؛ ما رأيتك فعلت شيئاً! فيقول الرجل الذي قد أبلى: انظر إلى سيني وما فيه، وإلى رجلي وسِنائي. فأقبل مُسَهْر بن يزيد الحارثي^(٤) في تلك الهيئة - لما رأى عامراً يصنع بقومه الأفاعيل - فقال: يا أبا علي؛ انظر ما صنعت بالقوم، انظر إلى رجلي! حتى إذا أقبل عليه عامر وجأه بالرمح في وجنته، ففلق وجنته، وأصاب عينه، وخلقى الرمح فيها، وضرب فرسه، فلحق بقومه.

(١) لأنه تطير من اسمه (٢) جمدة: بطن في عامر (٣) هذه رواية النقائض في مقتل كعب الفوارس، وفي الأغاني: إن كعب الفوارس مر على بني نهد وعليه سلاحه، فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه، ثم إن خليفاً بعد ذلك بدهر مر على بني جمدة، فراه مالك بن عبد الله بن جمدة، وعليه جبة كعب، وفيها أثر الطعنة، وكان محرمًا فلم يقدر على قتله، فقال: يا هذا، ألا رقت هذا الحرق الذي في جيتك! وجعل يترصده بعد ذلك؛ حتى بلغه بعد دهر أنه مر ببني جمدة، فركب مالك بن عبد الله بن جمدة فرسا له وأدركه فقتله، ثم قال: برؤ بكعب (٤) كان مسهر فازسا شريفاً، وكان قد جنى جناية في قومه، فلحق ببني عامر، فشهد معهم فيف الرمح.

وفي طعنة عامر يقول مسهر :

وَهَضْتُ بِمُحْرُصٍ ^(١) الرمح مُقَلَّةَ عامرٍ
وغادر فينا رُمُحَه وسِلَاحَه
وكنا إذا قَيْسِيَّةٌ بَرَقَتْ لَنَا
مُخَافَةً مَا لَاقَتْ حَلِيلَهُ ^(٢) عامرٍ

ويقول عامر :

لعمري ، وما عمري على بهين
فبئس الفتى إن كنت أعور عاقراً
وقد علموا أني أكرُّ عليهم
فلو كان جمع مثلتنا لم نبالهم
فجاءوا بشهران ^(٣) المريضة كلها

وقال في هذا اليوم أبو دؤاد الرؤاسي :

ونحن أهل بُضَيْعٍ ^(٥) يوم واجهنا
ساقوا شعوباً وعَنَساً في ديارهم
منأهم مُنِيَّةٌ كانت لهم كَذِباً
ولَّت رجال بني شهران تَتَبِعُهَا
والزاعبية تكفيهم وقد جعلت

جيشُ الحصين طلاع الخائف الكرم ^(٦)
ورجل ^(٧) خَنَمٍ من سهل ومن علم ^(٨)
إن السني إنما يوحِشُ كالحلم
خضراء يزموها بالنبل عن شمم
فيهم نوافذ لا يُرَقِّن بالدم ^(٩)

(١) خرس الرمح : سنامه ، ويخص عنه : أغارها (٢) زعم أنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل
(٣) شهران وناهس وأكلب كان عليهم أنس بن مدرك الحثعمي (٤) السنور : لبوس بلبس
في الحرب كالدرع ، أو هو جملة السلاح (٥) بضيع : جبل (٦) الكرم : كرم الرجل :
هاب التقدم على الشيء (٧) رجل الرجل : فهو راجل ورجل والرجل أيضاً اسم جمع عند
سيبويه وجمع عند غيره (٨) العلم : الجبل (٩) الزاعبية : رماح منسوبة إلى زاعب : رجل أو
بلد ، والدم : ما سدوا به الجراحات .

ظَلَّتْ يُحَايِرُ تَدْعَى وَسَطَ أَرْحُلِنَا وَالسَّتَمِيتُونَ مِنْ حَاءٍ وَمِنْ حَكَمٍ (١)
 حَتَّى تَوَلَّوْا وَقَدْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُمْ طَمَنًا وَضَرْبًا عَرِضًا غَيْرَ مُقْتَسَمٍ
 وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ (٢) :

أَتَوْنَا بِشَهْرَاتِ الْعَرِضَةِ كَاهَا وَأَكُلِيهَا فِي مِثْلِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
 فَبِتْنَا وَمِنْ بَزْلٍ بِهِ مِثْلُ ضَيْفِنَا يَبْتَ عَنْ قَرَى أَضْيَافِهِ غَيْرَ غَافِلٍ
 أَعَاذِلُ لَوْ كَانَ الْبِدَادُ (٣) لَقُوتِلُوا وَلَكِنْ أَنَا كُلُّ جَنْ وَخَائِلٍ (٤)
 وَخَتَمُ حَيٍّ يُعْدَلُونَ بِمَدْحَجٍ وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا مِثْلُ إِحْدَى الْقَبَائِلِ
 وَأَسْرَعُ الْقَتْلِ فِي الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا ، فَانْتَرَقُوا ، وَلَمْ يَسْتَقِلَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ
 غَنِيمَةً ، وَكَانَ الصَّبْرُ وَالشَّرَفُ لِبَنِي عَامِرٍ .

(١) يحابر : مراد . وحاء : بطن من حكم
 جاءت الخيل بداد : متفرقة متبددة ، وقال حسان :
 كنا ثمانية وكانوا جحفلا
 أى متبدين (٤) الخابل : ضرب من الجن .
 (٢) في رواية لبيد بن ربيعة (٣) يقال :
 لحبا فثلوا بالرماح بداد

(٩) يومَ ظَهَرَ الدَّهْناءُ

كان أوسُ بن حارِثة بن لأم الطَّائِي سَيِّدًا مُطَاعًا في قومه ، وجوادًا مِقْدَامًا ، فوفدَ هو وحاتمُ الطَّائِي على عَمْرُو بن هند ، فدعا عمرو أوسًا ، فقال له : أنتَ أَفْضَلُ أم حَرمٌ ؟ فقال : أبيتَ اللعن ؛ إن حاتمًا أُوْحِدُها وأنا أُحِدُها ، ولو ملكني حاتمٌ وولدي وَلَحِمَّتِي ^(١) لَوَهَبْنَا في غَدَاةٍ واحدةٍ ؛ ثم دعا عمرو حاتمًا ، فقال له : أنتَ أَفْضَلُ أم أوسُ ؟ فقال : أبيتَ اللعن ! إنما ذَكَرْتَ أوسًا ، ولَأُحِدُ ولِده أَفْضَلُ مِنِّي . فاستَحَسَنَ ذلكَ مِنهما ، وحبَّاهما ، وأَكْرَمَهُمَا .

ثم إن وفودَ العرب من كل حَيٍّ اجتمعت بعد ذلك عند النُعْمَان بن المنذر ، وفيهم أوسُ ، فدعا بِحُلَّةٍ من حُللِ الملوك ، وقال للوفود : احضروا في غَدٍ فَإِنِّي مُبْلِسٌ هذه الحِلَّةُ أَكْرَمُكم .

فلما كان الغدُ حضر القومُ جميعًا إلا أوسًا ، ف قيل له : لِمَ تَتَخَلَّفُ ؟ فقال : إن كان المرادُ غيري فأَجْمَلُ الأشياءِ بي ألا أكونَ حاضِرًا ، وإن كنتُ المرادُ فساُطَلُبُ .

فلما جلس النعمان ، ولم ير أوسًا ، قال : اذهبوا إلى أوس ، فقولوا له : احضر آمنًا مما خِفْتُ ، فحضر فألبسَ الحِلَّةَ .

فحسده قومٌ من أهله ، فقالوا للحطيئة : اهجُه ولك ثلاثمائة ناقة . فقال : كيف أَهْجُو رجالًا لَا أَرَى في بيتي أَثَنًا وَلَا مَالًا إِلَّا مِنْهُ ؟ ثم قال :

* لطفي على أسد . والدهناء : واد يشتمل على سبعة أجبل وعمر ييلاد بني أسد .

ابن الأثير ص ٣٨٢ ج ١ ، قصص العرب ص ١٦٥ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٨٣ ج ١ ، الشعر والشعراء ص ٨٦ ، المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)

(١) لحة النسب بالفتح : الشابك منه ، واللحمة بالضم : القرابة .

كَيْفَ الهِجَاءُ وَمَا تَنْفَعُ صَالِحَةٌ مِنْ أَهْلِ لَأْمٍ بَطَّحَ النَّيْبُ ثَانِيْنَ
فَقَالَ لَهُمْ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ ^(١) : أَنَا أَهْجُوهُ لَكُمْ ، فَأَعْطَوْهُ النُّوقَ ، وَهَجَاهُ
فَأَفْخَشَ فِي هِجَائِهِ ، وَذَكَرَ أُمَّهُ سُمْدَى ، فَلَمَّا عَرَفَ أَوْسَ ذَلِكَ أَغَارَ عَلَى النُّوقِ
فَاكْتَسَحَهَا ، وَطَلَبَهُ فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَالتَّجَأَ إِلَى بَنِي أَسَدَ عَشِيرَتِهِ ، فَنَعَمُوهُ مِنْهُ وَرَأَوْا
تَسْلِيمَهُ إِلَيْهِ عَارًا .

فَجَمَعَ أَوْسُ قَوْمَهُ مِنْ طِيٍّ ^(٢) ، وَسَارَ بِهِمْ إِلَى أَسَدَ ^(٣) ، فَالْتَقَوْا بِظَهْرِ الدَّهْنَاءِ ،
فَاتَّقَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَتْ بَنُو أَسَدَ وَقَتَلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَهَرَبَ بَشْرُ ، فَجَمَلَ
لَا يَأْتِي حَيًّا يَطْلُبُ جَوَارِمَ إِلَّا امْتَنَعَ مِنْ إِجَارَتِهِ عَلَى أَوْسَ .

ثُمَّ نَزَلَ عَلَى جَنْدَبِ بْنِ حَصَنِ السَّكِلَابِيِّ بِأَعْلَى الصَّمَّانِ ^(٤) ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَوْسُ
يَطْلُبُ مِنْهُ بَشْرًا ، فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى أَوْسَ أَشَارَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ
سَعْدَى وَقَالَ : قَدْ أَتَيْتُكَ بِالشَّاعِرِ الَّذِي هَجَاكَ ، وَقَدْ آلَيْتُ لَأَقْتُلَنَّ قِتْلَةً تَحْيِيْنَ بِهَا !
قَالَتْ : يَا بَنِيَّ ؟ أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَهُ نَاصِرًا مِنْكَ ،
وَلَا مُجِيرًا عَلَيْكَ ، وَإِنَّا قَوْمٌ لَا نَرَى فِي اصْطِنَاعِ الْمَرْفُوفِ مِنْ بَأْسٍ ؛ فَيَحْقِقْ عَلَيْكَ
إِلَّا أَطْلَقْتَهُ ، وَرَدَدْتَ عَلَيْهِ إِبْلَهُ ، وَأَعْطَيْتَهُ مِنْ مَالِكَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمِنْ مَالِي مِثْلَهُ ،
وَأَرْجَمَهُ إِلَى أَهْلِهِ سَالِمًا ، فَإِنَّهُمْ أَيْسَوُا مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْسُلُ هِجَاءَهُ إِلَّا مَدْحَهُ .
فَقَبِلَ مَا أَشَارَتْ بِهِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا بَشْرُ ؛ مَا تَقُولُ أَنِّي فَاعِلٌ بِكَ ؟
فَقَالَ :

إِنِّي لَأَرْجُو مِنْكَ يَا أَوْسُ نِعْمَةً وَإِنِّي لِأُخْرِى مِنْكَ يَا أَوْسُ رَاهِبُ
وَإِنِّي لَأُمَحْوُ بِالَّذِي أَنَا صَادِقٌ بِهِ كُلِّ مَا قَدْ قُلْتُ إِذْ أَنَا كَاذِبٌ

(١) شاعر جاهلي من بني أسد (٢) طي : من كهلان (٣) أسد : بطن في كنانة
(٤) الصمان : جبل في بلاد بني تميم .

فهل نافعى في اليوم عندك أننى سأشكر إن أنعمت والشكر واجب
فدى لابن سعدى اليوم كل عشرينى بنى أسد أقصام والأقارب
تداركنى أوس بن سعدى بنعمة وقد أمكنته من يدى العواقب
فقال أوس : إن سعدى التى هجوتها قد أشارت بكذا وكذا ، وأمر بحل
كتافه ، وحمله على فرس جواد ، ورد عليه ما كان أخذه منه ؛ وأعطاه من ماله مائة
من الإبل ، ورفع بشر يده إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهد على ألا أعود إلى
شعر إلا أن يكون مدحا فى أوس بن حارثة^(١) .

(١) هذه رواية ابن الأثير . وفى بلوغ الأرب ص ٨٤ ج ١ ما خلاصته : إن بشراً غزاً طلياً
ثم بنى نيهان فجرح وأخذ أسيراً فى بنى نيهان ، فخبثوه كراهية أن يبلغ أوساً ، وسمع أوس أنه
عندهم فقال : والله لا يكون بينى وبينهم خير أبداً أو يدفعوه ، ثم أعطاهم مائتى بعر وأخذهم منهم ،
فجاء به وأدخله فى جلد كبش ثم تركه حتى جف عليه فصار فيه كأنه العصفور ، فبلغ ذلك أمه
سعدى بنت حصين الطائية فخرجت إلى أوس وقالت : ما تريد أن تصنع ؟ فقال : أحرق هذا
الذى شتمنا ، فقالت : قبح الله قوماً يسودونك ، أو يقتبسون من رأيك ! والله لكأنما أخذت به ،
أما تعلم منزله فى قومه ! خل سبيله وأكرمه ، فإنه لا يفضل عنك ما صنع غيره . فحبسه عنده ،
وداوى جرحه ، وكنمه ما يريد أن يصنع به ، وقال : ابعت إلى قومك فبدونك ، فإنه قد
اشترى بك مائتى بعر . فأرسل بشراً إلى قومه ، فهبثوا له الفداء ، وبادره أوس فأحسن كسوته ،
وحمله على نجييه الذى كان يركبه ، وسار معه حتى إذا بلغ غطفان ، جعل بشراً يمدح أوساً بمكان
كل قصيدة هجاه بها قصيدة ، وكان قد هجاه بخمسين .

٤- أيام ربيعة (فيما بينها)

١ - حرب البسوس

حرب البسوس *

— ١ —

لما فَضَّ كُليب^(١) بن ربيعة جوع اليمن في خَزَازِي وهَزَمَهُم اجتمعت عليه معد^(٢) كلها ، وجعلوا له قسم الملك وتاجه ونجيته وطاعته ، وغَبَرَ بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهوٌ شديد ، وبَنَى على قومه لا هو فيه من عِزَّة وانقيادٍ معد له ، حتى بلغ من بَغْيِهِ ، أَنَّهُ كَانَ يَحْمِي مواقع السحاب فلا يُرعى حِماهُ ، وإذا جلس

* وقعت هذه الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل ، وقد مكثت أربعين سنة ، وقعت فيها هذه الأيام :

يوم التهي (والتهي : ماء لبني شيان) لتغلب على بكر .

يوم الذنائب (والذنائب : موضع على طريق البصرة إلى مكة) لتغلب على بكر

يوم واردات (وواردات : موضع عن يسار طريق مكة إلى البصرة) لتغلب على بكر

يوم عنيزة (وعنيزة : موضع في اليمامة) شككتا .

يوم القصيبات (والقصيبات : موضع في ديار بكر وتغلب) لتغلب على بكر

يوم تخلاق اللحم : (سمى بذلك لأن بني بكر حلقوا فيه جميعاً رؤوسهم) لبكر على تغلب

النقائض ص ٧٢٣ (طبع أوروبا) ، الأغاني ص ٣٢ ج ٥ ، ابن الأثير ص ١٨٣ ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٣٤٢ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٤٨ ج ٣ ، معجم البلدان ص ١٣٩ ج ١ ، سرح العيون ص ٥٩ ، ٦١ ، ٩٩ ، شعراء النصرانية ص ١٥١ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٧٠ ، خزنة الأدب ص ٤٢٥ ج ١

(١) كليب بن ربيعة : اسمه وائل وكليب لقبه ، ولد سنة ٤٤٠ م ونشأ في حجر أبيه ودرب على الحرب ، ثم تولى رئاسة الجيش : بكر وتغلب زمناً حتى قتله جساس بن مرة سنة ٤٩٤ (شعراء النصرانية) (٢) قال هشام بن محمد بن السائب : لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب ، وهم عامر بن الظرب يوم البيداء حين تمذججت مذجج وسارت إلى تهامة وربيعة بن الحارث يوم السلان ، وكليب حين قاد جموع معد يوم خزازي .

لا يمر أحد بين يديه إجلالاً له ، ولا يَحْتَسِبُ أحد في مجلسه غيره ، ولا يُنْفِرُ إلا بإذنه ، ولا توردُ إبلُ أحدٍ مع إبله ، ولا توقدُ نار مع ناره ، ولم يكن بَكَرَى ولا تغلبى يُجِير رجلاً ولا بعيراً أو يحمى حمى إلا بأمره ، وكان يجير على الدهر فلا تُخْفَر ذِمَّتُهُ ، وكان يقول : وحشُ أرض كذا في جوارى ، فلا يُهاج ! وكان هو الذى يُنزلُ القوم منازلهم ويرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره ، وقد بلغ من عزته وبغيه أنه اتخذ جرّ و كلب ، فكان إذا نزل منزلاً به كلاًّ قذف ذلك الجرّ فيه فيعوى ، فلا يرعى أحدٌ ذلك الكلاًّ إلا بإذنه ، وكان يفعلُ هذا بجياض الماء فلا يردّها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب ؛ ففُضِرَ به المثلُ في العزّ قليل : أعزّ من كليب وائل ، وكان يحمى الصيد فيقول : صيدُ ناحية كذا وكذا في جوارى فلا يصيدُ أحدٌ منه شيئاً (١) .

— ٢ —

وتزوج كليبُ جليسةً (٢) بن مُرّة بن ذهل بن شيبان ، وكان لمرّة عشرة بنين :

(١) قيل : إنه مر يوماً يمرعى فيه قبرة وقد باضت ، فلما رآته صرصرت وخفت بمناحيها ، فقال : من ردعك ؟ أنت في ذمتى ، ثم أنشد :

يا لك من قبرة بمعمرى لا ترهبى خوفاً ولا تستكرى
معمر : اسم حمى كليب

قد ذهب الصياد عنك فأبصرى ورفع الفخ فإذا تحذرى ؟
وقرى ما شئت أت تنقرى خللك الجو فيضى واصفرى
فأنت جارى من صروف الحذر إلى بلوغ يومك المقدر

(٢) كانت جليسة بنت مرّة من فضليات النساء في عصرها ، ولما قتل زوجها كليب بسهم أخيها جساس ، كان خطبها حسياً ، وحيرتها عظيمة ، ولما أخرجت من بيت كليب بعد قتله أقامت في منزل أخيها جساس حتى قتل ، ثم تنقلت مع بنى شيبان قومها مدة حروبهم وتوفيت سنة ٥٣٨ م

جَسَّاسٌ^(١) أَصْغَرُهُمْ ، وَكَانَتْ بَنُو جُشَمٍ^(٢) وَبَنُو شَيْبَانَ تَقِيمُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ إِيرَادَةَ
الْجَمَاعَةِ وَمَخَافَةَ الْفُرْقَةِ .

وَحَدَّثَ أَنَّ كَلِيبًا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ جَلِيلَةَ يَوْمًا فَقَالَ لَهَا : هَلْ تَعْمَلِينَ عَلَى الْأَرْضِ
أَمْنَعُ مِنِّي ذِمَّةً ؟ فَسَكَتَتْ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهَا الثَّانِيَةَ فَسَكَتَتْ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهَا الثَّلَاثَةَ فَقَالَتْ :
نَعَمْ ، أَخِي جَسَّاسٌ وَنَدَمَانُهُ^(٣) ابْنُ عَمِّهِ عَمْرُو الْمَزْدَلَفِيُّ^(٤) بَنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ ذَهْلٍ
ابْنِ شَيْبَانَ .

فَسَكَتَ كَلِيبٌ وَمَضَتْ مَدَّةٌ ، وَبَيْنَمَا هِيَ تَغْسِلُ رَأْسَهُ وَتَسْرُحُهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ قَالَ
لَهَا : مَنْ أَعَزُّ وَائِلٌ ؟ قَالَتْ : أَخَوَايَ جَسَّاسٌ وَهَمَّامٌ^(٥) . فَزَجَّ رَأْسَهُ مِنْ يَدَيْهَا وَخَرَجَ .
وَكَانَتْ لَجَسَّاسٍ خَالَةٌ اسْمُهَا الْبَسُوسُ بِنْتُ مُنْقِذٍ^(٦) ، جَاءَتْ وَنَزَلَتْ عَلَى ابْنِ أُخْتِهَا
جَسَّاسٍ ، فَكَانَتْ جَارَةً لِبَنِي مَرَّةَ ، وَلَهَا نَاقَةٌ^(٧) خَوَّارَةٌ^(٨) ، وَمَعَهَا فَصِيلٌ لَهَا^(٩) ،
فَلَمَّا خَرَجَ كَلِيبٌ غَاظِبًا مِنْ قَوْلِ زَوْجِهِ جَلِيلَةَ رَأَى فَصِيلَ النَّاقَةِ فَرَمَاهُ بِقَوْسِهِ فَقَتَلَهُ .
وَعَلِمَتْ بَنُو مَرَّةَ بِذَلِكَ ، فَأَغْمَضُوا عَلَى مَا فِيهِ وَسَكَتُوا ؛ ثُمَّ لَقِيَ كَلِيبُ ابْنَ الْبَسُوسِ
فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ فَصِيلُ نَاقَتِكُمْ ؟ فَقَالَ : قَتَلْتَهُ وَأَخْلَيْتُ لَنَا لَبَنَ أُمِّهِ ؛ وَأَغْمَضْتُ
بَنُو مَرَّةَ عَلَى هَذَا أَيْضًا .

(١) كَانَ جَسَّاسُ بْنُ مَرَّةَ فَارِسًا شَهِيًّا أَيْبًا ، وَكَانَ يَلْقُبُ الْحَامِي الْجَارَ ، الْمَانِعَ الذَّمَّارَ ، وَهُوَ الَّذِي
قَتَلَ كَلِيبًا كَمَا هُوَ مُفَصَّلٌ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ ، وَلَمَّا نَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ أَبُوهُ إِلَى الشَّامِ ، وَلَمَّا عَلِمَ بِهِ
أَعْدَاؤُهُ لِحَقْوِهِ فِي سَفَرِهِ فَاتَتْهُ بِهِمْ فِي حَرْبٍ أَصْفَرَتْ عَنْ قَتْلِ أَبِي نُوَيْرَةَ زَعِيمِ الْقَوْمِ الَّذِينَ لِحَقْوِهِ ،
وَجَرَحَ جَسَّاسُ جِرْحًا مَاتَ فِي لُزْمِهِ سَنَةَ ٥٣٤ م (٢) جُشَمٌ : بَطْنٌ فِي تَغْلِبَ وَهُمْ قَوْمُ كَلِيبَ ،
وَشَيْبَانَ بَطْنٌ فِي بَكْرِ وَهُمْ قَوْمُ جَسَّاسِ (٣) النَّدَمَانُ : الَّذِي يَرِاقُقُكَ عَلَى الشَّرَابِ وَقَدْ يَكُونُ
جَمَاعًا (٤) لَقِبَ بِالْمَزْدَلَفِيِّ لِأَنَّهُ أَلْتَى بِرِجْلِهِ فِي حَرْبٍ فَقَالَ : ازْدَلْفُوا إِلَيْهِ (٥) كَانَ هَامٌ
أَكْبَرُ أَخَوَاتِ أَوْلَادِ مَرَّةَ (٦) كَانَتْ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ، وَضُرِبَ بِهَا الْخَلُّ فَقَالُوا : « أَشَامٌ مِنْ
الْبَسُوسِ » (٧) كَانَتْ اسْمُهَا سَرَابُ (٨) نَاقَةُ خَوَّارَةٍ : رَقِيقَةٌ حَسَنَةٌ (٩) وَفِي بَعْضِ
الرِّوَايَاتِ أَنَّ هَذِهِ النَّاقَةَ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي جَرَمٍ اسْمُهُ سَعْدُ بْنُ شَمِيسَ ، وَأَنَّهُ نَزَلَ بِنَاقَتِهِ عَلَى جَسَّاسِ .

ثم إن كليياً أعاد القول على امرأته فقال : مَنْ أعزُّ وائل ؟ فقالت : أخوأي ! فأضمرها في نفسه وأسرّها وسكت ، حتى مرّت به إبل جسّاس وفيها ناقة البسوس ، فأنكر الناقة ، ثم قال : ما هذه الناقة ؟ قالوا : نخالّة جسّاس . فقال : أوبلغ من أمر ابن السعدية ^(١) أن يُجيرَ علىّ بغير إذني ؟ أرمّ ضرعها يا غلام ، فأخذ القوس ورمى ضرع الناقة ، فاختلط دمها بلبنها .

وراحت الرعاة على جسّاس فأخبروه بالأمر ، وولّت الناقة ولها عجيج حتى بركت بفناء البسوس ؛ فلما رأتها صاحت : واذاً له ! فقال لها جسّاس : اسكتي فلك بناقتك ناقة أعظم منها ، فأبت أن ترضى حتى صاروا لها إلى عشر ؛ فلما كان الليل أنشأت تقول - مخاطبةً سعداً أخا جسّاس وترفع صوتها تسمع جسّاساً :

أيا سعدُ لا تفر بنفسك وارتحل فإني في قوم عن الجار أموات
ودونك أذوادى إليك فإني محاذرة أن ينفدروا بينياني
لمعرك لو أصبحت في دارٍ مُنقِذٍ ^(٢) لما ضم سعدٌ وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دارٍ معسرٍ متى يعدّ فيها الذئبُ يعدّ وعلى شاتي ^(٣)
فلما سمعها جسّاس قال لها : اسكتي لا ترأعي : إني سأقتل جحلاً أعظم من هذه الناقة ، سأقتل غلّالاً ^(٤) !

— ٣ —

ثم ظعن ابنا وائل بعد ذلك ؛ فمرت بكرٌ على زهني ^(٥) يقال له شبيث ، فنفاهم

(١) يريد جسّاساً (٢) منقذ : أبو البسوس وهو من تميم (٣) تسمى العرب هذه الأبيات الموثبات ، لأن البسوس لما أنشدتها أوغرت الصدور (٤) كان غلال فعل إبل كليب ، لم ير في زمانه مثله ، وإنما أراد جسّاس بمقالته كليياً ، وفي رواية كان اسمه : عليان ، وفي اللسان : بغير عليان : ضخم (٥) النهي : الغدير .

كَلِيبَ عَنْهُ وَقَالَ : لَا يَذُوقُونَ مِنْهُ قَطْرَةً ، ثُمَّ مَرُّوا عَلَى نَهْشَى آخِرُ يُقَالُ لَهُ الْأَخْصَ ، فَفَافَهُمْ عَنْهُ وَقَالَ : لَا يَذُوقُونَ مِنْهُ قَطْرَةً ، ثُمَّ مَرُّوا عَلَى بَطْنِ الْجَرِيبِ ^(١) فَمَنْعَهُمْ إِيَّاهُ ، فَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا إِلَيْهِ النَّائِبُ ^(٢) ، وَاتَّبَعَهُمْ كَلِيبٌ وَحِيَّهُ حَتَّى نَزَلُوا عَلَيْهِ ، فَمَرَّ عَلَيْهِ جَسَّاسٌ وَمَعَهُ ابْنُ عَمِّهِ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ بْنِ ذُهْلٍ ^(٣) ، وَهُوَ وَقَفُ عَلَى غَدِيرِ الدَّنَائِبِ ، فَقَالَ لَهُ : طَرَدْتُ أَهْلَنَا عَنْ الْمِيَاهِ حَتَّى كَدَتَ تَقْتُلُهُمْ عَطْشًا ! فَقَالَ كَلِيبُ : مَا مَنَعُنَاهُمْ مِنْ مَاءٍ إِلَّا وَنَحْنُ لَهُ شَاغِلُونَ . فَقَالَ لَهُ : هَذَا كِفْعَلُكَ بِنَاقَةِ خَالَتِي ، فَقَالَ لَهُ : أَوْقَدْ ذَكَرْتَهَا ! أَمَا إِنِّي لَوُجِدْتُهَا فِي غَيْرِ إِبِلٍ مُرَّةً ^(٤) لَأَسْتَحْلَلْتُ تِلْكَ الْإِبِلَ بِهَا ! أَتُرَاكَ مَا نَعْنِي أَنْ أَذَبَّ عَنْ حِمَايَ ! فَمَغْطَفَ عَلَيْهِ جَسَّاسٌ فَرَسَهُ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ فَأَنْقَضَ حِضْنِيهِ ^(٥) .

فَلَمَّا تَدَاءَمَهُ ^(٦) الْمَوْتُ قَالَ : يَا جَسَّاسُ ، اسْقِنِي مِنَ الْمَاءِ . فَقَالَ : مَا عَقَلْتُ اسْتِسْقَاءَكَ الْمَاءَ هُنْدُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ إِلَّا سَاعَتَكَ هَذِهِ . فَالْتَفَتَ إِلَى عَمْرُو وَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ؛ أَغْنَيْ بَشْرَةَ مَاءٍ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ^(٧) .

وَأَمَّا جَسَّاسٌ يَدَّ بِالْفَرَسِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَهْلِهِ عَلَى فَرَسِهِ يَرْكُضُهُ ، وَقَدْ بَدَتْ رُكْبَتَاهُ ؛ وَلَمَّا رَأَتْهُ أُخْتُهُ قَالَتْ لِأَبِيهَا : إِنْ ذَا لَجَسَّاسٍ أَتَى كَاشِفًا رُكْبَتَاهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ رُكْبَتَاهُ إِلَّا لِأَمِيرٍ عَظِيمٍ .

فَلَمَّا جَاءَ جَسَّاسٌ قَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ يَا بَنِي ؟ قَالَ : وَرَائِي أَنِّي قَدْ طَعَنْتُ طُعْمَةً لَتَشْفَلَنَّ بِهَا شَيْوُخٌ وَائِلٌ زَمْنًا . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ لِأَمِّكَ الْوَيْلُ ! أَقْتَلْتَ كَلِيبًا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : إِذْنُ نُسَلِّمُكَ بِمَجْرِيْرَتِكَ ، وَنَرِيقُ دِمَكَ فِي صَلَاحِ الْعَشِيرَةِ ! وَاللَّهِ

(١) الجريب : واد عظيم تحبى أعاليه من قبل اليمن (٢) الدنائب : موضع بنجد

(٣) في الأغاني صفحة ٣٧ جزء ٥ : قال أبو برزة : فمغطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة فاحتز رأسه ، وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل هو الذي طعنه فقصم صلبه (٤) مرة بن ذهل : أبو جساس (٥) الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح (٦) تداءمه : تراكم عليه

(٧) ضرب بهذا الثل فقتل :

لبئس ما فعلت ! فرقت جماعتك، وأطلت حربها، وقتلت سيدها في شارف^(١) من الإبل والله لا تجتمع وائل بعدها، ولا يقوم لها عماد في العرب، ولقد وددت أنك وإخوتك كنتم مقيم قبل هذا، مابى إلا أن تشاءم بى أبناء وائل؛ فأقبل قوم مرة عليه وقالوا : لا تقل هذا ولا تفعل فيخذلوه وإياك، فأمسك مرة؛ فقال حساس :

تأهب مثل أهبة ذى كفاح فإن الأمر جل عن التلاحي^(٢)
وإني قد جنيت عليك حرباً تنص الشيخ بالاء القراح
مذكورة^(٣) متى ما يصح منها فنى نشبت بأخر غير صاح

* *

تعدت تغلب ظلماً علينا بلا جرم يعد ولا جناح
فلما أن رأينا واستبنا عقاب البنى رافعة الجناح
صرفت إليه نحساً يوم سوء له كأس من الموت المتاح
فلما سمع أبوه قال يحينه^(٤) :

فإن تك قد جنيت على حرباً تنص الشيخ بالاء القراح
جمعت بها يديك على كليب فلا وكل^(٥) ولا رث السلاح
ولكنى إلى العلات^(٦) أجرى إلى الموت الحيط مع الصباح
وإني حين تشتجر^(٧) العوالى أعيذ الرمح فى إثر الجراح
شديد البأس ليس بنى عيأ ولكنى أبوء إلى الفلاح

(١) الشارف من النوق؛ السنة الهرمة (٢) التلاحي: الخاصة والمقاولة (٣) مذكرة :

شديدة (٤) قيل أخوه فضلة هو الذى قال ذلك (٥) وكل : عاجز (٦) بنو العلات :

نورجل واحد من أمهات شتى (٧) تشتجر : تتداخل ، والعوالى : الرماح .

سألبس ثوبها وأدبُ عنها بأطرافِ العوَالِي والصفاح^(١)
 فما يبقِ لمرته ذليلٌ فيمنعه من القدرِ التُّاحِ
 فإني قد طربت وهاجَ شوقِي طرادُ أخيل عارضةَ الرِّماحِ
 وأجلُّ من حياةِ الدَّلِّ موتٌ وبعضُ المار لا يمحوه ماح

— ٤ —

ولما قتل كليب اجتمع نساء الحى للآثم ، فقلن لأخت كليب : رحلى جليلة عن
 ماتمك ، فإن قيامها فيه شمانةٌ وعار علينا عند العرب ، فقالت لها : يا هذه ؛ اخرجى عن
 ماتمنا ، فأنت أختُ واترنا وشقيقةُ قاتلنا ، فخرجت وهى تجرُ أعطافها ؛ فقالت لها
 أخت كليب : رحلةُ المعتدى وفراقُ الشامت ، ويل غدًا لآل مرة ، من الكرة بعد
 الكرة ! فبلغ قولها جليلة فقالت : وكيف تشمتُ الحرّةُ بهتكِ سترها ، وترقب
 وترها ! أسمع الله جدّ أختى ، أفلا قالت : نفرة الحياء وخوف الاعتداء ؟ ثم
 أنشأت تقول :

يا بنةَ الأقوامِ إن شئتِ فلا تمجلى باللومِ حتى تسألى
 فإذا أنت تبينتِ الذى يوجبُ اللومَ فلوى واعذلى
 إن تكن أخت امرئٍ ليمت على شفقٍ منها عليه فافعلى
 جلّ عندى فعلُ جساسٍ فيا حسرتى عما أنجّلتِ أو تنجلى
 فعلُ جساسٍ على وجدى به قاطعُ ظهري ومُدنٍ أجلى
 لو بمينٍ ففقت عيني سوى أختها فانفقات لم أحصى

تَحْمِلُ الْعَيْنُ قَدَى الْعَيْنِ كَمَا تَحْمِلُ الْأُمُّ أَدَى مَا تَقْتُلِي (١)
يَاقْتِيلَا قَوَاضَ الدَّهْرِ بِهِ سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعًا مِنْ عِلٍّ
هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ وَانْتَنَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
وَرَمَانِي قَتْلَهُ مِنْ كَثَبِ رَمِيَةِ الْمُصْمِي (٢) بِهِ الْمُسْتَأْصِلِ
يَأْنَسَانِي دُونَكَ الْيَوْمَ قَدْ خَصَّنِي الدَّهْرُ بَرُزْءٍ مُغْضِلِ
خَصَّنِي قَتْلُ كُلِّبٍ بِلَظَى مِنْ وَرَائِي وَلَظَى مُسْتَقْبِلِ
لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
يَسْتَفِي الْمَدْرُكُ بِالنَّارِ وَفِي دَرَكِي نَأْرِي تُكَلُّ الشَّكِلِ (٣)
لَيْتَهُ كَانَتْ دَمِي فَاحْتَلَبُوا بَدَلًا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَوْحَلِي (٤)
إِنِّي قَاتِلَةٌ مُقْتُولَةٌ وَلَمَلَّ اللَّهُ أَنْ يَرْتَاخَ لِي

ولما ذهبت إلى أبيها مرة قال لها : ما دراك يا جلييلة ؟ فقالت : تُكَلُّ المَدَدَ ،
وَحُزْنَ الْأَبَدِ ، وَفَقْدُ حَلِيلٍ ، وَقَتْلُ أَخٍ عَنْ قَلِيلٍ ، وَبَيْنَ ذَيْنِ غَرَسِ الْأَحْقَادِ ،
وَتَفَقَّتِ الْأَكْبَادَ ، فقال لها : أَوَيْكَفُ ذَلِكَ كَرُمُ الصَّفْحِ وَإِغْلَاءِ الدِّيَاتِ ؟ فقالت :
أُمْنِيَّةٌ مَخْدُوعٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ! أَبَا لُبْدُنْ تَدْعُ لَكَ تَغْلِبَ دَمَ رَبِّهَا !

— ٥ —

وكان همام بن مرة يُنَادِمُ المَهْلَهْلَ أَخَا كُلَيْبٍ وَعَاقِدَهُ إِلَّا يَكْتُمُهُ شَيْئًا . فلما ظعن
مُرَّةً بِأَهْلِهِ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِهِ هَمَامَ فَرَسَهُ مَعَ جَارِيَةٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَظُنَّ وَيَلْحَقَ بِقَوْمِهِ .
وكانا جالسين ، فَرَجَّ جَسَاسٌ يَرَكُضُ بِهِ فَرَسَهُ مُخْرِجًا فَخْذِيهِ ، فَقَالَ هَمَامُ : إِنَّ لَهُ
لَأَمْرًا ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ كَاشِفًا فَخْذِيهِ قَطُّ فِي رَكْنَضٍ ؛ وَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى انْتَهَتْ

(١) تقتلي : تربي (٢) من كَثَبٍ : من قرب ، وأصماه : قتله في مكانه (٣) الشكلي : التي
لازمها الحزن (٤) الأَوْحَلُ : عروق في الذراع يفصد ؛

الجارية إليهما ، وهما مُعْتَزِلَانِ فِي جَانِبِ الْحَيِّ . فَوَثَبَ هَامُ إِلَيْهَا ، فَسَارَتْهُ أَنْ جَسَاسًا قَتَلَ كَلْبِيًّا ، وَأَنْ أَبَاهُ قَدْ ظَنَنَ مَعَ قَوْمِهِ ؛ فَأَخَذَ هَامُ الْفَرَسَ وَرَبَطَهُ إِلَى خِيَمَتِهِ وَرَجَعَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهْلِلُ : مَا شَأْنُ الْجَارِيَةِ وَالْفَرَسِ ؟ وَمَا بِأَلَاكَ ؟ فَقَالَ : أَشْرَبُ وَدَعْتُ عَنْكَ الْبَاطِلَ ! قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَقَالَ : زَعَمْتُ أَنَّ جَسَاسًا قَتَلَ كَلْبِيًّا ؛ فَضَحَكَ الْمُهْلِلُ وَقَالَ : هَمَّةُ أَخِيكَ أضعفُ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَكَتَ .

ثم أَقْبَلَ عَلَى شَرَابِهِمَا ، فَجَعَلَ مُهْلِلٌ يَشْرَبُ شُرْبَ الْآمَنِ ، وَهُوَ يَقُولُ :
دَعْنِي فَا فِي الْيَوْمِ مَصْحَى لِشَارِبٍ وَلَا فِي غَدٍ ، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ
دَعْنِي ، فَإِنِّي فِي سَمَادِيرِ^(١) سَكْرَةٍ بِهَا جَلَّ هَمِّي ، وَاسْتَبَانَ تَجَلُّدِي
فَإِن يَطْلُعَ الصَّبْحُ الْمُنِيرُ فَإِنِّي سَأَعْدُو الْهُوْبِيَّ غَيْرَ وَإِنْ ، مَفْرَدٍ
وَأَصْبَحُ بِكَرَأٍ غَارَةٍ صِلَامِيَّةٍ^(٢) يَنَالُ لَظَاهَا كُلَّ شَيْخٍ وَأَمْرَدٍ
وَهَمَامٌ يَشْرَبُ شُرْبَ الْخَائِفِ ، وَلَمْ تَلْبَثِ الْخُرُ أَنْ صَرَعَتْ مُهْلِلًا ، فَانْسَلَّ هَامُ وَأَتَى قَوْمَهُ مِنْ بَنِي شِيَّانَ ، وَقَدْ قَوَّضُوا الْخِيَامَ ، وَجَمَعُوا الْخَيْلَ وَالنَّعَمَ ، وَرَحَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ النَّهْيُ .

وَرَجَعَ الْمُهْلِلُ إِلَى الْحَيِّ سَكْرَانٌ ، فَرَأَاهُمْ يَقْرُونُ خِيُولَهُمْ ، وَيَكْسِرُونَ رِمَاحَهُمْ وَسِوْفَهُمْ ، فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! مَا لَئِي دَهَاكُمْ ؟ فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ : لَقَدْ ذَهَبْتُمْ شُرًّا مَذْهَبٌ ، أَتَمَقْرُونَ خِيُولَكُمْ حِينَ احْتَجَجْتُمْ إِلَيْهَا ؟ وَتَكْسِرُونَ سِلَاحَكُمْ حِينَ افْتَقَرْتُمْ إِلَيْهِ !

فَانْتَهَوْا عَنْ ذَلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَى النِّسَاءِ فَنَهَاهُنَّ عَنِ الْبُكَاءِ وَقَالَ : اسْتَبْقِينَ لِلْبُكَاءِ عِيُونًا تَبْكِي إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ .

(١) السمادير : شيء يترأى للإنسان من ضعف بصره عن السكر ، وغشى الدوار (٢) الصليمية : نسبة إلى الصليم وهو السيف ، أي غارة شديدة .

ولما أصبح غدا إلى أخيه فدفنه ، وقام على قبره يرثيه ويقول :

أَهَاجَ قَذَاةَ عَيْنِي الْآدَّ كَلَرُ هَدُوءٍ فَالْدموعُ لَهَا انْحِدَارُ^(١)
 وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمَلًا عَلَيْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
 وَبِتُّ أَرَاقِبُ الْجُوزَاءَ حَتَّى تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا انْحِدَارُ^(٢)
 أَصْرَفُ مَقَلَّتِي فِي إِثْرِ قَوْمِ تَبَايَنَتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَغَارُوا^(٣)
 وَأَبْكِي وَالنَّجُومُ مَطْلَمَاتُ كَأَنَّ لَمْ يَحْوِهَا عَنِّي^(٤) الْبُخَارُ
 عَلَى مَنْ لَوْ تُنِمْتُ وَكَانَ حَيًّا لَقَادَ الْخَيْلِ يَحْجُبُهَا الْغُبَارُ
 دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ فَلَمْ تُجِبْنِي وَكَيْفَ يُجِيبُنِي الْبَلَدُ الْقِفَارُ
 أَجِبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَاكَ ذَمُّ لَقَدْ فُجِعْتُ بِفَارِسِهَا رِزَارُ
 سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ
 أَيْتَ عَيْنَايَ بِعَدِّكَ أَنْ تَكُفَّا كَأَنَّ غَضَا الْقِتَادِ لَهَا شِفَارُ^(٥)
 وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْمِلُ عَنْ رِجَالٍ وَتَمْنَعُ أَنْ يَمْسَهُمْ لِسَانُ
 وَكُنْتُ أَعْدُّ قُرْبَى مِنْكَ رِيحًا إِذَا مَا عَدَّتِ الرِّيحُ التَّجَارُ
 فَلَا تَبْعُدْ ، فَكُلُّهُ سَوْفَ يَلْقَى شَعُوبًا يَسْتَدِيرُ بِهَا الْمَدَارُ^(٦)
 يَمِيشُ الْمَرْءُ عِنْدَ بَنِي أَبِيهِ وَيَوْشِكُ أَنْ يَصِيرَ بِمَيْتُ صَارُوا
 أَرَى طَوْلًا الْحَيَاةِ وَقَدْ تَوَلَّى كَمَا قَدْ يُسَلَبُ الشَّيْءُ الْمَعَارُ

(١) الادكار : التذكر ، وهدوءا : هدأة من الليل (٢) الجوزاء : من نجوم السماء ، ولا يكون انحداره إلا في آخر الليل (٣) غاروا : غروا عن العين واخفوا (٤) في رواية : * كَأَنَّ لَمْ تَحْوِهَا عَنِ الْبَحَارِ * (٥) غضا القناد : شوكة ، والشفار : أصول مثبت شعر الأحناف (٦) شعوب : المنية ، ومدار الدهر : ما يجري عليه ، وهنا بمعنى الدهر الذي يدور بالشعوب .

كَأَنِّي إِذْ نَعَى النَّاعِي كَلْبِيًّا تَطَايَرُ بَيْنَ جَنْبِيَّ الشَّرَارُ
فَدُرْتُ وَقَدْ عَشَا^(١) بَصْرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارُ^(٢)
سَأَلْتُ الْحَيَّ أَيْنَ دَفَنْتُمُوهُ فَقَالُوا لِي بِسَفْحِ الْحَيِّ دَارُ
فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَيْثَا وَطَارَ النَّوْمُ وَامْتَنَعَ الْقَرَارُ
وَوَحَدْتُ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرِ ثَوَى فِيهِ الْكَارُمُ وَالْفَخَارُ
لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعٍ^(٣) لَمْ يَشْنُهُ وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ فِي النَّاسِ عَارُ
أَتَقْدُوا يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا جَبَانَ الْقَوْمُ أَنْجَاهُ الْفَرَارُ^(٤)
أَتَقْدُوا يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا حُلُوقُ الْقَوْمِ يَشْحَدُهَا الشَّفَارُ^(٥)
أَقُولُ لَتَغْلِبَ وَالْمَزَّ فِيهَا : أَثِيرُوهَا ! لَذِكْكُمْ انْتِصَارُ
تَتَابَعَ لِحُوقِي وَمَضُوا لِأَمْرِ عَلَيْهِ تَتَابَعَ الْقَوْمُ الْخِيَارُ^(٦)
خُذِ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَى عَمْرِي بَتَرَكِي كُلَّ مَا حَوَتْ الدُّيَارُ
وَهَجَرِي النَّائِيَاتِ وَشُرْبِ كَأْسِ وَلَبَسِي جَبَّةً لَا تُسْتَعَارُ
وَلَسْتُ بِمَخَالِجِ دِرْعِي وَسَيْفِي إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلُ النَّهَارُ
وَالَا أَنْ تَبِيدَ سَرَاةُ بَكْرِ فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا أَثَارُ

وما زال المهلهل يبكي أخاه ويندبه ، ويرثيه بالأشعار ، وهو يجتري بالوعيد لبني
مرّة ، حتى يئس قومه ، وقالوا : إنه زير^(٧) نساء ، وسخرت منه بكر ، وهمت
بنو مرّة بالجوع إلى الحمى ، وبلغ ذلك المهلهل فانتبّه للحرب ، وشمرّ ذراعيه

(١) العقار : الحمر (٢) عشي : من باب رضى ودعا (٣) الأروع : الشجاع القوى
(٤) أى فى الحرب (٥) الشفار : جمع شفرة وهي السكين والنصل (٦) فى رواية
الحسار ، والحاسر : من لا مغفر له ولا درع ولا جنة (٧) زير نساء : يحب محادثة النساء
أو مجالستهن بغير شر أو به .

وجمع أطراف قومه ، ثم جزَّ شعره ، وقصَّر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يهتم بلهْو ، ولا يشتم طيباً ، ولا يشرب خمرآ ، ولا يدَّهِن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلا من بنى بكر بن وائل .

- ٦ -

وحثَّ بنى تغلب على الأخذِ بالثَّأر ؛ فقال له أكبر قومه : إنا نرى ألا تمَّجِّل بالحرب حتى تُعذِر إلى إخواننا ، فبالله ما تجدُع بحرب قومك إلا أنفك ، ولا تقطع إلا كفك ! فقال : جدعه الله أنفأ ، وقطعها كفأ ، والله لا تُحدِّث نساء تغلب أنى أكلت لكليب ممناً ، ولا أخذتُ له ديةً ، فقالوا : لا بد أن تغضَّ طرفك وتخفِّض جناحك لنا ولهم ؛ ففكره المهلهل أن يخالفهم فينفضُّوا من حوله ، فقال : دونكم ما أردتم .

وانطلق رهطٌ من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتوا مُرَّة بن دُهل فعظموا ما بينهم وبينه ، وقالوا له : إنكم أنتمُ أمراً عظيماً بقتلكم كليباً بنابٍ من الإبل ، وقطعتم الرِّجَم ، ونحن نكره العجلة عليكم دون الإغذار ، وإنا نعرض عليكم إحدى ثلاث ، لكم فيها مخرج ولنا مرَّضاة :

إما أن تدفعوا إلينا جساساً فنقتله بصاحبنا ؛ فلم يظلم من قتل قاتله ؛ وإما أن تدفعوا إلينا هماماً فإنه نَدَّ لكليب ، وإما أن تقيدنا من نفسك يامرَّة ، فإن فيك رضا القوم .

فسكت - وقد حضَّرتُه وجوه بنى بكر بن وائل - فقالوا : تكلم غير مخذول ، فقال : أما جساس فغلامٌ حديثُ السن ركب رأسه ، فهرب حين خاف ، فوالله ما أدرى أى البلاد انطوت عليه . وأما همام فأبُو عشرة وأخو عشرة ، ولو دفعته إليكم لصيَّح^(١) بنؤه في وجهي وقالوا : دفعت أبانا للقتل بحريرة غيره . وأما أنا

(١) صيَّح الرجل : بالغ في الصياح .

فلا أتمجّل الموت، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ! ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بني فدونكم أحدهم فاقتلوه ، وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمّنها لكم بكر بن وائل .

فغضبوا وقالوا : إنا لم نأتك لترذل^(١) لنا بنيك ، ولا لتسومنا اللبّين . ورجعوا فأخبروا المهلهل ، فقال : والله ما كان كليب بجزور نأكل له ثمنا .

واعترلت قبائل من بكر الحرب ، وكرهوا مساعدة بني شيبان ومجامعتهم على قتال إخوتهم ، وأعظموا قتل جساس كليباً بناب من الإبل ، فظعنّت عجل عنهم ، وكفّت يشكر عن نصرتهم ، ودعت ثعلب النمر^(٢) بين قاسط فانضمت إليها ، وصاروا يداً معهم على بكر ، ولحقت بهم عقيل بنت قاسط .

وكان الحارث^(٣) بن عبّاد بن ضبيعة من قيس بن ثعلبة من حكام بكر وفرسانها المدودين ، فما علم بمقتل كليب أعظمه ، واعتزل بأهله وولّد إخوته وأقاربه ، وحل وتر قوسه ، ونزع سنان رُمحه ، فقال سعد^(٤) بن مالك يعرض به :

يأبؤس للحرب التي وضعت أراھط فاستراحوا^(٥)

والحرب لا يبقى لها حمها التّخيّل والمراح^(٦)

إلا الفتى الصّبار في الله جدّات والفرس الوقّاح^(٧)

(١) ترذل : تعطينا رذال بنيك (٢) النمر من قاسط : بطن في ربيعة (٣) انتهت امرأة بني ضبيعة إلى الحارث وهو شاب ومات نحو سنة ٥٠٠ ق هـ (٤) هو سعد بن مالك بن ضبيعة من بكر بن وائل ، كان أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها وله شعر جيد سائر (٥) وضعت : حطت وأسقطت ، وأراھط : جمع أراھط وهو جمع رهط ، والرهط عدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة (٦) جاحها : مثيها ، والتخيّل : التكبر ، والمراح : النشاط ، أي أن الحرب تكف حدة البطر النشيط ، وهو تعريض بالحارث (٧) الصّبار : مبالغة صابر ، والنجدة : الشدة ، والوقّاح : الفرس الذي حافره صلب شديد .

بُسِ الْخَلَّافُ بِمَدْنَا أَوْلَادُ يَشْكُرُ وَاللَّقَّاحُ^(١)
 مِنْ صَدِّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ^(٢)
 الْمَوْتُ غَائِبُنَا فَلَا قَصْرُ^(٣) وَلَا غِنَى رِجَّاحُ^(٤)
 وَكُنَّا وَرْدُ الْمَنِيَّةِ عِنْدَنَا مَاءُ وَرَّاحُ

- ٧ -

ووقعت الحرب بين الحيين ، وكانت وقعات مُزَاحَفَاتٍ يَتَخَلَّلُهَا مُغَاوَرَاتُ^(٥) ،
 وكان الرجلُ يلقي الرجلَ والرجلان الرجلين وهكذا ، وأَوَّلُ وقعة كانت على ماء لهم
 يُقَالُ لَهُ التَّهْيُ^(٦) كان بنو شيان نازلين عليه ، ورئيس تغلب المهلب ورئيس شيان
 الحارث بن مرة فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة في شيان ، واستحضر^(٧)
 القتال فيهم ، إلا أنه لم يقتل في ذلك اليوم أحد من بني مرة .

ثم التقوا بالذئاب فظفرت بنو تغلب وقتلت بكر مققلة عظيمة ، ثم التقوا بواردات
 فظفرت بنو تغلب ، وكان جساس بن مرة وغيره طلائع قومهم وأبو نيرة التغلبي
 طلائع قومهم أيضاً ، فالتقوا بمض الليالي فقال له أبو نيرة : اختد إماماً الصراع أو
 الطعان ، أو المسابقة^(٨) ، فاختار جساس الصراع فاصطربا ، وأبطأ كل واحد منهما
 على أصحاب حيه ، وطلبوها فأصابوها وهما يصطرعان ، وقد كاد جساس يصرعهُ ،
 ففرقوا بينهما .

(١) أى إذا ذهبنا وبقيت يشكر وحيفة ، فبس الخلائف هم منا ، لا يحبون حرباً ، ولا يأبون
 ضياً ، وكانت بنو حيفة تلقب باللقاح ؛ لأنهم لم يدينوا الملك ، وهو يذم الحيين معاً
 (٢) لا براح : لا ريب (٣) القصر : الحبس (٤) الرجح : الهرب (٥) يقال
 غاور القوم إذا غار بعضهم على بعض (٦) في ترتيب هذه الأيام خلاف بين المؤرخين فاخترنا
 رواية نرجحها (٧) استحضر القتال : اشتد (٨) تسابقوا : تضاربوا بالسيف .

ثم التقوا بُمْنِزَةً فَتَكَافَأَ الْحَيَّانُ ، ثُمَّ التَّقُوا بِالْقُصَبَاتِ وَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى بَكَرٍ
وُقِتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ هَمَامٌ بِنَ مَرَّةٍ أَخُو جَسَّاسٍ ، فَرَّ بِهِ مُهْلَهْلٌ مَقْتُولًا فَقَالَ لَهُ :
وَاللَّهِ مَا قُتِلَ بَعْدَ كَلِيبٍ قَتِيلٌ أَعَزُّ عَلَى فَقْدَاكَ مِنْكَ ^(١) .

— ٨ —

ثم كانت بينهم مُعَاوَدَةٌ وَوَقَائِعُ كَثِيرَةٌ ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَتِ الدَّائِرَةُ فِيهَا لَبْنَى تَغْلِبُ ،
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمُهْلَهْلُ - يَصِفُ الْأَيَّامَ وَيُنْعَاهَا عَلَى بَكَرٍ :

أَلَيْتَنَا بَدَى حُسْمٌ أَنْبَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرِي ^(٢)
فَإِنْ يَكُ بِاللَّهِ نَائِبٌ طَال لَيْلِي فَقَدْ أَبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ ^(٣)
وَأُنْقَذَنِي بِيَاضُ الصُّبْحِ مِنْهَا لَقَدْ أُنْقَذْتُ مِنْ شَرٍّ كَبِيرٍ
كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْجُوزَاءِ عُودُ كَأَنَّ الْجُدَى فِي مَشْنَةِ رَبْقٍ ^(٤)
كَأَنَّ الْجُدَى فِي مَشْنَةِ رَبْقٍ أَسِيرٌ أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْأَسِيرِ ^(٥)
كَأَنَّ النِّجْمَ إِذْ وَلَّى سَحِيرًا فَصَالَ جُلْنَ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ ^(٦)

(١) قتله ناشرة ، وكان عند همام لقيطا ، فلما شب تبين أنه من بني تغلب ، فلما التقوا بالقصبيات
جعل همام يقاتل ، فأذا عطش رجع إلى قرية فشرب منها ثم وضع سلاحه ، فوجد ناشرة من
همام غفلة ، فشد عليه فأقصده فقتله ولحق بقومه وفي ذلك يقول بأكى همام :

لقد عيل الأقوام طعنة ناشره أناشر زالت يمينك آشره

ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر (لسان مادة نشر) (٢) ذو حسم : موضع بالبادية ،
وتحورى : ترجعى (٣) الذنائب : الموضع الذى دُفن فيه كليب ، قال أبو على القالى فى شرح
هذا البيت : يقول : إن كان طال ليلي بهذا الموضع لقتل أخى ، فقد كنت أستقصّر الليل وهو حى
(٤) العود : الحديثات التاج واحدها عائد ، والربيع : ما تنبع فى الربيع . يقول : كأن كواكب
الجوزاء نوق حديثات التاج عطف على ربيع مكسور فهى لا تتركه (٥) المشاة : الجبل البنى ،
والربيع : الجبل ، والجدى : نجم فى السماء ، يقول : كأن الجدى قد شد بجبل مثنى فهو أحكم لشده
(٦) شبه النجم بالفصل فى يوم مطير لبطئها ، وذلك أن الفصل يخاف ما لزلزله فلا يسرع .

كواكبها زواحفُ لاعباتُ^(١) كأن سماءها يديُّ مُدير^(١)
فلو نبش القابرُ عن كليب^(٢) فيُخبرَ بالذائبِ أيُّ زير^(٢)
يوم الشعثمين لقرَّ عينا^(٣) وكيف لقاءً من تحت القبور^(٣)
وإني قد تركتُ بوارِداتِ^(٤) بُجيراً في دمٍ مثل المير^(٤)
هتكتُ به بيوتَ بني عُباد^(٥) وبعض القتلِ أشقى للصدور^(٥)
وهمامُ بنِ مُرَّةٍ قد تركنا^(٦) عليه القشعمين من النُور^(٦)
قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمرو^(٧) وجساس بن مرة ذو ضرير^(٧)
على أن ليس عدلاً من كليب^(٨) إذا رجفَ العضاءُ من اللبؤور^(٨)
على أن ليس عدلاً من كليب^(٩) إذا طردَ اليتيمُ عن الجزور^(٩)
على أن ليس عدلاً من كليب^(١٠) إذا ما ضيمَ جيرانُ الحجير^(١٠)
على أن ليس عدلاً من كليب^(١١) إذا خيفَ الخوفُ من الثغور^(١١)
على أن ليس عدلاً من كليب^(١٢) غداةَ بلابلِ الأمرِ الكبير^(١٢)
على أن ليس عدلاً من كليب^(١٣) إذا هبتَ رياحُ الزمهرير^(١٣)
على أن ليس عدلاً من كليب^(١٤) إذا وثبَ الثارُ على المثير^(١٤)

(١) الزواحف : العبيات ، وكذلك اللاعبات ، يقول : كأن سماءها أثقل من أن يديرها مدير
(٢) الزير : تبع النساء ، وكذلك كان يعرف المهمل (٣) الشعثان : موضع . وقال بعضهم :
هما شعثم وعبد شمس قتلها مهمل يوم واردات (٤) بجير هو ابن أخي الحارث ، وهذا يدل
على أن بجيراً قد قتل قبل ذلك ، وهو رأى صاحب الأغاني (٥) القشعم : الهرم من النُور
ويروى : عليه القشعمان من النُور ، فن رفع جملة حالا ، كأنه قال : وعليه القشعمان من النُور
وجاز حذف الواو لأن الماء التي في « عليه » تكفي لربط الكلام بأوله (٦) عمرو : هو الذي عاون
جساساً على قتل كليب ، وذو ضرير : صاحب مشقة على العدو (٧) رجف : تحرك ،
والعضاء : كل شجر له شوك (٨) البلابل : الاضطراب.

على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت مُحَبَّاةُ الخدودِ
 على أن ليس عدلا من كليب إذا علنت زَجِجَاتُ الأُمُورِ
 وتسالني بديلة عن أبيها ولم تعلم بديلة ما ضميري
 فلا وأبي بديلة ما أفأنا من النعم المؤبِّل من يَمِيرُ (١)
 ولكننا طمنا القوم طمنا على الأتباع منهم والنحور (٢)
 نكب القوم للأذقان صرعى ونأخذ بالترائب والصدور
 فدنى لبني شقيقة يوم جاءوا كأسد الغاب لجت في الزئير
 تركنا الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل تدحض في غدِير (٣)
 كأننا غدوة وبني أينا بجانب غُبيرة رَحِيًا مُدير
 ولولا الرِّيح أسمع أهل حجر صليل البَيْض تُقَرِّعُ بالذكور (٤)

— ٩ —

ثم إن تغلب جعلت تطلب جساسا أشدَّ الطلب ، فقال له أبوه مُرَّة : الحقُّ
 بأخوالك بالشام ، فامتنع ، فألح عليه أبوه فسيره سرا في خمسة نفر ، وبلغ الخبرُ
 مهلهل ، فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلا من شُجَّمان أصحابه ، فساروا مُجَدِّين ،
 فأدركوا جساسا فقاتلهم ، فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبقَ منهم غيرُ رجلين ،
 وجرح جساس جرحا شديدا مات منه ، وقتل أصحابه فلم يسلَم غير رجلين أيضا ،
 فماد كلُّ واحد من السالين إلى أصحابه .

(١) أفأنا : رجنا : النعم : الإبل ، والمؤبلة : الكثيرة ، وفي رواية : جلية

(٢) الأتباع : الأوساط (٣) عاكفة : مقيمة ، تدحض : تزلق (٤) حجر :
 قصة المائة ، وحروبهم كانت بالجزيرة ، والصليل : الصوت . قال أبو علي القالي : هذا أول كذب
 سمع في الشعر .

فلما سمع مرّة يقتل ابنه جساس قال : إنما يحزنني أن كان لم يقتل منهم أحداً ،
فقليل له : إنه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم ، وقتل معه خمسة عشر رجلاً ما شركه
أحد منّا في قتلهم ، وقتلنا نحن الباقيين ، فقال : ذلك مما يسكن قلبي عن جساس (١) .
فلما قتل جساس أرسل أبوه مرّة إلى مهلهل : إنك قد أدركت ثأرك وقتلت
جساساً فاكشف عن الحرب ، ودع اللجاج والإصراف ، فهو أصلح للحيين
وأنكا لعدوّهم ، فلم يجب إلى ذلك .

ثم إن بني بكر اجتمعوا إلى الحارث بن عبّاد ، وقالوا له : قد فني قومك !
فأرسل بجيرا ابن أخيه إلى مهلهل وقال له : قل له : إني قد اعزلت قومي لأنهم
ظلموك ، وخليّتك وإياهم ، وقد أدركت ثأرك وقتلت قومك . فأتاه بجير فهم

(١) وروى صاحب الأغاني وابن الأثير رواية أخرى في قتل جساس : « لما رجعت جليلة
أقامت عند أخيها جساس ، ثم ولدت غلاماً — من كليب — سمته الهجرس ، فرباه جساس وكان
لا يعرف أبا غيره وزوجه ابنته ، فوقع بين الهجرس ورجل من بكر كلام ، فقال البكري :
ما أنت منته حتى نلحقك بأبيك ، فأمسك عنه ودخل إلى أمه حزينا ، ولما أوى إلى فراشه ونام
إلى جنب امرأته وضع أقمعه بين يديها ، فتنفس تنفسه تنفط ما بين يديها من حرارتها ، فقامت
الجارية فرعة حتى دخلت على أبيها ، فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس : ثأر ورب السكبة !
وبات جساس قلقاً حتى أصبح ، فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له : إنما أنت ولدي ومني بالمكان
الذي علمت ، وقد زوجتك ابنتي ، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كدنا تنفاني ، وقد
اصطلحنا وتماجزنا ، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح ، وأن تنطلق حتى تأخذ
عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا ، فقال الهجرس : أنا فاعل ، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا
بلائمه وفرسه ، فحمّله جساس على فرس ، وأعطاه لائمة ودرعاً ، فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما
فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال : وهذا الفتى ابن أختي
قد جاء ليدخل فيما دخلتم ، ويقدّم ما عقدتم ، فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط
رحمه ، ثم قال : وفرسي وأذنيه ، ورحمي ونصلي وسيفي وغراري لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو
ينظر إليه ، ثم طعن جساساً فقتله ثم لحق بقومه ، فكان جساس آخر قتيل في بكر بن وائل »
الأغاني ص ٦١ ج ٥ ، ابن الأثير ص ٣٢١ ج ١

المهلل بقتله ، فقال له امرؤ القيس بن أبان - وكان من أشرف بني تغلب وكان على مقدمتهم زمناً : لا تفعل ، فوالله لأئن قتلته ليقتلن به منكم كبش ، لا يسأل عن خاله من هو؟ وإياك أن تحقر البغي ، فإن عاقبته وخيمة ، وقد اعزكنا عمه وأبوه وأهل بيته . فأبى مهلهل إلا قتله ، فطعنه بالرمح وقتله وقال له : « بُوْئِشْشِعْ نَعْلُ كَلِيب » ! فلما بلغ قتله الحارث - وكان من أحلم أهل زمانه وأشدهم بأساً - قال : نعم القتل قتلٌ أصلح بين ابني وائل ! فقيل له : إنما قتله بشِشِعْ نَعْلُ كَلِيب ، فلم يقبل ذلك .

وأرسل الحارث إلى مهلهل : إن كنت قتلتُ بُجيرا بكليب ، وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسي بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلتُ بِشِشِعْ نَعْلُ كَلِيب ! فغضب الحارث ودعا بفرسه - وكانت تسمى النعامة - فجزأ ناصيتها وهَلَبَ^(١) ذَنبها ، ثم قال :

كلُّ شيء مصيره للزوال	غير ربي وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعاً	ليس فيهم ثَمَّ ذاك بعضُ احتيال
قل لأم الأعرَّ تبكى بُجيرا	ما أتى الماء من رموس الجبال
لَهَفَ نفسى على بُجير إذا ما	جالت الخيل يوم حربٍ عُضال
وتساقى الكُماة ^(٢) سُماً نقيماً	وبدا البيض من قباب الجبال
وسعت كلُّ حرَّة الوجهِ تدعو	يا لبكر ! غراء كالتمثال
يا بجير الخيرات لا صلح حتى	نملاً أليد من رؤوس الرجال
وتقرَّ العيون بعد بُكاها	حين تسقى الدماء صدور العوال

(١) هَلَبَ الفرس : تنف هبله ، والهلب : الشعر كله ، وقيل في الذنب وحده

(٢) الكُماة : جم كمي ، وهو الشجاع .

أَصْبَحْتُ وَائِلٌ نَعِيجٌ مِنَ الْحَرْبِ عَجِيجُ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ
 لَا بَجِيرَ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْطَ كَلِيبٍ تَزَاجِرُ عَنْ ضَلَالِ
 لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا - عِلْمُ اللَّهِ وَإِنِّي بِمَحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِدٌ
 قَدْ تَجَنَّبْتُ وَائِلًا كِي يُفِيقُوا فَأَبَتْ تَغْلِبُ عَلَيَّ اعْتِزَالِي
 وَأَشَابُوا ذَوَابِّي يُبْجِرُ قَتَلُوهُ ظُلْمًا بِغَيْرِ قِتَالِ
 قَتَلُوهُ بِشِئْنٍ نَعَلَ كَلِيبِ لِمَنْ قَتَلَ الْكَرِيمَ بِالشُّعْنِ غَالِ
 يَا بَنِي تَغْلِبِ خَذُوا الْحَذَرَ إِنَّا قَدْ شَرَبْنَا بِكَاسِ مَوْتِ زُلَالِ
 يَا بَنِي تَغْلِبِ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِهِ فِي الْخَوَالِ
 قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ (١) مِنِّي لَقَحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ (٢)
 قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَيْسَ قَوْلِي يَرَادُ لَكِنْ فِعَالِي
 قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي جَدَّةُ نَوْحِ النِّسَاءِ بِالْإِعْوَالِ
 قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي شَابَ رَأْسِي وَأُنْكَرْتَنِي أُمُومَالِ
 قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لِلشُّرَى وَالْفُدُوءِ وَالْأَصَالِ
 قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي طَالَ لَيْلِي عَلَى اللَّيَالِي الطَّوَالِ
 قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لِاعْتِنَاقِ الْأَبْطَالِ بِالْأَبْطَالِ
 قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي وَاعْدَلَا عَنْ مَقَالَةِ الْجُهَّالِ
 قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَيْسَ قَلْبِي عَنْ الْقِتَالِ بِسَالِ
 قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي كَلِمَا هَبَّ رِيحَ ذَيْلِ الشَّمَالِ

(١) النِّعَامَةُ : فرس الحارث ، وأصل اللقاح : الجمل ، وعن بمعنى بعد ، وحيال : مصدر حالت
 الأنثى إذا لم تحمل ، والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

قرباً مَرَبُطُ النِّعَمَةِ مِنِّي لُبَّجِيرٍ مُفَكِّكِ الْأَغْلَالِ
 قرباً مَرَبُطُ النِّعَمَةِ مِنِّي لَكَرِيمٍ مُتَوَّجٍ بِالْجَمَالِ
 قرباً مَرَبُطُ النِّعَمَةِ مِنِّي لَا نَبِيْعُ الرِّجَالِ بَيْعَ النَّعَالِ
 قرباً مَرَبُطُ النِّعَمَةِ مِنِّي لُبَّجِيرٍ فِدَاهُ عَمِّي وَخَالِي
 قَرِيبَاها لِحَيٍّ تَغْلِبُ شُومًا^(١) لَا عِتْنَاقُ الْكُفَاةِ يَوْمَ الْقِتَالِ
 قَرِيبَاها وَقَرِيبَا لَأَمْتِي دُرٍّ عَا دِلَاصًا^(٢) تَرُدُّ حَدَّ النَّبَالِ
 قَرِيبَاها بِمَرْهَفَاتِ حَدَادٍ لِقِرَاعِ الْأَبْطَالِ يَوْمَ النَّزَالِ
 سَائِلُوا كُنْدَةَ الْكَرَامِ وَبَكْرًا وَاسْأَلُوا مَذْحِجًا وَحَيَّ هَلَالِ
 لِمَا أَتُونَا بِمُسْكَرِ ذِي زُهَاءٍ^(٣) مَكْفَهْرٍ الْأَذَى شَدِيدِ الْمَصَالِ
 فَقَرَيْنَاهُ حِينَ رَامَ قِرَانًا كُلَّ مَاضِي الدَّيَّانِ^(٤) عَضْبِ الصَّقَالِ

ثم ارتحل الحارث مع قومه ، حتى نزل مع جماعة بَكْرٍ بن وائل ، وعليهم يومئذ الحارثُ بن هَمَّام ، فقال الحارث بن عبَّاد له : إن القوم مُسْتَقْلَوْنَ قومك ، وذلك زادهم جُرْأَةً عَلَيْكُمْ ، فَقَاتِلْهُمْ بالنِّسَاء ، قال له الحارث بن هَمَّام : وكيف قتال النساء ؟ فقال : قَلْدَ كُلِّ امْرَأَةٍ إِدَاوَةٌ^(٥) مِنْ مَاءٍ ، وَأَعْطَاهَا هِرَاوَةً ، وَاجْمَلْ جَمْعَهُنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ ؛ فَإِنْ ذَلِكُمْ يَزِيدُكُمْ اجْتِهَادًا ، وَعَلِّمُوا قَوْمَكُمْ بِعَلَامَاتٍ يَعْرِفْنَهَا ، فَإِذَا

(١) الشُّوسُ : جَمْعُ الْأَشُّوسِ وَهُوَ الْجَرِيُّ
 (٢) الدَّلَاصُ : بَرَاقَةُ مَلَسَاءٍ لَيْتَةٍ بَيْنَةَ الدَّلَاصِ (٣) ذِي زُهَاءٍ : ذِي عَدَدٍ كَثِيرٍ (٤) ذَبَابُ السَّيْفِ : حَدُّ طَرَفِهِ الَّذِي بَيْنَ شَفْرَتَيْهِ وَمَا حَوْلَهُ مِنْ حَدِيدِهِ طَبَاءٍ ، وَقِيلَ حَدُّهُ .
 (٥) الْإِدَاوَةُ : لِمَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يَتَخَذُ لِلْمَاءِ .

مَرَّتْ امْرَأَةٌ عَلَى صَرِيحٍ مِنْكُمْ عَرَفَتْهُ بِعَلَامَتِهِ فَسَقَتْهُ مِنَ الْمَاءِ وَنَعَشَتْهُ ، وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى رَجُلٍ مِنْ غَيْرِكُمْ ضَرَبَتْهُ بِالْمِرَاوَةِ فَقَتَلَتْهُ ، وَأَتَتْ عَلَيْهِ .

فَأَطَاعُوهُ ، وَحَلَقَتْ بَنُو بَكْرِ يَوْمَئِذٍ رُءُوسَهَا ، اسْتَبَسَالًا لِلْمَوْتِ ، وَجَمَلُوا ذَلِكَ عَلَامَةً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نِسَائِهِمْ ؛ وَقَالَ جَعْدَرُ بْنُ ضَبِيْعَةَ - وَإِنَّمَا سَمِّيَ جَعْدَرًا لِقَصَرِهِ : لَا تَحْلِقُوا رَأْسِي ؛ فَإِنِّي رَجُلٌ قَصِيرٌ ، لَا تَشِينُونَنِي ، وَلَكِنْ أَشْتَرِيهِ مِنْكُمْ بِأَوَّلِ فَارَسٍ . يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْقَوْمِ ؛ فَطَلَعَ ابْنُ عَنَاقٍ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فِي ذَلِكَ :

وَمَنَا الَّذِي فَادَى مِنَ الْقَوْمِ رَأْسَهُ بِمُسْتَلَمٍ ^(١) مِنْ جَمْعِهِمْ غَيْرَ أَغْزَلَا
فَادَى إِلَيْنَا بَزَّةً ^(٢) وَسِلَاحَهُ وَمِنْفَصَلًا مِنْ عُنُقِهِ قَدْ تَزَيَّلَا

وَكَانَ جَعْدَرٌ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :

رَدُّوْا عَلَيَّ الْخَيْلَ إِنْ أَلَمْتُ إِنْ لَمْ أَقَاتِلْهُمْ فَجَزُّوْا لِمَتِي
وَاقْتَتَلَ الْفَرَسَانِ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْهَزَمَتْ بَنُو تَغْلِبَ ، وَلَحِقَتْ بِالظُّعْنِ بَقِيَّةَ يَوْمِهَا
وَلِيْلَتِهَا ، وَاتَّبَعَهُمْ سَرْعَانُ ^(٣) بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَتَخَلَّفَ الْحَارِثُ بْنُ عَبَّادٍ ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ
مَالِكٍ : أَتُرَانِي مِمَّنْ وَضَعَتْهُ ^(٤) الْحَرْبُ ؟ فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنْ لَا نَجْبًا لِعِطْرٍ بَعْدَ
عَرُوسٍ ^(٥) .

وَأَمَرَ الْحَارِثُ مُهْلِبًا بَعْدَ انْهِزَامِ النَّاسِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ : دُلَّنِي عَلَى
الْمُهْلِبِ . قَالَ : وَلِي دَمِي ؟ فَقَالَ : وَلَكَ دَمُكَ ، قَالَ : وَلِي ذِمَّتُكَ وَذِمَّةُ أَبِيكَ ؟

(١) مُسْتَلَمٌ : لَابِسُ اللَّامَةِ وَهِيَ السِّلَاحُ (٢) الْبَزَّةُ : نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ (٣) سَرْعَانُ

النَّاسُ : أَوَائِلُهُمُ الْمُسْتَبِقُونَ إِلَى الْأَمْرِ (٤) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ :

بِابْوُسٍ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَا حُوا

(٥) مَعْنَاهُ : إِنْ لَمْ تَنْصُرْ قَوْمَكَ الْآنَ فَلَنْ تَنْصُرَ نَصْرَكَ ؟

قال : نعم ، ذلك لك . قال المهلهل - وكان ذا رأى ومَكيدة - فأنا مُهلهل !
خدعتك عن نفسي ، والحربُ خُدعة . فقال : كافئني بما صنعتُ لك بعد جرمك ،
ودُلّني على كفاء ليَجِير . فقال : لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان ، هَذَا علمه .
فجزّ ناصيته ^(١) وأطلقه ، وقصد قصد امرئ القيس فشدّ عليه فقتله ، فقال
الحارث في ذلك :

لهفَ نفسي على عدِيٍّ ولم أعرفَ عدِيًّا إِذْ أُمَكَّنْتَنِي اليَدَانِ
طُلٌّ ^(٢) من طُلٍّ في الحروب ولم أُو ترَّ بِجِيرًا أَبَانُهُ ^(٣) ابنَ أبان
فارس يضرب الكتيبة بالسَّيْفِ ف وتسمو أمامه العَيْنَانِ

فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأمر إلى أهله جعل النساء والولدان يستخبرونه :
تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها ، والعلام عن أبيه وأخيه ، فقال :

ليس مثلي يَحْزَنُ الناسَ عن آ بآتهم قتلوا وَيُنْسَى القتَالَا
لم أَرِم ^(٤) عَرَصَةَ الكَتِيبَةِ حَتَّى انْتَمَلَ الْوَرْدُ ^(٥) من دِمَاءِ نِمَالَا
عرفته رِمَاحُ بَكَرٍ فَا يَأْ خُذْنَ إِلَّا لِبَانَهُ ^(٦) والقَذَالَا
غَلَبُونَا ، وَلَا مَحَالَةَ يَوْمَا يَقْلِبُ الدهرُ ذَاكَ حَالَا فحَالَا

ثم إن مهلهل قال لقومه : قد رأيت أن تُبقوا على قومكم ، فإنهم يحبون صلاحكم ،
وقد أنت على حربكم أربعون سنة ، وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوتركم ،
فلو مرّت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تملّ من طولها ، فكيف وقد فني
الحَيَانُ ، وثكّلت الأمهات ، ويُمّ الأولاد ، وربّ نائمة لا تزال تصرخ في النواحي ،

(١) الناصية : في مقدم الرأس فوق الجبهة ، وكان من عادة العرب إذا أنعموا على الرجل الشريف
بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه ، فتكون الناصية عند من جزها (٢) طل دم القتيل :
ذهب هدرأ (٣) أباء القاتل بالقتيل : قتله به (٤) لم أرم : لم أريح (٥) الورد
من الحيل : بين الكيوت والأشقر (٦) اللبان : الصدر ، ويروي : لبانه .

ودموع لا ترفأ ، وأجساد لا تدفن ، وسيوف مشهورة ، ورماح مشرعة ؛ وإن القوم سيرجعون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم ، وتتعطف الأرحام حتى يتواصوا ؛ أما أنا فأتطلب نفسي أن أقيم فيكم ، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب ، وأخاف أن أحللكم على الاستئصال ، وأنا سأر عنكم إلى اليمن .

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن ، فخطب إليه أحداهم ابنته فأبى أن يفعل ، فأكرهوه وساقوا إليه أدمًا في صداقها فأنكحها إياه ، فقال في ذلك :

أنكحها فقد لها الأراقم ^(١) في جنب ^(٢) وكان الحباء ^(٣) من أدم
لو بأبائين ^(٤) جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب يدم
أصبحت لا منفساً ^(٥) أصبت ولا أبت كريماً حراً من الندم
هان على تغلب بما لقيت أخت بني المالكين من جشم ^(٦)
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا ينفون من عيلة ولا عدم

وكان قد بلغ قبائل بكر وتغلب زواج سليمى في مذحج ، وكان بين القومين منافسة ونفور ؛ ففضبوا ، وأرغوا وقصدوا بلاد القوم فأخذوا المرأة وأرجعوها إلى أبيها بعد أن أسروا زوجها .

وملئت جموع تغلب الحرب فصالحوا بكرًا ، ورجعوا إلى بلادهم ، وتركوا الفتنة ، ولم يحضر المهلهل صلحهم ، ثم اشتاق إلى أهله وقومه ولجأت عليه ابنته سلميى بالسير إلى الديار ، فأجابها إلى ذلك ، ورجع نحو قومه ، حتى قرب من قبر أخيه كليب ، وكانت عليه قبة رفيعة ؛ فلما رآه خففته العبرة ، وكان تحته بقل نجيب ؛ فلما رأى البغل القبر في غلس الصبح نفر منه هاربًا ، فوثب عنه المهلهل ، وضرب عرقوبيه بالسيف ، وقال ^(٧) :

(١) الأراقم : أحياء في تغلب (٢) حي باليمن هو الذى كان فيه المهلهل (٣) الحباء : يريد به المهر (٤) أبائان : جيلان (٥) المنفس : المال الكثير الذى له خطر (٦) جشم : قبيلة في تغلب ، وهم قوم المهلهل (٧) أوردنا هذا الشعر على ما فيه من سهولة تحملنا على التفكير في صحة نسبه إليه - لطرافته .

رماك الله من بفل بمشحوذ من النبل
أبا تبلغنى أهلك أو تبلغنى أهلى
ألا أبلغ بنى بكر رجالا من بنى ذهل
بدأتم قومكم بالغد ر، والعدوان والقتل
قتلتم سيد الناس ومن ليس بذى مثل
وقلتم : كفوه رجل وليس الرأس كالرجل
وليس الرجل الماحد مثل الرجل النذل
فى كان كالف من ذوى الإيغام والفضل
لقد جثم بها دهما ، كالحية فى الجذل
وقد جثم بها شعوا أشابت مفرق الطفل
وقد كنت أخا لهو فأصبحت أخا شغل
ألا يا عدلى ، أقصر لحاك الله من عدلى
سأجرى رهط جساس كحذو النعل بالنعل

وسار بعد ذلك حتى نزل فى قومه زماناً ، وما وكده^(١) إلا الحرب ، لا يهيم بصلح ، ولا يشرب خمراً ، ولا يلهو بلهو ، ولا يحل لأمته ، ولا يفتسل بماء ، حتى كان جلسيه يتأذى منه من راحة صدأ الحديد .

فلما كان ذات يوم دخل عليه رجل من تغلب - اسمه ربيعة بن الطفيل ، وكان له نديماً ، فلما رأى ما به قال :

أقسمت عليك أيها الرجل لتفتسلن بالماء البارد ، ولتبان ذوائبك بالطيب ! فقال الملهل : هيات ! هيات ! يا بن الطفيل ؛ هيلتنى إذا عيني ، وكيف باليمين التى آليت ! كلاً أو أقضى من بكر أربى ، ثم ناؤه وزفر ، وقال :

إن في الصدر من كليب سُجُونَا هاجساتٍ نَكَانُ مِنْهُ الجراحا
 أنكرتني حلياتي مُدُّ رَأَتِي كاسفَ اللونِ لَا أَطِيقُ المِزَاحا
 يا خليلي نَادِيَا لِي كَلِيبَا ثم قولاً له : نَعَمْتَ صَبَاحَا
 يا خليلي ، نَادِيَا لِي كَلِيبَا قبل أن تبصر العيون الصباحا
 وتقض الصلح ، وعادت الحرب ، ثم إن المهلهل أغار غارة على بني بكر فظفر
 به عمرو بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة ، فأسره وأحسن إيساره ، فرمى عليه تاجر
 يبيع الخمر - وكان صديقاً للمهلهل - فأهدى إليه وهو أسير زقاً من خمر ، فاجتمع
 شُبَّانُ من قيس بن ثعلبة ونحروا عنده بكرا ، وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أُفِرِدَ
 له ، فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بشعر ناح فيه على أخيه :

طِفْلَةٌ^(١) مَا بَنَتْهُ الْحَلَلُ بِيضَا لَعُوبٌ لَدِيدَةٌ فِي الْعِنَاقِ
 فَاذْهَبِي مَا إِلَيْكَ غَيْرَ بَعِيدِ لَا يُؤَاتِي الْعِنَاقُ مَنْ فِي الْوِثَاقِ
 ضَرَبْتَ نَحْرَهَا إِلَى وَقَالَتْ : يَاعَدِيًّا ، لَقَدْ وَقَتَكَ الْأَوَاقِ^(٢)
 مَا أَرْجَى فِي الْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامَا بِي أَرَاهُمْ سُقُوا بِكَاسِ حَلَاقِ^(٣)
 بَعْدَ عَمْرٍو وَعَامِرٍ وَحُسَيْنِ وَرَبِيعِ الصَّدُوفِ^(٤) وَابْنِ عَنَاقِ
 وَامْرَأِ الْقَيْسِ مَيِّتٍ يَوْمَ أَوْدَى ثُمَّ خَلَى عَلَى ذَاتِ الْعَرَاقِ^(٥)
 وَكَلِيبِ سُمِّ الْفَوَارِسِ إِذْ حُمَ مَ رَمَاهُ السَّكَاةُ بِالْإِيفَاقِ^(٦)
 إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَلِينَا وَخَصِيًّا أَلَدًا ذَا مِغْلَاقِ^(٧)
 حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أُرْبَدُ لَا تَنْقَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْثَةُ رَاقِ^(٨)

(١) طفلة : رخصة ناعمة (٢) الأواقي : جمع واقة (٣) الحلاق : النية معدولة
 عن الحالقة ، أى تقشر (٤) الصدوف : اسم فرس الرقيم المذكور (٥) ذات العراق :
 الداهية (٦) الإيفاق : وضع السهم للرماية (٧) الملاق : اللسان البلعج
 (٨) الوجار : الجعر ، والأربد : الذى يضرب لونه إلى السواد .

فلما سمع عوف ذلك غاظه وقال : لا جرم ! إنَّ الله عليّ نذراً ، إن شرب عندي
قطرة ماء ولا خمر حتى يورد الخضير^(١) ، فقال له أناس من قومه : بئس ما حلفت !
فبعثوا الخيول في طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، وكان المهلهل مات
عطشاً^(٢) .

(١) الخضير: بعير لعوف لا يرد الماء إلا في اليوم السابع . وفي رواية : حتى يزدريب الهضاب
وزريب اسم جبل له كان أفل ووروده في الصيف الخمس ، أي مرة كل خمسة أيام (٢) وفي موت
المهلهل رواية أخرى أوردتها صاحب الخزائن وقال : لما أسن وخرف كان له عبدان يخنمانه فلاه ،
وخرج بهما إلى سفر فيبناهما في بعض القلوات عزمًا على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قتب رحله :
من مبلغ الحين أن مهلهلا لله دركًا ودر أيكما
ثم قتلاه ورجعا إلى قومه فقالا مات ، ولكن بنته قرأت ما على القتب فقالت : إن مهلهلا لا يقول
هذا الشعر وإنما هو أراد :

من مبلغ الحين أن مهلهلا أمسى قتيلًا في القلابة مجدلا
لله دركًا ودر أيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا المبدلين حتى أقرأ بقتله .

٥- أيام ربيعة وتيم

١- يوم الوقيط .

٢- » ثيتل .

٣- » جدود

٤- » زرود

٥- » ذى طلوح

٦- » الإياد

٧- » الغبيط

٨- » قشاوة

٩- » زباله

١٠- » مبايض

١١- » الزورين

١٢- » عاقل

١٣- » الشيطين

١٤- » الوقي

١٥- » الشباك

(١) يوم الوقيط*

تَجَمَّعَتِ اللَّهَازِمُ ^(١) لِتَغْيِيرِ عَلَى بَنِي تَيْمٍ ، وَهُمْ غَارُؤُنَ ^(٢) ، فَرَأَى ذَلِكَ نَاشِبُ بْنُ
بَشَامَةَ الْعَنْبَرِيَّ ^(٣) الْأَعُورَ - وَهُوَ أَسِيرٌ فِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ نَاشِبٌ : أَعْطُونِي
رَجُلًا أُرْسِلُهُ إِلَى أَهْلِ بَنِي الْعَنْبَرِ وَأَوْصِيهِ بِيَعِضِ حَاجَتِي ، فَقَالَتْ لَهُ قَيْسُ بْنُ
ثَعْلَبَةَ : رَسُلُهُ وَنَحْنُ حُضُورٌ - وَذَلِكَ مَخَافَةٌ أَنْ يُنْذَرَ ^(٤) عَلَيْهِمْ - قَالَ : نَعَمْ ، فَأَتَوْهُ
بِفُلَامٍ مُوَلَّدٍ ، فَقَالَ : أَتَيْتُمُونِي بِأَحْمَقٍ ! قَالَ الْفُلَامُ : وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَحْمَقٍ ، فَقَالَ
الْأَعُورُ : إِنِّي أَرَاكَ تَجْنُونَا ! قَالَ : وَاللَّهِ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ . قَالَ : فَالَّذِينَ يَرَانُ أَكْثَرَ
أَمْ الْكُؤَاكِبُ ؟ قَالَ : الْكُؤَاكِبُ ، وَكُلُّ كَثِيرٍ . قَالَ : إِنَّكَ لَنَبِيٍّ أَحْمَقٍ ، وَمَا أَرَاكَ
مُبْلَغًا عَنِّي . قَالَ : بَلَى ، لِعَمْرِي لَا بُلْغَنَ عَنْكَ .

فَلَا الْأَعُورُ كَفَّهُ مِنَ الرَّمْلِ ، فَقَالَ لَهُ : كَمْ فِي كَفِّي ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، وَإِنَّهُ
لَكَثِيرٌ مَا أُخْصِيهِ ، فَأَوْمَأَ إِلَى الشَّمْسِ بِيَدِهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا تِلْكَ ؟ قَالَ : هِيَ الشَّمْسُ .
قَالَ : مَا أَرَاكَ إِلَّا عَاقِلًا ظَرِيفًا ؛ أَذْهَبَ إِلَى أَهْلِي ، فَأُبَلِّغُهُمْ عَنِّي التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ ،
وَقُلْ لَهُمْ : لِيُحْسِنُوا إِلَى أَسِيرِهِمْ وَيَكْرُمُوهُ ، فَإِنِّي عِنْدَ قَوْمٍ يَحْسِنُونَ إِلَى وَيَكْرُمُونَ -
وَكَانَ جَنْظَلَةُ بْنُ طَفِيلٍ الْمُرْتَدَى أَسِيرًا فِي أَيْدِي بَنِي الْعَنْبَرِ - وَقُلْ لَهُمْ : فَلْيَعْمُرُوا جَمَلِي

* لِبَكْرٍ (مِنْ رِبْعَةٍ) عَلَى تَيْمٍ ، وَالْوَقِيطُ : السَّكَانُ الصَّلْبُ الَّتِي يَسْتَقِفُّ فِيهِ الْمَاءُ . أَطْلُقُ
عَلَى مَوْضِعٍ .

الْأُمَلَى ص ٦ ج ١ ، النِّقَاضُ ص ٣٠٥ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٨٥ ج ١ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ص ٣٣٠
ج ٣ ، بُلُوغُ الْأَرْبِ ص ٣٨٥ ج ١ ، نَهَايَةُ الْأَرْبِ ص ١٥٤ ج ٣ ، قِصَصُ الْعَرَبِ ص ٣٣٧ ج ١
الزَّهْرُ جُزْءُ أَوَّلِ طَبْعَةِ الْحُلِيِّ (بَابُ الْمَلَاخِنِ)

(١) اللَّهَازِمُ : مِمَّنْ عَزَزَ بَنُ الْأَسَدِ بِنِ رِبْعَةٍ وَعَجَلُ بْنُ الْجَيْمِ ، وَتَيْمُ اللَّهِ وَقَيْسُ ابْنَا ثَعْلَبَةَ مِنْ بَكْرِ
ابْنِ وَائِلٍ ، وَقَدْ كَانُوا جَمِيعًا حُلَمَاءَ (٢) الْغَاوِ : الْغَافِلِ (٣) مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، وَهُمْ بَطْنُ
مِنْ تَيْمٍ (٤) يَنْذَرُ : يَعْلَمُ .

الأحمر، وبركبووا ناقى العيساء^(١)، بآية ما أكلت معهم خيساً^(٢)، وليرعوا حاجتي في أبيتني مالك^(٣)، وأخبرهم أن العوسج^(٤) قد أورق، وأن النساء قد شكّت^(٥)، وأبعصوا همّام بن بشامة فإنه مشؤوم محدود^(٦)، وليطيعوا هذيل بن الأخنس، فإنه حازم ميمون.

فقال له بنو قيس: من أبيتو مالك؟ قال: بنو أخى.

فأتاهم الرسول فأخبرهم وأبلغهم، فلم تدّر عمرو بن تميم ما الذى أرسل به إليهم الأعور، وقالوا: ما نعرف هذا الكلام، ولقد جُنّ الأعور بعدنا! ما نعرف له ناقة يحتصّها ولا جملاً، وإن إبله عندنا لبأج^(٧) واحد فيما نرى.

فقال هذيل بن الأخنس للرسول: اقتصّ على أول قصّته، فقصّ عليه أول ما كله به الأعور، وما رجمه إليه حتى أتى على آخره، فقال هذيل: أبلغه التحية إذا أتته، وأخبره أنا سنوصى بما أوصى به، فشخص الرسول.

ثم نادى هذيل باللعنبر! قد بين لكم صاحبكم؛ أما الرمل الذى جعل فى يده فإنه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يحصى، وأما الشمس التى أوما إليها، فإنه يقول: إن ذلك أوضح من الشمس، وأما جملة الأحمر فالصمان^(٨) يأمركم أن تمرّوه، معنى ترتجلوا عنه، وأما ناقته العيساء فإنها الدهناء^(٩) يأمركم أن تتحرّروا فيها، وأما أبيتو مالك فإنه يأمركم أن تغدّروهم ما حدّركم، وأن تمسكوا بحلف بينكم وبينهم، وأما إيراقي

(١) العيساء: الناقة يخالط ياباضها شقرة (٢) الخيس: تمر يخلط بسمن وأقط

(٣) يرعوا: يحفظوا، وأبيتني: تصغير بنين كما فى اللسان مادة بنى (٤) العوسج: شوك

(٥) شكّت النساء: اتخذت الشكاء، والشكاء جمع شكوة وهو وعاء من آدم يرد فيه الماء

(٦) المحدود: الممنوع من الخير (٧) بأج واحد - يهزم ولا يهزم: شئ واحد

(٨) الصمان: جبل أحمر فى أرض بنى تميم (٩) الدهناء: سبعة أجبل من الرمل، وهى

ديار لعامة بنى تميم.

العوسج فإن القوم قد اكتسوا سلاحاً ، وأما اشتكاء النساء فيخبركم أنهن قد عمِلن الشكاء ، يريد خزنَ لهم شكاء يَفزُون بها ؛ وقوله : بآية ما أكلتُ معكم حينئذ ، يريد أخلاطاً من الناس قد غزواكم ؛ لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط (١) .

فخبرت بنو عمر (٢) بن تميم ، فركبت الدهناء ، وأندروا بني مالك بن حنظلة ، فقالوا : ما ندرى ما تقول بنو الجمراء (٣) ، ولسنا متحولين لما قال صاحبهم .

فصبحت اللهازم بنى حنظلة ، ووجدوا بنى عمرو قد أجلت وأرتحلت ، وإنما أرادوهم على الوقيط ، وعلى الجيش أبحر بن جابر المجلى ، فاقتتلوا ، فطعن بشر بن الموراء - من بنى تميم اللات - ضارز بن القمقاع وأخذه ، ثم جزت بنو تميم اللات ناصيته وخلوا سريره (٤) تحت الليل .

وبلرز عمرو بن قنيس - من بنى ربيعة - عثجل بن المأموم - من بنى شيبان - فأمره عمرو ثم من عليه .

(١) وهناك رواية أخرى أوردها صاحب النفاض وهي : أن ناشب بن بشامة رأى راكباً فقال : أين تريد ؟ فقال : موضع كذا ، فقال لبنى سعد بن مالك : إن طريق هذا على أهلى ، فهل أنتم تاركى فأحمله حاجة إليهم ، وأوصيهم بحنظلة ؟ فقالوا : لا ، إلا ونحن نسمع ، قال : وأنتم تسمعون ، فتركوه وهو معهم ، فقال للراكب : إذا أتيت أم قدامة فقل لها : إنكم قد أسأتم لى جلى الأحمر ونهكتموه ركوباً فأعفوه ، وعليكم ناقتى الصهباء فاقتعدوها ، فلما أبلغها ما قال ، قالت لابنها : إن الأعور يأمركم أن تركبوا الدهناء وتعرؤا الصان . . . الخ (٢) من تميم (٣) الجمراء : لقب بنى عمرو وأصله الضبع ، يريدون ما ندرى ما تقول بنو العنبر . (٤) سبيله .

وأمر طليسة بن زياد العجلي حنظلة بن المأموم^(١) ، وأمر حنظلة بن عمار
جُوَيْرِيَّة بن بدر - من بني عبد الله بن دارم^(٢) - وأمر أيضاً نعيم وعوف ابنا القمقاع
وغيرهما من سادات بني تميم ، ثم هرب عوف عن أخويه ففات ، وهرب مالك بن
قيس^(٣) .

(١) اشتراه الوراق بن الوراق بمائة بعير ، ثم حبسه معه ، فلم يوفه ، فقدم الكوفة ليفاديه ،
وبها على بن أبي طالب ، فأثاه نفر من بني حنظلة الذين كانوا بالكوفة ، فقالوا : أسار في الإسلام ؟
فقال : لا ، وبث فأنزعه ، من الوراق ، ولم يكن الوراق وفي بني عجل فداء حنظلة ، فلما كانت
فتنة ابن الزبير وثب بنو عجل فأخذوا من الوراق مائة بعير ، فقال يزيد بن الجداء العجلي في المأموم :

وَمَ صَبَحُوا أُخْرَى ضَرَاراً وَرَحْطَهُ وَهُمْ تَرَكُوا الْمَأْمُومَ وَهُوَ أَمِيمٌ
(٢) لم يزل في الوثاق حتى رآهم ذات يوم قد قعدوا شرباً ، فأنشأ يتغنى رافعاً عقيرته :

وقائلة ما غاله أن يزورنا وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل
وقد أدركتني والحوادث جمة محال قوم لا ضعاف ولا عزل
سراع عن الحلي بلاء عن الحنا رزان لدى الباذين في غير ما جهل
الباذون : أصحاب البذاءة

لعلهم أت يعطروني بنعمة كما صاب ماء الزن في البلد المحسل
فقد ينشئ الله الفتى بعد عثرة وقد تبتنى الحسنى سرة بني عجل
فلما سمعوا أطلقوه

(٣) وفي ذلك يقول عمار بن عمار التيمي :

وأفلتنا ابن قمقاع عوف حيث الركض واحتطوا ضاراً
فإن تك يا عوف نجوت منها فقدما كنت منتخباً مطاراً
وكم غادرنا منكم من قتيل وآخر قد شدناه لأساراً
كذلك الله يجزي من تميم وبرزقها الساءة والعنار
ونجى مالكا منا ابن قيس أخو ثقة يؤم به الفسار
وصادف عثبل من ذاك مرأ مع المأموم إذ جذا ثقاراً
وغادرنا حكيماً في مجال صريعاً قد سلبناه الإزاراً
حكيم بن جذيمة بن الأصيلع

مددنا غارة ما بين فلج وبين لصف نوطها الديار
فا شعروا بنا حتى رأونا على الرايات ندرع الغبار

ولحن^(١) وراز التيمى حُكَيْمًا^(٢) النهشلى وهو يرتجز :

ماوى لى ترأى رحيبة ذراعى

بالكر والإيزاع

ويقول :

كل امرئ مُصَبِّحٌ فى أهله والموتُ أدنى من شركِ نَعْلِهِ

فشد عليه ورازُ قَتَلَهُ^(٣) .

ومرت الهازم يومئذ بعد الوقعة على ثلاثة نفر من بنى عدى بن جندب بن المنبر لم يكونوا برحوا مع قومهم فلحقوا بالله هُنا معهم ولم يشهدوا القتال مع بنى دارم ، فكانوا يرعون ، فقاتلوا من دون إبلهم حتى طردوها فأحرزوها ، وجعل وزرُ يُقاتلهم ويرتجز ويقول :

نحن حَمِينًا يوم لا يحمى بشرُ يوم الوقيط والنساء تُبتقر^(٤)

قوسٌ تنفأها من النبع وزرُ تَرْنُ إن تُنَازِعَ الكف الوترُ

حَجَرِيَّةٌ^(٥) فيها المنايا تستعمرُ تحفِزُها الأوتارُ والأيدى الشعرُ

(١) فى معجم البلدان اسمه إراز ، وهو أحد بنى تيم الله بن ثعلبة (٢) فى معجم البلدان أيضا أن اسمه الحكم

(٣) رثاه أبو الحارث بن نهيك الأصيلع فقال :

حكيم فدى لك يوم الوقيط

تعودت خير فعال الرجا

وما إن آتى من بنى دارم

وقفا عني تبكاهما

فا شاء فليفعل المؤيدا

أى حكيم فتى ما أضلت به أمه

يجوب الظلام ويهدى الخيس

(٤) ناقة بقير : شق بطنها عن ولدها أى شق ، وقد تبقر وابتقر وابتقر (٥) يعنى قوساً

نسوبة إلى حجر - قصبة اليمامة أو بكسر الحاء نسبة إلى أرض حمود - الحجر .

(٢) يوم نَيْتَلْ*

خرج قيسُ بنُ عاصمِ المِنْقَرِي بِمُقَاعِسَ^(١) وهورئيس عليها، ومعه سَلَامَةُ بنُ ظَرْبٍ في الأَجَارِبِ^(٢)، ففَزَوْا بِكَرَ بنِ وائِلٍ؛ فوجدوا اللَّهَازِمَ^(٣)، وبنى ذُهَل بن ثعلبة وعِجْل بن لُجَيْم، وَعَنْزَةَ^(٤) بن أسدِ النَّبَّاحِ وَنَيْتَلْ^(٥)، فتنازعَ قيسُ وسَلَامَةُ في الإغارة، ثم اتَّفَقَا على أن يُغَيِّرَ قيسُ على أهل النَّبَّاحِ، ويُغَيِّرَ سَلَامَةُ على أهل نَيْتَلْ؛ فبعثَ قيسُ سِنَان بن سَمَى الأَهِمَّ شَيْقَةَ^(٦) له، فَلَقِيَ رجلاً من بني بكر بن وائل، فتماقدا على ألاَّ يَتَسَكَّتا؛ فقال الأَهِمُّ: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا فلان ابن فلان، ونحن نجوف الماء حضور، فمن أَنْتَ؟ قال الأَهِمُّ: أنا سنان بن سَمَى، وهو لا يُعرفُ إلاَّ بالأَهِمِّ، ففعلَ نفسه له، فرجع البَكْرِيُّ فأخبر قومَه عنه، ورجع الأَهِمُّ فأخبر قيساً الخبرَ، وقال: يا أبا عليٍّ؛ هل بالوادي طَرْفَاءُ^(٧)؟ فقال قيسُ: بل به نَعَمْ. وعرفَ أَنَّهُم بكر، فكتبهم أَصْحَابَهُ.

فلما أصبح سَقَى خَيْلَهُ، ثم أطلق أفْوَاهَ الرِّوَايا، وقال لأَصْحَابِهِ: قَاتِلُوا فَاَلوْتُ

* لتيم على بكر (بن ربيعة). نَيْتَلْ: ماء على عشر مراحل من البصرة، ويسمى يوم النَّبَّاحِ، وهو موضع قريب من نَيْتَلْ
النفائض ١٠٢٣ (طبع أوربا)، المقد الفريد ٣٣٢ ج ٣، ابن الأثير ص ٣٩٧ ج ١، معجم البلدان ص ٢٤٣ ج ٨

(١) مقاعس: بطون في تميم تتألف من: صريم وربيعة وعبيد بن الحارث بن عمرو
(٢) الأَجَارِب: بطون في تميم أيضاً تتألف من: جما وربيعة ومالك والأعرج بنو كعب بن سعد
(٣) اللَّهَازِم: لقب تيم الله بن ثعلبة، وم بطن في بكر، وكذلك ذهل بن ثعلبة وعجل بن لُجَيْم
(٤) عَنْزَةُ من ربيعة بن نزار (٥) النَّبَّاح: موضع على عشر مراحل من البصرة، ونَيْتَلْ قريب منه (٦) الشِّقَّة: الطليعة (٧) طَرْفَاء: شجر وهو أصناف من الأثل، وهو يكنى بالنعم عن القوم

بين أيديكم ، والفلاة من ورائكم . فلما دنوا من القوم صُبْحًا سمعوا ساقياً من بكر يقول لصاحب له : يا قيس ؛ أورد ؛ فتفاءلوا به الظفر ، ثم أغاروا على أهل النِّبَاج من بكر قبيل الصُّبَح ، فقاتلهم قتالاً شديداً .

ثم إن بكرأ انهزمت ، وأمر الأَهممُ حُرَّان بن عبد عمرو ، وأمر فدكي بن أعبد جثامة الذُّهلي ، وأصابوا غنائم كثيرة ، ثم قال قيس لأصحابه : لا تقبل دون إخواننا بثيتل .

وعاد مُسرِعاً إلى سلامة ، ومن معه ، فأدركهم ولم يُفرِّ بَمَدُ سلامة وأصحابه على من بثيتل ، فأغار قيس عليهم فقاتلهم ، ثم هزمهم ، فأصابوا إبلاً كثيرة ، وجاء سلامة فقال : أغرتم على ما كان إلي ؛ فتلاجوا حتى كاد الأمر يَفْقُم ، ثم انفقوا على أن سلموا السلامة غنائم بثيتل . وفي ذلك يقول ربيعة بن طريف بن تميم حيث رَني قيساً :

فَإِنَّتَ لَنَا عِزٌّ عَزِيزٌ وَمَعْقِلٌ	فَلَا يُبْعِدُنَاكَ اللَّهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
وَقَدْ عَصَلَتْ ^(٢) مِنْهَا النَّبَاجُ وَبَثِلَ	وَأَنْتَ الَّذِي حَرَبْتَ ^(١) بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ
كَرَادِيسٍ ^(٣) يَهْدِيهِمْ وَرَدُّ مُحَجَّلٌ	غَدَاةَ دَعَتْ يَا آلَ شَيْبَانَ إِذْ رَأَتْ
وَشَعْتُ النَّوَاصِيَ لُجْمُهُنَّ تُصَلِّصُ	وِظَلَّتْ عُقَابُ الْمَوْتِ تَهْفُو عَلَيْهِمْ
لِفَارَتِهِ إِلَّا رَكُوبٌ مُذَلَّلٌ	فَمَا مِنْكُمْ أَفْنَاءُ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ

• وقال قرة بن قيس بن عاصم :

أَنَا الَّذِي شَقَّ الزَّادَ^(٤) وَقَدْ رَأَى بَثِيتَلُ أَحْيَاءَ اللَّهَازِمِ حُضْرًا

(١) حربته : سلب ماله (٢) عصلت الأرض بأهلها إذا ضاقت بهم لكثرتهم

(٣) كراديس : جمع كردوس ؛ الخيل العظيمة ، وقيل القطعة من الخيل العظيمة

(٤) جمع مزادة ؛ الراوية .

فصَبَّحَهُم بِالْجَيْشِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْأَسِنَّةَ مُصَدَّرَا
سَقَّاهُمْ بِهَا الدِّيْقَانُ ^(١) قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَكَانَ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرُ أَصْدَرَا
عَلَى الْجُرْدِ ^(٢) يَمْلِكُنِ الشَّكِيمَ ^(٣) عَوَاسِيَا إِذَا الْمَاءُ مِنْ أَعْطَافِهِنَّ تَحْدَرَا
فَلَمْ يَرَهَا الرَّاوِيَّ إِلَّا فِجَاجَةً ثَرْنَ عَجَاجًا بِالسَّنَابِكِ أَكْدَرَا
وَمُحْرَانُ أَدَّتْهُ إِلَيْنَا رِمَاحُنَا فَتَنَازَعَ غَلًّا فِي ذِرَاعِيهِ أَسْمَرَا
وَجَنَامَةُ الذَّهْلَى قُدْنَاهُ عَنُوءَةً إِلَى الْحَيِّ مَصْفُودَ الْيَدَيْنِ مَفْكَرَا

(١) الدِّيْقَانُ ، والدِّيْقَانُ (بفتح الدال وكسرهما) : السم الناقع ، وقيل القاتل (٢) فرس
أجرد قصير الشعر ، وقيل الأجرد : الذي رق شعره وقصر ، وهو مدح (٣) الشكيم في
الديج : الحديدية المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس .

(٣) يوم جدود *

كانت بين الحارث بن شريك وبين بنى سليط بن يربوع مَوَادعة ، فهم بالغدر بهم ، وجمع بنى شيان وذَهَلًا ، واللَّهَازم ، وعليهم مُحْران بن عبد عمرو ، ثم غزا وهو يَرْجُو أن يُصِيبَ غِرَّةً من بنى يربوع ؛ حتى إذا أتى بلادهم نَذَرَ به عُتَيْبَةُ ^(١) بن الحارث ابن شهاب ، فنَادَى في بنى جعفر بن ثعلبة ، فحَالُوا بين الحارث وبين الماء ، والحارث في جماعة من أَفْنَاء بكر بن وائل ، فقال الحارث لعتيبة : إني لا أرى معك إلا بنى جعفر ، وأنا في طوائف من بكر بن وائل ، فلئن ظفرتُ بكم قلَّ عددكم ، وطمع فيكم عدوكم ، ولئن أنتم ظفرتُم بي ما تقتلون إلا أَقاصى عَشِيرَتِي ، والله ما يَأِيكُم أُرَدْتُ ، ولا لَكُمْ سَمَوْتُ ، وقد عرَقتُم المَوَادعة التي بيننا وبين إخوانكم بنى سليط ، فهل لَكُمْ أن تُسْأَلُونَا ، وتأخذوا ما معنا من التمر ، وتُحَلُّوا سَبِيلَنَا ؟ فوالله لا نرَوِّع يَرْبُوعِيًّا أَبَدًا .

فأخذ عتيبة ما معهم من التمر ، وَحَلَّى سَبِيلَهُمْ ، فسار الحارثُ في بكر بن وائل حتى أَغارَ على بنى رُبَيْع بن الحارث بِجَدُود ، فأصاب سبيًا ونِعمًا وهم خُلوْف ، فبعث بنو ربيع صَرِيحَهُمْ ^(٢) إلى بنى كَلْبِيب بن يربوع ، وهم يومئذ جيرانهم فلم يَحْبِبوهم ، فقال قيس بن مقلد الكَلْبِيبِي لصريح بن رُبَيْع :

* لَبْنِي مُنْقَر (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وجدود اسم موضع في بلاد بنى تميم قريب من حزن بنى يربوع على سَمَتِ الْيَمامَةِ فيه الماء الذي يُقال له الْكَلاب ، قال في اللسان : وكانت فيه وقعة مرتين . وقد يسمى بعضهم يوم الْكَلاب الأول يوم جدود لذلك .

شرح الفضليات ص ٧٤٠ لابن الأثير ، النقاظ ص ١٢٤ ، ٣٣٦ ، العقد الفريد ص ٣٤٠ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٢ ج ١

(١) رئيس بنى يربوع إذ ذاك (٢) الصريح : المستغيث .

أَمْنَكُمْ عَلَيْنَا مُنْذِرٌ لَعَدُونَا وداع بنا يوم الهياج مُنْذَرٌ
فقلتُ ولم أُسَرَّ بِذَاكَ ولم أُسَأْ أسعدُ بن زَيْدٍ؛ كيف هذا التودُّدُ

فأتى صَرِيحُ بنِ رُبَيْعِ بنِ مُنْقَرِ بنِ عُبَيْدٍ ، فركبوا في الطَّلَبِ ، فلاحقوا بكر بن وائل وهم قَاتِلُونَ ، فها شعر الحارث بن شريك - وهو قاتل في ظل شجرة - إلا بالأهَم^(١) بن سُمَيِّ بنِ سِنَانِ بنِ منقر ، وهو واقف على رأسه ، فوثب الحارث إلى فرسه فركبه ، وقال للأهَم : من أنت ؟ قال : أنا الأهَم ، وهذه منقر قد أتتك ، فقال الحارث : فأنا الحارث بن شريك ، وهذه بنو رُبَيْعِ قد حوتها ، فنادى الأهَم بأعلى صوته : يا آل سعد^(٢) ، ونادى الحارث : يا آل وائل^(٣) ، وشدَّ كل واحد على صاحبه ، ولحق بنو منقر ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، ونادت نساء بنو رُبَيْع : يا آل سعد ، فاشتد قتال بنو منقر لَمَّا نَادَى النساء ؛ فهزمت بكر بن وائل ، وخلوا ما كان في أيديهم من السَّيِّئِ والأموال ، ولم تكن لرجل منهم همة إلا أن ينجو بنفسه وتبعهم منقر فن قتل وأسير .

وأسر الأهَم مُعْرَان بن عبد عمرو ، وقال في ذلك :
تَمَطَّتْ بِمُحْمَرَاتِ النَّيَّةِ بَعْدَ مَا حشاه سِنَانٌ مِنْ شَرَاعَةٍ أَزْرَقُ
دعا يالَ قَيْسٍ واعْتَرَيْتُ لِلنَّقِيرِ وقد كنتُ إِذْ لَاقَيْتُ فِي الْحَيْلِ أَصْدَقُ
واتبع قيس بن عاصم الحارث بن شريك ، وهو على فرس له يدعى الزَّيْدُ ، وقيس بن عاصم على الزعفران بن الزيد فرس الحوفزان^(٤) ، فإذا استوت بهما الأرض لحقه قيس ، وإذا وقعا في هبوط وصعد سبقه الحوفزان بقوة فرسه وسننه ، فلما خشي أن يفوته قال : استأمر يا حارث خيراً أسير . فقال الحارث : لا ، بل شر أسير ، ثم جزر فرسه ، فسبق مُهْرُ

(١) في رواية : هو سنان بن سمي المنقري (٢) إشارة إلى جدم الأكبر سعد بن زيد مناة

(٣) يشير إلى جدم الأعلى وائل (٤) الحارث بن شريك .

قيس لقوته، وتخوف قيس أن يفوته الحوفزان، فحفزه بالرمح في استه، وبهذه الحفرة سمي الحوفزان، ونجا.

ورجع بنو منقر بسبي بني ربيع وبأسارى بكر بن وائل وأصلاهم.

وقال قيس بن عاصم في ذلك اليوم :

جَزَى اللَّهُ يَرْبوعاً بِأَسْوَأِ سَعْيِهَا إِذَا ذُكِرَتْ فِي الْغَائِبَاتِ أُمُورُهَا

وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُ أَبَاكُمْ وَسَالَمْتُ وَالْخَيْلُ تَدْمَى نَحْوُهَا

سَتَخِطُمُ سَعْدٌ وَالرَّيَابُ أَنْوَفَكُمْ كَمَا غَاطَ^(١) فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا

فَأَصْبَحْتُ وَاللَّهِ يَفْعَلُ ذَاكُمْ كَمَنْهَوَّةٍ^(٢) جَرَبَاءُ أُبْرِزَ كُورُهَا

فَأَصْبَحْتُ وَاللَّهِ يَفْعَلُ ذَاكُمْ كَمَوْءِدَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا زَفِيرُهَا

أَفْخَرَا عَلَى الْمَوْلَى إِذَا مَا يَطْنُمُ^(٣) وَلَوْ مَا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ سَعِيرُهَا

أَتَانِي وَعَيْدُ الْحَوْفَزَانِ وَدُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ صَخْرَاوَاتٍ فَلَجَ وَقُورُهَا

أَقِمْ بِسَبِيلِ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا إِذَا حَشَدَتْ سَعْدٌ وَجَاشَ نَصِيرُهَا^(٤)

عَصَمْنَا نَعْمًا فِي الْحُرُوبِ فَأَصْبَحْتُ يَلُودُ بَنَّا ذُو وَفْرِهَا^(٥) وَفَقِيرُهَا

وَأَصْبَحْتُ وَغَلًّا^(٦) فِي تَمِيمٍ وَأَصْبَحْتُ مَعَادِنُهَا تُجْبَى سِوَاكَ وَخَيْرُهَا^(٧)

وقال سوار بن حيان المنقري :

وَمِنْ حَفَرْنَا الْحَوْفَزَانِ بَطْنَهُ سَقَتُهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَالًا^(٨)

(١) غاط : دخل ، والقضيب : الناقة التي لم ترض ، والجريز : الحبل (٢) هنأت البعير :

إذا طليته بالهناء وهو الفطران ، والإبل منهوئة . (٣) البطنة : امتلاء البطن من الطعام ،

وهي الأثر من كثرة المال أيضاً ، والفعل كفرح (٤) في رواية : إذا غضبت سعد

(٥) الوفير : المال (٦) الوغل : الدعي نسباً ليس منه ، والوغل : التذل الضعيف المقصر

في الأشياء (٧) الخير : الشرف والأصل ، ويروى : وأصبحت معادتها (بتثنية الدال)

ويقال : عادته اللسة : إذا أته امداد (٨) أحر .

وَمُحَرَّمَانِ قَسَرَا أَنْزَلَتْهُ رِمَاحُنَا فَمَالِحٌ غُلًّا فِي ذِرَاعِيهِ مُقَفَّلًا^(١)
فَمَا لَكَ مِنْ أَيَّامٍ صَدَقَ تَعْدُهَا كَيَوْمِ جُؤَائِي وَالنَّبَاجِ وَثَيْثَلَا
قَضَى اللَّهُ أَنَا - يَوْمَ تُقْتَسَمُ الْمَلَا - أَحَقُّ بِهَا مِنْكُمْ فَأَعْطَى وَأَجْزَلَا
فَلَسْتُ بِمُسْطِيعِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَجِدْ لِعِزِّ بِنَاءِ اللَّهِ فَوْقَكَ مَثَقَلَا
وَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ خَنْدَلٍ السَّعْدِيُّ :

فَسَائِلُ بَسْعَدَى فِي خَنْدَفٍ وَقَيْسٌ وَعِنْدَكَ تَبْيَاهَا
وَأَنْ تَسْأَلَ الْحَيَّ مِنْ وَائِلٍ تُنْبِثُكَ عَجَلٌ وَشِيْبَاهَا
بَوَادِي جَدُودٍ وَقَدْ غَوَدَتْ بِضِيقِ السَّنَابِكِ أَعْطَاهَا
بَارِعُنَ كَالطَّوْدِ مِنْ وَائِلٍ يَوْمَ الثَّنَوَرِ وَيَعْتَانَهَا^(٢)
تَطَاوَلَهُ الْأَرْضُ مِنْ رِزَّةٍ^(٣) إِذَا سَارَ تَرْجَفُ أَرْكَانِهَا^(٤)

وَأَلْحَ قَيْسٌ عَلَى الْخَوْفَزَانِ ، وَقَدْ جَمَلَ الزَّرْقَاءُ^(٥) ، فَسَأَلَهُ مِنْ هُوَ ، فَقَالَ : لَا تَكَايِمَ
الْيَوْمَ ! أَنَا الْخَوْفَزَانُ ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا أَبُو عَلِيٍّ ، وَمَضَى .
وَرَجَعَ الْخَوْفَزَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَقِيتُ رَجُلًا أَزْرَقُ كَأَنَّ لِحْيَتَهُ ضَرْبِيَّةٌ^(٦)
صُوفٌ ، فَقَالَ : أَنَا أَبُو عَلِيٍّ وَمَضَى ، فَقَالَتْ عَجُوزُ مِنَ السَّيِّئَةِ : يَا أَبُو عَلِيٍّ ! وَمَنْ لَنَا
بِأَبِي عَلِيٍّ ! فَقَالَ لَهَا : وَمَنْ أَبُو عَلِيٍّ ؟ قَالَتْ : قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :
النَّجَادُ ! وَأَرَدَفَ الزَّرْقَاءُ خَلْفَهُ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَعَقَدَ شَعْرَهَا إِلَى صَدْرِهِ وَنَجَا بِهَا .

(١) يروى : مقفلا (٢) يعتانها من الرَيْثَةِ وهو عين القوم (٣) الرز : هدير الفعل
أو صوت الرعد أو الصوت تسمعه من بعيد (٤) ارجع إلى بقية القصيدة ص ١٤٧ من
اللقاوض إن أردت (٥) كان قد سبها من بني ربيع بن الحارث (٦) قطعة .

(٤) يوم زُرُود*

أغار حَزِيمَةُ بن طارق التغلبي على بني يَرْبُوع وهم بَرْزُود ، فاستاق إبلهم ، فأتى الصَّرِيحُ ^(١) بني يَرْبُوع ، فركبوا في إثره ، وهزموه ، واستنقذوا ما كان قد أخذ ، وأسروا حَزِيمَةَ بن طارق ، واختصم في أسرِهِ اثنان : أُنَيْف بن جيلة الضَّبِّي - وكان تَقِيلاً ^(٢) في بني يَرْبُوع ، وليس معه من قومه أحد - وأَسِيد بن حِذاء السليطي ؛ فاختصما إلى الحارث ^(٣) بن قُرَاد فحكم : أن جزَّ ناصيته لِأُنَيْف ، وأن لِأَسِيدِ عنده مائة من الإبل ، فرضيا بذلك ، وقال أُنَيْف :

أَخَذْتُكَ قَسْراً يَا حَزِيمَ بْنَ طَارِقٍ وَلَا قِيَتَ مِنِّي الْمَوْتُ يَوْمَ زُرُودٍ
وَعَانَقْتُهُ وَالْحَمِيلُ تَدْمِي نَحُورَهَا فَأَنْزَلْتَهُ بِالْقَاعِ غَيْرَ حَمِيدٍ
وَكُنَ لِلْكَلْبَةِ ^(٤) الْيَرْبُوعِي فَرَسُ اسْمِهَا «عَرَادَةٌ» ؛ فَلَمَّا جَاءَ النَّذِيرُ كَانَتْ فَرَسُهُ

* ليربوع (من تميم) : على تغلب (من ربيعة) ، وزرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة

العقد الفريد ص ٣٣٣ ج ٣ ، رغبة الأمل من كتاب الأمل من ١٧ ج ١ ، خزانة الأدب ص ٣٥٤ ج ١ ، الفضليات ص ٣

(١) الصريح : المستغنى (٢) للثقل : الغريب (٣) من بني رياح بن يربوع (٤) الكلبة اليربوعي : اسمه هيرة بن عبد مناف ، على ما في المؤلف والمختلف ، فارس شاعر ، ومن شعره يخاطب جاريته كَأْساً :

يا كَأْسُ وِيلَكَ إِنِ غَالِي خَلَقِي	على الساحة صعلوكا وذاملا
تَغْيِرِي ابْنَ رَاعٍ حَافِظَ بَرَمٍ	عبد الرشاء عليك الدهر عمال
وَيَنْ أَرْوَعَ مَشْمُولٍ لَخَلَاتِقِهِ	مستغرق المال للذات مكسال
فَأَيُّ ذِيكَ إِنِ نَابِتِكَ نَائِبَةٌ	والقوم ليسوا وإن سورا بأمثال

قد سقيت ملء الحوض ماء^(١) ، فلما ألجمها وركب ظلمت فرسه ، فقال يعتذر :
 فإن تنج منها^(٢) يا حَزِيمَ بْنَ طَارِقٍ فقد تركت ما خلف ظهرك بَلَقْعًا^(٣)
 ونادى منادى الحى : أن قد أُتِيتُم وقد شربت ماء الزادة أجمعًا^(٤)
 وقلت لكأس : ألجمها فإمّا نزلنا الكتيب من زُرُودَ لَنَفْرَعَا^(٥)
 فأدرك إبقاء العرادة ظلمها وقد جعلتني من حزيمة إصبًا^(٦)
 أمرتكم أمري بمنعرج اللوى ولا أمر للمعصى إلا مُضِيْمًا
 إذا البرء لم يعش الكريهة أوشكت حبال المويئس بالفتى أن تقطعا^(٧)

(١) كانت خيل العرب إذا علمت أنه يفار عليها وكانت عطاشا - فمنها من يشرب بعض الشرب ولا يروى ، وبعضها لا يشرب البتة ؛ لما قد جربت من الشدة التي تلقى إذا شربت وحورب عليها
 (٢) من فرسه (٣) البلقع : الأرض الفقرا نبات بها ، والعرب كثيرا ما تذكر أن الخيل فعلت كذا وكذا ، ولما يراد به أصحابها ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يريد فإن نجوت منها فقد خلقت وراءك ما جمعت يدك ؛ وكان فرسه حينما فاتتها نفسه ، لم تقنها غنائمه
 (٤) الزادة : القرية التي زيد فيها جلد بين جلدتين ، وضيق شرب للفرس ، وجلة قد شربت حال ؛ كان الكلبة يعتذر من افلات حزيمة ، محتجبا بما أصاب الفرس (٥) كأس : جارية الشاعر ، والكتيب : ما اجتمع من الرمل واحد ودب . ونفرا : نفيت ؛ يقول : ما نزلنا هذا الموضع إلا لنفيت من استغاث بنا ، وأورد هذا البيت المبرد في الكامل شاهدا على أن الفرع يكون بمعنى الإغاثة (٦) الإبقاء : ما بقيه الفرس من العدو ؛ إذ من عتاق الخيل مالا تعطى ما عندها من العدو ، بل تبقى منه شيئا إلى وقت الحاجة ، يقال : فرس مبقية إذا كانت تأتي بجري عند انقطاع جريها ، والظلم : العرج ؛ يقول شرب الماء فقطعها عن إبقائها ففاته حزيمة وما بينهما إلا مقدار إصبع (٧) الغشيان : الإنيان ، والكريهة : الحرب ، وأوشكت : دنت ، والمويئس : الرفق والراحة .

(٥) يوم ذى طُلُوح *

تَرْوَجُ عَمِيرَةَ بن طارق اليربوعي مُرِيَّة بنت جابر ، وأقام معها في قومها من بني عَجَل^(١) بن لُجَيْم ، وكان متزوجاً قبلها امرأة من بني يربوع تُدعى بنت النُّظف تركها في قومها . وكان لمُرِيَّة أخ اسمه أبحر بن جابر فأتاها يوماً يزورها ، ثم وقع بينه وبين عَمِيرَةَ كلام قال بعده لعَمِيرَةَ : إني لأرجو أن أغزو قومك وآتيك بابنة النُّظف ! فقال له عَمِيرَةَ : ما أراك تبقى عليَّ حتى تسلبني أهلي !

وندم أبحر على ما قال ، وقال : ما كنت لأغزو قومك ، ولكني مُتَيَأَسِرٌ^(٢) في هذا الحَيِّ من تميم ، فقال له عَمِيرَةَ : قد علمتُ ما كنتَ لتفعل .

ولكن لم تمض مدة حتى خرج أبحر بن جابر فيمن تبعه من اللهازم^(٣) والحارث ابن شريك في بني شيبان ومعهم عَمِيرَةُ بن طارق ، ووكل أبحرُ بعَمِيرَةَ أخاه حُرْقُصَةَ ابن جابر . فقال حُرْقُصَةُ : هل تأذن لي أن أذهبَ إلى أهلي فأحْتَمِئَهُمْ ؟ فقال حرقصة : ما أبالي أن تفعل ، فكَرَّ عَمِيرَةُ على ناقته ومضى . وافتقد الناسُ عَمِيرَةَ فلم يجدوه ، وعلم أبحر بما وقع ، فأتى أخته مُرِيَّة فقال لها : أين هو ؟ فقالت : لا أأنا ضُحِّي فوافقنا ، ثم مضى إلى دارنا فلم نَرَهُ بعد .

واستحيا حُرْقُصَةُ أن يذكر أمرَهُ لأحد حتى جنَّ عليه الليل ، وتحدث به الرجال

* لبني يربوع (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وذو طُلُوح : موضع في حزن بني يربوع بين الكوفة وفيد ، وهو يوم الصمد ، ويوم أود - واد .

١ البغد الفريد ص ٤٣٣ ج ٣ ، القلائص ص ٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١ ، ابن الأثير ص ٣٨٩ ج ١

(١) عجل بن لجيم : حي من بكر (٢) التياسر : الأخذ في جهة اليسار ، ويربوع قوم

عميرة : حي في تميم (٣) اللهازم : قيس وتيمم اللات ابنا ثعلبة ، وعذرة بن أسد ، وعجل

ابن لجيم .

من قِبَل النَّسَاء ، وأقبلوا إلى حُرْقُصَة فقالوا : ويلك ! ما صنع الرجل ؟ فقال :
ما أظنه إلا ذهب ، فقالوا : إن تكن في شك فإننا مستيقنون .
وسار عميرة يومه وليلته والغد حتى إذا لقي الصحراء وغربت الشمس قيّد ناقته
وعَصَبَ يديها ، ثم نام حتى إذا علاه الليلُ قام فلم ير الناقة .

قال عميرة : فسمعتُ يمينًا وشمالًا فإذا أنا بسواد من الليل عظيم فحسبته الجيش ،
فبتُّ أرصده أخافُ أن يأخذوني ، حتى أضاء الصبح ، فإذا خمسون ومائة نعامة ، وإذا
ناقتي تَحْطِرُ قاعمة قريبة مني ، فأنا غَضْبَانٌ على نفسي . فَأَجْدَدْتُ السَّيْرَ يَوْمِي ذَاكَ
حتى أَرِدَ سَفَارَ^(١) ، فأجد منازل القوم في نِسْعَةٍ^(٢) ، فسقيتُ راحلتي ، وطعمت
من تَمَرٍ كان معي وشربت ، ثم ركبْتُ مُسَىَ الثَّلاثَةِ ، فأصبحتُ فإذا أنا بناس
يَعْلُقُونَ^(٣) السِّدْرَ ، فتحرَّفتُ عنهم مخافة أن يأخذوني ، فناداني بعضهم : إنما نحن
صُدَّارُ^(٤) النَّيْتِ فلا تَخَفْ ، فنقذتُ حتى أَصْبَحَ طَلَحَ^(٥) ، وبها جماعة بني يربوع ،
فقلت : قد غزاكم الجيشُ من بكر بن وائل برئيسين وكُرَاعَ وَعَدَدَ^(٦) .
فبعثَ بنو رِيَّاحِ بن يربوع فارسَيْنِ ظليعة ، وبعثَ بنو ثعلبة^(٧) فارسَيْنِ رَيْبَةَ^(٨)
في وَجْهِ آخِرٍ ، ومكثَ بنو يربوع يوقدون نارهم على صَمَدٍ^(٩) طَلَحَ ، فكانوا كذلك
ثلاثًا ؛ ثم إنَّ فارسَ بنى ثعلبة جاء ، فقالا : لم نُحْسِسْ شيئًا . قال عميرة :
ما تمنيتُ الموتَ قط إلا يومئذ ، حين جاء الفارسان لم يحسا شيئًا ، مخافة أن يكونوا
أرادوا غيرَهم ؛ فيكون ما حدثهم باطلا ، وليلة ذهبت ناقتي ، مخافة أن أؤخذ فيقال :
نام فأخذ .

(١) سفار : ماء لبني تميم (٢) موضع (٣) يرعونه (٤) أراد أنهم كانوا حجاجا
(٥) موضع (٦) الكُرَاع : السلاح ، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح (٧) بنو ثعلبة :
بطن في يربوع (٨) الرَيْبَةُ والظليعة : العَيْنُ (٩) الصمد : الموضع الغليظ الصلب .

فلما نَمَّالَ النهارُ من اليوم الثالث طلع فارسا بنى رباح ، فقالا : تركنا القومَ حين
زَلُّوا القَيْسُومِيَّةَ .

قال : قَتَلَبْنَا ^(١) ، ثم ركبنا ، ثم أخذنا طريقاً مُخْتَلِفاً حتى وردنا اليَنْسُوعَةَ ^(٢)
حين غابت الشمس ، فوجدنا القومَ حين استَقَوْا ونَثَرُوا التمرَ وتَخَفَّفُوا للنَّارَةِ ، ثم
أخذوا في السَّيْرِ ، فاتَّبَعْنَاهُمْ حتى وَاَرَى أثرَهُمَ عِنا اللَّيْلِ ، واستَقْبَلُوا أَسْفَلَ
ذِي طُلُوحٍ ^(٣) .

قال عَمِيرَةُ : وكانت تَحْتَى فرسَ ذَرِيعةِ العَنَقِ ^(٤) ، فضتْ بى ، ففقدنى عَتَوَةُ بن
أَرْقَمَ ، فقال : يابى يربوع ! إِنْ عَمِيرَةُ قد مَضَى لِيُنْذِرَ أَخْوالَهُ ، فقال عَتِيْبَةُ ^(٥) بن
الحَارِثِ : كَذَبْتَ ، ما يَنْفَسُ عَمِيرَةُ عَلَيْنَا النُّعْمَ وَالظُّفْرَ .

قال : فسمعتُ ما قال الرجالان ، فوقفتُ حتى أَدْرَكُونِي ، وقد خَشِيتُ لَفْطَ القومِ ،
مُخَافَةً أَنْ يُنْذِرُوا بأنفسهم ، حتى إِذَا كُنَّا حَيْثُ اطَّلَعَ الطريقُ من ذِي طُلُوحٍ وقفنا
وَأَمْسَكْنَا بِحَكَمَاتِ ^(٦) الخَيْلِ ؛ ثم بَعَثْنَا طَلِيعَةً أُخْرَى ، فَأَتَانَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّهُمْ نَزَلُوا
بِأَسْفَلِ ذِي طُلُوحٍ ، فَكُنَّا حَتَّى إِذَا بَرَقَ الصُّبْحُ رَكِبْنَا ، وركب القومَ واستَعَدُّوا
لِلنَّارَةِ .

وقد كان أَبْجَرُ حين مَرَّوا بِسَفَارٍ ، قال للحَوْفَزَانِ : تَعْلَمُ أَنِّي لَأَظُنُّ عَمِيرَةَ قد
دَهَّانَا ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ هَذَا النُّوَى ، قال الحَوْفَزَانِ : ما كانَ لِيَفْعَلَ .

قال عَمِيرَةُ : فدفعْنَا الخَيْلَ عَلَيْهِمْ ، وهم يَرِيدُونَ أَنْ يُغَيِّرُوا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ
طَلَعَ ، فناديتُ : يَا أَبْجَرُ ؛ هَلَمْ لِيْ ! قال : مَنْ أَنْتَ ؟ قلتُ : عَمِيرَةُ . قال : كَذَبْتَ !

(١) يقال للذى لبس السلاح وتشم للقتال متلب (٢) اليُسُوعَةُ : موضع في طريق البصرة
(٣) ذو طُلُوحٍ : موضع في حَزْنِ بَنِي يَرْبُوعِ (٤) العَنَقُ : ضرب من سِرِّ الدَّابَّةِ وَالْإِبِلِ ،
وفرس ذريع : سريع بعد الخطأ (٥) كان عَتِيْبَةُ رَأْسُ بَنِي يَرْبُوعِ حَيْثُ
(٦) الحَكَمَاتُ : جمع حَكْمَةٍ ، وهى ما أَحاطَ بِحِكْمَةِ الْفَرَسِ مِنْ لُجَانِهِ .

فسفرت عن وجهي فمررتني ، فنزل عن فرس كان مركبا عليها^(١) ، وعلى ملاءة لي حمراء فطرحتها ، ثم جلس عليها ، وقد قال لي قبل أن يجي : إني مركب . قلت : فتمال على ذلك ، وتحتي فرسي لأبي مُليل . قال : فأقبل وما نظر إلى ذاك .

قال : وأخذ الجيش كلهم فلم يفلت منهم أحد غير شيخ من بني شيبان ، ثم أخذ بني سعد بن همام ؛ نجا على فرس له ، وقد كان أخوه معه فأخذ ، فلما أتى الحبي سألته بنت أخيه عن أبيها ، فقال الشيخ :

تسألني هنيئة عن أبيها وما أدري ، وما عبت تميم
غداة عهدتهن مغلصمات^(٢) لمن بكل مخنية نعيم^(٣)
فما أدري أجبتا كان طبي أم الكوسى^(٤) إذ أعد الحزم^(٥)

وأخذ الحارث بن شريك يومئذ ؛ أخذه حنظلة بن بشر ، وكان ثقيل^(٦) في بني بشر ، ولم يشهدا من بني مالك غيره ؛ فاخصم عبد الله بن الحارث ، وغد عمرو ابن سنان في الحارث ، فقال : حكموني في نفسي ، والله لا أخيب ذا حق . فحكموه ، فأعطى عبد الله بن الحارث مائة من الإبل ، وأعطى عبد عمرو مائة ، وجعل ناصيته لحنظلة بن بشر . فقال عبد عمرو للحارث : إن بين بني جارية بن سليط وبين بني مرة^(٧) موادة ، وإنه لا يحمل لي أن أرزأك شيئا وردها ، وأما عبد الله بن الحارث فكان يُسمى المايبة التي أخذها منه الخجاسة^(٨) ، وأخذ سواده بن يزيد ، أخذه عتوة ابن أرقم ، فأنزعه حميرة بن طارق ، وأخذ عبد الله بن عنة الضبي ، وكان في بني شيبان ، فافتكته متعمم بن نويرة .

(١) المركب : الذي يركب فرس غيره ويفزو عليه ، فإصاب على ظهره فله نصف الفتيمة
(٢) مغلصمات : مشددة الأعناق (٣) نعيم : شبه الزفير (٤) الكوسى : من الكيس
(٥) الحزم : من الحزم (٦) الثقيل : الغريب (٧) بنو جارية بن سليط : يطن في يربوع ، ولعلهم قوم عبد عمرو ، ومرة : يطن في شيبان قوم الحارث
(٨) الخجاسة : الفتيمة .

فقال ابن عَنَمَةَ يمدح متمماً ، ويتلف على عميرة بن طارق بإنداره قومه على أخواله

بني عجل :

عميرة فاق السهمُ بيني وبينه فلا يطعمنَ الحمرَ إن هو أصدداً (١)
 فلم أرَ جاراً وابنَ أختٍ وصاحباً تكيدَ منا قبله ما تكيداً
 رأيت رجالاً لم نكن لنبيعهم يباعون بالبُعْران مثنى وموحداً
 طامئهم لحمٌ حرامٌ عليهم ويسفونَ بعد الرّئيِّ شرّاً بمصرداً (٢)
 فإن ليربوعٍ على الجيشِ منةٌ مجللةٌ نالتْ سويداً وأصدداً
 جزى الله ربُّ الناس عنى مُتمماً بخير الجزاء ؛ ما أعفَّ وأمجداً
 كأني عداة الصمدِ حين دعوته فقرعتُ حصناً لا يرَامُ مُمرداً
 أُجبرتُ به أبنائُنا ودماؤنا وشارك في إطلاقنا وتفرداً
 أبانهشل إلى لكم غيرُ كافر ولا جاعل من دونك المال مؤصداً (٣)

وأمر سويد بن الحوفزان ، وسعد بن فالحس الشيباني ، فقال عميرة بن طارق :

أقلّي على اللوم يا أمّ خيرٍ ما يكن ذلك أدنى للصواب وأكرماً
 ولا تعذليني إن رأيت معاشراً لهم نعمٌ دثروا وإن كنت مُصراً (٤)
 متى ما نكن في الناس نحن وهم معاً نكن منهم أ كسنى جنوباً وأطعماً
 منك الإله إن كرهت جماعنا (٥) بمثل أبي قرطٍ إذا الليل أظلماً

(١) يزيد أنه أفسد ما بينه وبينه ، وهذا مثل ضربه لأث السهم لا يصلح إلا بقوقه ؛ وفاق السهم إذا انكسر فوقه يقول : لا يطعمن الحمر إن هو أفلت وليكن على حذر (٢) الشرب : النصيب ، يقول إذا رووا سقوا أسرام شرباً قليلاً (٣) في رواية : سرمداً (٤) الدثر : الكثير . والمصرم : صاحب الصرمة ، وهي القطعة من الإبل (٥) منك الإله : مثل بلاك الله به ، وأبو قرط هذا رجل بخيل كثير المال .

إِذَا مَا رَأَى ذَوْدًا ضَنْبِي^(١) الْمَاجِزِ
 يَسُوقُ الْفَرَاءَ^(٢) لَا يُحْسِنُ غَيْرُهُ
 فِدَعْ ذَا وَلَكِنْ غَيْرُهُ قَدْ أَهْمَنِي
 فَلَا تَأْمُرْنِي يَا بَنَ أَسْمَاءَ بِالنِّسَاءِ
 بَأَنْ تَتَمَرَّزُوا قَوْمِي وَأَجْلِسَ فِيكُمْ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ جَدَّ نَفِيرُهُمْ
 وَأَعْرَضَ عَنِّي قَعْنَبُ وَكَأَنَّمَا
 فَكَلَفْتُ مَا عِنْدِي مِنَ الْهَمِّ نَاقِي
 فَزَرَّتْ يَحْنَبُ الزُّورُ ثُمَّتْ أَصْبَحَتْ
 كَأَنَّ يَدَيْهَا إِنْ أَجَدَّ نَجَاوَهَا
 تَرَأَى الَّذِينَ^(٦) حَوْلَهَا وَهِيَ لُبَّهَا^(٧)
 وَمَرَّتْ عَلَى وَحْشِيهَا وَتَذَكَّرْتُ
 فَقَامَتْ عَلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ قُرُورُهَا
 لَيْثِي تَصَدَّى وَجْهَهُ حَيْثُ يَمَّا
 كَفِيحًا وَلَا جَارًا كَرِيمًا وَلَا أُنْمَا
 أَمِيرُهُ أَرَادَ أَنْ أَلَامَ وَأُشْتَمَا
 تُجِبُّ^(٣) الْفَتَى ذَا الطَّعْمِ أَنْ يَتَكَلَّمَا
 وَأَجْمَلَ عَلِمِي ظَنَّ غَيْبٍ مُرَجَّمَا
 دَعَوْتُ نَجِيَّتِي مُحَرَّرًا وَالْمُثَلَّمَا^(٤)
 يَرَى أَهْلَ أَوْدٍ مِنْ صُدَاءٍ وَسَلَّهَمَا^(٥)
 خَافَةَ يَوْمَ أَنْ أَلَامَ وَأُنْدَمَا
 وَقَدْ جَاوَزَتْ بِالْأَقْحَوَانَاتِ مُحَرَّمَا
 يَدَا مُعْوِلٍ جَرَفَاءَ تُسْمِدُ مَا تَمَّا
 رَخِي^(٨)، وَلَا تَبْكِي الشَّجْوَ فِتْنَلَمَا^(٩)
 نَصِيًّا وَمَاءَ مِنْ عُيْبَةٍ أَسْعَمَا^(١٠)
 مِنَ الْإَيْنِ وَالنَّكَرَاءِ فِي آلِ أَرْزَمَا^(١١)

(١) الذود : ما بين الثلاث إلى العنبر ، وضنن : أنسلن ، والضنء : النسل (٢) الفراء : إبل كانت له تدعى بهذا الاسم ، أى لا يحسن ضيفاً من ألبانها أى لا يصرب منها غيره .
 والكفوح : الذى يأتيك فجأة (٣) الإجراء : أن يشق لسان الفصيل إذا أرادوا فطامه
 لثلا يرضع . وذو الطعم : ذو الحزم والعقل (٤) هذان رجلان من البراجم ، وكانا في بني
 عجل ، فلما أراد أبحر الغزو شاورهما يستعين برأيهما (٥) قعناب : رجل من البراجم ،
 وكان ممن شاوره فلم يشر عليه بخير ، وأهل أود : بنو يربوع ، وصداء في بلغارث بن كعب ،
 وهم إخوتهم وعدادهم فيهم ، وسلمهم من خنعم ، وسلمهم في مذحج أيضاً (٦) في رواية :
 ترائى اللواتى (٧) يروى : بالها (٨) أراد تألم من الألم ، وهى لفته (٩) عيبة :
 ماء لبنى قيس يطن فليح ، والنصي : نبت (١٠) قروورها وقرارها واحد ، وأزمن : ابن
 عبيد بن ثعلبة بن يربوع .

سَاجِسُهَا مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَمُرَّ هُمْ عَدُوٌّ مِنَ الْمَوَاةِ وَالْأَمْرِ مُعْظِمًا
 حَلَفْتُ فَلَمْ تَأْتُمْ يَمِينِي لِاتِّتَارَنُ عَدِيًّا وَنُعْمَانُ بْنُ قَيْلٍ وَأَيْهَمَا^(١)
 وَبَرَّتْ يَمِينِي إِنْ رَأَيْتَ ابْنَ فَلَحَسَ يُجِرُّ كَمَا جَرُّوا هَدِيَّ^(٢) ابْنَ أَصْرَمَا
 فَأَنْفَلْتُ بِسَطَامٍ جَرِيهًا بِنَفْسِهِ وَغَادِرُنْ فِي كَرِّ شَاءَ لَدُنَّا مُقْوَمَا^(٣)
 أَتَمَّ أَخَذْتُ بَعْدَ ذَلِكَ تَلَوْنِي فَسَائِلُ ذَوِي الْأَحْلَامِ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا^(٤)

(١) هؤلاء قوم من بني يربوع قتلهم بنو شيان يوم مليعة (٢) الهدى : الجار ههنا ، والهدى : العروس ، والهدى : الشيء يهدى (٣) جرضه بريقه : غص به وذلك إذا كان بآخر رمق . كرشاء : رجل (٤) ارجع إلى النقائض ، فلعيرة فيها قصيدة أخرى .

(٦) يوم الإياد

كانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس ، فكانوا يُجبرونهم ويُجهزونهم ، فأقبلوا من عند عامل عين^(١) التمر في ثلاثمائة فارس متساندين ، يتوقعون إحدار بني يربوع^(٢) في الحزن^(٣) ، وكان يتشتون خفافاً^(٤) ، فإذا كان انقطاع الشتاء احمدرؤا إلى الحزن ، فاحتمل بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زبيد من بني سليط أول الحى حتى أسهلوا بطن مليحة^(٥) ، فطالت بنو زبيد في الحزن حتى حلوا الحديقة^(٦) بالأفاة ، وحلت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة التمد^(٧) ، ويقبل جيش بكر حتى ينزلوا الهضبة هضبة الخصى^(٨) .

ثم بحثوا ربيبتهم فأشرف الخصى وهو في قلة الحزن ، فرأى السواد في الحديقة ، وتغرأ إبل فيها غلام شاب من بني عبيد بالجيش ، فعرفه بسطام بن قيس^(٩) - وكان

* لبنى يربوع (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وإياد موضع بالحزن لبني يربوع ، بين الكوفة وفيد . ويسمى أيضاً يوم العظالي ويوم الإفافة ويوم مليحة ويوم أعشاش ، وإنما سمى يوم العظالي لأنه تعاضل على الرياضة بسطام وهاني بن قيصة ومفروق بن عمرو في هذا اليوم (انظر التعليق آخر اليوم)

شعراء النصرانية ص ٢٥٩ ، النقائض ص ٥٨٠ (طبع أوربا) ، العقد الفريد ص ٣٣٧ ج ٣ ابن الأثير ص ٣٧٣ ج ١

(١) عين التمر ؟ بلدة قريبة من الأنبار غرب الكوفة (٢) بنو يربوع : بطن من تميم ومن قبائلهم ثعلبة وعمر والحارث وجبير ، ويلقبون الأجمال ، وأمهم السفعاء بنت غنم (٣) الحزن : موضع لبني يربوع كانت تتربع فيه ، وهو من أجل مراعى العرب (٤) في النقائض خفافاً وعبارة معجم ما استعجم : يتشتون خفافاً فإذا انقطع الشتاء أسهلوا بنجفة مليحة ، وبالحديقة من الأفافة وروضة التمد

(٥) مليحة : موضع في بلاد بني تميم (٦) الحديقة : موضع في قلة الحزن ، والإفافة ماء لبني يربوع (٧) روضة التمد : في بطن مليحة (٨) الخصى : موضع لبني يربوع (٩) بسطام بن قيس : فارس بكر ، وأحد من أوفده النعمان على كسرى .

قد عرف عامة غلمان بني ثعلبة حين أمره عتيبة بن الحارث بن شهاب^(١)، فقال له
بسطام: إيه، أخبرني خبر حيك؟ أين هم من السواد الذي بالحديقة؟ قال: هم
بنو زيد. قال: أفهم أسيد بن حنّاة قال: نعم. قال: كم هم من بيت؟ قال:
خمسون بيتا. قال: فأين بنو عتيبة؟ قال: نزلوا روضة الثمد. قال: فأين سائر الناس
قال: يُحتجزون بجُفّاف^(٢).

فقال بسطام لقومه: أطيعوني؟ أرى لكم أن تميلوا على هذا الحى الحرّيد^(٣)
من بني زبيد؟ فتصحبوا غداً غانمين سالمين. فقالوا: وما يُفنى بنو زبيد عنا؟
لا يردون رحلتنا! قال: إن السلامة إحدى الغنيمتين. قالوا: إن عتيبة بن الحارث بن
شهاب^(٤) قد مات. وقال مفروق بن عمرّو: قد انتفخ سحرّك^(٥) يا أبا الصهباء!
وقال هاني بن قبيصة: أجبنا!

فقال لهم: إن أسيد بن حنّاة لم يكن يُظله بيت شاتياً ولا قائظاً، بيت الفقر
لا يفارق فرسه الشّقرّاء^(٦)، فإذا أحسّ بكم علّاه فركض، حتى يشرف مليحة،
فينادى يال يربوع! فيركب فيتلقّاكم طعن يُنسيكم الغنيمة، ولم يُبصر أحد
مصرّع صاحبه، وقد جبتُموني، فأنا تابكم، ثم قال لهم: وستعلمون ما أنتم
مُلاقون غداً. قالوا نُقبِل فننلقط بنو زيد، ثم بنو عبيد وبني عتيبة كما تُنلقط
الكمأة، ونبعتُ فارسين، فيكونان بطريق أسيد فيحولان بينه وبين يربوع.

فبعثوا فارسين، فوقفا في ليلة أضحيان^(٧)، حيث أمرا، فلما فحست الشّقرّاء
بوئيد الخليل^(٨)، وقد أغاروا ثم أقبلوا، بحث بيدها، فخال^(٩) أسيد في متنها،

(١) كان عتيبة قد أسر بسطاماً يوم الفيض، ثم فدى نفسه منه
الطير: أرض لأسد وحظلة واسعة فيها أما كن يكون فيها الطير
(٢) جفاف، وتسمى جفاف (٣) التنحي
(٤) هو الذي كان أسر بسطاماً، وقال هنا سخرية بسطام
(٥) انتفخ سحرّك: أي
رثك، يقال ذلك للجبان (٦) اسم فرسه (٧) بكسر الميم وضمة: مقبرة (٨) بوقع حوافرها
(٩) حال في ظهر دابته حولا وأحال: وثب واستوى على ظهره، قال في اللسان: وكلام العرب
حال على ظهره، وأجال في ظهره.

فابتدره الفارسان ، فطمته أحدهما ، فألقى نفسه في شِقْرٍ فأخطأه ، ثم كرّ راجعا ، حتى أشرف على مُليحة ، فنادى : يا سوء صباحاه ، يا آل يربوع !

قال وديمة بن أوس : فكأنني أنظر إلى ضوء الفجر بين منسج^(١) الشقراء واستيه ، فلم يتودّع^(٢) من أهل مُليحة أحد .

فلم يرتفع الصّحاح حتى تلاحقوا ببقيط الفردوس ، فقال أسيد : « لبث قليلا تلحق الحلاب » فقال : بسطام : « صباحُ سوء لكم النواصب » .

وبعدت على ممدان وأخيه قمنب ابني عصمة ، والأحيمر ، ونهيك ، وعفاق ، ووديمة ، ودراج ، وعمارة ، والحليس ، خيولهم ، فركبوا آخر الناس ، فلم يأخذوا مأخذ مالك بن نويرة ، وصرد بن حجر ، وقمنب بن سمير ، وجزء بن سعد ، على الأفاقة ؛ فلما طلّوا على الثنية رأوا أم درداء السليطية عريانة تعمدو ، فألقى قمنب بن عصمة عصابة كانت فوق بيضته^(٣) عليها ، وهو على فرسه البيضاء^(٤) وقال :

ارفعوا خيولكم ؛ فالتقى الذين أخذوا بطن الأفاقة والحديقة ، والذين جاءوا من الثنية ، فعرف بسطام الأحيمر ؛ فقال لأحيمر : أنت هو ؟ قال : نعم . قال : لقد عهدتكم بطلاً محدوداً^(٥) ، وإني لا أنفك^(٦) على الموت ؛ فأعط بيدك لا تقتل . فقال : أبعد بجحر ومالك بن حطان تؤبسن^(٧) على الحياة ، وكان الأحيمر لم يطعن برمح قط إلا انكسر ؛ فلما أهوى ليطمئه ولّى بسطام فانهزم ، وقتلت تميم جماعة من فرسان بكر ، وأسر جماعة^(٨) ، منهم هاني بن قبيصة فقدى نفسه ونجا .

(١) منسج الدابة : ما بين العرف وموضع اللبد
(٢) تودّع القوم : ودع بعضهم بعضاً
(٣) البيضة : الحديد
(٤) في القاموس : فرس قمنب بن عتاب
(٥) رجل محدود عن الحير : مصروف ، قال الأزهرى : المحدود : المحروم
(٦) نفست عليه الشيء : أنفسه نفاسة : إذا ضنت به ولم تحب أن يصل إليه
(٧) تحرضني
(٨) راجع أسماء بعض القتلى والأسرى ناقض ص ٨٣

وَأَلَحَّ عَلَى بَسْطَامَ فَرَسَانٌ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ ، وَكَانَ دَارِعًا^(١) ، وَهُوَ عَلَى ذَاتِ
النُّسُوعِ^(٢) ، فَكَانَتْ إِذَا أُجِدَّتْ^(٣) لَمْ يَتَمَلَّقَ بِهَا شَيْءٌ مِنْ خَيْلِهِمْ ، فَإِذَا أَوْعَتْ^(٤)
كَادُوا يَلْحَقُونَهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَسْطَامَ نَثَلَ دِرْعَهُ^(٥) ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَرَبُوسٍ^(٦)
السَّرِجِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَرَى بِهَا ، وَخَافَ أَنْ يُلْحَقَ فِي الْوَعَثِ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَيْدَنَهُ وَدَيْدَنَ
الْقَوْمِ حَتَّى حَمَيْتَ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ وَخَافَ اللَّحَاقَ ، فَمَرَّ بِوَجَارٍ^(٧) ضَمِيعَ فَرَمَى بِالْذَّرْعِ فِيهِ ،
فَدَبَّ بِمَضْطَّأٍ بَعْضًا ، حَتَّى غَابَتْ فِي الْوَجَارِ ، فَلَمَّا خَفَّ عَنِ الْفَرَسِ امْغَطَّتْ^(٨) فَفَاتَتْ
الطَّلَبَ ، فَكَانَ آخِرَ مَنْ أَتَى قَوْمَهُ بَعْدَ مَا ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ .

فَقَالَ مَتَمُّ بْنُ نُؤَيْرَةَ فِي أُسَيْدِ بْنِ حِفَاءَةَ :

لِعَمْرِي لِنِعْمَ الْحَيُّ أَسْمَعُ غُدُوَّةَ أُسَيْدٍ وَقَدْ جَدَّ الصُّرَاخُ الْمَصْدَقُ
فَأَسْمَعُ فِتْيَانًا كَجِنَّةٍ عَبَقِرَ^(٩) لَهُمْ رَيْقٌ عِنْدَ الطَّامَانِ وَمَصْدَقُ
أَخَذَنَ بِهِ جَنْبِي أَفَاقَ وَبَطْنَهَا فَارْجَمُوا حَتَّى أَرَقُوا^(١٠) وَأَعْتَقُوا

وَقَالَ الْعَوَّامُ الشَّيْبَانِيُّ فِي بَسْطَامَ وَأَصْحَابِهِ :

إِنْ يَكُ فِي يَوْمِ الْغَيْبِطِ مَلَامَةٌ فَيَوْمُ الْمُظَالَى كَانَ أَخْزَى وَالْوَمَا^(١١)
أَنَاخُوا يَرِيدُونَ الصَّبَاحَ فَصَبَّحُوا . وَكَانُوا عَلَى الْغَازِرِينَ دَعْوَةَ أَشْأَمَا

(١) يقال : رجل دارع ، إذا كان عليه درع (٢) ذات النُّسُوع : فرس بَسْطَامَ

(٣) أُجِدَّتْ : سَلَكَتِ الطَّرِيقَ الْوَعَرَ (٤) أَوْعَتْ : صَارَتْ فِي الطَّرِيقِ السَّهْلَ

(٥) نَثَلَ دِرْعَهُ : أَلْقَاهَا عَنْهُ (٦) قَرَبُوسُ السَّرِجِ : خَنُوهُ (٧) الْوَجَارُ : جَعَرَ

مِنْ جَعَرَةِ الضَّبِّ (٨) امْتَدَّتْ وَأَسْرَعَتْ لَا تَتَلَوَّى عَلَى شَيْءٍ (٩) عَبَقَرَ : مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ

كَثِيرِ الْجَنِّ يُقَالُ فِي الْمَثَلِ : كَأَنَّهُمْ جَنُّ عَبَقَرَ (١٠) اسْتَرَقَ وَأَرَقَ : نَقِضَ أَعْتَقَهُ .

(١١) رَوَايَةُ اللَّسَانِ - مَادَّةُ غَبِطَ وَعَظَلُ :

فَإِنْ مَكَتَ فِي يَوْمِ الْغَيْبِطِ مَلَامَةٌ فَيَوْمُ الْمُظَالَى كَانَ أَخْزَى وَالْوَمَا

فررتُم ولم تَلُوْا على مُجْحَرِكُمْ^(١) لو الحارث الحَرَّابُ^(٢) يَدْعُو لَأَقْدَمَا
وما يُجْمَعُ الغَزْوُ السَّريعُ نَفِيرُهُ وإن تَحْرَمُوا يومَ اللِّقاءِ القَنَا الدِّمَا
ولو أَنَّ بَسْطامًا أَطِيعَ بِأَمْرِهِ لَأَدَّى إلى الأَحْيَاءِ بِالنَّحْوِ مَغْنَمًا
ولكنَّ مَفْرُوقَ القَنَا وابنَ خالِهِ أَلَا مَا فَلِمَا يَوْمَ ذاكِ وَشَوْمًا
فَفَرَّ أَبُو الصَّهْبَاءِ إِذْ حَمَسَ الوَغَى وَأَلْقَى بِأَبْدَانِ^(٣) السَّلاحِ وَسَلَامًا
وَأَيُّقِنَ أَنَّ الحِمْلَ إِنْ تَلَبَّسَ بِهِ تَمَّ عَرْسُهُ أَوْ يَمْلَأُ البَيْتَ مَأْتَمًا
ولو أَنَّهُا عَصْفُورَةٌ لِحَسْبَتِهَا مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عُبَيْدًا وَأَزْنَمًا
أَبَى لَكَ قَيْدٌ بِالغَبِيْطِ لِقَاءَهُمْ وَيَوْمُ الْمُطَالَى إِذْ نَجَوْتَ مُكَلَّمًا
فَأَقْلَتَ بَسْطامٌ جَرِيضًا بِنَفْسِهِ وَغَادَرْنَ فِي كَرْشَاءَ لَدُنَّا مُقَوِّمًا^(٤)

(١) المحجر : المضطر الملجأ (٢) جاء في تعليق على المخصص صفحة ٢٠٢ جزء ١٥ ؛
سمي هذا اليوم يوم العطالي لأن بسطام بن قيس وهاني بن قبيصة وثقروق بن عمرو الشيباني حين
خرجوا غازين بن تميم تعاطلوا على الرياسة ، وقد أخطأ شارح القاموس الزبيدي إذ عد مع هؤلاء
الثلاثة رابعاً قال إنه الحوفزان ، وذلك لا أصل له لأن الحوفزان قد مات قبل هذه الغزوة بزمان ،
ومصدق ذلك قول العوام بن شاذب الشيباني يهجو قومه ، وقد أسرته بنو يربوع يوم العطالي
إذ فر قوم عنه :

فررتُم ولم تَلُوْا على مرهقِكُمْ لو الحارث القدام فيها لأَقْدَمَا
والحارث القدام هو الحوفزان ، وأخطأ أيضاً في تقوله على الزنجشري في أساسه : إن تيمّا غزت
بكر بن وائل ، والحق أن تيمّا مغزيون لا غازون ، والذي في الأساس : يوم تميم على بكر بن وائل ،
وأخطأ أيضاً كخطأ الميذاني في رواية بيت العوام المذكور :

إن تك في يوم الغيْطِ ملامة فيوم العطالي كان أخزى وألوما
فقدما التأخر وأخرا التقدم ، (وقد روى هذا البيت في اللسان كما تقدم في صفحة ١٩٤ حاشية
رقم ٢) وأخطأ السيوطي في شرح شواهد المغني فنسب شعر العوام المذكور إلى جرير .

هذا هو التعليق مع أن صاحب اللسان والنقائض يقولان : إن الحوفزان كان من المتعاطلين - راجع
اللسان مادة عطل ، والنقائض ٥٨٠ (٣) البدين : الدرع والجمع أبدان (٤) تقدم هذا
البيت لميمية بن طارق .

وقاظَ أسيراً هانئاً وكأنيما
مفارقُ مفروقٍ تفشّينَ عندمَا^(١)
وقال :

قبحَ الإلهَ عصابةً من وائلٍ يومَ الأفاقَةِ أسامُوا بسطاماً
ورأى أبو الصَّهباءِ دونَ سوامِهِم عَرَكا يُسكِلِي نفسه وزحاماً
كنتم أسوداً في الرِّخا فوجِدْتُمُ يومَ الأفاقَةِ بالغَيْطِ نَعاماً
فلما إلحَ الموامُ في ذلك أخذَ بسطامُ إبله فقالت أمه :
أرى كلَّ ذِي شَعِرٍ أَصابَ بِشَعْرِهِ سوى أنَ عواماً بما قالَ عَيْلاً^(٢)
فلا تَنطِقنَ شِعراً يَكُونُ حِوَارُهُ كما شمرَ عوامُ أَعامٍ^(٣) وأَرْجلا

(١) الندم : شجراً حمر ، وقال الأصمعي : هو صبغ ، زعم أهل البحرين أن جوارهم يخبضون به

(٢) عيل : صيرهم عيلاً : فقراء (٣) أعام القوم : هلكت إبلهم فلم يجدوا لبناً .

(٥) يوم الغبيط*

غزا بسطام بن قيس الشيباني والحارث بن شريك - الحوفزان، ومفروق بن عمرو، في جمع من بني شيبان بلاد بني تميم، فأغاروا على بني ثعلبة بن يربوع، وثعلبة بن سعد بن ضبة، وثعلبة بن عدى بن فزارة، وثعلبة بن سعد بن ذبيان، وكانوا متجاورين بصحراء فلج^(١)، فاقتلوا؛ فهزمت الثعالب، وأصابوا فيهم، واستأقوا إبلا من نعمهم، ثم امتروا^(٢) على بني مالك^(٣)، وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة، فاكتسحوا إبلهم، فركبت عليهم بنو مالك، يقدمهم عتيبة بن الحارث اليربوعي، وفرسان بني يربوع تأفف^(٤) الشيبانيين، ومعه من رؤساء تميم: الأحيمر بن عبد الله، وأسيد بن حباء، وأبو مرحب، وجزء بن سعد الرياحي، وربيعة والحليس وعمارة بنو عتيبة بن الحارث، ومالك بن نيرة وغيرهم، فأدركوهم بغبيط المدرة؛ فقاتلوهم حتى هزموهم، وأخذوا ما كانوا استأقوا من آبالهم^(٥) وأنهرموا، وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ثعلبه بن الحارث، وألح عتيبة بن الحارث، وأسيد بن حباء، والأحيمر ابن عبد الله على بسطام بن قيس، وكان أسيد أدنى إلى بسطام من الرجلين، فوقعت يد فرسه في ثبرة^(٦)، وتقدم بسطام وجعل يلتفت هل يرى عتيبة؟ وقد صار في

* لشيبان (من ربيعة) على يربوع (من تميم)، والغبيط، ويسمى غبيط المدرة: أرض لبني يربوع، ويسمى هذا اليوم أيضا يوم الثعالب، ويوم أعشاش، ويوم صحراء فلج

التقاضي ص ٧٥، ١١٣٢ طبع أوروبا، ابن الأثير ص ٣٦٥ ج ١، العقد الفريد ص ٣٣٨ ج ٣

(١) واد لبني النضر بن عمرو بن تميم، يقع أول الدهناء (٢) اقتتلوا من المرور

(٣) هم بنو مالك بن زيد مناة بن تميم (٤) تأفف: يريد تنبهم وتحوطهم مثل تأفف

الأنثى الرماد (٥) آبال وإبل بمعنى واحد (٦) هي الوهدة تكون في الأرض كالخفرة.

أَفْوَاهُ^(١) الْغُبُطُ ، فَلَجِقَ عَتِيبَةُ بِسْطَامًا ، فَقَالَ لَهُ : اسْتَأْذِنْ يَا أَبَا الصَّهْبَاءِ . فَقَالَ لَهُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَتِيبَةُ ، وَأَنَا خَيْرُكَ مِنَ الْفَلَاةِ وَالْعَطَشِ ؛ فَاسْتَأْذِنَ . أَمَّا الْأَحْمِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ كَانَ مَحْدُودًا^(٢) ، فَكَانَ فَارِسًا ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَلَا حِظًّا لَهُ فِي ظَفَرٍ .

وَلَمَّا أَسْرَ عَتِيبَةُ بِسْطَامًا نَادَى بَنُو شَيْبَانَ بِجَادًا - أَخَا بِسْطَامٍ - كُرًّا عَلَى أَخِيكَ ، وَهُمْ يَرْجُونَ إِذَا أَبْصَوْهُ^(٣) أَنْ يَكُرُّ فَيَأْخُذُ بِهِ ؛ فَكَانَ بِسْطَامُ أَخَاهُ إِذَا كَرَّرَتْ يَابْجَادُ فَإِنَّا حَنِيفٌ - وَكَانَ نَصْرَانِيًّا - فَلَجِقَ بِجَادَ بِقَوْمِهِ .

فَقَالَتْ بَنُو ثَعْلَبَةَ : يَا أَبَا حَرْزَةَ - عَتِيبَةُ - إِنَّ أَبَا مَرْحَبٍ قَدْ قُتِلَ ، وَقَدْ أَسْرَتْ بِسْطَامًا ، وَهُوَ قَاتِلُ مَلِيلٍ وَبَجِيرُ ابْنِي أَبِي مَلِيلٍ ، وَمَالِكُ بْنُ حِطَّانٍ يَوْمَ قُشَاوَةَ قَاتَلْتُهُ . قَالَ : إِنِّي مُعِيلٌ ، وَأَنَا أَحِبُّ اللَّيْنَ^(٤) . قَالُوا : إِنَّكَ لَتُقَادِيهِ وَتَحُلِّيَ عَنْهُ فَيُعَوِّدُ فَيَحْرُبُنَا^(٥) ، فَأَبَى . فَقَالَ بِسْطَامُ : يَاعَتِيبَةُ ؛ إِنَّ بَنِي عُبَيْدٍ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي جَعْفَرٍ وَأَعَزُّ ، وَقَدْ قَتَلَ أَبُو مَرْحَبٍ ، وَلَهُ فِي بَنِي عُبَيْدٍ أَثَرُ بَيْتِيسَ^(٦) ، وَهُمْ آخِذُونَ بِكَ ، وَلَنْ تَقْدِرَ بَنُو جَعْفَرٍ عَلَى أَنْ يَمْنَعُونِي مِنْهُمْ ، وَأَنَا مُعْطِيكَ مِنَ الْمَالِ عَائِرَةً عَيْنَيْنِ^(٧) ؛ فَقَالَ : لَا جَرَمَ ! وَاللَّهِ لَا ضَعْفَكَ فِي أَعَزِّ بَيْتَيْنِ مِنْ مُضَرَ : فِي بَنِي جَعْفَرٍ بَنِي كَلَابٍ ، أَوْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ جَنْدَبٍ ؛ فَاخْتَارَ بِسْطَامُ بَنِي جَعْفَرٍ ، فَتَحَمَّلَ عَتِيبَةُ بِأَهْلِهِ وَبِهِ قَاصِدًا بَنِي عَامِرَ بْنِ صَعْصَعَةَ ، لِثَلَاثِ يَوْمٍ فَيُقْتَلُ^(٨) حَتَّى لَحِقَ بِالشَّرْبَةِ^(٩) بَيْنَ جَعْفَرٍ فَتَزَلَّ بِهِ .

(١) هِيَ مَسَائِلُ الْمِيَاهِ . (٢) الْمَحْدُودُ : الْمَنْعُودُ مِنَ الْحَيَرِ (٣) الْأَبْسُ وَالْأَبْسُ : أَنْ يَعْزِيهِ حَتَّى يَفْضُبَ فَيَأْتِفَ مِنَ التَّعْيِيرِ فَيَرْجِعَ فَيُؤْسِرَ (٤) اللَّيْنُ : جَمْعُ لَبُونَةٍ ، وَهِيَ النَّافَةُ ذَاتُ اللَّيْنِ (٥) يَحْرُبُنَا : مِثْلُ يَطْلُبُنَا بِأَخْذِ أَمْوَالِنَا وَيَتْرَكُنَا بِلَا شَيْءٍ (٦) بَيْتِيسَ : شَدِيدُ (٧) يُقَالُ أَخْطَاهُ مِنَ الْمَالِ عَائِرَةً عَيْنَيْنِ : أَيُّ مَا يَذْهَبُ فِيهِ الْبَصَرُ مَرَّةً هُنَا وَمَرَّةً هُنَا ، فَائْتَرِ الْعَيْنَ : مَا يَمْلَأُهَا مِنَ الْمَالِ حَتَّى كَادَ يَمُورُهَا (٨) إِنَّمَا قَصِدَ بَنِي عَامِرٍ لِأَنَّ عَمَتَهُ خَوْلَةَ بِنْتِ شِهَابٍ كَانَتْ مَتْرُوجَةً فِيهِمْ (٩) يُقَالُ لِكُلِّ نَحِيْزَةٍ مِنَ الشَّجَرِ شَرْبَةٍ ، وَجَعْفَرُ بَطْنٌ فِي عَامِرٍ .

فما توسط بسطام بيوت بني جعفر قال : واشيبانا ه ! ولا شيبان لي ! فبعث إليه عامر بن الطفيل إن استطعت أن تلجأ إلى قُبَّتِي فافعل ، فإن سَأَمْتُكَ ، وإن لم تستطع فاقذف بنفسك إلى الرِّكِيِّ^(١) التي خلف بيوتنا .

فأتت أمَّ حَمَلٍ^(٢) عتيبة ، فخبَّرتَه بما كان من أمر عامر ، فأمر عتيبة بيته فقوض وركب فرسه ، وأخذ سلاحه ، ثم أتى مجلس بني جعفر ، وفيه عامر بن الطفيل ، فخيَّاهم ، ثم قال : يا عامر ؛ إنه قد بلغني الذي أرسلتَ به إلي بسطام ، فأنا نُخَيِّرُكَ فيه خِصَالاً ؛ فاخترْ أَيْهَنَ شَيْءٍ . قال عامر : ما هنَّ يا أبا حَرْزَةَ ؟ قال : إن شئتَ فَأَعْطِنِي خِلْمَتَكَ^(٣) وخِلْمَةَ أَهْلِ بَيْتِكَ حتى أطلقه لك ؛ فليست خِلْمَتُكَ وخِلْمَةُ أَهْلِ بَيْتِكَ بِشَيْءٍ من خِلْمَةِ وخِلْمَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فقال عامر : هذا ما لا سبيلَ إليه . فقال عتيبة : فضع رِجْلَكَ مَكَانَ رِجْلِهِ فَلَسْتَ عِنْدِي بِشَيْءٍ مِنْهُ . فقال عامر : ما كنتُ لأَفْعَلَ . فقال عتيبة : فأخري هِيَ أَهْوَنُهنَّ . فقال عامر : ما هِيَ ؟ قال عتيبة : تتبعني إذا أنا جاوزتُ هذه الرابية فتقارِعي عنه الموتَ ، فأَمَّا لي وإِمامًا علىَّ . فقال عامر : نِيكَ أَنْفَضَهنَّ إلىَّ .

فانصرف عتيبة إلى عمرو بن جندب ؛ فإنه لقي بعض الطريق إذ نظر بسطام إلى مركب أم عتيبة فقال : يا عَتِيبَةُ ؛ أَهَذَا مَرْكَبُ أُمِّكَ ؟ قال : نعم . قال : ما رأيتُ كالِيَوْمِ قَطُّ مَرْكَبَ أُمِّ سَيِّدٍ مِثْلَ هَذَا ! إِنْ حَدَجَ^(٤) أُمُّكَ لَرَثَ ! قال عتيبة : أَلَاكَ إِرْثٌ ؟ قال : نعم . قال عتيبة : أَمَا وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ؛ لَا أَطْلِقُكَ حَتَّى تَأْتِنِي أُمُّكَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَرَثَتُكَ قَيْسَ^(٥) بن مسعود وَبِحَمَلِهَا وَحَدَجِهَا^(٦) .

(١) الركي : جمع ركية ، وهى البئر (٢) هى تابعة كانت له من الجن (٣) يعنى بخِلْمَتِهِ ماله ينخلع عنه (٤) الحدج : مركب من مراكب النساء (٥) والد بسطام (٦) كان حدج أم بسطام كبيراً ذا ثمن كثير ، وهذا الذى أراد بسطام ليرغب فيه فلا يقتله .

فأنته أم بسطام على جملها وحَدَجها وبثلاثمائة بعير^(١) ، وفدى نفسه بها على أن
يجزَّ ناصيته ويُمَاهده ألا يفزو بنى شهاب^(٢) ، فقال عتيبة في أسره :
أبلغ سراة بنى شيبان مَالَكَةً أنى أَبَاتُ^(٣) بعبد الله بسطاماً
إن تُخْرِزُوهُ بَدَى قَارٍ فَدَاقِنَةٍ^(٤) فقد هبطتْ به يدياً وأعلاماً
قَاطَ^(٥) الشَّرَبَةَ في قَيْدٍ وسلسلةٍ صوتُ الحديدِ يُغْنِيهِ إذا قَاها

(١) لم يكن عربى أغلى من بسطام فداء (٢) بنو شهاب قوم عتيبة ، قال في ابن الأثير :
لما خلا بسطام من الأسر أذكى العيون على عتيبة وإبله فعادت إليه عيونه فأخبروه أنها على أرباب ،
فأغار عليها وأخذ الإبل كلها ، ومالهم معها (٣) أبأته من البواء : وهو أن يقتل الرجل
بمن قتل (٤) ذو قار وذاقته : موضعان (٥) قاط بموضع كذا : أقام زمن القبط فيه .

(٨) يوم قُشاوة*

خرج بِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ غَازِيًا لِبَنِي يَرْبُوعَ، حَتَّى اطَّرَدَ نَعْمَا لِرَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَلَيْطَ^(١)،
يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا سَعِيرٌ وَلِلْآخَرِ حُجَّيرٌ، وَهَما مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ، فَأَتَى الْمَصْرِخَ^(٢) بَنِي
عَاصِمِ بْنِ عُمَيْدٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ. وَكَانُوا أَذْنَى النَّاسِ مِنْهُمْ.
فَرَكِبَ سَبْعَةَ فَوَارِسٍ مِنْ بَنِي عَاصِمٍ فِيهِمْ بُحَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمُنْذِلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،
وَالْأَحْمِرُ. — حَرِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَالِكُ بْنُ حِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ؛ وَخَرَجَ مَعَهُمْ قَوْمٌ مِنْ
بَنِي سَلَيْطَ، حَتَّى أَدْرَكُوا الْقَوْمَ.

فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى جَيْشِ بَسْطَامٍ هَابُوا أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ مُلَيْلُ بْنُ أَبِي مَلِيلٍ:
يَا بَنِي يَرْبُوعَ؛ إِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهَذَا الْجَيْشِ إِلَّا بِمِثْلِهِ، فَأَرْسِلُوا بِحِيرًا يَسْتَصْرِخُ
لَكُمْ. — وَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ خِيفَةً عَلَيْهِ أَنْ يُقْتَلَ؛ فَقَالَ بِحَيْرٌ: لَا وَاللَّهِ لَا ذَهَبْتُ
صَرِيحًا بَعْدَ أَنْ عَايَنْتُ الْقَوْمَ. فَلَمَّا غَلَبَهُ قَالَ لِبَنِي عَمِّهِ: اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَحْمِرُ! فَقَالَ:
لَا، وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، فَقَالَ لِمَالِكِ بْنِ حِطَّانَ: فَادْهَبْ أَنْتَ صَرِيحًا؛ فَقَالَ: وَأَنَا لَا أَذْهَبُ.
فَقَالَ لَهُمْ مُلَيْلُ بْنُ أَبِي مَلِيلٍ: فَأَعْطُونِي قَوْلًا أَتَقْبَلُ بِهِ وَأَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ؛ لِتَضْمِئْنَ لِي أَنْفُسَكُمْ،
وَلَا تَقْدَمُوا عَلَى الْجَيْشِ حَتَّى آتِيَكُمْ؛ ففعلوا.

وَذَهَبَ مُلَيْلُ صَرِيحًا، فَلَمَّا سَارَ نَظَرَ إِلَيْهِ بَسْطَامُ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: ذَلِكَ الَّذِي يَرْكُضُ
سَيَجْلِبُ عَلَيْكُمْ شَرًّا، فَانْظُرُوا أَنْ تَفَرَّغُوا مِنْ أَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ النَّاسُ؛

* لَشَيْبَانَ (مِنْ بَكْرِ) عَلَى يَرْبُوعَ (مِنْ تَيْمٍ) وَقُشَاوَةٌ: مَوْضِعٌ قَالَ عَنْهُ يَاقُوتٌ: كَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ
لِبَنِي شَيْبَانَ عَلَى يَرْبُوعَ، وَهُوَ يَوْمُ نَعْفٍ قُشَاوَةٌ.

مَعْجَمُ الْبَلَدَانِ ص ٩٢ ج ٧، النِّقَاطُ ص ١٩ طَبِيعُ أَوْرِيَا، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٦٤ ج ١

(١) سَلَيْطَ: فِي يَرْبُوعَ (٢) الْمَصْرِخُ: الْمُسْتَقْبَلُ.

فبرز بسطام في فرسان من أصحابه ، حتى دنا من القوم ، فكلمه بجير ، فقال له بسطام : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا بِجِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ . فَقَالَ : يَا بِجِيرُ ! أَلَمْ تَكُنْ تَزْعُمُ أَنَّكَ فَتَى يَرْبُوعٍ وَفَارِسُهَا ؟ قَالَ : بَلَى ! وَأَنَا الْآنَ أَزْعُمُهُ ، فَايْرُزْ لِي ؛ فَأَبَى أَنْ يَبْرَزَ لَهُ بِسْطَامٌ ، وَقَالَ : مَا أَظُنُّ نِسْوَةَ بَنِي يَرْبُوعٍ يَظُنُّ بِكَ هَذَا الظَّنَّ وَأَنْتَ تُحْجِمُ عَنِ الْكِتَابَةِ حِينَ رَأَيْتَهَا ، ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِيهِ أَحِيمِرَ وَمَالِكَ مِثْلَ ذَلِكَ .

فَلَمَّا يَزَلُ يَشْجَذِمُ وَيَحْضَضُهُمْ كَيْدًا مِنْهُ وَخَدِيعَةً حَتَّى حَمَلُوا عَلَى أَفْرَاسِهِمْ وَسَطَ الْقَوْمِ ؛ فَأَمَّا بِجِيرُ فَلَقِيَهُ الْمَلَبَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ - عَمَّ بِسْطَامٌ - فَاعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَوَقَعَا إِلَى الْأَرْضِ عَكْمَى^(١) عَيْرَ ؛ فَاعْتَلَاهُ بِجِيرُ . فَلَمَّا خَشِيَ الْمَلَبَّدُ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ بِجِيرُ نَادَى رَجُلًا مِنْ بَنِي شَيْبَانَ يَقَالُ لَهُ لُقَيْمُ بْنُ أَوْسٍ : يَا لُقَيْمُ ؛ أَغْنَيْنِي ، فَقَدْ قَتَلَنِي الْيَرْبُوعِيُّ ؛ فَجَالَ إِلَيْهِ لُقَيْمُ فَضْرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَقَتَلَهُ . وَخَرَّقَ أَحِيمِرُ بِأَلْقَانَا ، وَتَرِكَ مَطْرُوحًا ، فَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوهُ . وَضْرَبَ مَالِكُ بْنُ حِطَّانٍ فَأَمَّ فَمَاشَ مَا مَوْمًا^(٢) سَنَةً ، ثُمَّ مَاتَ مِنْ آمَتِهِ ، وَانْهَزَمَتْ بَنُو سَلِيطَ .

فَلَمَّا انْهَزَمُوا قَالَ بِسْطَامٌ : يَا بَنِي شَيْبَانَ ؛ أَيْسَرُكُمْ أَنْ تَأْسُرُوا أَبَامَلِيلَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنَّهُ أَوَّلُ فَارِسٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ السَّاعَةَ ؛ أَنَاهُ مَلِيلُ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَنَا ، وَخَبَرَ ابْنَهُ ، فَلَمْ يَنْتَظِرِ النَّاسَ ؛ فَلْيَتَخَلَّفْ مَعِيَ مِنْكُمْ فَوَارِسُ فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَهُ مُكَبًّا عَلَى بِجِيرٍ حِينَ عَيْنَ حَيْفَتَهُ .

فَسَكَنَ لَهُ بِسْطَامٌ فِي عَشْرَةِ فَوَارِسٍ قَرِيبًا مِنْ مِصْرَ عِ أَصْحَابِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَ عَلَيْهِمْ عَلَى فَرَسِهِ بِأَمَاءَ .

فَلَمَّا عَيْنَ بِجِيرُ أَنْزَلَ فَأَكَبَّ عَلَى حَيْفَتِهِ يُقَبِّلُهُ وَيَحْتَضِنُهُ ؛ وَأَقْبَلَ بِسْطَامٌ وَمَنْ

(١) يُقَالُ : وَقَعَ الْمِصْرَطَانِ عَكْمَى عَيْرَ ، وَكَعْمَى عَيْرَ ، وَقَعَامَا لَمْ يَصْرَعَا أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ

(٢) الْمَأْمُومُ : الَّذِي أَصِيبَ فِي أَمِّ رَأْسِهِ ، وَأَمَّ الرُّأْسُ : الدِّمَاغُ ، أَوِ الْجُلْدَةُ الرَّقِيقَةُ الَّتِي عَلَيْهَا .

كان معه يركضون ، حتى أتوه ، فوجدوه مكباً عليه ، وبلماء يملك لحامه واقفاً ، فأمرؤه وأخذوا قرسه .

فلما صار في يدي بسطام قال : يا أبا مليل ؛ إني لم آخذك لأقتلك . قال : قد قتلت ابني ، ووددت أني مكانه ، أما إن طعامك عليّ حرام ما دمت في يدك ! فكان أبو مليل يؤتي بالطعام فيبيت يطرد عنه الكلاب مخافة أن تأكله ، فيظنون أنه أكله هو ، حتى جهد ؛ فلما رأوا جهده قال بضر بن قيس لأخيه بسطام : إني لا آمن أن يموت أسيرك هذا في يديك هزلاً^(١) ، فتسبك به العرب ، فيعنه نفسه .

فأناه ، وهو مجهود ، فقال له : يا أبا مليل ؛ أنشترى مني نفسك ؛ قال أبو مليل : نعم . قال : بكم ؟ قال أبو مليل : بمائة من الإبل ، فإن لك مائة بدم بجير ، قال : تلادي أحب من تلادك والدم لك . فخلني أذهب ، فخلاه بسطام بغير فداء ، وأحلفه ألا يعقب^(٢) ، وألاً يتبعه بدم ابنه بجير ، ولا يغيبه غائلة ، ولا يدل له على عورة ، ولا يغير عليه ولا على قومه ، وعاهده على ذلك ، ثم جز ناصيته ، فرجع إلى قومه ، وأراد النذر ببسطام ، ولما علم بسطام حذره .

فلما أتى قومه أخبرهم خبره ، فقال متمم^(٣) بن نيرة :

أبلغ أبا قيس إذا ما لقيته نعمة أدنى دله فظلم
بأننا ذوو جد وأن قبيلكم بنى خالد لو تعلمون كريم
وأن الذي آلى لكم في بيوتكم بمقسمة لو تعلمون أثيم^(٤)

(١) الهزل : الهزل (٢) أي لا يغزوكم ثانية (٣) مالك بن نيرة في رواية معجم

البلدان (٤) إن الذي حلف ألا يعقب عليكم سيحنت ، ولا بد أن يغزوكم ثانية .

هو الفاجع المنكى سراً صديقه وذو طلب يوم اللقاء غشوم
 فهِجُمُ أَيْبَانَا وَنُبْكَى نُسِيَّةً يَنْسَوْنَا يَوْمًا لَهْنٌ نَحِيمٌ (١)
 كَانَ بُجَيْرًا لَمْ يَقُلْ لِي مَا تَرَى مِنْ الْأَمْرِ أَوْ يَنْظُرَ بَوَجهِ قَسِيمٍ (٢)
 وَلَوْ شِئْتَ نَجَّاءَ الْكُمَيْتِ وَلَمْ تَكُنْ كَأَنَّكَ نَصَبٌ لِلرَّجَالِ رَجِيمٌ (٣)
 وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْمَوْتَ أَدْرَكَ تُبْعًا وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمٍ
 فَيَا لِمَبِيدِ حِلْفَةٍ إِنْ خَيْرَ كَمْ بِجُزْرَةٍ بَيْنَ الْوَعَسَتَيْنِ مُقِيمٍ (٤)
 غَدَرْتُمْ وَلَمْ تَرْبَعْ عَلَيْهِ رَكَبُكُمْ كَأَنَّكُمْ لَمْ تُقْجَمُوا بِمُظِيمٍ
 وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبُورِيَةِ فَرَجَّتْ وَهَلْ تَنْفَعْنَهَا نَظْرَةٌ وَشِمِيمٌ (٥)
 أَطَافَتْ فَسَافَتْ (٦) ثُمَّ عَادَتْ فَرَجَّتْ أَلَا لَيْسَ عَنْهَا سَجَرُهَا بِصَرِيمٍ
 وَقَالَ مَالِكُ بْنُ حَطَّانٍ - وَهُوَ فِي الْمَرْكَةِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَقْدَمْتُ مُقَدَّمَ حَارِدٍ وَلَكِنْ أَقْرَانَ الظُّهُورِ مَقَاتِلٍ (٧)
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي مِنْ عُبَيْدٍ عَصَابَةٍ حَمَاءٌ لَخَاضُوا الْمَوْتَ حَيْثُ أَنَا زِلٌ
 بَكَلٍ لَذِيذٍ لَمْ يَخْفُهُ ثِقَافُهُ (٨) وَعَصَبٌ حُسَامٍ أَخْلَصَتْهُ الصِّبَا قِلُ

- (١) النعيم : البكاء والتعيب (٢) هذا البيت مكفأ ، والإكفاء : الإقواء ، والقسيم : الجليل والاسم منه القسامة (٣) الرجيم : المرجوم (٤) أراد عبيد بن ثعلبة بن يربوع وجزرة من أرض البكرمة من بلاد اليمامة ، والوعس من الرمل : اللين الموطوء الذي وعسته السائلة (٥) يقول : كنت كالناقة التي نحر ولدها فجاءت تشمه وترأمه ، وهل ينفعها ذلك فكذلك أنا لا أسكن حتى أتأرب به (٦) سافت : شمت ، والسوف : الشم ، وسجرها : حنيناها ، يقول : ليس حنيناها بمنصرم (٧) الأقران : الأعوان ، الواحد قرن . والظهر : هو الناصر (٨) الثفاف : ما تسوى به الرماح .

وما ذَنَّبْنَا أَنَا لِقَيْنَا قَبِيلَةَ إِذَا وَاسَكَلَتْ فُرْسَانُنَا لَا نُؤَاكِلُ
يساقوننا كَأَسَا مِنْ الْمَوْتِ مُرَّةً وَعَرَدَ غَنَّا الْمُقْرِفُونَ الْحَنَّا كُلُّ (١)
فليت سُمَيْرًا كَانَ حَيْضًا بِرِجْلِهَا وَلَيْتَ حُجَيْرًا غَرَّقَتْهُ الْقَوَائِلُ (٢)
وَلَيْتَهُمْ لَمْ يَرْكَبُوا فِي رُكُوبِنَا (٣) وَلَيْتَ سَالِطًا دُونَهَا كَانَ عَاقِلُ
فَمَا يَبِينُ مِنْ هَابِ الْمَنِيَّةِ مِنْكُمْ وَلَا بَيْنُنَا إِلَّا لِيَالٍ قَلِيلُ

(١) الحنا كل : القصار الأفعال ، الواحد : حنكل ، وعرد : فر (٢) إذا مات الصبي في الرحم : قيل غرقته القوائيل (٣) ركوب : جمع ركب . وعاقل : واد يبلد قيس .

يوم زُبالة*

خرج أبو جُمَـل أخو بني عمرو^(١) بن حنظلة مغيراً ، ولحقه الأقرع بن حابس وأخوه فراس^(٢) في ناس من تميم ، فرأى سُولَ عليهم الأقرع ، فأغاروا على بكر بن وائل ؛ فلقوهم بِزُبَالَةَ .

فأما الأقرع وفراس فأمرهما بنو تيم الله^(٣) ، وأما أبو جُمَـل فأخذه عمران بن مرة بن هند .

ثم لقي بنو تيم الله بني شيبان^(٤) ، ومعه بنو رِباب ، فانتزع بسطام^(٥) بن قيس رئيس بني شيبان الأقرع وأخاه منهم ، فاختصموا فيهما ، فحكموا عمران بن مرة ، فحكم لبني رِباب على بسطام بمائة ، وجعل الأسيرين لبسطام .
وافتدى الأقرعان نفسيهما من بسطام ، وعاهدها على إرسال الفداء فأطلقهما ، فبعداً ولم ير سَـلاً شيئاً .

وكان في الأمرى إنسان من بني يربوع ، فسمعه بسطام بن قيس في الليل يقول :
فدى بوالدة على شقيقة فكأنها حرض على الأسقام^(٦)
لو أنها علمت فيسكن جأشها أنى سقطت على الفتى المنعم
إب الذي ترجين ثم إبابه . سقط العشاء^(٧) به على بسطام

* لشيبان (من ربيعة) على تميم ، وزبالة : منزل بطريق مكة إلى الكوفة

النفاض ص ٦٨٠ ، ابن الأثير ص ٣٦٦ ج ١ ، شعراء الصرانية ص ٢٩٨

(١) عمرو بن حنظلة من تميم (٢) الأقرع بن حابس وأخوه فراس : شيبان الأقرعين وهما من بني مجاشع من تميم (٣) تيم الله : من بكر (٤) شيبان : من بكر أيضاً (٥) بسطام بن قيس الشيباني : فارس بكر ، وضرب به المثل في القروسية ، فيقال : أفرس من بسطام (٦) أى ذات حرض (لسان - مادة حرض)
(٧) يقال : سقط العشاء به على سرحان : يضرب للرجل يطلب الأمر النافه فيقع في هلكة ،

وأصله أن دابة طلبت العشاء فهجمت على أسد .

سقط العشاء به على مُتَنَعِمٍ سَمَحَ اليدين مُعَاوِدِ الإِقْدَامِ
فلما سمع بسطام ذلك منه قال له : وأيّك لا يُخْبِرُ أَمَّكَ عَنْكَ غَيْرُكَ وَأُطْلِقَهُ .
وقال أوس بن حجر^(١) في ذلك :

وَصَبَّحْنَا عَارِ طَوِيلٌ بِنَاؤُهُ نَسَبٌ بِهِ مَا لَاحَ فِي الْأَفْقِ كَوْكَبٌ
فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَتْ أَكْثَرُ بَاكِيًا وَوَجْهًا تَرَى فِيهِ الْكَآبَةَ تُجْنِبُ
أَصَابُوا الْبُرُوكَ^(٢) وَابْنُ حَابِسٍ عَنُودٌ فَظَلَّ لَهُمْ بِالْقَاعِ يَوْمَ عَصَبَصَبَ
وَلِنْ أَبَا الصَّهَاءِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى إِذَا مَا أَرْوَرَّتِ الْأَبْطَالُ لَيْثٌ مَجْرَبٌ

(١) أوس بن حجر كان شاعر مضر في الجاهلية حتى أسقطه النابغة وزهير فأصبح شاعر بني تميم .
(٢) البروك والبرك جمع برك ، والبرك : جماعة الإبل الباركة .

(١٠) يوم مُبايض*

كان الفُرسان إذا كانت أيامُ عُكاظ في الشهر الحرام ، وأمن بعضهم بعضاً ،
تَقْنَمُوا حتى لا يُعْرِفُوا ، وكان طَرِيف بن تميم العَنْبَرِي رجلاً جسيماً ، وهو فارسُ قومه
لا يَتَقَنَّعُ كما يَتَقَنَّعُونَ ؛ فَوَاقَى عُكاظ^(١) . وكان قد قَتَلَ شَرَّاحِيلَ^(٢) الشيباني ؛
وجاء حصيصة^(٣) بن شراحيل - وهو شابٌ قوى شجاع يطوف بالبيت . فقال : أروني
طَرِيفاً ؛ فَأَرَوْهُ إِيَّاه ، فجعل كلما مرَّ به تأمله ونظر إليه ، ففطن طريف ، وقال : لِمَ
تَشُدُّ نَظْرَكَ إِلَيَّ ؟ قال حصيصة : أريد أن أُثْبِتَكَ^(٤) ، لَمَلَى أن أُلْثَاكَ في جيش
فَأَقْتَلَكَ ! فقال طريف : اللهم لا تُحِيلَ الحَوْلَ حتى أُلْقَاه ، ودعا حصيصة مثله ،
فقال طَرِيف :

أَوْ كَلِّمًا وَرَدْتَ عُكاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ^(٥)
فَتَوَسَّمُونِي إِنِّي أَنَا ذَلِكُمْ شَاكِي سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُعَلِّمٌ
حَوْلِي فَوَارِسُ مِنْ أَسِيدٍ شَجَعَةٍ وَإِذَا نَزَلْتُ فَحَوْلَ بَيْتِي خَضَمٌ^(٦)

* لَشِيَّان (من بكر) على تميم ، ومبايض : ماء من مياه بني تميم .
ابن الأثير ص ٣٦٨ ج ١ ، المقد الفريد ص ٣٤٤ ج ٣ ، معاهد التنصيص ص ٧١ ج ١ ، لسان
العرب (مادة خضم) ، معجم ما استعجم - مبايض
(١) عُكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين
يوماً يجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون ويتناشدون الشعر . (٢) من بني ربيعة بن ذهل
ابن شيان (٣) في معجم ما استعجم : اسمه حصيصة (بفتح الحاء والميم) ، وقيل إن الذي
قتله : حيصة (بالميم) بن جندل بن قتادة الشيباني ، (٤) أثبتك : أعرفك حق المعرفة (٥) القبيلة :
بنو أب واحد ، والعريف : رئيس القوم لأنه عرف بذلك ، والتوسم : التفرس (٦) في رواية :
حولى فواس من أسيد حجة وبني الهجيم وحولى بيتى خضم
وأسيد والهجيم : قبيلتان في عمرو بن تميم ، والخضم (وزن بقم) اسم العبر بن عمرو بن تميم ،
وقد غلب على القبيلة ، يزعمون أنهم سموا بذلك لكثرة الخضم ، وهو المضغ بالأعراس (لسان
العرب مادة خضم ، شجع) وشجعة : شجعان .

تَمَحَّى الْأَغَرُّ وَفَوْقَ جِلْدِي نَثْرَةٌ زَغَفُ تَرْدُ السَّيْفِ، وَهُوَ مِثْلُ (١)

فَضَى لَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ إِنْ بَنَى عَائِدَةٌ - حُلَفَاءُ بَنَى رَيْبَعَةَ بَنَى ذَهْلُ بْنُ شَيْبَانَ -
خَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ يَصِيدَانِ ، فَعَرَضَ لَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنَى مُرَّةَ بَنَى ذَهْلُ بْنُ شَيْبَانَ ، فَذَعَرَ
عَلَيْهِمَا صَيْدَهُمَا ، فَوَثَبَا عَلَيْهِ فَقَتَلَاهُ ؛ فَتَارَتْ بَنَى مُرَّةَ ، يَرِيدُونَ قَتْلَهُمَا ، فَأَبَتْ
بَنَى رَيْبَعَةَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ هَانِي بْنُ مَسْعُودٍ - رَيْبَعَةَ - لِقَوْمِهِ : يَا بَنَى رَيْبَعَةَ ؛ إِنْ
إِخْوَتَكُمْ قَدْ أَرَادُوا ظُلْمَكُمْ ، فَأَنْمَارُوا (٢) عَنْهُمْ ، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَتَقَاعَمَ الشَّرُّ
بَيْنَنَا ، ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِمْ وَزَلُّوا عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ مُبَايِضٌ ، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ أَشْهُرًا .

(٣) وَأَبَقَ عَبْدُ رَجُلٍ مِنْ بَنَى رَيْبَعَةَ ، فَسَارَ إِلَى بَنَى تَيْمٍ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ حَيًّا جَدِيدًا
مِنْ بَنَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ نَزُولٌ عَلَى مُبَايِضٍ ، فَقَالَ طَرِيفُ الْعَنْبَرِيِّ : هَؤُلَاءِ تَأْرَى
يَا آلَ تَيْمٍ ، إِنَّمَا هُمْ أَكَلَةٌ (٤) رَأْسٌ ؛ وَأَرْسَلَ بِمَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَقَالُوا : هَذَا حَيٌّ
مَنْفَرْدٌ ، وَإِنْ اصْطَلَمْتُمُوهُمْ أَوْهَنْتُمْ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ .

فَاجْتَمَعُوا وَسَارُوا عَلَى ثَلَاثَةِ رُؤُوسٍ (٥) ، فَلَمَّا قَارَبُوا بَنَى رَيْبَعَةَ بَلَغَهُمُ الْخَبَرُ ،
فَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ ، وَخَطَبَهُمُ هَانِي بْنُ مَسْعُودٍ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، فَقَالَ : إِذَا أَنْتُمْ
فَقَاتَلْتُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، ثُمَّ انْحَاذُوا عَنْهُمْ ، فَإِذَا اسْتَفْلَوْا بِالنَّهْبِ فَمُودُوا إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّكُمْ
تَصِيدُونَ مِنْهُمْ حَاجَتَكُمْ .

(١) النثرة : الدرع ، الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الدقيقة الحسنة السلاسل .
(٢) لسان العرب - مادة زغف (٢) أنمازوا : انفصلوا (٣) الإباق : هرب الصيد
وذهابهم من غير خوف ولا كد عمل (٤) أكلة رأس : أى قليل يشبعهم رأس واحد
(٥) أبو الجداء الطوى على بنى حنظلة ، وابن فذكى النقرى على بنى سعد ، وطريف بن تميم
على بنى عمرو بن تميم .

وصبّحهم بنو تميم ، والقوم حذّرون ، قد أقاموا على عِلْمٍ مُبَايَضٍ ، وشرّقوا
بالأموال والسرّح ^(١) ، فقال لهم طريف : أطيعوني ، وافرغوا من هذه الأكلب
يَصِفُ لَكُمْ مَا وَرَاءَهُمْ ، فقال له أبو الجدعاء - رئيس بني حنظلة ، وفدّ كَيْ رَيْسِ
بني سَعْد : أَتَقَاتِلُ أَكَلْبًا أَحْرَزُوا نفوسهم ، وتترك أموالهم ؟ ما هذا برأى !
وأبوا عليه .

وقال هاني لأصحابه : لا يقاتل رجلٌ منكم ؟ ولحقت تميم بالنعم والبغال ؟
فأغاروا عليها ، ومزّ رجل منهم بابن لهاني بن مسعود صغير فأخذوه ، وقال : حَسْبِي
هذا من النسيمة ، وسار به .

وبقيت تميم مع النسيمة والسبي ؟ فعادت شيان عليهم فهزموهم وقتلُوهم وأسرُوهم
كيف شاءوا ، ولم تُصَبْ تميمُ بمثلها ، لم يُفَلِّتْ منهم إلا القليل ، ولم يَلَوْ أَحَدٌ على أَحَدٍ ،
وانهزم طريف فاتبعه حصيضة فقتله ، واستردّت شيان الأهل والمال ، وأخذوا
مع ذلك ما كان معهم ، وفادى هاني بن مسعود ابنته بمائة بعير ؟ فقال بعضُ شيان
في هذا اليوم :

ولقد دعوت طريف دَعْوَةَ جَاهِلٍ غَرٍّ وَأَنْتَ بِمَنْظَرٍ لَا تَعْلَمُ ^(٢)
وَأَتَيْتَ حَيًّا فِي الْحَرْبِ مَحْلَمٍ وَالْجَيْشَ بِاسْمِ أَبِيهِمْ يُسْتَقْدَمُ ^(٣)
فَوَجَدْتَ قَوْمًا يَمْنَعُونَ دِمْلَرَهُمْ بُسْلًا إِذَا هَابَ الْقَوَارِسُ أَقْدَمُوا
وَإِذَا دَعَا بَنِي رَيْمَةَ شَمَرُوا بَكْتِيَّةٍ مِثْلَ النُّجُومِ تَلْمَلُمُ

(١) السرح : المال الراعى (٢) في رواية :

* سَفِيهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ قَدْ تَعْلَمُ *

(٣) في رواية : يستهزم .

حشدوا عليك وعجلوا بقرام
وحموا ذمار أبيهم أن يُشتموا
ساموك درعك والأفر كليهما
وبنو أسيد أسلموك وخضم
وقال عمرو بن سواد يرثي طريقاً :

لا تبعدن يا خير عمرو بن جندب
لعمري لمن زار القبور ليبيعدا
عظيم رماد النار لا متمبس
ولا مؤيساً منها إذا هو أوقدا

(١١) يوم الزورين *

كانت بكر بن وائل تَنْتَجِعُ أرضَ تميم في الجاهلية ؛ ترعى بها إذا أَجْدَبُوا ، فإذا أَرَادُوا الرِّجوعَ لم يَدْعُوا عَوْرَةَ يُصَيِّبُونَهَا ، ولا شَيْئاً يَظْفَرُونَ به إلا اكْتَسَحَوْهُ ، ثم تَقَامَمَ الشَّرُّ بينهما وعَظُمَ حتى صار لا يَلْقَى بَكْرِيَّ تَمِيمِيًّا إلا قَتَلَهُ ، ولا يلقى تَمِيمِي بَكْرِيًّا إلا قَتَلَهُ .

فَقَالَتِ بنو تَمِيم : ائْتَمُّوا هَؤُلاءِ القَوْمَ من رَعَى أَرْضَكُمْ . فَحَشَدَتْ تَمِيمٌ وَحَشَدَتْ بَكْرٌ وَاجْتَمَعَتْ ، ولم يَتَخَلَفْ مِنْهُمْ إِلَّا الحَوْفَزَانِ بن شريك في أناس من بني ذُهَلِ بن شيبان ، وكان غَازِيًّا في بني دَامَ .

فَقَدِمَتْ بَكْرٌ عَلَيْهِمُ عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني ^(١) ؛ فَحَسَدَهُ سَائِرُ رِيبَةٍ عَلَى الرِّيَاسَةِ وَأَتَوْهُ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا مَفْرُوقَ ؛ إِنَّا قَدْ زَحَفْنَا لَتَمِيمَ ، وَزَحَفُوا لَنَا أَكْثَرَ مَا كُنَّا وَكَانُوا قَطًّا . قَالَ : فَمَا تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نَرِيدُ أَنْ نَجْعَلَ كُلَّ حَيٍّ عَلَى حِيَالِهِ ، وَنَجْعَلَ عَلَيْهِمْ رِجَالًا مِنْهُمْ ، فَتَعْرِفَ غَنَاءَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ لاجْتِهَادِ النَّاسِ . قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا بُنْضَ الْخِلَافِ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ يَأْتِي مَفْرُوقٌ ^(٢) فَيَنْظُرُ فِيمَا قُلْتُمْ .

فَلَمَّا جَاءَ مَفْرُوقٌ شَاوَرَهُ أَبُوهُ ، فَقَالَ لَهُ : لَيْسَ هَذَا أَرَادُوا ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ عَنْ رَأْيِكَ ، وَحَسَدُوكَ عَلَى رِيَاسَتِكَ ، وَاللَّهِ لَنْ لَقِيتَ الْقَوْمَ فَظْفَرْتَ لَا يَزَالُ الْفَضْلُ لَنَا بِذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُظْفَرَ بِكَ لَا تَزَالُ لَنَا رِيَاسَةٌ تُعْرِفُ بِهَا . فَقَالَ

* لبكر (من ربيعة) على تميم ، والزوران : بعيان ، قال أبو عبيدة : وها بكران مجلان قد قيديها وقالوا : هذان زوراننا أي إلھانا . كما سيأتي ، وقد سماه ابن الأثير يوم الزورين .
العقد الفريد ص ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٦٨ ج ١ ، لسان العرب (زور)
(١) كان يكنى بأبي مفرق ويلقب بالأصم (٢) مفرق هو ابن عمرو .

عمرو : يا قوم ؛ قد استشرت مقروقا ، فرأيتُه مخالفا لكم ، ولستُ مخالفا رأيه ، وما أشار به .

وأقبلت تميم بيميرين مجللين مقرونين مقيدين ؛ وتركوها بين الصّفين معقولين ، وسمّوها زورين^(١) وقالوا : لا نُؤلّى حتى يولّى هذان البعيران .

فأخبرت بكرُ عمرو بن قيس بقولهم ؛ فقال : وأنا زوركُم ، وبرك بين الصّفين ، وقال : قاتلوا عني ، ولا تفرّوا حتى أفرّ . والتقى القوم فانتصروا قتالا شديداً ، وأمرت بنو تميم حراث بن مالك ، فركض به رجلٌ منهم ، وقد أردفه ، واتبعه ابنه قتادة ابن حراث ، حتى لحق الفارس الذي أسرَ أباه فطمعنه فأرداه عن فرسه ، واستنقذ أباه .

ثم استمرَّ القتل بين الفريقين ، فانهزمت بنو تميم وقتلت بكرُ منهم مقتلة عظيمة ، وأخذت الزورين فبحروا أحدهما فأكلوه ، وافتحلوا^(٢) الآخر وكان نجيباً .

واجترفت بكرُ أموالهم ونساءهم ، وأسروا أسرى كثيرة ، ووصل الحوفزان - الحارث بن شريك - إلى النساء والأموال ، وقد سار الرجال عنها للقتال ؛ فأخذ جميع ما خلفوه ، وعاد إلى أصحابه سالماً ؛ وقال الأعشى في ذلك :

يا سلمُ إن تسألني عنا فلا كُشف	عند اللقاء ، ولَسْنَا بالمقاريف ^(٣)
نحن الذين هزَمْنَا يومَ صَبَحْنَا	جيشَ الزَّوْرَيْنِ في جمعِ الأحاليف
ظَلُّوا وظَلَّتْ تَكَرُّ الحِيلُ وَسَطُّهُمْ	بالشَّيبِ مِنَّا وبالرُّدِّ الغَطَارِيفِ
تَسْتَأْنِفُ الشَّرَفَ الأَعْلَى بِأَعْيُنِهَا	لَمَحَ الصَّقُورُ عَلَتْ فَوْقَ الأَظَالِيفِ ^(٤)
انسلَّ عنها نَسِيلُ الصَّيْفِ فَاجْجَرَدَتْ	تَحْتَ اللَّبُونِ مُتُونٌ كَالزَّحَالِيفِ ^(٥)

(١) الزوران : متني الزور ، وهو كل شيء يتخذ ربا ، ويبعد من دونه تعالى (٢) عبارة اللسان عن أبي عبيدة : وأخذ البكران فحز أحدهما ، وترك الآخر يضرب في شولهم .

(٣) الكشف : جمع أكشف ، وهو الذي لا يثبت في القتال . والكشف أيضا : الذين لا يصدقون القتال لا يعرف له واحد (اللسان - مادة كشف) (٤) الأظاليف : جمع أطلوفة ، وهي الأرض الحزنة الحشنة (٥) الزحاليف : جمع زحلوفة ، وهي آثار ترلج الصبيان من فوق التل إلى أسفله .

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم لا سيما الأغاب العجلى^(١)؛ فمن ذلك أرجوزته
التي أولها :

* إِنْ مَرَّكَ الْعِرْزُ فَجَحِّجْ^(٢) بِحُشْمٍ *

يقول فيها :

جَاءُوا بِزُورِيهِمْ وَجِئْنَا بِالْأَصْمِ شَيْخٌ لَنَا كَاللَيْثِ مِنْ بَاقِي إِرْمٍ
شَيْخٌ لَنَا مُعَاوِدٌ ضَرَبَ الْبُهِمِ^(٣) يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ إِذَا الرَّمْحُ انْقَصَمَ
هَلْ غَيْرُ غَارٍ^(٤) صَكَ غَارًا فَانْهَزَمَ

(٧) في اللسان بعد أن نسب الأرجوزة إلى الأغلب ، قال : وقال ابن برى : قال أبو عبيدة : إن البيت ليحيى بن منصور وأنشد قبله :

كَانَتْ تَمِيمٌ مَعْتَرًا ذَوَى كَرَمٍ غَلَصَةً مِنَ الْفَلَاصِمِ الْعَظَمِ
مَاجَنُوا وَلَا تَوَلَّوْا مِنْ أُمِّ قَدْ قَابَلُوا لَوْ يَنْفَخُونَ فِي فِجَمِ
جَاءُوا بِزُورِيهِمْ وَجِئْنَا بِالْأَصْمِ شَيْخٌ لَنَا كَاللَيْثِ مِنْ بَاقِي إِرْمِ
شَيْخٌ لَنَا مُعَاوِدٌ ضَرَبَ الْبُهِمِ

اللسان (مادة زور ومادة جحجج)

(٢) جحجج الرجل : ذكر جعجا من قومه، والجمع جحاجح : السيد الكريم (٣) البهم : الشجاع

(٤) الغاران : بكر وتميم .

(١٢) يوم عاقل*

كان الصَّمةُ الجُشميُّ أغارَ على بني حَنْظَلَةَ^(١) بعَاقِلَ ، فأَسْرَهُ الجُعْدُ بنَ الشَّمَّاحِ^(٢) وهَزَمَ جَيْشَهُ ، وأُصِيبَ فِيهِمْ ؛ ثُمَّ إنَّ الصَّمةَ قَدَّ أَبْطَأَ فِدَاؤُهُ ، فَكانَ الجُعْدُ يَأْتِيهِ كُلَّ هَلاَلٍ شَهْرٍ بِأَفْعَى فَيُحْلِفُ بِمَا يُحْلِفُ بِهِ لَنْ هُوَ لَمْ يَفِدْ نَفْسَهُ لِمُعِضَّهَا إِيَّاهُ .
فلَمَّا طَالَ ذَلِكَ جَزَّ ناصِيَتَهُ على الثَّوَابِ . ثُمَّ أَتَاهُ مُسْتَثْنِيَا ، فَقَالَ لَهُ الصَّمةُ :
مَالِكَ عِنْدِي ثَوَابٌ ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ .

فَضَرَبَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْ ضَرَبَانِهِ^(٣) ، ثُمَّ إنَّ الصَّمةَ الجُشميَّ أَتَى عكاظَ فَلَقِيَ ثَعْلَبَةَ بنَ الْحَارِثِ^(٤) وَهُوَ أَبُو مَرْحَبٍ ؛ وَكانَ حَرْبُ بنِ أُمَيَّةٍ يَدْعُو النَّاسَ رَجُلِينَ رَجُلِينَ ، فَيَكْرِهُمَهُمَا ، وَيُخْصِّ بِذَلِكَ أَهْلَ الْفَضْلِ ، فَجَادَتْ دَعْوَةُ الصَّمةِ ، وَأَبَى مَرْحَبٌ ؛ فَكَرِهَ الصَّمةُ ذَلِكَ لِحِدَائَةِ أَبِي مَرْحَبٍ ، ثُمَّ قَرَّبَ إِلَيْهِمَا حَرْبَ تَمْرٍ ، فَجَعَلَ الصَّمةُ يَأْكُلُ التَّمْرَ ، وَيُلْقِي النَّوْىَ بَيْنَ يَدَيْ ثَعْلَبَةَ ، وَيَقُولُ لَهُ : أَبْصِرْ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّوْىِ ! فَقَالَ لَهُ أَبُو مَرْحَبٍ : إِنَّكَ أَكَلْتَ مَا أَكَلَتْ بَنُوهُ ، فَذَلِكَ الَّذِي أَعْظَمَ بَطْنُكَ ، فَقَالَ الصَّمةُ : لَا ، وَلَكِنْ أَعْظَمَ بَطْنِي دِمَاءَ قَوْمِكَ ! أَيْنَ الْجُعْدُ بنَ الشَّمَّاحِ ؟ فَقَالَ أَبُو مَرْحَبٍ : مَا ذِكْرُكَ رَجُلًا أَمَرَكَ ، وَمَنْ عَلَيْكَ ، ثُمَّ جَاءَ يَسْتَثْنِيكَ فَغَدَرَتْ بِهِ وَقَتَلَتْهُ !
لَا وَاللَّهِ لَا أَقْلَاكَ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا إِلَّا قَتَلْتُكَ أَوْ مَتَّ دُونَكَ !

فَسَكَتِ الصَّمةُ زَمَانًا ، ثُمَّ غَزَا بَنِي حَنْظَلَةَ ، فَأَسْرَهُ الْحَارِثُ بنَ بَيْبَةَ الْحِجَاشِيِّ ،

* لَبْنِي حَنْظَلَةَ (مِنْ تَمِيمٍ) عَلَى جِشَمٍ (مِنْ رِبْعَةٍ) ، وَعَاقِلُ : وَادٌّ بَنَجْدٍ .

(لِقَائِصٍ ص ١٠١٩ طبع أوروبا)

(١) بنو حَنْظَلَةَ : بَطْنٌ فِي تَمِيمٍ (٢) مِنْ بَنِي مَالِكِ بنِ حَنْظَلَةَ (٣) أَيُّ مَرٍّ مِنْ مَرُورِهِ

وَذَهَبَ بَعْضُهُ (٤) مِنْ بَنِي مَالِكِ بنِ حَنْظَلَةَ .

وهزم جيشه ، ثم أجاره الحارث بن بنية من إيساره ذلك ؛ فقال الصِّمَّة : سرّني
في قومك حتى أشتري أمراء قومي ، فسار به حتى أناخ في بني يربوع^(١) ، فأقبل
إليهما الناس ، وأقبل إليه أبو مرّحب ؛ فلما رأى الصِّمَّة عرفه ، فخنس عنه^(٢) ،
وأخذ سيفه ، ثم جاء فضرب به بطن الصِّمَّة ، فأثقله .

فلما رأى ذلك الحارث خرج فدعا يا آل مالك ؛ فأقبل بنو مالك إلى بني يربوع^(٣) ،
فلما خافوا القتال قام مضعب بن أبي الخير ؛ فقال : يا بني مالك ؛ هذه يدي بيجارك
فهى لكم وفاء ! فقال راجز بن مالك :

نحن أبأنا مضعبا بالصِّمَّة . كلاهما شيخ قليل اللّمة .

(١) بنو يربوع من بني حنظلة . (٢) خنس : تأخر . (٣) يربوع ومالك من قبائل
حنظلة بن مالك .

(١٣) يوم الشَّيْطَانِ*

كان الشَّيْطَانُ لبكر بن وائل ، فلما ظهر الإسلام ، من غير أن يكون أهلُ نجد والعراق أساموا تركت بكرو الشَّيْطَانِ لأنهما أُجْدبا ، ثم ساروا إلى السَّوَاد وأقاموا فيه . ثم أخصب الشَّيْطَانُ ، فجاءت تميم حتى نزلوا فيهما ، ثم إن بكرأ لحقهم الوباء في السَّوَاد .

فولَّوْا هَارِينَ حتى نزلوا لَمَلَع^(١) ، وهي مجدبة ، وقد أَخْصَبَ الشَّيْطَانُ ، فكان مَقَّاسُ بن عمرو^(٢) يقول : لَيْتَ بَكَرَأ في هذا الخصب .

وكان أكتل بن حِيَّان العِجْلِيَّ طالبَ حاجةٍ في بَنِي نَهْشَلِ بن دَارِمَ ، فلم يَقْضُوا لَهُ ، فرجع من الشَّيْطَانِ إلى قومه بَلَمَلَع ، فأخبرهم بِخَصْبِ أَرْضِهِمُ الشَّيْطَانِ ؛ فأجمعت بكرُ على الإِغَارَةِ على بَنِي تَمِيمَ ، وقالوا : إن في دين ابن عبة المطلب : إنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا قُتِلَ بِهَا ، فنغير هذه القارة ثم نُسَلِّمُ عليها .

فارتحلوا بِالَّذِي رَأَى والأموال ، ورثسهم بشر بن مسمود ، فأتوا الشَّيْطَانِ في أربع ، وما بينهم مسيرة أيام ثمانية ، فسبقوا كلَّ خبر ، حتى صَبَّحُوا وهم لا يشعرون

* لبكر (من ربيعة) على تميم ، والشَّيْطَانُ : واديان .

العقد الفريد ص ٣٤٤ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٩ ج ١ ، النقاظ ص ١٠٢

(١) في اللسان : لملع : موضع ، قال :

فصدم عن لملع وبارق ضرب يشيطهم على الخنادق

وقيل : هو جبل كانت به وقعة ، وفي الحديث : ما أقامت لملع ، فسره ابن الأثير فقال هو جبل وأثته ، لأنه جعل اسماً للبقعة التي حول الجبل ، وقال حميد بن ثور :

لند ذاق منا عاصر يوم لملع حساماً إذا ما هز بالكف سبماً

وقفا موما ، بإدوية معروف (٢) مفاص بن عمرو كان حليف بني شيبان ومقياً بالشَّيْطَانِ .

فقاتلوهم قتالا شديداً ، وأخذوا أموالهم ، وصبرت تميم ثم انهزمت ، فقال
رُشيد بن رميض العنزي :

وما كان بين الشيطان ولعلع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله
بأرعن دهم تشدُّ البلق وسطه
إذا حان منه منزل القوم أوقدت
طهجتنا به سعداً وعمراً ومالكا
وذى حسب من آل ضبة غادروا
تقصع يربوع برة أرضنا
وقلت يربوع أسر نصيحة
يخألوا لنا صحن العراق فإنه
لنسوتنا إلا مناقل أربع
يكاد له ظهر الوريمة^(١) يطلع
له عارض فيه النية تلمع
لأخراه أولاه سناً وتيفعوا^(٢)
فظل لهم يوم من الشر أشنع
يجر كما جرّ الفصيل القرع^(٣)
وليس لربوع بها متقصع
ولو أن يربوعاً إذا امتار رفع
حى منهم لا يستطاع ممنع

فأجابه محرز بن الكعب الضبي فقال :

فخرتم بيوم الشيطان وغيركم
وجئتم بها مذمومة عنزية
فإن يك أقوام أصيبوا بغرة
فريقان منهم من أتى البحر دونه
وما منكم أفناء بكر بن وائل
يضر بيوم الشيطان وينفع
تكاد من اللوم البين تطلع
فأنتم من الغارات أخزى وأوجع
ومود كما أودت ثمود وتبع
لغارتنا إلا ذلول موقع^(٤)

(١) الوريمة : اسم فرس . (٢) تيفعوا : رفعوا نارهم على يفاع من الأرض لتبصر نارهم

(٣) القرع : الذى به القرع وهو جدرى فيجر فى السباح ليتفقا ما به ، وروى فى اللسان .

لدى كل أخدود يغادرون دارعا يجر كما جر الفصيل القرع

منسوبا إلى أوس بن حجر (٤) بعير موقع الظهر : به آثار الدبر .

وقال مقاس^(١) بن عمرو :

تَمِثْتُ بَكَرًا بِالْمِرَاقِ مُقِيمَةً وَأَتَى لَنَا بِكَرٍّ بَأْ كَنَافِ عَرَعٍ^(٢)
 نَهَيْتُ نِيْمًا أَنْ تَرْبَ^(٣) نِجَاءَهَا وَتَطْوِي أَحْشَاءَ الرِّكِيِّ الْمَوْرِ^(٤)
 حَلَفْتُ لَهُمْ بِاللَّهِ حِلْفَةَ صَادِقٍ يَمِينًا وَمَنْ لَا يَتَّقِ اللَّهَ يَفْجُرُ
 لِيَخْتَلِفْنَ^(٥) الْعَامَ رَاعٍ مُجَنَّبٌ إِذَا مَا تَلَاقَيْنَا بِرَاعٍ مُعْشَرٍ^(٥)
 فَأَعْجَلَنَ ضَبًّا^(٦) بِالْوَرِيمَةِ خَذَعَةً وَيَرَبُّوعُهَا يَنْفَقْنَ فِي كُلِّ مَحْجَرٍ
 وَمَا كَانَ رَوْضًا طَيِّبًا غَيْرَ مَرَبَّةٍ وَلَكِنَّمَا كَانَا لَنَا شِرْبَ أَشْهُرٍ
 ثُمَّ إِنْ بَكَرًا أَتَاهُمْ كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمُوا عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ .

(١) اسمه مسهر ، ومقاس لقبه (٢) عرعر : مكان (٣) رب الشيء : أصله
 (٤) عورت الركية : إذا طمستها وسددت أعينها التي ينبع منها الماء (٥) المجنب : الذي
 لا لين في إبله ، والمعشر : الذي قد نتجت إبله فصارت عشاراً . يقول : نحن لا لين لنا فنأخذ إبلهم
 ورعاتها فنخطبها بإبلنا التي لا لين لها (٦) ضبا : يعني به ضبة يقول : أعجلتها أن تغدع
 فتلزم الحجر ، ولما هذا مثل ، يقول : أغرنا عليهم قبل أن يندؤا بنا .

(١٤) يَوْمَ الْوَقْيِ*

كان عبدُ الله بن عامر عاملاً لعمان بن عفان على البصرة وأعمالها ، فاستعمل بشر بن حزن الساساني على الأسماء^(١) التي حول البصرة - ومنها حمى الوقى - فخرج يوماً هو وأخوه خفاف بن حزن إلى الوقى ، وحفرَا بها رَكِيَّتَيْنِ^(٢) . ولما أَنْبَطَاهُمَا^(٣) إِذَا مَأْوَاهَا ماءُ الْغَادِيَةِ^(٤) عَذُوبَةٌ وَطَيِّبَةٌ ؛ فَتَخَوَّفَا أَنْ يَغْلِبَهُمَا عبدُ الله بن عامر على الرَكِيَّتَيْنِ ، فدَفَنَاهَا .

ورَقِيَ أمرُهما إلى عبد الله بن عامر ؛ فطلب منهما الرَكِيَّتَيْنِ ، فَأَيَّاهُ أَنْ يَدْفَعَاهُمَا إِلَيْهِ ، فَأَخْرَجَهُمَا مِنْهُمَا وَقَالَ : بِإِذْنِ مَنْ حَفَرْتُمَا هَاتَيْنِ الرَكِيَّتَيْنِ ؟ وَمَضَيَا هَارِبِينَ ، وَوَجَدَا إِبِلًا لِعَبْدِ اللَّهِ فَمَقَرَاهَا .

وكان عبدُ الله قد اسْتَعْمَلَ خَالَه مسعدة السلمي على حَفْرِ^(٥) يعرف بحفر أبي موسى ؛ ثم إن ناساً من أَفْنَاءِ^(٦) بكر بن وائل خرجُوا وعليهم شبيان بن خصفة ورجل آخر يقال له قَبِيصَةُ ، وَأَتَوْا ماءَ بَنِي نَهْشَلِ^(٧) بن دارم ، فَقَاتَلُوهُمْ عَلَى مَائِهِمْ وَظَفَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَنَاسًا ، وَأَقَامُوا بِهِ أَيَّامًا .

* تميم على بكر (من ربيعة) ، والوقى : ماء لمازن على طريق المدينة من البصرة . وهو من الأيام التي آتَرْنَا أَنْ بَعْدَهَا مِنَ الْيَوْمِ الْجَاهِلِيَةِ لِلْسَّبَبِ الَّذِي أَسْلَفْنَا ذِكْرَهُ .

شرح التبريزي على ديوان الحماسة ص ٣٤ ج ١

(١) جمع حمى ، وهو المكان المظفور (٢) الركية : البئر (٣) أَنْبَطَاهُمَا : استخرجَا

ماءهما (٤) الغادية : مطرة الغداة (٥) الحفر (ويسكن) : البئر الموسعة

(٦) أَفْنَاء : أَخْلَاط ، والواحد فتو ، ويقال : رجل من أَفْنَاء القبائل : أى لا يدري من أى

قبيلة هو (٧) نهشل : بطن في تميم .

ثم قالوا : ما هذا لنا بمنزل ، إنا لفي وسط بلاد بني تميم ؛ فاحتملوا راحمين ، ثم نزلوا بحفر أبي موسى ، فوجدوا الحياض مَلَأَى ، فَأَوْرَدُوا الإبل وسقَوْها ، وأرادوا أن يستقوا ليمشوا الحياض كما كانت ، فجاء مَسْعِدَة عاملُ الماء وأغلظ لهم ، فقام إليه شيبان بن خَصْفة فضربه بالسيف على وجهه فصرَّعه ، ونقل إلى منزله .
وأقام البكرِيُّون بالماء أيامًا ، ثم قالوا : نَنزِل الوَقْبي فإنها أقربُ إلى بلاد بكر ؛ فَأَتَوْها ونزلوا بها .

ثم عادِ بَشْر بن حَزْن إلى الوَقْبي فوجدَ بها البكريين ، فأرسل إلى شيبان وقبيصة : إن كنتم تريدان الثباتَ قِيطْكما هذا ومن معكما من قومكما فأقِيا ، وإن كنتم تريدان غير ذلك فأعلماني فإنها أَرْضَى وَمَأَى .

فأرسلًا إليه يُواعدانه ويقولان : إن رأيناك بالوَقْبي لنفعلن بك ولنصنعن .
فخرج بَشْر وأخوه خُفَّاف وحُرَيْث بن سلمة الشاعر وتفرَّقا : فواحدُهم ذهب إلى بني العنبر^(١) ، وواحد إلى بني يربوع بن حَنْظَلَة ، والثالث إلى بني مازن ابن مالك ؛ فأجاب مستصرخ بني عنبر سبعة نفر ، وانطلق بعضهم يستصرخ بني نَهْشَل لما كان من البكريين إليهم . فقالت بنو نَهْشَل : والله مالكم عندنا نُصرة ، وانطلق مستصرخُ يربوع حتى لقي بني رِيَّاح^(٢) . فقالت بنو رِيَّاح : إخواننا بَنُو ثعلبة قدَّامنا ولسنا نقطع أمرًا دونهم ، فمليكم بهم فنحنُ لهم تَبَع ، فانطلقت بَنُو مازن حتى وَرَدُوا أَعْشَاشًا على بني ثعلبة ؛ فلما وَرَدُوا الماء عليهم شهرهم أهل الماء ، ثم لَقُوا عبد الله بن مالك المعروف بالحُلَاف ، فأخبروه خبرَهم ، فقال : انزلوا أيها القوم ، وعودوا إلى بَكْرِ فمقره وقراهم إياه ، حتى إذا كان من العشي ، وبرز أهلُ الماء لبس

(١) بنو مازن والعنبر ويربوع ورياح وثعلبة بطون في تميم . (٢) رِيَّاح : بطن في يربوع وكذلك ثعلبة .

يُردن وتخلق^(١) - وكذلك كانوا يفعلون إذا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ - وأخذ قناته وراح إلى وسط الماء ، ثم نادى بأرفع صوته : يَا يَرْبُوع ! يَا ثَعْلَبَةَ ! يَا لَعَاظِم ! فخصَّ وعَمَّ ، فنار الناسُ إليه ؛ فقال : « هؤلاء بنو أمكم^(٢) ، وبنو عمكم ، ويدُّكم على العرب ، ولا قرار لكم مع بكر بن وائل إن أخذت دار بني مازن » .

فركبوا معه على كل صنْبٍ وذُلُولٍ ، حتى أشرف بهم على بني رِيَّاح ؛ فلما رأتهم بنو رِيَّاح رَكِبُوا معهم ، فانطلق القومُ حتى أَتَوْا الوَقْبِي ؛ فقالت بنو يَرْبُوع : يا بني مازن ؛ دَعُونَا فلننظر لكم ونستبرئ القوم ، فقالت بنو مازن : لقد رُشِدْتُمْ .

وانطلق نفرٌ منهم حتى وردوا الماء على بكر ، فأخبروهم أنهم يَبْعُونَ عبيداً لهم أَبَاقاً^(٣) أَفْلَتُوا منهم ، فقرَّروهم حتى إذا أَخَذُوا يَرْوِحُونَ أربابوا بهم ، فوثبوا عليهم فلم يتركوا في لِحاهم شِمْرةً إِلَّا نَقَفُوهَا . فقال لهم الْيَرْبُوعِيُّونَ : إِنَّا نَحَرَّ مَنَا بطعامكم يا بكر بن وائل ، وهذا قِراكم في بطوننا وحقائبنا ؛ فأرسلوهم .

وانطلق القومُ نحو الكوفة يَرْوِهُمُ أنْهُمْ في إثر عبيدهم ، حتى إذا أُمَسَّوْا رجعوا فأتوا أصحابهم وقالوا : يا بني مازن ؛ لم نجد والله لَنَا ولكم بهمُ يَدِين ، القوم كثير ؛ فتكرَّك^(٤) القوم . فقال مَنْ ثَمَّ من بني يَرْبُوع وبني العنبر : أغيروا على نَمَمِهِمْ ، فلنأخذَهُ ، فنكون قد أخذنا عوضاً عما صُنِعَ بنا .

فوثب يَشْر بن حزن وقال : يَا لَمَازَن ! قوموا إلى ، ولا يقوَمَنَّ أَحَدٌ غيركم . فقاموا إليه ، فَبَرَزَهُمْ ، وقال : يا بني مازن ؛ أذكركم الله ، أَرْضَوْنَ أَنْ تُغَيِّرَ يَرْبُوع والعنبر فيأخذوا النِّعَمَ ، ويكون ذهابُ داركم ؛ فقالوا : فما ترى ؟ قال : أرى أن

(١) تخلق : تطيب بالخلوق (٢) كانت جندلة بنت فهر بن مالك القرشية أم يَرْبُوع ومازن

(٣) جمع آبقى (٤) تسكر كروا : ترادوا . والسكر كركة : الارتداد عن الشيء .

تَجَمَّلُوا النَّارَ بِالْأَنْفُسِ ، وَتَقَاتِلُوا الْقَوْمَ ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ فَلِلَّهِ أَظْفَرُكُمْ ، وَإِنْ نَكُنَ
الْأُخْرَى كُنْتُمْ قَدْ أُيْتِمْتُمْ عُدْرًا فِي دَارِكُمْ .

فَتَابِعُوهُ عَلَى رَأْيِهِ ، وَقَامُوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ يَرْبُوعٍ وَالْعَنْبَرِ فَقَالُوا : جِزَاكَمُ اللَّهُ
خَيْرًا مِنْ إِخْوَةٍ ، فَإِنْ كُنْتُمْ دَعَوْتُمُونَا أَطْمَنَّا كُمْ ، وَلَكِنَّا نَحْنُ دَعَوْنَا كُمْ ،
فَارْمُوا بَنَانِي فِي تَحْوَرِ الْقَوْمِ ، وَكُونُوا مِنْ وَرَائِنَا فَأَكْبَرُونَا ، فَإِنْ نَحْنُ هُزِمْنَا كُنْتُمْ
عَلَى حَامِيَتِكُمْ وَانْصَرَفْتُمْ ، وَإِنْ نَحْنُ ظَفَرْنَا فَهِيَ الَّتِي تَرِيدُونَ - وَكَانُوا قَدْ شَارَطُوهُمْ
ثَلَاثَ الْمَاءِ - فَقَالُوا : قَدْ فَعَلْنَا .

وَانْطَلَقُوا وَأَصْبَحُوا عَلَى مَكَانٍ يُشْرِفُ عَلَى الْوَقْبِ ، فَقَالَتْ بَكْرٌ إِذْ رَأَتْهُمْ : هَذِهِ
عِيرٌ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَيْكُمْ ، وَقَالَتْ بِرِيقَةٍ بَنِي شَيْبَانَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ ، إِنْ أَرَى الْبَيْضَ
تَبْرُقَ ، وَإِنْ لَأَرَى الْأَسِنَّةَ تَلْمَعُ ؛ فَبَرَزَ أَبُوهَا مَعَهُ اللَّوَاءُ وَهُوَ يَقُولُ :

نَحْنُ حَقَرْنَا وَبَدَأْنَا أَوَّلًا وَلَنْ نَكُونَ الْحَاضِرَ الْحَوْلَ (١)

وَلَمَّا انْتَقَى الْجَمْعَانِ خَرَجَ عُصِيمَةُ بْنُ عَاصِمٍ الْمَازِنِيُّ عَلَى جَمَلٍ لَهُ ، وَهُوَ مَحْتَجِزٌ بِمَلَاءَةٍ لَهُ
بَيْضَاءُ عَلَى الدَّرْعِ وَفِي يَدِهِ اللَّوَاءُ ، فَلَقِيَهُ شَيْبَانُ أَبُو بَرِيقَةٍ ، وَطَعَنَ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا
صَاحِبَهُ ؛ فَانْحَدَرَتْ مَلَاءَةُ عُصِيمَةَ مِنْ فَخْذَيْهِ ، فَغَادَى عُصِيمَةُ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَازِنٍ
يُقَالُ لَهُ : خُنَيْسٌ ، وَقَالَ : يَا خُنَيْسُ ؛ أَطَاقَ الْمَلَاءَةُ مِنْ فَخْذِي ، فَذَهَبَ خُنَيْسٌ لِيُطْلِقَ
الْمَلَاءَةَ مِنْ فَخْذَيْهِ ، فَضْرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ فَقَتَلَهُ ، وَجَاءَ شَيْبَانُ أَبُو بَرِيقَةٍ فَضْرَبَ
عُصِيمَةَ عَلَى يَدِهِ الْيَسْرَى فَقَطَعَ ثَلَاثَ أَصَابِعَ ، فَضْرَبَهُ عُصِيمَةُ عَلَى رَأْسِهِ فَقَتَلَهُ ، فَبَرَزَ
إِبْنُهُ أَرْبَدُ بْنُ شَيْبَانَ وَكَرَّ عَلَى عُصِيمَةَ فَقَطَعَ يَدَهُ الْيَمْنَى ، وَنَادَتْ بَكْرٌ : يَا بَنِي مَازِنٍ ؛
الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ (٢) ، وَهَيِّئُوا لِلصَّالِحِ .

(١) الحاضر : القوم النازلون على الماء . الحول : المغلوب (٢) العرب تقول للعدو إذا

غلب : البقية : أى أقوا علينا ولا تستأصلونا ، ومنه قول الأعشى :

* قالوا البقية والخطى يأخذهم *

ولم يكن قد علم بنو مازن بقتل صاحبهم خنيس ، ولا ما لقيت يدُ عَصِيمة ، فلما رأى عَصِيمة ذلك قبض على يده المقطوعة بيد قبيصة ، حتى إذا امتلأ القميص دماً نَضَجَ به وجوه مازن ثم قال : أبقيةً بعد هذا أو صلح ! وأراهم يده وأعلمهم بقتل خنيس ، فاقتتلوا عند ذلك قتالاً شديداً .

وشد خُفاف بن حزن على شيبان بن خصيفة رئيس بكر فقتله ، ثم هُزِمَتْ بعده بكر هزيمة مُنكرة ، فأخذ رجل من بني يربوع يدي بريقة بنت شيبان ليسيها ، فقال عَصِيمة : لا سِيَاءَ في الإسلام ، أنا جاريةُ لجميع نساءهم من السِّبَاءِ ، وأمر النساء فِحَمَلْنَ وانطلقن معهن جثمان شيبان أبي بريقة ، ودفننه بالمكان الذي يقال له قارة شيبان ، وكسرن على قبره قدره وجَفَنَتْه .

ولما أحرزوا الماء قالت بنو يربوع لبني مازن : إن لنا في الماء شريطةَ النصف ، فقالت بنو مازن : إنما جملنا لكم الثلث ، على أن تُقَاتِلُوا فلم تَلَوْا شيئاً من القتال ، وما كان أصلُ الماء إلّا لنا ، ولتَكْفُنْ عنا ، أو لَتَرُدَّنْ أَرماحنا في صدوركم .

وأما بنو ثعلبة فقالوا : والله ما بيننا وبين بني مازن شريطةٌ تُوجِبُ لنا عليهم في هذا الماء حقاً ، وتركوهم . وأما بنو رياح فأبوا ، ونذر قَمَنب والأحوص الرّياحيان يومئذ إلّا بِرِدَا الوقي إلا مُاجِمين للقتال .

وغبروا على ذلك زماناً ؛ ثم إن بني رياح اغتَرَوْا بني مازن ، فأَتَوْا رَكِيَّةً من ركايا الوقي ، فمَقَرُّوا السَّوَانِي^(١) وألقوا جيفها فيها ، فلما نذرت بهم بنو مازن هربوا ؛ فانطلق ناسٌ منهم في إثرهم حتى أتوا ماء لهم يقال له : طَلَح ، فمَوَّروه^(٢) وألقوا فيه السَّوَانِي والحجر كما فعلوا بآئهم .

ثم هدأ ما بينهما ، واصطلحت الناس ، وخلصت الوقي لبني مازن .

(١) السانية : الناضعة وهي الناقة التي يستقي عليها ، وجمعها السواني (٢) عورت الركية : إذا كبستها بالتراب حتى تنسد .

وفيه قال أبو الفول الطهوى :

فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي ^(١)
 فَوَارِسَ لَا يَمْلُوكُ الْمَنَائِي إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزُّبُون ^(٢)
 وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسِيءٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ يَلِينِ
 وَلَا تَبْلَى بَسَاتِلُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا حِينِ
 هُمْ مَنَعُوا حِمَى الْوَقْبِ بِضَرْبٍ يُوَلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ
 فَكَبَّ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ
 وَلَا يَرْعُونَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنِي إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ ^(٣)

(١) صدق (بالتشديد) مثل صدق بالتخفيف (٢) حرب زبون : تزيين الناس أى تصددهم
 وتدفعهم (٣) الهدنة والهدون والمهدنة : الدعة .

(١٥) يوم الشباك*

قَتَلَ إِيسَى بْنُ عَبْلَةَ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ^(١) اللَّهُ بْنُ ثَعْلَبَةَ مَسْعُودَ بْنَ الْقِصَافِ - مِنْ بَنِي الْقِصَافِ ^(٢) ، ثُمَّ أُسْرَتْ بَنُو تَيْمٍ اللَّهُ وَكَيْعَ بْنَ الْقِصَافِ ، فُخِسُوهُ عِنْدَهُمْ ، فَظَنَّ بَنُو حَنْظَلَةَ أَنَّهُمَا قَدْ قُتِلَا كِلَاهُمَا ؛ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو الْيَرْبُوعِيُّ يَرِيهِمَا ، وَبِتَوَعَّدُ بَنِي تَيْمٍ اللَّهُ :

لَتَبِكَ النِّسَاءُ الرُّضِعَاتُ بِسُحْرَةٍ وَكَيْعًا وَمَسْعُودًا قَتِيلَ الْحَنَاتِيمِ
كَلَّا أَخُونَا كَانَ فِرْعَاوَنًا دِعَامَةً وَلَا يُلْبِثُ الْعَرْشُ أَنْقِضَاضُ الدَّعَائِمِ
فَلَا تَرْجُ تَيْمُ اللَّهِ أَنْ يَحْمِلُوهَا دِيَابَتٌ وَلَا أَنْ يُهْزِمَ مَافِي الْهَزَائِمِ ^(٣)

فَلَمَّا أَتَى هَذَا الشَّعْرُ بَنِي تَيْمٍ عَرَفُوا أَنَّ بَنِي الْقِصَافِ سَيَطْلُبُونَهُمْ بِدَمِ مَسْعُودٍ ، فَخَلُّوا سَبِيلَ وَكَيْعٍ ، فَلَبِثَ بَنُو الْقِصَافِ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلْبَثُوا .

ثُمَّ إِنْ فِتْنَةً مِنْهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ فِي عَيْرٍ لَهُمْ ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الشَّبَاكِ لَقُوا قَوْمًا فَسَأَلُوهُمْ مَنْ عَلَى الْمَاءِ ؟ فَقَالُوا لَهُمْ : بَنُو حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ وَنَاسٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

فَعَقَلَ بَنُو الْقِصَافِ رَوَاحِلَهُمْ ، وَخَلَفُوا بَعْضَهُمْ فِيهَا ، وَمَضَى بَعْضٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ابْنِ عَبْلَةَ ، فَقَالُوا لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ! إِنْ نَاقَةَ لَنَا صَلَّتْ ، وَهِيَ فِي إِبْرِكَ فَارْدُدْهَا عَلَيْنَا ؛ فَقَالَ لِفُلَانٍ لَهُ : انْطَلِقْ مَعَ الْقَوْمِ فَادْفَعْ إِلَيْهِمْ نَاقَتَهُمْ .

* لَبِنِ الْقِصَافِ (مِنْ تَيْمٍ) عَلَى بَنِي تَيْمٍ اللَّهُ بْنُ ثَعْلَبَةَ (مِنْ بَكْرِ) ، وَالشَّبَاكِ : طَرِيقُ حَاجِ الْبَصْرَةِ ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي آمَرْنَا ذِكْرَهَا فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ .

النَّفَائِضُ : ص ٩١٨ طَبْعُ أَوْرِبَا

(١) تَيْمُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ : بَطْنٌ فِي بَكْرِ (٢) بَنُو الْقِصَافِ : مِنْ تَيْمٍ

(٣) يَقُولُ : لَيْسَ لَهُمَا مَتْرَكٌ لَا يَدُ أَنْ يَطْلُبَ بِهِمَا . هَزَمَ لَهُ حَقُّهُ أَيْ وَهَبَهُ لَهُ .

فانطلق غلامُ ابنِ عُبلةَ معهم ، فسأل راعيَه عن ناقةِ القوم ، فقال : ما رأيُها ، وهذه الإبلُ فانظر . فنظر الغلام فلم يرَ شيئاً ، فرجع إلى مولاه ، ورجع بنو القِصاف فقال لهم ابنُ عُبلة : ما صنَعْتُمْ ؟ قالوا : غيَّب راعيكَ ناقَتَنَا ، فقمُ معنا إليه ، فقام معهم ابنُ عُبلة ، حتَّى إذا نَحَوَهُ عن الماء شدَّ عليه رجلٌ من بني القِصاف ، ثم نادى يائزاتِ مسعود ! فقتله ، وخضَبَ عمامته بدمِهِ .

فغضب بنو حارثة^(١) بن لأم ، وقالوا : قتلوا جارنا ، ولا تزال العرب تُسبُّنا به إن قاتلونا .

وطلبوا بني القِصاف وهم نَفِير^(٢) ، وعلى الماء جماعةٌ من بني حارثة بن لأم ، فترك بنو القِصاف رواحِلَهم ، ومضَوْا بالعمامة مخضوبة بالدم حتَّى انتهوا بها إلى بني طَهيَّة^(٣) ، فسألوهم عن رِكايلهم ، فقالوا : تركناها في أيدي بني حارثة ، فقال الأسلع بن القِصاف في ذلك :

فِدَى لَأْمَرِي لَاقَى ابْنَ عُبْلَةَ نَاقَتِي	وَرَأَى كِبْهًا وَالنَّاسُ بَاقٍ وَذَاهِبُ
عَدَا نُمُّ أَعْدَاهُ عَلَى الْهَوْلِ فِتْيَةٌ	كِرَامٌ وَأَسْيَافٌ رِفَاقٌ قَوَاضِبُ
وَلَمْ يَحْفَلُوا مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بَعْدَهَا	وَمَا كَشَفَ لِلنَّاسِ الْأُمُورُ الشَّوَابِغُ
وَلَمْ نَرَوْهُ حَتَّى بَلََّ أَسْيَافُنَا دَمٌ	يُدَاوِي بِهِ قَرَحَ الْقُلُوبِ الْجَوَالِبُ ^(٤)
وَلَا شَرَّ حَاجَاتٍ طَوَاهُنُ بَعْدَ مَا	تَبَاعَدَ أَسْبَابُ الْهَوَى الْمُتَقَارِبُ
فَا النَّاسُ أَرَدَوْهُ وَلَكِنْ أَقَادَهُ	يَدُ اللَّهِ وَالْمُسْتَنْصِرُ اللَّهُ غَالِبُ

(١) بنو حارثة بن لأم : بطن في طيِّ
 القوم الذين يتقدمون في القتال والنفير : الجماعة من الناس (٢) النفير : القوم يتنافرون في القتال ، والنفير :
 بنو القِصاف (٣) طَهيَّة : قبيلة في تميم ومنهم
 (٤) الجلبة : القمرة التي تعلق الجرح عند البرء ، وقد جلب يجلب وأجلب الجرح
 مثله : إذا علت الفرحة جلدة البرء . وقال الليث : قرحة مجلبة وجالبة ، وقروح جوالب وجلب .

شَفَى سَقَمًا - إِنْ كَانَتِ النَّفْسُ تُشْتَفَى -
 شَقِيَ الدَّاءُ وَابْيَضَّ وَجْهُهُ كَأَنَّمَا
 لَعَمْرَى لَقَدْ رَدَّتْ عَشِيَّةٌ مِثْقَبٌ (٣)
 فَأَبْلَغُ بَنِي لَامٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ
 فَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَخُونَا فَتَحَدَّبُوا
 وَلَوْ أَنَّا كُنَّا عَلَى مِثْلِهَا لَكُنْ
 لَمَّا بَرَحَتْ حَتَّى أُنِيخَتْ إِلَيْكُمْ
 فَإِنَّ رِحَالَ الْقَوْمِ وَسْطَ بَيُوتِكُمْ
 قَتِيلٌ مُصَابٌ بِالشَّبَاكِ (١) وَطَالِبُ
 جَلَا النَّقْسِ (٢) عَنْهَا وَهِيَ سُودٌ كَوَائِبُ
 غَلِيلًا فَسَاعَتْ فِي الْأُلُوقِ الْمَشَارِبُ
 وَمَا شَاهِدٌ يُدْعَى كَمَنْ هُوَ غَائِبُ
 عَلَيْنَا إِذَا نَابَتْ عَلَيْنَا النَّوَائِبُ
 لَأَبَتْ إِلَى أَرْبَابِهِنَّ الرَّكَائِبُ
 جَمِيعًا وَحَتَّى حُلَّ عَنْهَا الْحَقَائِبُ
 وَلِلْجَارِ مَعْرُوفٌ مِنَ الْحَقِّ وَاجِبُ
 فَلَمَّا أَتَى بَنِي حَارِثَةَ هَذَا الشَّمْرَ سَرَّهَمْ ، وَقَالُوا : مَا لَنَا عَلَى رِكَابِكُمْ مِنْ سَبِيلٍ ،
 قَوْمٌ أَدْرَكُوا بَنَاءَهُمْ ، وَلَهُمْ جَوَارٌ ، وَالَّذِي يَنْتَنَّا وَبَيْنَهُمْ حَسَنٌ ، فَرَدُّوا عَلَى بَنِي
 الْقِصَافِ رِكَابَهُمْ ، وَطَاحَ (٤) ابْنُ عُبَلَةَ ، وَلَمْ يُدْرِكْ بَنَاءَهُ ؛

(١) الشباك : موضع (٢) النقس : العيب (٣) المثقب : طريق

(٤) يعني ذهب دمه باطلا .

٦- أيام قيس (فيما بينها)

- ١- يوم منعج .
- ٢- » النفراوات .
- ٣- » بطن عاقل .
- ٤- » داحس والغبراء .
- ٥- » الرقم .
- ٦- » الشتاء .
- ٧- » حوزة الأول ؛
- ٨- » » الثاني .
- ٩- » اللوى .
- ١٠- حديث ابن ضبا .
- ١١- يوم هراميت .

(١) يوم منعج *

كان زهير بن جذيمة العبسي سيد قيس عيلان ، فتزوج إليه النعمان ^(١) بن امرئ القيس ملك الحيرة لشرقته وسودده ، وأرسل إليه يوماً يستزيره بعض أولاده ، فأرسل إليه ابنه شاساً - وكان أصغر ولده - فأكرمه وجابه أفضل الحبوّة مسكاً وكسّى وقطفاً وطنافس ^(٢) ، ثم خرج من عنده يريد قومه ، وسار حتى ورد منعجاً - وهو ماء لغنى ^(٣) - فأناخ في يوم شمال ^(٤) ، وقرّ على ردهة ^(٥) في جبل رياح ابن الأسك الغنوى ، ليس على الردهة غير بيته .

ثم أنشأ شاس يفتسل بين الناقة والبيت ، وامرأة رياح تنظر إليه ، وهو مثل الثور الأبيض ، فقال رياح لامراته : أعطيني قوسى ، فددت إليه قوسه وسهماً ، ثم أهوى لشاس بسهم ، وبرّ صلبه ، وحفر له حفراً فهدمه عليه ، ونحر جملة وأكله ، وأدخل متاعه بيته .

* لعبس على غنى ، وتسميته يوم منعج لصاحب العقد الفريد ، وقال أبو عبيدة : ويقال له يوم الردهة ؛ وفي مجمع الأمثال للبديانى : لبنى يربوع على بنى كلاب .

الأغانى ص ٨ ج ١٠ طبعة الساسى ، ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٢٦٨ ج ٢ ، مذهب الأغانى ص ٨ ج ٢

(٢) النعمان ابن امرئ القيس : أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة ، وكان من أشد ملوك العرب نكابة في أعدائه وأبعدهم مفاراً ، كما كان صارماً حازماً ضابطاً للملك ، ولكنه في آخر عهده زهد في الملك ، وساح في الأرض فلم يره أحد (سنة ٤٣١ م) (٢) الطنافس : للبسث والثياب ، والقطيفة : دثار مخمل ، وقيل كساء له خل ، والجمع قطائف ، وقطف مثل صحيفة وصحف كائنها جمع قטיפ وصحيف (٣) غنى : حى من غطفان (٤) الشمال (بالفتح ويكسر) : الريح التى تستقبلك عن يمينك وأنت مستقبل (٥) الردهة : النقرة : يجتمع فيها ماء السماء .

وَقَدْ شَاسَ ، وَقَصَّ أَثَرَهُ وَنُشِدَ ، وَرَكِبُوا إِلَى الْمَلِكِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : حَبَوْتُهُ وَسَرَّحْتُهُ ، فَقَالُوا : وَمَا مَتَّعْتَهُ بِهِ ؟ قَالَ : مِسْكٌ وَكُسَى وَنُطُوعٌ وَقُطْفٌ .

فَاقْبَلُوا يَقْصُونَ أَثَرَهُ فَلَمْ تَتَّضِحْ لَهُمْ سَبِيلُهُ ، وَمَكَثْتَ عَبَسَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى رَأَوْا امْرَأَةً أَرْيَاحَ بَاعَتْ بِمُكَاطٍ قَطِيفَةً حُمْرَاءَ وَبَعْضُ مَا كَانَ مِنْ حِجَابِ الْمَلِكِ ، فَمَرَفُوا وَتَيَقَّنُوا أَنَّ رِيحًا ثَأْرَهُمْ ثَأْرَهُمْ .

فَأَتَى زَهِيرٌ غَنِيًّا وَسَلَّحَهُمْ عَنْ شَاسَ فَقَالُوا : نَعَمْ ، قَتَلَهُ رِيحٌ ، وَنَحْنُ بَرَاءَةٌ مِنْهُ ، وَقَدْ لَحِقَ بِخَالِهِ مِنْ بَنَى الطَّمَّاحِ . وَلَمْ تَبَيَّنْ لَزَهِيرَ أَنَّ رِيحًا ثَأْرَهُ قَالَ يَرِثِي شَاسًا :

بَكَيتُ لَشَاسٍ حِينَ خَبَرْتُ أَنَّهُ	بَعَاءَ غَنًى آخَرَ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ
لَقَدْ كَانَ مَأْنَاهُ الرَّدَاهُ (٢) لِحَتْفِهِ	وَمَا كَانَ لَوْ لَا غِرَّةُ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ
قَتِيلٌ غَنًى لَيْسَ شَكْلُهُ كَشَكْلِهِ	كَذَاكَ لَعَمْرِي الْحَيْنَ لِلْمَرْءِ يُجَلِّبُ
سَابَكِي عَلَيْهِ إِنْ بَكَيتُ بَعْرَةً	وَحَقٌّ لَشَاسَ عَبْرَةٌ حِينَ تُسَكَّبُ
وَحُزْنٌ عَلَيْهِ مَا حَيِّتُ وَعَوَّلُهُ	عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الْبَدْرِ أَوْ هُوَ أَعْجَبُ
إِذَا سِيمَ ضِيَا كَانَ لِلضَّيْمِ مُنْكَرًا	وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ يُخَشَى وَيَرْهَبُ
وَإِنْ صَوَّتَ الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ مَرَّةً	أَجَابَ لَمَّا يَدْعُو لَهُ حِينَ يُكْرَبُ
فَفَرَّجَ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ وَلِيَّهُ	فَقَلْبِي عَلَيْهِ - لَوْ بَدَأَ الْقَلْبُ - مَلْهَبُ

(١) قوم زهير

(٢) الرداه : جمع ردهة ، وهى النقرة يستنقع فيها الماء .

وانصرف إلى قومه ، وكان لا يرى غنويًا إلا قتله ^(١) .

ثم غزت بنو عبس غنيًا قبل أن يطلبوا قوداً أو دية مع أخى شاس - الحصين ابن زهير - والحصين بن أسيد بن زهير ، ف قيل ذلك ل غني ، فقالت لرياح : أنج لعلنا نصالح على شيء أو نرضيهم بدية وفداء .

وخرج رياح رديفا ^(٢) لرجل من بني كلاب ، وكان معهما صحيفة فيها لحم ؛

(١) هذه رواية الأغاني ، وجاء في ابن الأثير : إن زهيراً حين افتقد ابنه سار إلى غني ، وهم حلفاء في بني عامر ، فاجتمعوا عنده ، فسألهم عن ابنه ، فخلقوا أنهم لم يعرفوا خبره ، فقال : ولكني أعلمه ، فقال له واحد من بني عامر : فما الذي يرضيك منا ؟ فقال : واحدة من ثلاث : إما تحبون ولدي ، وإما تسلمون إلى غنياً حتى أقتلهم بولدي ، وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتهم ، فقالوا : ما جعلت لنا في هذه مخرجاً ؟ أما إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلا الله ، وأما تسليم غني إليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الأحرار ، وأما الحرب بيننا فوالله لئنا لنحب رضاك ونكره سخطك ؛ ولكن إن شئت الدية ، وإن شئت طلب قاتل ابنك ، فسلمه إليك ، أو تهب دمه فإنه لا يضيع في القرابة والحوار ، فقال : ما أفعل إلا ما ذكرت .

فلما رأى خالد بن جعفر تعدى زهير على أخواله من غني . قال : والله ما رأينا كال يوم تعدى رجل على قومه ، فقال له زهير : فهل لك أن تكون طلبتي عندك وأترك غنيا ؟ قال : نعم ، فانصرف زهير وهو يقول :

فولوا كلاب قد أخذت قرينتي	برد غني أعبدأ ومواليها
ولكن حمهم عصة عامرية	يهزون في الأرض القصار العوالي
مسا عير في الهيجا مصاليت في الوغي	أخوهم عزيز لا يخاف الأعادي
يقيمون في دار الحفاظ تكريما	إذا ما في القوم أضحت خوالي

الفني : جمع فناء

ثم أنه أرسل امرأة وأمرها أن تكتم نسبها ، وأعطاه لحم جزور ممينة ، وسيرها إلى غني لتبيع اللحم بطيب ، وتسال عن حال ولده ، فانطلقت المرأة إلى غني وفعلت ما أمرها ، فأنهت إلى امرأة رياح بن الأسك ، وقالت لها : قد زوجت بنتا لي وأبني الطيب بهذا اللحم ، فأعطتها طيباً ، وحدثتها بقتل زوجها شاساً ، فعادت المرأة إلى زهير وأخبرته ، فجمع خيله ، وجعل يغير على غني حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ، ووقعت الحرب بين بني عبس وبني عامر (ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١)

(٢) الرديف : الراكب خلف الراكب .

فَأَدْخَلَا يَدَيْهِمَا فِي الصُّحُفَةِ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَضْرَةً ^(١) لِيَا كُلَّهَا ،
مُتَرَادِفِينَ لَا يَقْدِرَانِ عَلَى التَّزْوِلِ ، فَمَرَّ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا صُرْدٌ فَصَرَّصَ ، فَأَلْقَيَا اللَّحْمَ ،
وَأَمْسَكَ بِأَيْدِيهِمَا ، وَقَالَا : مَا هَذَا ! ثُمَّ عَادَا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا عَظْمًا ؛ وَمَرَّ الصُّرْدُ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا فَصَرَّصَ ، فَأَلْقَيَا الْعَظْمَيْنِ وَأَمْسَكَ بِأَيْدِيهِمَا
وَقَالَا : مَا هَذَا ! ثُمَّ عَادَا الثَّلَاثَةَ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قِطْعَةً ، فَمَرَّ الصُّرْدُ فَوْقَ
رُءُوسِهِمَا فَصَرَّصَ ، فَأَلْقَيَا الْعَظْمَيْنِ حَتَّى فَعَلَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَإِذَا هُمَا بِالْقَوْمِ أَذَى
ظَلَامٌ ^(٢) . وَقَدْ كَانَا يَظُنُّنَّ أَنَّهُمَا قَدْ خَالَفَا وَجْهَةَ الْقَوْمِ ! فَقَالَ لِرِيَّاحٍ صَاحِبُهُ : أَذْهَبَ
فَإِنِّي آتَى الْقَوْمَ أَشْفَلَهُمْ عَنْكَ وَأُحَدِّثُهُمْ حَتَّى تُعْجِزَهُمْ ، ثُمَّ مَاضٍ إِنْ تَرَكَونِي .
فَانْحَدَرَ رِيَّاحٌ عَنْ عَجْزِ الْجَمَلِ ، فَأَخَذَ أَذْرَاجَهُ ^(٣) ، وَعَدَا حَتَّى أَتَى ضِفَّةً فَاحْتَفَرَ
تَحْتَهَا مِثْلَ مَكَانِ الْأَرْنَبِ وَوَلَجَ فِيهِ ، ثُمَّ أَخَذَ تَعْلَيْنِ مِنْ سِنْتٍ ^(٤) فَجَعَلَ إِحْدَاهُمَا
عَلَى سُرَّتِهِ ، وَالْأُخْرَى عَلَى صَفْنِهِ ^(٥) ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمَا الْعِمَامَةَ . وَمَضَى صَاحِبُهُ حَتَّى لَقِيَ
الْقَوْمَ ؛ فَسَأَلُوهُ فَحَدَّثَهُمْ وَقَالَ : هَذِهِ غَنَى كَامِلَةٌ ، وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَصَدَّقُوهُ
وَوَخَلُّوا سِرُّبَهُ ^(٦) .

فَلَمَّا وَلَّى رَأَوْا مَرْكَبَ الرَّجُلِ خَلْفَهُ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِي كَانَ خَلْقُكَ ؟
فَقَالَ : لَا مَكْذُوبَةَ ! ذَلِكَ رِيَّاحٌ فِي الْأَوَّلِ مِنَ السَّمَرَاتِ ^(٧) ، فَقَالَ الْحَصِينَانِ ^(٨)

(١) الوضرة : القطعة الصغيرة من اللحم (٢) أذى ظلام : أذى شئء

(٣) أدرج : جمع درج ، وهو الطريق ، والمعنى مضى لسبيله (٤) السنت : الجلد المدبوغ

والنعل مؤنثة (٥) الصفن : وعاء الحصى (٦) السرب : الطريق والوجه

(٧) السمرات : واحدها سمرة ، وهو شجر (٨) الحصينان : الحصين بن زهير والحصين

لن معهما : قَفُوا علينا حتى نعلم عِلْمَهُ ، فقد أَمَكَّنَّا اللهُ من ثَارِنَا ، ولم يريد أن يَشْرِكهما فيه أحد ، ومضياً ووقف القوم وخَنَسُوا^(١) عنهما .

فلما رآهما رياح رى الأول منهما فَبَرَّ صُلْبَهُ ، وطفنه الآخر قبل أن يرميه ، وأراد السُّرَّةَ فأصاب الرِّبْلَةَ^(٢) ، ومَرَّ الفرسُ يَهْوَى به ، فاستدَّبره رياح بسَهْمٍ فَرَسَقَ به صُلْبَهُ ؛ وَنَدَّ فرسها فلحقا بالقوم .

فَقَالَتْ عَبْسٌ : أَيْنَ تَذْهَبُونَ إِلَى هَذَا ؟ وَاللهُ لَيَقْتُلَنَّ مِنْكُمْ عِدَدًا ، وقد جرحاه وسيموتُ .

ثم إن رياحا أخذ رُمحِي القَتِيلِ وسَلَبَيْهُمَا وانطلق حتى ورد رَدْمُهُ عليها يَتُّ أَعْمَارَ بَنِي بَنِيضٍ ، وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها ، وجمل لها رَاتِعٌ فِي الْجَبَلِ ، وقد مات رياح عطشًا ، فلما رَأَتْهُ يَسْتَدْمِي^(٣) طمعت فيه ، ورجت أن يَأْتِيَهَا ابْنَاهَا فَقَالَتْ : اسْتَأْذِنِي ، فَقَالَ : دَعْنِي وَبِحَاكِ أَشْرَبُ ! فَأَبَتْ فَأَخَذَ حَدِيدَةً فَجَدَمَ^(٤) بِهَا رَوَاهِشَهَا^(٥) ، وَعَبَّ فِي الْمَاءِ حَتَّى نَهَلَ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ فِيهَا وَفِي الْحَصِينَيْنِ :

قَالَتْ لِي : اسْتَأْذِنِي لِتُكْفِنَنِي حِينَ يَمْلُؤُ قَوْلُهَا قَوْلِي
وَلَأَنْتِ أَجْرًا مِنْ أُسَامَةَ أَوْ مَنِي غَدَاةٍ وَقَفَتْ لِلْخَيْلِ
إِذَا الْحُصَيْنَ لَدَى الْحَصِينِ كَمَا عَدَلَ الرَّجَازَةُ^(٦) جَانِبَ الْمَيْلِ

(١) خنسوا : تأخروا (٢) الرِّبْلَةُ : أصل الفخذ (٣) استدْمِي الرجل : طأطأ رأسه

يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ (٤) الجَذَمُ : التَّطْعُ (٥) الرواهش : عروق ظاهر الكف

(٦) الرجَازة : شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل .

(٢) يوم النفراوات *

كان زُهَيْرُ بْنُ جَدِيعَةَ ^(١) العبسي سيدًا لهَوَازِنَ ^(٢) ، فكانت لا تراه إلا ربًّا ، وهَوَازِنُ يومئذٍ لا خيرَ فيها ، وإنما هم رِعاءُ الشَّاءِ في الجبال ، وكان زهير يَعِزُّهُمْ ^(٣) ، فإذا كانت أيامُ عُكَّازٍ أتاها زهير ، وبأتينها الناسُ من كلِّ وجه ، فتأتيه هَوَازِنُ بالإنارة التي له في أعناقهم ، فيأتونه بالسَّمْنِ والأَقِطِ ^(٤) والغَمِّ ، ثم إذا تفرَّق الناسُ نزل بالنفراوات .

فأنته عَجُوزٌ من هَوَازِنَ بِسَمْنٍ في نَحْيٍ ^(٥) ، واعتذرت إليه وشَكَتِ السنين التي تَتَابَعَتْ على الناس ، فذاقه فلم يَرْضَ طعمه ، فدَعَّاهَا ^(٦) بِقَوْسٍ في يده عَطُلٌ ^(٧) في صدرها ، فاستلقت حِلَاوَةً ^(٨) القفا ، ففضبت من ذلك هَوَازِنَ وَصَمَّتْ له ^(٩) ،

* لعامر على عبس و (النفراوات) هكنا ذكره صاحب الأغاني ، وفي العقد الفريد (النفراوات) ، وفي معجم ما استمعتم : النفراوات ، قال : نقرى بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة مقصور على وزن فُعْلَى ، وبعد : موضع في بلاد غطفان . قال السكري : هي حرة . قال مالك بن خالد الحفاعي :

ولما رأوا نقرى تسيل أكماها بأرعن جرار وحامية غلب

ورواه السكوتي : نقرى بالقاف . قال أبو الفتح أراد نقرى فخفض للضرورة ، قال أبو صخر فجمعها على نقریات :

فلما تفعلی نقریات سحيلة ودافعه من شامة بالرواجب

يريد بالأصابع ، يصف سحابا .

العقد الفريد ص ٣٠٤ ج ٣ ، الأغاني ص ١٠ ج ١٠ ، ابن الأثير ص ٣٣٨ ج ١٠ ، بلوغ الأرب ص ١١٧ ج ١ ، معجم ما استمعتم (ركة - نقر - نقر - نفراوات)

(١) من عبس ، وينتهي نسبه إلى قيس عيلان بن مضر (٢) هوازن : حى من قيس

عيلان (٣) يعزهم : يغلبهم (٤) الأقط : شيء يتخذ من الخيض القمي

(٥) النحي : الزق الذى يجعل فيه السمن (٦) دعها : دفعها (٧) قوس عطل :

لا وتر فيها (٨) حلاوة القفا : وسطه (٩) صمدت له : قصدته وانتظرت غفلته .

هذا إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدَّمن^(١) وما أوحَرها^(٢) من الحسد .
وتذامرت^(٣) عامر بن صعصعة - وهم بطن من هوازن - وآلى خالد بن جعفر
فقال : والله لأجعلنَّ ذراعى وراء عُنُقِهِ حتى أُقتل أو يُقتل ، ثم قال :

أديروني أداتكم^(٤) فإني وحذفة^(٥) كالشَّجَا تحت الوريد
مقرَّبة أسديها بخزٍ وألحفها ردائي في الجليد
وأوصي الراعيين ليؤثِّراها لها لبن الخلية والصمود^(٦)
تَراها في الفزاة وهُنْ شعث كقلب^(٧) العاج في الرُشغ الجديد

ولما سمع زهير هذا القول حقَّراً خالداً وسبَّهُ ، فقال خالد : اللهم أمكن يدي
هذه الشقراء القصيرة من عُنق زهير بن جذيمة ، ثم أعنني عليه . فقال زهير : اللهم
أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عُنق خالد ثم خلَّ بيننا ، فقالت قريش - وكان
الكلام أماتهم : هَلَكْتَ والله يا زهير . فقال زهير : إنكم والله الذين لا عِلْمَ لكم .



ثم انتقل زهير من قومه بينيه وبنى أخويه زُبَاع وأسيد يُرَيْغ^(٨) الفيث في
عُشَرَوات^(٩) له ، وبنو عامر قريبٌ منهم ولا يشعرون بهم ، وكانت تماضر بنت
الشريد امرأة زهير بن جذيمة ، فرَّ بها أخوها الحارث^(١٠) ؛ فقال زهير

(١) اللسنة : الحقد القديم ، وجمعه دمن (٢) أوحَره : أوغره (٣) تذامرت :
تماحضت على القتال (٤) لكل ذي حرفة أداة ، وهي آلة التي تقيم حرفته ، وأداة الحرب
سلاحها (٥) حذفة : فرس خالد بن جعفر (٦) الخلية : الناقة تنتج فينعر ولدها
ليدوم لهم لبنها ، والصعود : الناقة يموت حوارها فتطف على فصيلها (٧) القلب : السوار
(٨) يرغ : يطلب (٩) العُشراء : الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر ، وجمعها عُشراوات
(١٠) كان الحارث قد أصاب دماً ، ثم احتسب يبنى عامر قوم خالد وكان فيهم ، ثم إن خالداً
أرسله عيناً ليأتيه بخبر زهير .

لَبْنِيهِ : إن هذا الحمار لَطَلِيمَةٌ عَلَيْكُمْ فَأَوْثِقُوهُ ، فقالت أخته لبنيها : أيزورك خالكم فتوثقوه وتحرموه ؟ ثم حلبوا له وطبا^(١) ، وأخذوا منه يميناً ألا يخبر عنهم ، ولا يُنذر بهم أحداً .

فخرج يطير حتى أتى بني عامر عند ناديتهم ، وأتى شجرة فأتى الوطب تحتها والقوم ينظرون ، ثم قال :

أيتها الشجرة الذليلة ؛ اشر بي من هذا اللبن وانظري ما طعمته ؟ فقال أهل المجلس : هذا رجل مأخوذ عليه ، وهو يخبركم خبراً !

فأثوه ، وذاقوا اللبن ، فإذا هو حلو لم يقرص^(٢) بعد^(٣) ، فقالوا : إنه ليخبرنا أن طلبنا قريب .

فركب خالد وركب معه ستة فوارس من بني عامر لينظروا ما الخبر . واقتصوا أثر السير ، حتى إذا رأوا إبل بني عبس نزلوا عن الخيل ؛ فقالت نساء بني عبس : إنا لنرى حرجة من عضاه^(٤) ، أو غابة من رماح بمكان لم نسكن نرى به شيئاً . ثم راحت الرعاء فأخبروا بمثل هذا الخبر ، وأخبرت راعية أسيد بن جذيمة أسيداً بمثل ذلك .

فأتى أسيد أخاه فأخبره بما أخبرته به الراعية وقال : إنما رأت خيل بني عامر ورماحها . فقال زهير : كل أذب^(٥) نفور ! وأين بنو عامر ؟ أمّا كلاب فكالحية^(٥)

(١) الوطب : سقاء اللبن (٢) يقرص : يحمص (٣) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك ، والحرجة : الجماعة منها (٤) الأذب من الإبل : كثير شعر الأذنين والعينين . قال في اللسان : ولا يكاد يكون الأذب إلا نفوراً لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نفرت ، وكان أسيد كثير الشعر . وقد ذهب الجملة مثلاً (٥) كلاب وكعب ونفير وهلال : بطون من عامر بن صعصعة .

إِنْ تَرَكْتَهَا تَرَكَّتْكَ ، وَإِنْ وَطِئْتَهَا عَضَّتْكَ . وَأَمَّا بَنُو كَعْبٍ فَانْهَمُ يَصِيدُونَ
الْأَلَى^(١) ، وَأَمَّا بَنُو غَيْرِ فَنَهَمُ يَرْعَوْنَ إِيْلَهُمْ فِي رِءُوسِ الْجِبَالِ ، وَأَمَّا بَنُو هَلَالٍ
فَيَصِيدُونَ الْعَطْرَ .

ثُمَّ آلَى زَهِيرٌ لَا يَبْرَحُ مَكَانَهُ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَتَحْمَلُ مَنْ كَانَ مَعَهُ غَيْرَ ابْنِهِ وَرَقَاءَ
وَالْحَارِثَ . وَكَانَتْ لَزَهِيرٍ مِظْلَةٌ دَوْحٌ يَرْبُطُ فِيهَا أَفْرَاسَهُ لَا تَرِيْعُهُ حَذَرًا مِنَ الْحَوَادِثِ ،
فَلَمَّا أَصْبَحَ صَهَلَتْ فَرَسُهُ مِنْهَا حِينَ أَحْسَتِ بِالْخَيْلِ ، وَهِيَ الْقَعَسَاءُ^(٢) . فَقَالَ زَهِيرٌ :
مَالَهَا ؟ فَقَالَ رَبِيبَتُهُ^(٣) : أَحْسَتِ بِالْخَيْلِ فَصَهَلَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمْ تُؤْذَنْهُمْ بِهِمْ إِلَّا وَالْخَيْلُ
دَوَائِسُ^(٤) مُحَاضِرٌ بِالْقَوْمِ غُدِيَّةً ، فَقَالَ زَهِيرٌ لِأَخِيهِ أَسِيدَ - وَظَنَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ :
يَا أَسِيدَ ؟ مَا هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَعَمَّى حَدِيثَهُمْ مِنْذُ اللَّيْلَةِ ، وَرَكِبَ أَسِيدُ
وَمَضَى نَاجِيًا .

ثُمَّ إِنْ زَهِيرًا وَثَبَ وَتَدَثَّرَ^(٥) الْقَعَسَاءُ فَرَسَهُ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ شَيْخٌ قَدْ بَدَنَّ^(٦) ، وَقَالَ
لِابْنِهِ وَرَقَاءَ : انْظُرْ يَا وَرَقَاءَ مَا تَرَى ؟ فَقَالَ وَرَقَاءُ : أَرَى فَارِسًا عَلَى شِقْرَاءٍ يُجْهِدُهَا
وَيُكْذِّدُهَا بِالسُّوْطِ قَدْ أُلْحَ عَلَيْهَا . فَقَالَ زَهِيرٌ : شَيْئًا مَا يَرِيدُ بِالسُّوْطِ إِلَى الشَّقْرَاءِ^(٧) .
وَتَمَرَّدَتِ الْقَعَسَاءُ بِزَهِيرٍ ، وَجَمَلَ خَالِدٌ يَقُولُ : لَا نَجُوتَ إِنْ نَجَا مُجَدِّعٌ^(٨) .
وَلَا تَمْفَطَتْ^(٩) الْقَعَسَاءُ بِزَهِيرٍ وَلَمْ تَتَعَلَّقْ بِهَا حَذْفَةً قَالَ خَالِدٌ لِمَعَاوِيَةَ الْأَخِيلِ

(١) الْآلَى : الثَّورُ الْوَحْشِيُّ (٢) الْقَعَسَاءُ : اسْمُ فَرَسٍ زَهِيرٍ (٣) الرِّبِيَّةُ : الطَّلْبَةُ
الَّتِي يَنْظُرُ الْقَوْمُ لثَلَايِدِهِمْ الْعَدُو . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ رِبِيَّةَ زَهِيرٍ كَانَتْ مِنَ الْجَنِّ
(٤) دَوَائِسُ : يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَالْمُحَاضِرُ : الْكَثِيرُ الْحَاضِرُ ، وَالْحَاضِرُ : ارْتِفَاعُ الْفَرَسِ فِي
عَدْوِهِ (٥) تَدَثَّرَ فَرَسُهُ : وَثَبَ عَلَيْهَا (٦) بَدَنَّ الرَّجُلُ : أَسْنَى وَضَعَفَ
(٧) ذَهَبَتْ مِثْلًا ، وَالشَّقْرَاءُ هِيَ حَذْفَةُ فَرَسٍ خَالِدٍ (٨) يَعْنِي زَهِيرًا (٩) تَمْفَطَتْ الْفَرَسُ :
جَرَى حَتَّى لَا يَجِدَ مَزِيدًا فِي جَرِيهِ .

ابن عبادة ، وهو ممن كانوا معه : أدرك معاوية ، فأدرك معاوية زهيراً ، فجعل ابنه ورقاء والحارث يوطشان^(١) عنه ؛ فقال خالد : اطعن يا معاوية في نساها^(٢) ، فطعن في أحد رجليها ؛ فأنخذلت القعساء بعض الانخذال ، وهى في ذلك تتممط ، فقال زهير : اطعن الأخرى - يكيدُهُ بذلك لىكى تستوى رجلاها ، فتتحامل . فناداه خالد : يا معاوية ؛ أفيد^(٣) طمنتك ، فشغشغ^(٤) الرمح في رجلها فأنخذلت .

ولحقه خالد على حذفة ، فجعل يده وراء عنق زهير وقلبه ، وخرّ خالد فوقه ، ولحق حنذج بن البكاء - وكان ممن جاء مع خالد - فوجد خالد قد حَسَرَ الغُفْرَ عن رأس زهير فقال : نَحَّ رأسك يا أبا جَزء^(٥) ، لم يجز يومك ! فنحى خالد رأسه وضرب حنذج^(٦) رأس زهير ، وضرب ورقاء رأس خالد بالسيف وعليه درعان ، فلم يُغن شيئاً ، وأجهض^(٧) ابنا زهير القوم عن أبيهما فانتزعهما مرتباً^(٨) .

فقال خالد - حين استنقذ زهيراً ابنه : وَالْهَفَّتَاهُ ! قد كنت أظن أن هذا المخرج سينفعكم ، ولام حنذجا . فقال حنذج : السيف حديد ، والساعد شديدا ، وقد ضربته ورجلاي متمكنتان في الركائب ، وسمعت السيف قال : قَبَّ قَبَّ^(٩) حين وقع برأسه ، ورأيت على ظبته مثل ثمر المرار . فقال خالد : قتلته بأبى أنت !

-
- (١) يوطشان : يدقسان (٢) النسا : عرق من الورك إلى الكعب
(٣) أى أطعن مكاناً واحداً (٤) شغشغ السنان في الطعنة : حركة ليشكن في الطعون
(٥) أبو جزء : كنية خالد (٦) في العقد الفريد : الذى ضربه هو معاوية الأخیل
(٧) أجهض : نحى (٨) المرات : المحمول من المعركة جريحاً (٩) قَبَّ قَبَّ : حكاية وقع السيف .

ونظر بنو زهير فإذا بالضربة قد بلغت الدماغ ، ثم استسقامهم فنعوه الماء ،
حتى نهك عطشاً ، وقال : أميتُ أنا عطشاً ! اسقوني الماء وإن كان فيه نفسى ،
ثم أخذ ينادى : يا ورقاء ؛ ولما لم يجبه جعل ينادى : يا شاس^(١) ، فلما رأوا ذلك
سقوه ، فمات بعد ثلاثة أيام .



وفى قتل زهير يقول ابنه ورقاء :

رأيت زهيراً تحت كلِّك ^(٢) خالد	فأقبلت أسعى كالمجول ^(٣) أبأدرُ
إلى بطلين يَهْضَانِ كلاهما	يريفان ^(٤) نصل السيف والسيف دائر ^(٥)
فشلت عيني إذ ضربت ابن جعفر	وأحرزه مني الحديد الظاهر ^(٦)
فياليت أنى قبل أيام خالد	ويوم زهير لم تلدنى تماضرُ
لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتنى	فما الذى ردت عليك البشائرُ
فطر خالد إن كنت تستطيع طيرة	ولا تقعنْ إلا وقلبك حاذرُ
أنتك النايان إن بقيت بضربة	تفارق منها العيش والموت حاضرُ

(١) هو شاس بن زهير الذى قتله رياح بن الأسك عند عودته من زيارة النعمان بن النضر
(٢) الكلكل : الصدر (٣) المجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها .
وفى معجم ما استعجم :

* فأقبلت أسعى كالمجول أبأدر *

(٤) يريفان : يديران (٥) دثر السيف : صدى فهو دائر وفى القمد : والسيف نادر
(٦) ظاهر الدرع : لأم بعضها على بعض ، ويراد بالحديد : الدرع .

وقال خالد بن جعفر بن علي هوازن بقتله زهيراً، ويصدق الحديث :

أبلغ هوازنَ كيف تكفرُ بعدما أعتقهم فتوالدُوا أحراراً
وقتلَ ربُّهم زهيراً بعدما جدَعَ الأنوفَ وأكثرَ الأوزاراً
وجعلت حزنَ بلادهم وجباً لهم أرضاً فضاء سهلةً وعثاراً
وجعلت مهرَ بناتهم ودمائهم عقلاً^(١) الملوك هيجائنا أبكاراً

(١) أي جعلت ذلك كدية الملوك.

(٣) يوم بطن عاقل *

أغار خالد بن جعفر بن كلاب العامري على ذبيان - رهط الحارث بن ظالم المرّي الذُّبْيَانِي - وهم في واد يقال له حُرَاض ، فقتل الرجال حتى أُسْرِفَ ، وبقيت النساء ، والحارث بن ظالم يومئذ صغير ؛ وزعموا أن ظالماً أباه هلك في تلك الواقعة من جراح أصابته يومئذ .

وكانت نساء بني ذبيان لا يحملن اللبن ، فلما تأيَّمَنَ ورصرنَ بغير رجال طَفِقْنَ يَدْعُونَ الحارث ، فيشدُّ عَصَابَ الناقة ، ثم يحملنها ويكيّن رجلهن ، ويبيكي الحارث معهن ، فنشأ على بُغْضِ خالد ، وأردف ذلك قتلُ خالد زهير بن جذيمة العبسي ؛ فاستحقَّ العداوة في غطفان ^(١) .

ثم مكث خالد بُرْهة من دَهْرِهِ أتى بعدها النعمان ^(٢) بن المنذر ملك الحيرة ، فألقى عنده الحارث بن ظالم المرّي فأقبل النعمان يسأله ؛ فحسدهُ خالد ، ثم قال للنعمان : أبيت اللعن ! هذا رجلٌ لي عنده يد عظيمة ! قتلتُ زهير بن جذيمة العبسي - وهو سيّدُ غطفان - فصارَ هو بعد قتله سيِّدَها ! فقال الحارث - غاضباً : سأُجْزِيكَ على يدك عندي !

ثم إن النعمان دعاهما بعد ذلك ومعهما بمض القوم ، وقدّم لهم تمرّاً ؛ فطَفِقَ خالدُ

* لذبيان على عامر ، وبطن عاقل : موضع على طريق الحاج من البصرة

الأغانى ص ١٦ ج ١٠ ، ابن الأثير ص ٣٣٨ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٠٥ ج ٣

(١) كان زهير بن جذيمة من عبس ، والحارث بن ظالم من ذبيان ، وعبس وذبيان : حيان من غطفان بن قيس عيلان (٢) في العقد الفريد : إن وفادة خالد ولقائه بالحارث كانا عند الأسود بن المنذر أخى النعمان ، وفي ابن الأثير : كان لقاؤهما عند النعمان بن امرئ القيس .

يَا كُلُّ وَيُلْقَى نَوَى مَا يَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ يَنْ يَدَى الْحَارِثُ^(١). فلما فرغ القوم قال خالد: أَيْتَ اللَّعْنِ! انْظُرْ إِلَى مَا يَنْ يَدَى الْحَارِثِ مِنَ النَّوَى، فَا تَرَكْ لَنَا تَمْرًا إِلَّا أَكَلَهُ، فَقَالَ الْحَارِثُ: أَمَا أَنَا فَأَكَلْتُ التَّمْرَ وَأَلْقَيْتُ النَّوَى، وَأَمَا أَنْتَ يَا خَالِدَ فَأَكَلْتَهُ بَنَوَاهُ! فغضب خالد - وكان لا يُنَازِعُ - وقال: أَتُنَازِعُنِي يَا حَارِثُ وَقَدْ قَتَلْتَ حَاضِرَتَكَ^(٢)، وَتَرَكْتَنِي يَتِيمًا فِي حُجُورِ النِّسَاءِ؟ فَقَالَ الْحَارِثُ: ذَلِكَ يَوْمَ لَمْ أَشْهَدَهُ، وَأَنَا مُغْنٍ يَوْمَ بِمَكَانِي. فَقَالَ خَالِدٌ: فَهَلَّا تَشْكُرُنِي إِذْ قَتَلْتُ زَهِيرَ بْنَ جَذِيمَةَ وَجَعَلْتَنِي سَيِّدًا غَطَفَانٍ؟ قَالَ: بَلَى، سَوْفَ أَشْكُرُكَ عَلَى ذَلِكَ.

وكان مع خالد ابن أخيه^(٣) عروة الرِّحَالِ بن عتبة بن جعفر، فقال لعمه خالد: مَا أَرَدْتَ بِكَلَامِهِ وَقَدْ عَرَفْتَهُ فَتَمًّا كَا! فَقَالَ خَالِدٌ: وَمَا تَخَوَّفَنِي مِنْهُ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنِي نَائِمًا مَا أَقْطَعَنِي.

ثُمَّ إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ ظَالِمٍ ذَهَبَ إِلَى امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا بِنْتُ عَفْرَزٍ فَشَرِبَ عَنْدهَا، وَقَالَ لَهَا تَعْنِي:

تَعْلَمُ أَيْتَ اللَّعْنِ أَتَى فَا تَكُ
أَخَالِدَ نَهْتَنِي غَيْرَ نَائِمٍ
أَعِيرْتَنِي أَنْ نَلْتَ مِنِّي فَوَارِسًا
أَصَابَهُمُ الدَّهْرُ الْخُتُورُ بِخَتَرِهِ^(٤)
لَمَلِكٍ يَوْمًا أَنْ تَنْوُ بِضَرْبَةٍ
مِنْ الْيَوْمِ أَوْ مِنْ بَعْدِهِ بَابِ جَعْفَرٍ
فَلَا تَأْمَنَنَّ فَتَكِي مَدَى الدَّهْرِ وَاحْذَرِ
غَدَاةَ حُرَاضٍ مِثْلَ جَنَانِ عَبْقَرٍ^(٥)
وَمَنْ لَا يَبْقَى اللَّهُ الْخَوَادِثَ يَعْتَرِ
بِكَيْفٍ فَتَى مِنْ قَوْمِهِ غَيْرَ جَيْدَرٍ^(٦)

(١) عبارة ابن الأثير: وجعل الحارث يتناول التمر لئلا يترك منه شيء من الغضب

(٢) الحاضر والحاضرة: الحى العظيم، وهو يريد أهل حاضرتك (٣) عبارة ابن الأثير:

فقال عروة لأخيه خالد (٤) حُرَاضٌ: واد لرهط الحارث، وعقير: موضع كثير الجن.

والجان من الجن جمه جنان (٥) الختر: القدر (٦) الجيدر: القصير.

بعضُ بها عليا هوازن ، والمثنى لقاءُ أبي جَزْءٍ^(١) بأبيض مبتدئ
فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يحفل به . وكان عبدُ الله بن جمدة - وهو ابن
أخت خالد - رجل قيس رَأْيَا ، وبلغه قول الحارث ؛ فأرسل ابنه إلى خالد ، وقال له :
ائمه وقل له : يا أبا جَزْءٍ ؛ إن الحارث بن ظالم سيفه مكوثور ، فاحفِ مبيتك الليلة
فإنه قد غلبه انشراب ، فإن أُبيتَ فأجمل رجلاً يحرسك .

فلم يقبل خالد أن يُخفى مبيته ، ولكنه نام وجعل رجلاً يحرسه ، ونام عروة
وابن جمدة دون الرجل^(٢) . ولما أظلم الليل أقبل الحارث حتى انتهى إلى ابن جمدة
وعروة فتعداها ، ثم أتى قبة خالد فهتك شرجهما^(٣) ، ومضى إلى الرجل الحارس
يحسبه خالداً فمجنه بكلكله حتى كسره ، وجعل يكلمه فلا يعقل ، ثم خلى عنه
حين عرف أنه ليس بخالد .

ومضى إلى خالد فأيقظه ، فلما استيقظ قال له : أتعرفني ؟ قال : أنت الحارث !
قال : خذ جزاء يدك عندي ! وضربه بسيفه الملوّب^(٤) فقتله ، ثم خرج من القبة
وركب راحلته وسار .

وانتبه عروة ، فصاح : واجوار الملك^(٥) ! ثم ذهب إلى باب النعمان فدخل عليه
وأخبره الخبر ، فبث الرجال في طلب الحارث .

(١) أبو جزء : كنية خالد (٢) في ابن الأثير : ثم خرج خالد وأخوه إلى قبيتهما ففترجاها
عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه (٣) الترح : عرا الحياء والمية ونحو ذلك
(٤) الملوّب : سيف الحارث ، كذا كان اسمه (٥) وسميت امرأة من بني عامر بقتل
خالد ، فشقت جيبها ، فقال عبد الله بن جعدة الكلبي :

شقت عليك العامرية جيبها أسفاً وما تبكي عليك ضلّالا
في رواية ابن الأثير الجعفرية

يا حار لو نهته لوجدته لا طائثا رعشا ولا مزالا
المزال : من لا رمح له

واغرورت عينا لما أبصرت بالجعفرى وأسببت لاسبالا
فلنقتلن بخالد سرواتكم ولنجعلن للظالمين نكالا
فاذا رأيتم عارضا متلياً منا فإنا لا نحاول حالا

قال الحارث : فلما سرت قليلاً خفتُ أن أكونَ لم أقتله ، فعدتُ متنكراً واختلطت بالناس ، ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقنتُ أنه مقتول ، وعدتُ فلاحقتُ بقومي (١) .

ولما رجع الحارث إلى قومه أبوا أن يجيروه (٢) ؛ فغضب لذلك قيسُ بن زهير بن جذيمة العبسي ، وهو الذي قتل خالدُ بن جعفر أباه ، فأرسل إلى الحارث بهذه الآيات :

جزاك الله خيراً من خليل
أزحت بها جوى ودخيل حزن
كسوت الجعفرى أبا جزى (٣)
أبأت به زهير بن بغيض (٤)
كشفت لها القناع وكنت ممن
فأجابه الحارث بن ظالم :

أتانى عن قيس بن زهير
فلو كنتم كما قلم لكنتم
ولكن قلم جاور سوانا (٥)
ولو كانوا هم قتلوا أخاكم
مقالة كاذب ذكر التبول
لقاتل تأركم حرزاً أصيلاً
قد جلتنا حدثاً جليلاً
لما طردوا الذى قتلوا القتيل

(١) وفي قتل خالد يقول الحارث :

ألا سائل النعمان إن كنت سائلاً
عشوت إليه وابن جعدة دونه

عشوت إليه : قصده ليلاً

(٢) انظر يوم الرححان ، وسيأتى بعد في القسم الثامن (٣) النبوة : جمع تيل وهو العداوة

(٤) خالد بن جعفر (٥) هو زهير بن جذيمة ويتنهي نسبه إلى بغيض (٦) . وقد جاور

قيماً بعد بني تميم ، ولم يمكث فيهم بل رحل عنهم .

(٤) يوم داحس والغبراء*

— ١ —

سار قيسُ بن زهير^(١) بن جذيمة العبسي إلى المدينة ليتجهز لقتال بني عامر ،
ويأخذ بثأر أبيه . زهير بن جذيمة الذي قتله خالد^(٢) بن جعفر الكلبي العامري ،
فأتى أحيحة^(٣) بن الجلاح يشتري منه درعاً موصوفة ، فقال له : لولا أن تَدُمَّنِي^(٤)
بنو عامر لو هبَّتها لك ؛ ولكن اشتراها بابن لبون . ففعل ذلك ، وأخذ الدرع . وكانت

* بين عبس وذبيان ، وكانت الحرب بينهما سجالاً وانتهت بصلح . وداحس والغبراء : اسم
فرسين لقيس بن زهير ، وتشتمل هذه الحرب أيام المريقب وذى حساء واليعبرية والهباءة وفروق
وقطن .

شعراء النصرانية ص ٩١٧ ، القدر الفريد ص ٣١٣ ج ٣ ، سيرة ابن هشام ص ١٨٢ ج ١ ،
ابن الأثير ص ٣٤٣ ج ١ ، النقاظ ص ٨٣ ، الأغاني ص ٢٤٠ ج ٨ ، وص ٢٦ ج ١٦ ،
ديوان عنتر بن شداد ص ١٥١ ، معجم البلدان (أصا - هباءة) شرح ديوان الحماسة للتبريزي
ص ٣٩٧ ج ١ - وص ٣٧ ج ٣ ، شرح الزوزني على المعلقات السبع ص ٨٩ ، شرح التبريزي
على المعلقات العشر ص ١٠٠ ، الأمثال ص ٥٩ ج ٢ ، شرح العيون ص ٩٩

(١) قيس بن زهير سيد بني عبس ، وكان يلقب بقيس الرأي ، لجودة رأيه ، وكان أيضاً مجرباً ؛
ذكر وامن دهائه أنه مر بيلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديداً ، ففكره ذلك ، فقال له الربيع بن
زياد : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لا تدري ؛ إن مع الثروة والنعمة
التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : أربعة
لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شيع ، وأمة ورثت ، وقيصة تزوجت (٢) انظر يوم التفراوات
(٣) أحيحة بن الجلاح : كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم
تحته ، وكانت لا تتكح الرجال إلا وأمرها بيدها فتركته لثى . كرهته فتزوجها هاشم فولدت له
عبد المطلب ، وكان أحيحة كثير المال شحيحاً عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يحيط بأموالهم
وكانت له تسعة وتسعون بئراً كلها ينضح عليها (٤) كان لبني عامر يد عنده .

تسمى ذات الحوائى - وَوَهَبَهُ أُحِيحَةَ أَدْرَاعاً أُخْرَى^(١) ، وعاد إلى قومه ، وقد فرغ من جهازه .

واجْتَاَزَ بالربيع^(٢) بن زياد العبسى ، ودعاه إلى مساعدته على الأخذ بئار أبيه ، فأجابه إلى ذلك . ولما أراد فراقه نظر الربيع إلى عَيْتِهِ^(٣) ؛ وقال له : ما في حقيقتك ؟ فقال : متاعٌ عجيب ، لو أبصرته لرأيتك . وَأَنَّاخَ راحِلَتَهُ ، وأخرج الدَّرْعَ من

(١) هذه رواية ابن الأثير ، وأما رواية الأغاني فهي : أتى قيس بن زهير أُحِيحَةَ بن الجلاح لما وقع الشر بينه وبين عامر فقال له : يا أبا عمرو : نبت أن عندك درعاً ليس يثرب درع مثلها فإن كانت فضلاً فبعنيها ، أو فبها لي ، فقال : يا أخا بني عبس ، ليس مثلى يبيع السلاح ولا يفضل عنه ، ولو لا أنني أكره أن أستلم إلى بني عامر لو هبتها لك ، ولحملتك على سوابق خيلي ، ولكن ابتزها يا أبا أيوب ؛ فإن البيع مرتخص وغال . فقال له قيس : فما تكره من استلثامك إلى بني عامر فقال : كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول :

إذا ما أردت العز في آل يثرب	فناد بصوت يا أُحِيحَةَ أسمع
رأيت أبا عمرو أُحِيحَةَ جاره	يبيت قرير العين غير مروع
ومن يأتيه من خائف ينس خوفه	ومن يأتيه من جائع البطن يشبع
فضائل كانت للجلاح قديمة	وأكرم بفخر من خصالك الأربع

فقال قيس : وما عليك بعد ذلك من لوم . فلما عنه ، ثم عاد فساومه ، فغضب أُحِيحَةَ وقال له :
بت عندي فبات عنده فلما شرب تغنى أُحِيحَةَ وقيس يسمع :

ألا يا قيس لا تسمن دروعي	فما مثلى يساوم بالدروع
فلولا خلة لأبي حوى	وأنى لست عنها بالدروع
لأبت بمنها عشراً وطرف	لحوق الأطل جياش نليع
ولكن سم ما أحببت فيها	فليس بمنكر غير البيوع
فأهبة الدروع أخا بغيض	ولا الخيل السوابق بالبيع

فأمسك بعد ذلك عن مساومته (ص ١٢٠ ج ١٣ طبعة الساسي) مهذب الأغاني ص ١١٥ ج ١

(٢) الربيع بن زياد : أحد زعماء عبس وكان نديماً للثعمان وله معه قصة مشهورة

(٣) العيبة : ما توضع فيها الثياب .

الحقيقية ، فأبصرها الربيعُ فأعجبته ، ولبسها فكانت في طوله ، فمنهما من قيس ولم يُعْطِه إياها ، وتردَّت الرسلُ بينهما في ذلك ، ولجَّ قيس في طلبها ، ولجَّ الربيعُ في منمها .

فلما طالت الأيام على ذلك سَيرَ قيسُ أهله إلى مكة ، وأقام ينتظر غرةَ الربيع ؛ ثم إن الربيع سَيرَ إليه وأمواله إلى مرعى كثير الكلاء ، وأمر أهله فطعنوا ، وركب فرسه وسار إلى المثل .

ولما بلغ الخبرُ قيساً سار في أهله وإخوته ، فعارض ظمآنَ الربيع ، فوجد فيها أم الربيع فاطمة^(١) ابنة الخرشب الأَنمارية ؛ فاقتادَ جملها ، يريد أن يرثيَها بالذرع حتى تُردَّ إليه ، فقالت له : ما تريدُ يا قيس ؟ فقال : أذهب بكنَّ إلى مكة ؛ فأبيعُكنَّ بها بدرعى ؛ فقالت : ما رأيتُ كالיום ففعل رجل ! أى قيس ؛ ضلَّ حلمك ! أرجو أن تصطَلح أنت وبنو زياد ، وقد أخذتُ أمهم ، فذهبت بها يميناً وشمالاً ، فقال الناسُ في ذلك ما شاءوا ، وحسبك من شرِّ سماعه !

فعرف قيس ما قالت له ، فخلَّى سبيلها ، واطرَدَ الإبل ، وسار بها إلى مكة ؛ فباعها من عبد الله^(٢) بن جُدعان القرشي ، واشترى بها خيلاً ، وتبعه الربيع فلم يلحقه ؛ فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء^(٣) .

(١) فاطمة بنت الخرشب : هي إحدى المنجيات من العرب ، وكان يقال لبنيتها الكلبة وهم : الربيع وعمارة وأنس وقيس والحارث ومالك وعمرو . روى أن عبد الله بن جُدعان لقيها مرة وهي تطوف بالكعبة فقال لها : نشدتك رب هذه البنية : أى بنية أفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عمارة ، لا بل أنس نكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل ، هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها . (٢) عبد الله بن جُدعان : من أجواد العرب في الجاهلية ، وله في الكرم نوادر ، وكان يسمى حاسي الذهب لأنه كان يشرب في إثناء من الذهب ، وكانت له جفنة عظيمة يقيمها للناس يأكل منها الراكب والقائم لعظمها ، وفي التاموس : ووربما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم مكانه . (٣) للرواة أقوال أخرى بشأن هذين الفرسين ، مبسوطة في الأغاني وابن الأثير وشعراء النصارية والنقائض والأمثال ، ولقد اخترنا هذه الرواية عن ابن الأثير .

ثم إن قيس بن زهير أقام بمكة ، فكان أهلها يفاخرونه - وكان فخوراً - فقال لهم : نَحْوُوا كَهَيْتَكُمْ عَنَّا وَحَرِّمُكُمْ ، وهاتوا ما شِئْتُمْ ، فقال له عبد الله بن جُدعان : إذا لم نَفَاخِرْكَ بالبيت المعمور ، والحرَمِ الآمِنِ فبِمَ نَفَاخِرْكَ ؟
فلَّ قيسٌ مفاخرتهم وعزم على الرحلة ، وسرَّ ذلك قريشاً ؛ لأنهم قد كانوا كرهوا مُفَاخِرَتَهُ ، فقال لإخوته : ارْحَلُوا بنا من عندهم أولاً ، وإلا تَفَاقَمَ الشُّرُّ بيننا وبينهم ، واحقوا بني بدر بن فزارة ؛ فإنهم أَكْفَاؤُنَا في الحسبِ ، وَبَنُو عَمَّنَا في النَّسَبِ ، وأشرفُ قومنا في الكرم ، ومن لا يستطيعُ الرِّبْعُ أن يتناولنا معهم ، ثم لحقَ ببني بدر ^(١) .

وأجاره حُذَيْفَةُ بن بدر ، وأخوه حَمَلُ بن بدر ، فأقام فيهم ، وكان معه أفراس له ولإخوته لم يكن في العرب مثلها ، وكان حذيفة يَغْدُو وَيَرْجُوحُ إلى قيس ، فينظرُ إلى خَيْلِهِ ، فيحسدهُ عليها ، ويكتمُ ذلك في نفسه .
وأقام قيسٌ فيهم زماناً يُكْرِمُونَهُ وإخوته ؛ ولما علم بذلك الربيع بن زياد غضبَ وقيَمَ منهم ذلك ، وبعثَ لبني بدر بهذه الآيات :

أَلَا أبلغُ بني بدرٍ رسولاً على ما كان من شئ ^(٢) وَوَتَرِ
باني لم أزلْ لكم صديقاً أدافعُ عن فزارة كلِّ أمرٍ
أسالمُ سلمكم وأردُّ عنكم فوارسَ أهلِ نَجْرانَ وحَجَرِ
وكان أبي ابن عمكم زياد صفى أيكم بدر بن عمرو

(١) بنو بدر : بطن من فزارة ، وهي إحدى قبائل دحيان (٢) الشئ (فتح الشين وكسرهما) : البقعة .

فَأَلْجَأْتُمْ أَخَا النَّدَرَاتِ قَيْسًا فَقَدْ أَفْعَمْتُمْ إِنْغَارَ صَدْرِي
 فَخَسْبِي مِنْ حُدَيْفَةٍ ضَمَّ قَيْسٌ وَكَانَ الْبَدَأُ مِنْ سَمَلِ بْنِ بَدْرٍ
 فَلَمَّا تَرَجَعُوا أَرْجَعَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ تَابُوا فَقَدْ أَوْسَعْتَ عُذْرِي
 وَلَكِنْ بَنِي بَدْرٍ لَمْ يَتَغَيَّرُوا عَنْ جَوَارِ قَيْسٍ ؛ فَغَضِبَ الرَّبِيعُ ، وَغَضِبَتْ بَنُو زِيَادٍ
 لِنَفْسِهِ .

ثم إن حذيفة كره قيساً ، وأراد إخراجه عنهم فلم يجد حجةً ، وعزم قيسٌ
 على العُمرة ، فقال لأصحابه : إني قد عزمتُ على العُمرة ، فأيكم أن تَلَابِسُوا حذيفةً
 بشيء ، واحتملوا كلَّ ما يكونُ منه حتى أرجع ؛ فإني قد عرفتُ الشرَّ في وجهه ،
 وليس يَقْدِرُ على حاجته منكم إلا أن تُراهنوه على الخيل - وكان قيسٌ ذا رأى
 لَا يُحْطِى فِيهِ بِرِيده - ثم سار يريدُ مكة .

— ٣ —

زار الوَرْدُ^(١) الْعَبْسِيُّ حُدَيْفَةَ بْنَ بَدْرٍ فَعَرَضَ عَلَيْهِ حُدَيْفَةُ خَيْلَهُ ، فَقَالَ :
 مَا أَرَى فِيهَا جُوداً مُبَرَّراً^(٢) ؛ فَقَالَ لَهُ حُدَيْفَةُ : فَعِنْدَ مَنْ الْجَوَادُ الْمَبْرُورُ ؟ فَقَالَ :
 عِنْدَ قَيْسِ بْنِ زَهِيرٍ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُرَاهِنَنِي عَلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ فَعَلْتُ .
 فَرَاهَنَهُ عَلَى ذِكْرِ مَنْ خَيْلُهُ وَأَنْثَى .

ثم إن ورداً العبسي أتى قيس بن زهير وقال : إني قد راهنتُ على فرسين من
 خيلك ذَكَرَ وَأَنْثَى ، وَأَوْجَبْتُ الرَّهَانَ ، فَقَالَ : مَا أَبَالِي مَنْ رَاهَنْتَ غَيْرَ حُدَيْفَةٍ ،
 فَقَالَ : مَا رَاهَنْتُ غَيْرَهُ ! فَقَالَ قَيْسٌ : إِنَّكَ - مَا عَلِمْتُ لَأَنْسَكَدَ !

(١) في مجمع الأمثال : أن رجلاً من بني عبس يقال له قرواش كان يباري حمل بن بدر أخا حذيفة

(٢) المبر : الغالب .

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوق غلبه ، فقال له حذيفة : ما عدا بك ؟
فقال : غدوت لأواضك^(١) الرّهان ، فقال حذيفة : بل غدوت لتغلقه^(٢) ، فقال
قيس : ما أردت ذلك ، فأني حذيفة إلا الرّهان ، فقال قيس : أخيرك ثلاث خلال ،
فإن بدأت واخترت قبلي ، فلي خلتان ولك الأولى ، وإن بدأت فاخترت قبلك ،
فلك خلتان ولي الأولى .

قال حذيفة : فابدأ ، قال قيس : الغاية من مائة غلوة^(٣) ، قال حذيفة :
فالمضمار^(٤) أربعون ليلة ، والمجرى من ذات الإصا^(٥) . ففعلوا ووضعاً السبق^(٦)
على يدي أحد بني ثعلبة بن سعد :

ثم ضمروا الخيل ، فلمّا فرغوا استقبل الذي ذرع^(٧) الغاية بينهما من ذات
الإصا^(٥) - وهي ردهة وسط هضب القلب - فانتهى الذرع إلى مكان ليس له اسم .
فقادوا الخيل إلى الغاية وجعلوا السابق الذي يرّد ذات الإصا ، وأجرى قيس داحساً
والغبراء ، وحذيفة الخطّار والحنفاء^(٨) .

وملئوا البركة ماء ، وجعلوا السابق أول الخيل يكثرع فيها .

(١) في القاموس يقال : هلم أو اضعك الرأي : أطلعك على رأيي وتطلعي على رأيك
(٢) أغلقت الرهن : أوجبته (٣) الغلوة : الرمية بالنشابة (٤) قال في اللسان :
يكون المضمار وقتاً للأيام التي تضر فيها الخيل للسباق أو للركض إلى العدو ، وتضيرها : أن تشد
عليها سروجها ، وتجعل بالأجلة حتى تفرق تحتها فيذهب رهلها ، ويشد لحمها ، ويحمل عليها غلمان
خفاف يجرونها ، ولا يعنفون بها ، فإذا فعل بها ذلك أمن عليها البهر الشديد عند حضرها ، ولم
يقطعها الشد ، قال أبو منصور : فذلك التضير الذي شاهدت العرب تفعله يسمون ذلك مضماراً
وتضيرها (٥) ذات الإصا : ردهة بين أجبل في ديار بني عيس (والردهة : بقيرة في حجر
يجمع فيها الماء) (ياقوت - مادة أصد) (٦) السبق : الخطر الذي يوضع في الرهان فن
سبق أخذه (٧) ذرع الغاية : قدرها (٨) في اللسان : الحنفاء فرس حذيفة بن بدر
قال ابن بري : هي أخت داحس لأبيه من ولد العقال ، والغبراء خالة داحس وأخته لأبيه .

وأقام حذيفة رجلاً من بني أسد^(١) في الطريق ، وأمره أن يلتقى داحساً في الطريق فإن جاء سابقاً ردّوا وجهه عن الغاية .

ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدنى ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه ؛ فلما أرسلت عارضها ، فقال حذيفة : خدعتك يا قيس ، فقال قيس ترك الخداع من أجرى من مائة^(٢) . ثم ركضا ساعة ، فجعلت خيل حذيفة تسميق خيل قيس ، فقال حذيفة : سبقت يا قيس . فقال قيس : جرى المذكيات غلاب^(٣) . فلما أرسلت الخيل سبقتها داحس سبقاً بينا والناس ينظرون ، فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسد فلطم وجهه فألقاه في الماء ، فكاد يفرق هو وراكبه ولم يخرج إلا وقد فاتته الخيل . وأما راكب الغبراء فإنه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ ، ثم عاد إلى الطريق ، واجتمع مع فرسي حذيفة ، ثم سقطت الحنفاء وبقي الخطار والغبراء .

ثم إن الغبراء جاءت سابقة ، وتبعها الخطار ، ثم الحنفاء ، ثم جاء داحس^(٤)

(١) كان بنو أسد حلفاء لذيبيان قوم حذيفة ، ورواية الميداني : ووضع حمل حيساً في دلاء وجعله في شعب من شعاب هضب القلب على طريق الخيل ، وكمن معه فتیاناً فيهم رجل يقال له زهير ابن عبد عمرو ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية (٢) أرسلها مثلاً ، أي من مائة غلوة قال في الأمثال : وهي اثنا عشر ميلاً ، أي لو كان قصدي الخداع لأجريت من قريب (٣) ذهبت مثلاً . المذكية من الخيل التي قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والغلاب المغالبة ، أي ان المذكي يغالب مجاريه فيغلبه لقوته ، يجوز أن يراد أن ثانی جريه أبدأ أكثر من ياديه ، وثالثه أكثر من ثانيه فكأنه يغالب بالثاني الأول ، وبالثالث الثاني لجريه أبدأ غلاب ، وهذا معنى قول أبي عبيد حيث قال : فهي تحتل الجري غلاباً ، ويروى جرى المذكيات غلاء : جمع غلوة يعني أن جريها يكون غلوات . . . (٤) عبارة النقائض : فلما مضت الخيل وأسهلت من الثانية أرسل داحساً فتمطر في آثارها (أي أسرع) فجعل يديرها فرساً فرساً حتى سبقها إلى الغاية مصلياً وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الخيل سبقها ، فاستقبلها بنو فرارة فلطموها ثم حلتوها عن البركة ، ثم لطموا داحساً ، وقد جاء متواليين

بعد ذلك والغلّام يسيرُ به على رِسله ، وأخبر الغلام قيسًا بما صنّع بفرسه .
 فأنكر حذيفة ذلك ، وأدعى السَّبِقَ ظلمًا ، وقال : جاء فرساي متتاليين .
 ومضى قيسٌ وأصحابه حتى نظروا إلى القوم الذين ضربوا داحسًا ، وجاءه الأسدَى
 نادمًا على ضربِ داحس ، واعترف لقيس بما صنّع ، وبما أمره به حذيفة .
 فرجع قيسٌ وأصحابه إلى حذيفة وأصحابه وقال : يا قوم إنه لا يأتى قومٌ إلى
 قومهم شرًّا من الظلم ، فأعطونا حقنا ، فأبى بنو فزارة أن يعطوهم شيئًا . وكان
 الخطر^(١) عشرين من الإبل ، فقالت بنو عيس : أعطونا بعض سبقنا^(٢) ، فأبوا ،
 فقالوا : أعطونا جزورًا ننجرها ونطعمها أهل الماء ؛ فإننا نكره القالة في العرب ؛
 فقال رجل من فزارة : مائة جزور وجزورٌ واحدةٌ سواء ، والله ما كنا لننقر لكم
 بالسبق علينا ، ولم نسبق^(٣) .

فقام رجل من بنى مازن بن فزارة فقال : يا قوم ؛ إن قيسًا كان كارهاً لأوّل هذا
 الرهان وقد أحسن في آخره ، وإن الظلم لا ينتهى إلّا إلى شر ، فأعطوه جزوراً
 من نعمكم ؛ فأبوا ، فقام إلى جزور من إبله ، فعقلها ليُعطيها قيساً ويرضيه ، فقام

(١) الخطر : السباق يتراهن عليه (٢) السبق : الخطر (٣) رواية الأمثال : فقال
 الذى وضعا السبق على يديه لحذيفة : إن قيساً قد سبق ، وإنما أردت أن يقال : سبق حذيفة ،
 وقد قيل ، أفادع إليه سبقه ؟ قال : نعم ، فدفع إليه الثعلبى السابق . ثم إن عركى بن عميرة وابن
 عم له من فزارة ندما حذيفة ، وقال : قد رأى الناس سبق جوادك ، وليس كل الناس رأى أن
 جوادهم لطم ، فدفعك السابق تحقيق لدعوام ، فأسلمهم السابق ، فإنه أقصر باعاً وأكل حداً من
 أن يردك . قال : ويلكما ! أراجع فيما أبرمت ! فما زال به حتى ندم ! فنهى حمصة بن عمرو
 حذيفة وقال له : إن قيساً لم يسبقك إلى مكرمة نفسه ، وإنما سبقت دابة دابة ، فما في هذا حتى
 تدعى في العرب ظلوماً . قال : أما إذ تكلمت فلا بد من أخذه .

ابنه فقال : إنك لكثير الخطأ ؛ أتريد أن تخالف قومك ، وتلحق بهم خزية بما ليس عليهم ؟ وأطلق الغلام عقالها ، فلحقت بالنعم .
فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معه من بني عبس .

— ٤ —

ثم إن حذيفة لجَّ في ظلمه ، وأرسل إلى قيس ابنه ندبة^(١) يطالبه بالسبق ، فلم يصادفه ، فقالت له امرأته : ما أحبُّ أنك صادفت قيساً . فرجع إلى أبيه فأخبره بما قالت . فقال : والله لتعودنَّ إليه . ورجع قيس فأخبرته امرأته الخبر ، فأخذت قيس زفرا . ولم ينشب ندبة أن رجع إلى قيس ، فقال : يقول أبي : أعطني سبقي ، فتناول قيس الرمحَ فطعنهُ فددَّ صُلبه^(٢) ، وعادت فرسه إلى أبيه عائرة^(٣) ، وناهى قيس : يا بني عبس ! الرحيل ! فرحلوا كلهم .

ولما أتت الفرس حذيفة علم أن ولده قُتل ؛ فصاح في الناس ، وركب فيمن معه ، وأتى منازل بني عبس فراها خالية ، ورأى ابنه قتيلا ، فنزل إليه ، وقبله بين عينيه ودفنوه .

واجتمع الناس ، فاحتملوا دية ندبة مائة عشرين ، فقبضها حذيفة وسكن الناس . وكان مالك بن زهير - أخو قيس - متزوجاً في فزارة وهو نازل فيهم ، فأرسل إليه

(١) في الأمثال : ابنه أبا قرفة (٢) هذه رواية ابن الأثير ص ٣٤٨ ج ١ ، ورواية القند الفريد ص ٣١٣ ج ٣ أن المقتول هو مالك بن حذيفة ، وأن الربيع بن زياد حمل دية مائة عشرين ، فقبضها حذيفة وسكن الناس ، وأما رواية الأغاني ص ٢٦ ج ١٦ ، والنقائض ص ٨٠ ج ١ فهي أن قيس بن زهير أغار على بني فزارة ، وقتل عوف بن بدر وأخذ إبله (٣) غار الفرس : ذهب على وجهه وتباعد عن صاحبه .

قيس : إني قد قتلْتُ نُدْبَةَ بنِ حُذَيْفَةَ ورحلت ، فالحقُّ بنا وإلا قُتِلْتُ ، فلم يُجِبْهُ
وقال : إنما ذَنْبُ قيس عليه ^(١) .

ثم إن قيساً أرسل إلى الربيع بن زياد يطلبُ منه العودَ إليه والمقام معه ؛ إذ همُّ
عشيرةٍ وأهل ؛ فلم يجبه ولم يمنعه ، وظلَّ مفكراً في ذلك .

وعاد حذيفة بن بدر فدرسَ لِمَالِكِ بنِ زهير فُرْسَانًا على أفراس من مَسَانٍ ^(٢) خَيْلِهِ
وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، فانطلق القومُ وقتلوه ^(٣) .

(١) في شرح ديوان الحماسة للتبريزي : أن قيس بن زهير حين قتل ابن حذيفة أرسل إلى أخيه :
أن اخرج ، ثم بعث إليه بهذين البيتين :

أمالك لا تأمن فزارة واخشها	فإنك إن تأمن فزارة هالك
أمالك إن تحسب مقامك فيهم	صواباً فقد أخطأت في الرأي مالك
فرد عليه مالك بهذين البيتين :	

يا قيس حسبك ما أتيت فغلني	وبني فزارة إنني بمأسك
أرى حذيفة آخذي بحريرة	لم تجنحها كني وأنت الفانك

(٢) المسان من الإبل : خلاف الإثاء ^(٣) هذه رواية ابن الأثير ، وجاء في الأغاني
والأمثال والنقائض : أن مالك بن زهير أتى امرأته باللقطة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدرس له
فرساناً على أفراس من مسان خيله وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، والربيع
ابن زياد مجاور حذيفة بن بدر - وكانت امرأة الربيع معاذة ابنة بدر - فانطلق القوم فلقوا مالكا
فقتلوه ثم انصرفوا عنه ، وجاءوا عشية وقد جهدوا أفراسهم فوققوا على حذيفة ومعه الربيع ،
فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم ؟ فقالوا نعم وعقرناه ! فقال الربيع : ما رأيت كالיום قط ،
أهلك أفراسك من أجل حمار ! فقال حذيفة : لا أكثرأوا عليه من اللامة : إنما لم تقتل حماراً ،
ولكننا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بشس لعمر الله القتل قتل ! أما والله
إني لأظنه سيبلغ ما نكره ، ثم تراجعاً شيئاً من كلام ثم تفرقا . وقام الربيع يطأ الأرض وطأ شديداً
قال أبو عبيدة : فرموا أن حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولدة له فقال لها : اذهبي إلى
معاذة - بنت بدر وامرأة الربيع - فانظري ما يصنع الربيع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت
واندست وراء المتاع فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه فقبض بمعرفته ثم مسح منته حتى قبض =

ولما بلغ عبساً مقتل مالك بن زهير جَزَعَتْ عليه ، وأنت بنو جَذِيمَةَ حذيفة
فقال بنو مالك بن زهير لمالك بن حذيفة : ردّوا علينا مالنا . فأشار سنان بن
أبي حارثة على حذيفة ألا يردّ أولادها معها ، وأن يردّ المائة بأعيانها ، فقال حذيفة :
أردّ الإبل بأعيانها ولا أردّ النسل ؛ فأبوا أن يقبلوا ذلك ؛ فقال قيس بن زهير :

يودّ سنان لو يحاربُ قومنا وفي الحرب تفريقُ الجماعة والأزل^(١)

يدبّ ولا يخفّي ليفسدَ بيتنا ديباً كما دبّت إلى جُحرها النملُ

فيا بنى بغيض ؛ راجعاً السّلم تسلماً ولا تُسمِتاً الأعداء يفترق السّملُ

وإن سبيلُ الحربِ وعَرِ مُضِلَّةٌ وإن سبيلَ السّلمِ أَمَنَةٌ سَهْلُ

وعلم الربيعُ بن زياد بمقتل مالك بن زهير ؛ فجزع عليه ، وأرسل إلى قيس عينا
يأتيه بالخبر ، فسمعه يقول :

أَيْتَجُوْ بَنُو بَدْرِ بِمَقْتَلِ مَالِكٍ وَيَخْذُلُنَا فِي النَّائِبَاتِ رَيْعُ

وكان زياد قبله يُتَقَى بِهِ من الدهر إن يومَ أَلَمَ فظيع

فقلّ لربيع يَحْتَدِي فِعْلَ شَيْخِهِ وما الناسُ إِلَّا حَافِظُ وَمُضِيعُ

وإلا فإلى في البلاد إقامة وأمر بني بَدْرِ عَلَى جَمِيعُ

فرجع العيينُ إلى الربيع فأخبره بما قال قيس ؛ فبكى الربيع على مالك وقال :

بمسكوة ذنبة ، ثم رجع إلى البيت ورعه مركز فبنائه ، فنهز هذا شديداً ، ثم ركزه كما كان .
وقال لامرأته : اطرحي لي شيئا . فطرحت له شيئا فاضطجع عليه وقال لها : إليك عنى فقد حدث أمر ،
ثم تقى وقال :

فام الجلى وما انغمض حار من سيء النبا الجليل السارى

الخ فرجعت المرأة فأخبرت حذيفة الخبر ، فقال : هذا حين اجتمع أمر اخوتكم ،
ووقعت الحرب (١) الأزل (بفتح الهزرة) : الضيق والشدة ، وبكسر الهزرة : الداهية .

فَأَمَّ الْخَلِيَّ وَمَا أَعْمَضَ حَارَ مِنْ مِثْلِهِ تُمَسَّى النِّسَاءُ حَوَاسِرَ
وَتَقُومُ مُعَوَّلَةً مَعَ الْأَسْحَارِ مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ
فَلَيَأْتِ نِسَوَتُنَا بِوَجْهِهِ (٢) نَهَارَ يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرَ يَنْدُبْنَهُ
يَكِينِ قَبْلِ تَبَاجِجِ الْأَسْحَارِ قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا
فَالْيَوْمَ حِينَ بَدُونَ لِلنُّظَّارِ (٣) يَحْمِشْنَ حُرَاتِ الْوُجُوهِ عَلَى أَمْرِي
سَهْلِ الْخَلِيقَةِ طَيِّبِ الْأَخْبَارِ أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زَهَيْرٍ
تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ (٤) مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لَدَوَى الْحَجَا
إِلَّا الْمَطَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ وَبُحْنَبَاتٍ مَا يَدْفَنُ عَذُوفَةً
يَقْذِفْنَ بِالْمُهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ (٥) وَمَسَاعِرَ صَدَا الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ
فَكَأَنَّمَا طَلَى الْوُجُوهَ بِقَارِ (٦) وَيَارُبَّ مَسْرُورٍ بِمَقْتَلِ مَالِكٍ
وَلَسَوْفَ نَصْرَفُهُ بِشَرٍّ مَحَارِ (٧)

ولما علم قيس بقول الربيع ركب هو وأهله ، وقصدوا الربيع بن زياد ، وهو
يُصْلِحُ سِلَاحَهُ ؛ فَنَزَلَ إِلَيْهِ قَيْسٌ ، وَقَامَ الرَّبِيعُ فَاعْتَنَقَا وَبَكِيَا ، وَأَظْهَرَ الْجُرْعَ لِمَصَابِ
مَالِكٍ ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ بِمِصَا (٨) فَنَزَلُوا ، فَقَالَ قَيْسُ لِلرَّبِيعِ : إِنَّهُ لَمْ يَهْرَبْ مِنْكَ

(١) ياحار : مرخم حارث (٢) أى كانت نساؤنا يخبان وجوههن عفة وحياء
(٣) الآن ظهروا للنظرين لا يعقلن من الحزن (٤) كان العرب يواقعون نساءهم عقب
أطهارهن ، ويدعون أن ذلك أنجب الولد (٥) الحننات : الخيل تنجب إلى الإبل في الغزو ،
والعذوفة : أدنى ما يؤكل في الطعام والشراب . وقوله يقذفن بالمهرات والأمهار : أى أن الإبل
تقذف أولادها من شدة السير (٦) يعنى لسوادها من لبس المغافر وكآبة السفر
(٧) المحار : المرجع (٨) ومما ينسب إلى قيس في ذلك قوله :

لعمرك ما أضاع بنو زياد دمار أيهم قمين يصعب
بنو جنية ولدت سيوقاً صوارم كلها ذكر صنع
شرى ودى وشكرى من بعيد لآخر غالب أبداً ربيع

من لجأ إليك ، ولم يَسْتَنْ عَنكَ من استمان بك ، وقد كان لك شرُّ يومٍ ؛
فليكن لي خيرُ يوميك ، وإنما أنا بقوى وقوى بي ، وقد أصاب القومُ مالِكًا ،
ولست أُمُّ بسوء ؛ لأنِّي إن حاربتُ بني بدر نصرتهم بنو ذبيان ، وإن حاربتُني
خذلتني بنو عبس ؛ إلا أن تجمعهم عليّ ، وأنا والقوم في الدماء سواء ، قتلتُ ابنهم
وقتلوا أخِي ، فإن نصرتني طمعتُ فيهم ، وإن خذلتني طمعوا فيّ .

فقال الربيع : يا قيس ؛ إنه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه لي ؛
ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك ؛ وأنت ظالمٌ ومظلوم ؛ ظلموك في جَوادِك ،
وظلمهم في دماهم ، وقتلوا أخاك بابنهم ، فإن يئو الدمُ بالدم ، فعسى أن تلقح الحرب .
وبعث قيسُ إلى أهله وأصحابه ، فجاؤا ونزلوا مع الربيع ، وأنشدهم عنبرة
ابن شداد (١) في مالك :

فَلِلَّهِ عَيْنًا من رأى مثلَ مالكِ عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يجريا نصفَ غلوةٍ وليتهما لم يُرسلا لِرِهان
وليتهما ماتا جميعاً ببلدة وأخطاهما قيس فلا يران
لقد جلبا حينًا وحرَبًا عظيمةً تُبِيدُ سَرَاةَ القومِ من غطفان
وكان إذا ما كان يومُ كَرِهَةٍ فقد علموا أني وهو فتیان
وكنّا لدى الهيجاء نَحْمِي نساءنا ونضرب عند الكرب كلَّ بنان

(١) في معجم البلدان ص ٢٦٨ ج ١ ينسب هذه الأبيات لبدر بن مالك بن زهير ، مع اختلاف
في الرواية . ونسب بعض هذه الأبيات في النقائض إلى ابنة مالك قال : ثم إن مالك بن بدر خرج
يطلب لإبله فر على بني رواحة فرماه جنيد أخو بني رواحة بسهم فقتله ، فقالت ابنة مالك بن
بدر وهو يوم المعركة :

فسوف ترى إن كنت بعدك باقياً وأمكننى دهرى وطولُ زمانى
 فأقسم حقاً لو بقيت لنظرةً لقرت بها العينان حين ترائى
 وبلغ حذيفة أن الربيع وقيسا اتفقا ، فشق ذلك عليه واستعدَّ للبلاء ^(١) :
 ثم تلاقى جموع بنى ذبيان ^(٢) وعبس واقتتلوا قتالا شديداً ، وكانت الشوكة
 فى ذبيان ، وقُتل منهم عوف بن بدر ، وقتل عنترة ضَمْضَم ^(٣) أبو الحصين الرى ،
 والحارث بن بدر ، وأسرَ الربيع حذيفة بن بدر ، وكان حرَّ بن الحارث العبسى
 قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف ، وله سيفٌ قاطعٌ يسمى الأصرم ؛
 فأراد ضربه بالسيف لما أمرَ وفاءً بنذرهِ ؛ فهوهِ عن قتله ، وحذروه عاقبةً ذلك ،
 فأبى إلا ضربه ، فوضعوا عليه الرجال ، فضربه فلم يصنع السيف شيئاً ، وبقي
 حذيفة أسيراً .

(١) قال فى ابن الأثير : وقيل : إن بلاد عبس كانت قد أجذبت فأتجع أهلها بلاد فزارة ،
 وأخذ الربيع جواراً من حذيفة وأقام عندهم ، فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة : لى ذمتى ثلاثة أيام .
 فقال حذيفة : ذلك لك ، فأتقتل الربيع من بنى فزارة ، فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة أخيه :
 بش الرأى رأيت ! قتلت مالكا وخليت سبيل الربيع ، والله ليضرمها عليك ناراً ، فركبافى طلب
 الربيع فقاتهم ، فلما أنه قد أضمر السر ، وفى هذه الحرب يقول الربيع :

فإن تك حربكم أمت عواناً فإنى لم أكن من جناها
 ولكن ولد سودة أرثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها
 فإنى غير خاذلكم ولكن سأسمى الآن إذ بلغت مداها

(٢) هذا هو يوم المريقب فى الأمثال : قاد بنى عبس وحلفاءهم بنى عبد الله بن غطفان يوم دى
 المريقب إلى بنى فزارة ورئيسهم إذ ذلك حذيفة بن بدر (٣) وفى ذلك يقول كما فى الأمثال :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابنى ضمضم
 البشامى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لم ألقهما دى
 إن يفعلوا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

فاجتمعت غطفان وسعوا في الصلح ، واصطلحوا على أن يهدروا دم بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير ، ويَمَقِّلُوا^(١) عوف بن بدر ، ويُعْطُوا حذيفة عن ضربته التي ضربه حرّ مائتين من الإبل ، وأن يجعلوها عِشَاراً كلها وأربعة أعبد ، وأهدر حذيفة دماء من قُتِلَ من قومه ذبيان في الوقعة ، وأُطْلِقَ من الأسر .

فلما رَجَعَ إلى قومه ندم على ذلك ، فسألت مقاتلته في بني عَبْس ، وركب قيس ابن زهير وعمارة بن زياد قمضيا إلى حذيفة وتحدّثا معه ، فأجابهما إلى الاتِّفَاق ، وأن يرده عليهما الإبل التي أخذ منها - وكانت توالدت عنده - وبينهما في ذلك إذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المزي ، فقبّح رأى حذيفة في الصلح ، وقال : إن كنت لا بدّ فاعلا فأعطيهم إبلا عجافا مكان إبلهم ، واحبس أولادها ؛ فوافق ذلك رأى حذيفة ، وأبى قيس وعمارة ذلك .

— ٥ —

ثم إن مالك بن بدر^(٢) خرج يطلب إبلا له ، فرماه جُنْدُب أحد بني رواحة^(٣) بسهم فقتله ، ومن ثم أخذ الشرّ يُعْظَمُ بين عبس^(٤) وذبيان ؛ وهزمت بنو عبس واتبعهم بنو ذبيان .

فأشار قيس على الربيع بن زياد أن يَمَّا كَرِهَ ، وخاف إن قاتلهم ألا يقوموا لهم ، وقال : إنهم ليسوا في كل حين يتجمعون ، وحذيفة لا يستنفر أحداً لا قتداره وعُلوّه ، ولكن نعطهم رهائن من أبنائنا فنُدفع حدّهم عنا ، فإنهم لن يقتلوا الولدان ولن

(١) عقل القتيل : وداه : أي أدى دية
(٢) أخو حذيفة بن بدر (٣) بنو رواحة :
حي في عبس ، وقد سبق اسمه جنيد
(٤) كان رئيس بني ذبيان حذيفة بن بدر ، وأما
بنو عبس وحلفاؤهم فكان يرأسهم الربيع بن زياد فتوافوا بذى جسى وهو وادى الهبابة
في أعلاه .

يَصِلُوا إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ مَعَ الَّذِينَ نَضَمَهُمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَإِنْ هُمْ قَتَلُوا الصَّبِيَّانَ فَهُوَ أَهْوَنُ
مِنْ قَتْلِ الْآبَاءِ ، وَكَانَ رَأْيُ الرَّبِيعِ مُتَاجِزَتَهُمْ فَقَالَ : يَا قَيْسُ ؛ أَمَلًا جَمَعُهُمْ صَدْرَكَ ؟
وَقَالَ :

أَقُولُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِنَفْسِي نَصِيحَةً أَرَى مَا يَرَى وَاللَّهِ بِالْغَيْبِ أَعْلَمُ
أَنْبَقَى عَلَى ذِيَّانٍ مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَقَدْ حَشَّ^(١) جَانِي الْحَرْبِ نَارًا تَضْرَمُ
وَقَالَ قَيْسُ : يَا بَنِي ذِيَّانِ ؛ خَذُوا مِنَّا رَهَائِنَ إِلَى أَنْ تَنْظُرُوا ؛ فَقَدْ أَدْعَيْتُمْ مَا نَعْلَمُ
وَمَا لَا نَعْلَمُ ، وَدَعَوْنَا حَتَّى تَتَبَّيَّنَ دَعَاؤُكُمْ ، وَلَا تَعْجَلُوا إِلَى الْحَرْبِ ، فَلَيْسَ كُلُّ كَثِيرٍ
غَالِبًا ، وَضَعُوا الرَهَائِنَ عِنْدَ مَنْ تَرْضَوْنَ بِهِ وَرِضَاهُ ؛ فَقَبِلُوا ذَلِكَ ، وَتَرَاضَوْا أَنْ
تَكُونَ الرَهَائِنُ عِنْدَ سُبَيْعِ بْنِ عَمْرٍو (مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ذِيَّانٍ) ، فَمَاتَ سُبَيْعٌ وَهُمْ
عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ مَالِكُ : إِنْ عِنْدَكَ مَكْرَمَةٌ لَا تَبِيدُ إِنْ أَنْتِ احْتَفِظْتَ
بِهَؤُلَاءِ الْأَغْلِيَّةِ ، وَكَأَنِّي بِكَ لَوْ قَدْ مُتُّ أَنَاكَ حَذِيفَةُ خَالِكَ ، فَمَعَصَرُ عَيْنِيهِ وَقَالَ :
هَلَكَ سَيِّدُنَا ، ثُمَّ خَدَعَكَ عَنْهُمْ حَتَّى تَدْفَعَهُمْ إِلَيْهِ ، فَيَقْتُلَهُمْ ، فَلَا شَرَفَ بَعْدَهَا ،
فَإِنْ خَفْتَ ذَلِكَ فَادْهَبْ بِهِمْ إِلَى قَوْمِهِمْ .

فَلَمَّا ثَقُلَ سُبَيْعٌ جَمَلَ حَذِيفَةُ يَبْكِي وَيَقُولُ : هَلَكَ سَيِّدُنَا ؛ فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قَلْبِ مَالِكِ ،
فَلَمَّا هَلَكَ سُبَيْعٌ أَطَافَ حَذِيفَةُ بِابْنِهِ مَالِكٍ فَأَعْظَمَهُ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا مَالِكُ ؛ إِنِّي خَالِكَ ،
وَإِنِّي أَسْنُ مِنْكَ ؛ فَادْفَعْ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانَ لِيَكُونَا عِنْدِي إِلَى أَنْ تَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ؛
فَإِنَّهُ قَبِيحٌ أَنْ تَمْلِكَ عَلَى شَيْئًا ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَفَعَهُمْ إِلَيْهِ بِالْيَمْعَرِيَّةِ^(٢) .

وَأَحْضَرَ أَهْلَ الَّذِينَ قَتَلُوا فَجَمَلَ كُلِّ يَوْمٍ يُبْرَزُ غُلَامًا فَيَنْصَبُهُ غَرَضًا وَيُرْمَى

(٢) اليمعريّة : ماء بؤاد من بطن نخلة

(١) حش الحرب يحشها إذا أسعرها وهيجه

من الشربة .

بالنبل ثم يقول : نادِ أباك ، فينادى أباه ، حتى يمرّقه النبل ، ويقول لواقد بن جندب : نادِ أباك ، فجعل ينادى ياعماء - خلافاً عليهم - ويكره أن يَأْسَ (١) أباه بذلك ، وقال لابن جندب بن عمرو بن عبد الأسلع : نادِ جُنَيْبَةَ (٢) ، فجعل ينادى : ياعمراء ! باسم أبيه حتى قُتِلَ ، وقتل أيضاً عتبة بن شهاب بن قيس بن زهير . ولما بلغ ذلك بنى عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الدِّيات ، فحملوا عليه الرجال واشتروا السِّلَاح . ثم خرج قيس في جماعة ، فلقوا ابناً لحذيفة ، ومعه فوارس من ذبيان فقتلوه ، فجمع حذيفة قومه وسار إلى عبس وهم على ماء يقال له عُراعر ، فاقتتلوا وكان الظفر لدُيَّان ، ورجعت سالمة .

ثم جدّ حذيفة في الحرب ، وكرهها أخوه سَمَلُ بْنُ حَذِيفَةَ ، وندم على ما كان ، وقال لأخيه في الصلح فلم يُجِبْ إلى ذلك ، وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بني عبس .

— ٦ —

ولما بلغ بنى عبس أنهم قد ساروا إليهم تشاوروا بينهم ، فقال قيس : أطيعوني فوالله لننّ لم تفعلوا لَأَتَكِنَنَّ على سيفي حتى يخرج من ظهري . قالوا : فإننا نطيعك . فأمرهم فسرّوا السَّوَامَ (٣) والضَّعَافَ بليل ، وهم يريدون أن يَظْمَنُوا من منزلهم ذلك ، ثم ارتحلوا في الصبح وقد مضى سوامهم وضِماهم .

فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل ، فقال قيس : خُذُوا غيرَ طريقِ المال (٤) ، فإنه لا حاجة للقوم أن يَقْعُوا في شَوْ كَتِكُمْ ، ولا يريدون بكم في أنفسكم شرّاً من ذهاب

(١) الأيس : القهر والحمل على المكروه (٢) جنيبة : لقب أبيه (٣) السوام : الإبل الراعية (٤) المال : كل ما يملك وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم ، وهي المرادة هنا .

أموالكم ؛ فأخذوا غير طريق المال . ولما رأى حذيفة الأثر قال : أَبَعَدَهُمُ اللَّهُ ! وما خيراً لهم بعد ذهاب أموالهم ؟ ثم أتبع المال وسارت ظمن بنى عبس والمقاتلة من ورائهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال ؛ فلما أدركوه ردّوا أوله على آخره ، ولم يقلت منه شيء ، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها ، ثم تفرّقوا واشتدّ الجُرّ .

فقال قيس بن زهير : يا قوم ؛ إن القوم قد فرّق بينهم النعم ، فاعطفوا الخيل في آثارهم ؛ فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيل دوائس^(١) ؛ فلم يقاتلهم كبير أحد ، إذ أن همة الرجل من بنى ذبيان كانت أن يُحرّز غنيمته ويمضى بها ، ووضعت بنو عبس فيهم السلاح ، وقتلوا منهم مالك بن سبيع التغلبي سيّد غطفان وكثيراً غيره حتى نأشدّتهم بنو ذبيان البقية ، وانهزمت ذبيان وحذيفة معهم .

ولم يكن لبس همّ غير حذيفة ، فأرسلوا خيلهم مجتهدين في أثره ، ثم تبعه قيس ابن زهير والربيع بن زياد ، وقرواش بن عمرو ، وريان بن الأسلع ، وشداد بن معاوية وغيرهم ؛ وقال لهم قيس : كأني بالقوم وردوا جفّر الهبأة ونزلوا فيه ، وأنا أعلم أن حذيفة بن بدر إذا احتدمت الوديعة^(٢) مستنقع في الماء .

وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه ؛ فنزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة أن يُقتَصَّ أثره ، وعرفوا حنّف^(٣) فرسه فاتّبعوه ، ومضى حتى استغاث بجفّر^(٤) الهبأة وقد اشتدّ الحرّ ، فرمى بنفسه ومعه حمل بن بدر وجماعة من أصحابه ، وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم ، ووقعوا في الماء ، وتمكّكت^(٥) دوابهم .

(١) يقال : أتهم الخيل دوائس : أى يتبع بعضها بعضاً . (٢) الوديعة : شدة الحر
(٣) الحنّف : أن تقبل لحيدي الدين على الأخرى
(٤) جفّر الهبأة : مستنقع في بلاد غطفان (وهو يوم الهبأة)
(٥) تمكّكت : تجمعت .

ولما اقترب منهم قيس بن زهير وأصحابه أبصرهم حمل بن بدر فقال لهم : مَنْ أْبَضُ الناس أن يقف على رءوسكم ؟ فقالوا : قيس بن زهير والربيع بن زياد . فقال : هذا قيس بن زهير قد أتاكم ! ولم ينقض كلامه حتى وقف قيس وأصحابه وحالوا بينهم وبين الخليل ، وحمل جنيد على خيلهم فاطردوها ، واقتحم عمرو بن الأسلع وشداد عليهم في الجند ، وهم ينادون : لبيكم ! لبيكم ^(١) ! وقال لهم قيس : كيف رأيتم عاقبة البني ؟ فقال حذيفة :

يا بني عبس : فأين المقول والآحلام ؟ ناشدتك الله والرحم يا قيس ! فضر به أخوه حمل بن كتفيه وقال : « أتق ما تُور الكلام ^(٢) » .

ثم قال حذيفة لقيس : بنو مالك بمالك ، وبنو حمل بذى الصبية وزد السبق ، قال قيس : لبيكم ! لبيكم ! قال حذيفة : لئن قتلتنى لا تصلح غطفان بعدها أبداً . فقال قيس : أبعدها الله ولا أصلحها . ثم إن قرواش بن هني جاء من خلف حذيفة ، فقال له بعض أصحابه : احذر قرواشاً - وكان قد رباه ، فظن أنه سيسكر ذلك له - قال : خلوا بين قرواش وظهرى ! فزع له قرواش بمِمْكَلَة ^(٣) ففصم بها ضلبيه ، وايتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الأسلع ، فضر به بسيفهما حتى ذفقا ^(٤) عليه .

وقتل الحارث بن زهير حمل ^(٥) بن بدر ، واستبقوا حصن ^(٦) بن حذيفة لصباه ، ولما وقف قيس بن زهير على جُتَّة حذيفة بن بدر قال يرثيه ويرثى أخاه حملا :

تعلّم أن خيرَ الناس ميتٌ على جُفَرِ الهَبَاءَةِ لا يزيم

(١) الصبيان الذين قتلوا (٢) ذهب مثلا (٣) المعلقة : نصل طويل عريض

(٤) ذفقا عليه : أجهز عليه (٥) في الأمثال : أخذ الحارث بن زهير سيف حذيفة ورمى

جنيد بن زيد بسهم فقتله ، وكان ندر ليقطن بابه رجلا من بني بدر فأحل به ندره . وفيه أن

الذى قتل حمل بن بدر هو الربيع بن زياد (٦) في الأمثال : واستصغروا عينة بن حصن

فغالوا سبيله .

ولولا ظلمه ما زلت أبكى عليه الدهر ما طلع النجوم^(١)
ولكن الفتى حمل بن بدر بنى والبنى مرثعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فموج على ومستقيم
وقال أيضا :

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني
شفيت بقتلهم لغيلل صدري ولكني قطعت بهم بناني
فلا كانت الغبرا ولا كان داحس ولا كان ذلك اليوم يوم دهاني

— ٧ —

ثم إن عبسا ندمت على ما فعلت بذبيان يوم الهبابة ، ولام بعضهم بعضاً . واجتمعت ذبيان إلى سنان بن أبي حارثة المري ، وشكوا إليه ما نزل بهم ؛ فأعظمه وذم عبسا ، وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثأر ذبيان ، وبث رسله ؛ فاجتمع من الخلق كثير لا يحصون ، ونهى أصحابه عن التعرض إلى الأموال والغنيمة ، وأمرهم بالصبر ، وساروا إلى بني عبس ؛ فلما بلغهم مسيرهم إليهم قال قيس : الرأي أننا لا نلقاهم ؛ فإننا قد وترناهم ، فهم يطالبوننا بالذبول^(٢) والطوائل^(٣) ، وقد رأوا ما نالهم بالأمس باشتغالهم بالنهب والمال ؛ فهم لا يتعرضون إليه الآن ؛ والذي ينبغي أن نفعله أننا نرسل الطعام والأموال إلى بني عامر ؛ فإن الدم لنا قبلهم ، فهم لا يتعرضون لكم ، ويتقى أولو القوة والجلد على ظهور الخيل ؛ ونمأطلهم

(١) يشير إلى ما جرى فيهم من أمر داحس والغبراء ، وإنكاره سبق وركوبه البغي

(٢) الذحول : جمع ذحل وهو التآر (٣) الطوائل : جمع طائلة وهي التآر أيضا .

القتال ؛ فإن أبوا إلا القتال كُنَّا قد أَحْرَزْنَا أَهْلِينَا وَأَمْوَالَنَا ؛ وَقَاتَلْنَاهُمْ وَصَبَرْنَا لَهُمْ ،
فإن ظفَرْنَا فهو الذي نريد ، وإن كانت الأخرى كُنَّا قد احْتَرَزْنَا وَلَحَقْنَا بِأَمْوَالِنَا وَنَحْنُ
عَلَى حَامِيَةٍ .

ففعِلُوا ذَلِكَ ، وَسَارَتْ ذُبْيَانُ وَمِنْ مَعَهَا وَلَحَقُوا بَنِي عَبْسٍ عَلَى ذَاتِ الْجَرَاغِرِ ،
وَأَقْتَلُوا قَتَالًا شَدِيدًا يَوْمَئِذٍ وَأَفْتَرَقُوا .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ عَادُوا إِلَى الْكِفَاءِ فَأَقْتَلُوا أَشَدَّ مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ ، وَظَهَرَتْ فِي هَذَا
الْيَوْمِ شَجَاعَةُ عَنْتَرَةَ بْنِ شَدَّادٍ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ شِدَّةَ الْقِتَالِ وَكَثْرَةَ الْقَتْلِ لَأَمُّوْا
سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ عَلَى مَنْعِهِ حَذِيفَةَ عَنِ الصَّلْحِ ، وَتَطَيَّرُوا مِنْهُ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ
بِمُحَقِّقِ الدَّمَاءِ وَمَرَاجِعَةِ السَّلْمِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَأَرَادَ مُرَاجِعَةَ الْحَرْبِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، فَلَمَّا
رَأَى فُتُورَ أَصْحَابِهِ وَرُكُوبَهُمْ إِلَى السَّلْمِ رَحَلَ عَائِدًا .

فَلَمَّا رَجَعَ عَنْهُمْ رَحَلَ قَيْسُ وَبَنُو عَبْسٍ إِلَى بَنِي شَيْبَانَ ، وَجَاوَرَوْهُمْ وَبَقُوا
مَعَهُمْ مَدَّةً ، فَرَأَى قَيْسُ مِنْ غُلْمَانِ شَيْبَانَ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ ؛
فَرَحَلُوا عَنْهُمْ ، فَتَبِعَهُمْ جَمْعٌ مِنْ شَيْبَانَ ، فَرَجَعَبَ إِلَيْهِمْ بَنُو عَبْسٍ وَأَقْتَلُوا ، فَأَهْزَمَتْ
شَيْبَانَ ، وَسَارَتْ عَبْسٌ مُتَوَجِّهِينَ نَحْوَ الْيَمَامَةِ يَطْلُبُونَ أَخْوَالَهُمْ ، فَأَتَوْا قِتَادَةَ بْنَ مَسْمَةَ ،
فَنَزَلُوا الْيَمَامَةَ زَمِينًا ^(١) ، فَرَّ قَيْسُ ذَاتَ يَوْمٍ مَعَ قِتَادَةَ فَرَأَى قِحْفًا فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ ،
وَقَالَ : كَمْ مِنْ ضَيْمٍ قَدْ أَقْرَبْتُ بِهِ خَافَةَ هَذَا الصَّرْعِ ! فَلَمَّا سَمِعَهَا قِتَادَةَ كَرِهَهَا وَأَوْجَسَ
مِنْهُ ، وَقَالَ : ارْتَحِلُوا عَنَّا . فَارْتَحَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِبَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مِثْلَةَ ، فَكَثَرُوا فِيهِمْ
زَمَانًا ؛ ثُمَّ إِنَّ بَنِي سَعْدٍ أَتَوْا مَلِكَ هَجَرَ ، فَقَالُوا لَهُ : هَلْ لَكَ فِي مُهْرَةِ شَوْهَا ، ^(٢)
وَنَاقَةِ حِمْرَاءَ ، وَفَتَاةَ عَذْرَاءٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالُوا : بَنُو عَبْسٍ غَارُونَ ، تَغْيِرُ عَلَيْهِمْ مَعَ
جَنْدِكَ وَتَسْهَمُ لَنَا مِنْ غَنَائِمِهِمْ ، فَأَجَابَهُمْ ؛ وَفِي بَنِي عَبْسٍ امْرَأَةٌ مِنْ سَعْدٍ ، فَأَتَاهَا

(١) زَمِنَا (٢) الشَّوْهَاءُ مِنَ الْخَيْلِ : الطَّوِيلَةُ الرَّائِعَةُ .

أهلها ليضموها ، وأخبروها الخبر ، فأخبرت به زوجها ، فأتى قيسا فأخبره ؛ فأجمعوا على أن يُرحّلوا الظمائن ، وما قوى من الأموال من أول الليل ، ويتركوا النار في الرثّة^(١) ؛ فلا يُستنكر ظعنهم عن منزلهم .

وتقدّم الفرسان إلى الفُروُق ، فوقفوا دون الظمّن ، وبين الفُروُق وسوق هجر نصف يوم ، فإن تبعوها قاتلوهم وشغلوهم حتى تمجّل الظمن ، ففعلت ذلك .

وأغارت جنود الملك مع بنى سعد في وجه الصبح ، فوجدوا الظمن قد أُسرّين ليلهن ، ووجدوا المنزل خلاء ، فاتبعوا القوم حتى انتهوا إلى الخيل بالفُروُق ، فقاتلوهم ثم خلّوا سربهم ؛ فمضوا حتى لحقوا بالظمائن فساروا ثلاثة أيام ولياليهن ، حتى قالت بنت قيس لقيس : يا أبت ؛ أأسير الأرض ؟ فعمل أن قد جهّذ . فقال : أئنيخولها فأنأخوها ، ثم ارتحل ، وفي ذلك يقول عنترة :

ونحن مَنعنا بالفُروُق نساءنا^(٢) نطَرّفُ عنها مُبَسِّلات^(٣) عَواشيا

حلفت لها والخيل تَدُمى نَحورُها نفارقكم حتى تهزوا العواليا

ألم تعلموا أن الأسنة أحرزت بقيتنا لو أنّ للدَّهر باقيا

ونحفظ عورات النساء ونتقى عليهن أن يلقين يوما مخازيا

ولحقوا ببني ضبة ، فكانوا فيهم زمنا .

ثم أغارت ضبة على بني حنظلة ، فاستاق رجل من بني عبس امرأة من بني حنظلة في يوم قاتل حتى نهركها ولهثت ، فقال رجل من بني ضبة : ارفق بها ،

(١) الرثّة : ردىء المتاع وإسقاط البيت من الحلقان (٢) في اللسان : نساءكم

(٣) المطرف : الذى يأتى أوائل الخيل فيردها على آخرها ، وقيل : هو الذى يقاتل أطراف الناس ، وقال الفضل : التطريف أن يرد الرجل عن أخريات أصحابه ، وأبسل نفسه للموت : وطن نفسه عليه .

فقال العبسي : إنك بها لرحيم ! فقال الضبي : نعم . فأهوى العبسي لمجرها بطرف
السنان ؛ فنادت يا آل حنظلة ! فشدّ الضبي على العبسي فقتله ، وتنادى الحيان ؛
ففارقهم عبس ، ومرت تريد الشام .

وبلغ بني عامر ارتفاعهم إلى الشام ، فخافوا انقطاعهم من قيس ؛ فخرجت وفود
بني عامر حتى لحقتهم ، فدعتهم إلى أن يرجعوا ويحالفوهم ، فقال قيس ؛ يا بني عبس ؛
حالفوا قوماً في صُبابة بني عامر ، ليس لهم عدد فينفوا عليكم بعددهم ، فإن احتجتم
أن يقوموا بنصرتكم قامت بنو عامر فحالفوا معاوية بن شكل . فكثروا فيهم .

ثم خرجوا حتى أتوا بني جعفر بن كلاب فقالوا : نكره أن تتسامع العرب
أنا حالفناكم بعد الذي كان بيننا وبينكم ، ولكنهم حالفوا بني كلاب ، فكانوا فيهم
حتى كان يوم جبلة فتهاجموا في شأن ابن الجون - قتله رجل من بني عبس - ما كان
أعتقه عوف بن الأحوص ، فقال عوف : يا بني جعفر ؛ إن بني عبس أدنى حوكم
إليكم ، إنما يجمعون كراعهم^(١) ويحذون سلاحهم ، ويأسون قروحهم ، فاطيعون
وشدوا عليهم قبل أن يندملوا ، وقال :

ولاني وقيس كالمسمن كلبه فخدشه أنيابه وأظفره

فلما بلغ ذلك بني عبس ، أتوا أحد بني بكر بن كلاب فحالفوه ، فقال في ذلك
قيس :

أحاول ما أحاول ثم آوى إلى جار كجار أبي حواء

منيع وسط عكرمة بن قيس وهوب للطريف وللتلاد

ثم إن ديان غزوا بني عامر بن صعصعة وفيهم بنو عبس في يوم شمواء ، فاقتتلوا
وهزمت عامر ، وأمر طلحة بن سنان قرواش بن هني العبسي ولم يعرفه ، فنسبه فكنتي

(١) الكراع : السلاح .

عن نفسه ، فلما قدم به إلى أهله ، وانتهى به إلى أدنى البيوت عرفته امرأة من أشجع أمها عبسية ، فقالت لزوجها : إني أرى قرواش مع طلحة بن سنان . قال : ومن أين تعرفينه ؟ قالت : يثمت أنا وهو من أبوينا قريباًنا حذيفة في أيتام غطفان . فخرج زوجها حتى أتى خزيم بن سنان فقال : أخبرني امرأتى أن أسير طلحة أخيك قرواش ابن هني ، فأتى خزيم طلحة فأخبره ، فقال : ومن أين عرفت ؟ فقال : امرأة فلان عرفته ، فتمال فاسمع كلامها ، فأتوها ، فقال طلحة : ما علمك أنه قرواش ؟ قالت : هو ، وبه شامة في موضع كذا . فرجعوا إليه ففتشوه ، فوجدوا الذي ذكرت . قال قرواش : من عرفني ؟ قالوا : فلانة ! قال : رب شر حملته عبسية ! ودفع إلى حصن فقتلوه .

ثم رحلت عبس عن عامر^(١) ونزلت بريم الرباب ؛ فبغت تيم عليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وتكاثر عليهم تيم ، فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة .

ورحلت بنو عبس ، وقد ملؤا الحرب ، وقتل الرجال والأموال ، وهلك المواشي ؛ فقال لهم قيس : ارجعوا إلى إخوانكم من ذبيان ، فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم . فقالوا : سر معنا ، فقال : لا والله ، لا نظرت في وجهي ذبيانته قتل أباه أو أخاه أو زوجها أو ولدها . ثم خرج على وجهه .

— ٨ —

فساروا حتى نزلوا على الحارث بن عوف بن أبي حارثة المرى ليلاً - وكان عند حصن بن حذيفة بن بدر - فلما عاد قيل له : هؤلاء أضيافك ينتظرونك . قال : بل أنا ضيفهم ، فحيّاهم وهش إليهم . وقال : من القوم ؟ قالوا : إخوانك من بني عبس .

(١) لذلك سبب ذكره صاحب الأمثال صفحة ٥٩ جزء ثان لم نرد ذكره هنا ، فارجع إليه إن شئت .

وذكروا ما لقوا ، فأقرّوا باللّنب ، فقال : نعم وكرامة لكم ! أكلّم حصن بن حذيفة .
وعاد إليه فقيل لحصن : هذا أبو أسماء . قال : ما وُرد إلا لأمر ! فدخل الحارث فقال :
طرقتُ في حاجة ، قال : أعطيتها . قال : بنو عبس ، وجدتُ وفودهم في منزلي .
قال حصن : صالحوا قومكم ، أما أنا فلا أدري ولا أتدري ؛ قد قتل آباءى وعمومتى
عشرين من عبس .

فعاد إلى عبس وأخبرهم بقول حصن وأخذهم إليه ، فلما رأهم قالوا له : نحن رُكبان
الموت ، قال : بل رُكبان السلم ؛ إن تكونوا اختلتم إلى قومكم فقد اختلّ قومكم إليكم .
ثم خرج معهم الحارث بن عوف حتى أتوا سناناً ^(١) ، فقال له حصن : قم بأمر
عشيرتك ، وارأُبْ بينهم ؛ فإني سأعينك . فاجتمعت بنو مرة فكان أول من سمى في
الحملة حرملة بن الأشعر ، ثم مات ، فسمي فيها ابنة هاشم بن حرملة .

ولما تراضى أبناء بغيض ، اجتمعت عبس وذبيان بقطن ، فخرج حصين بن
ضمضم بفرسه ، وهو آخذ بمرسها ، فقال الربيع بن زياد : مالي عهد بحصين منذ
عشرين سنة ، وإني لأحسبه هذا . قم يا بيجان فادنُ منه ، وناطقه ، فإن في لسانه
حبسة . فقام يكلمه ، فجعل حصين يدنو منه ولا يكلمه ، حتى إذا أمكنه حال في
من فَرَسه ، ثم وجهها نحوه فلحقه قبل أن يأتي القوم فقتله بأبيه ضمضم ^(٢) .

فأحازت عبس وحلفاؤها . وقالوا : لا نصالحكم ، وقد غدرت بنا بنو مرة ،
وتناهض الحَيان ، ونادى الربيع بن زياد : من يُبارز ؟ فقال سنان - وكان يومئذ
واجداً على ابنه يزيد - ادعوا لي ابني ، فأناه هرم بن سنان ، فقال : لا .
فأناه ابنه خارجة . فقال : لا ، وكان يزيد يحزم فرسه ويقول : إن أبا ضمرة غير

(١) في رواية : أتوا هرم بن سنان
(٢) كان قد قتله عنترة ، وكان حصين آلى لإيس
رأسه غسل حتى يقتل بأبيه بيجان .

غافل . ثم أتاه فبرز للربيع ، وسفرت بينهم السفراء ، فأتى خارجة بن سنان أبا ييجان بابه فدفعه إليه ، وقال : هذا وفاء من ابنك ! قال : اللهم نعم ! فكان عنده أياماً ، ثم حمل خارجة لأبي ييجان هاتئ بغير ، فاصطحوا وتعاقدوا على أن يحتسبوا القتل فيؤخذ الفضل مما هو عليه ، وُمِحت^(١) عنهم الديّات فكانت ثلاثة آلاف بغير في ثلاث سنين .

وفي ذلك قال زهير بن أبي سلمى معلقته يمدح فيها الحارث بن عوف وهرم ابن سنان ، ويذكر هذه الحرب :

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلَّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَلْتَشْلَمْ^(٢)
 وَدَارُهَا بِالزُّقْمَتَيْنِ كَكَائِنَهَا مَرَا جِيعٌ وَشَمٌ فِي نَوَاشِرِهِ مِعْصَمٌ^(٣)
 بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرْآمُ يَمْشِينَ خَلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُ مِنْ كُلِّ مَجْمَمٍ^(٤)
 وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ^(٥)
 أَثَافِي سُفْعًا فِي مُعْرَسٍ مِرْجَلٍ وَنُوبًا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَنْتَلَمْ^(٦)

(١) أكثر الروايات أن النوى حملها : هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، نوفي الأمثال : وكان الذي ولي الصلح عوف ومقبل ابنا سبيع ، فقال عوف بن خارجة : أما إذا سبقني هذان الشيخان إلى الجمالة فهل لي الظل والطعام والحلن فأطعم وحل ، وكان أحد الثلاثة يومئذ (٢) أم أوفى : حبيبة زهير . والدمنة : ما اسود من آثار الديار . وحومانة الدارج والنتلم : موضعان (٣) الرقنان : حرتان ؛ إحداهما بالبصرة والثانية بالمدينة ، ويقال للوشم الذي جدد مرجوع ، ونواشر المعصم : عروقه ، والمعصم : موضع السوار من اليد . والمراد أنها كانت تحمل الموضعين عند الانتجاع (٤) العين : البقر الوحشي الواسع العين . والأَرْآم : جمع رُم وهو الظبي الحالمس اليباض . وخلفة : يخلف بعضها بعضاً ، والأطلاء : جمع طلاء وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية . والجثوم : البروك ، والمَجْمَم : مكان الجثوم (٥) الحجة : السنة ، واللائي : المشقة (٦) الأثافي : حجارة توضع القدر عليها . والسفع : السود . والمعرس : المنزل . والمرجل : القدر ، والنوى : نهير يحفر حول البيت ليجري فيه الماء الذي ينصب من البيت ولا يدخل فيه ، والجذم : الأصل .

- فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبِّهَا (١)
تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظِلْمٍ أَثْنِ
تَحَمَّلَنَّ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْتُمْ (٢)
جَمَلَنَّ الْقَنَانِ عَنْ يَمِينِ وَحَزَنُهُ (٣)
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلْفَةٍ (٤)
وَوَرَّكَنَ فِي السُّوْبَانِ يَعْلُونَ مَتْنُهُ (٥)
بَكْرَنَ بُكُورًا وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ (٦)
وَفِيهِنَّ مَلَهَى لِلصَّدِيقِ وَمَنْظَرِ (٧)
كَأَنَّ فُتَاتَ الْمَهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلِ (٨)
فَلَمَّا وَرَدَنَّ الْمَاءَ زُرْقًا جِجَامُهُ (٩)
ظَهَرْنَ مِنَ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ (١٠)
أَلَا أَنْعَمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسْتَلَمَ (١)
تَحَمَّلَنَّ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْتُمْ (٢)
وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحَلٍّ وَمُحَرِّمِ (٣)
وَرَادِ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةُ الدَّمِ (٤)
عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِمِ (٥)
فَهِنَّ وَوَادِي الرِّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ (٦)
أُنِيقُ لَعِينِ النَّظَارِ النَّوْمِ (٧)
نَزَلْنِي بِهِ حَبُّ الْقَمَائِمِ يُحِطُّنَ (٨)
وَضَعْنَ عِصَى الْحَاضِرِ التَّخَيُّمِ (٩)
عَلَى كُلِّ قَيْصِيٍّ قَشِيبٍ وَمُقَامِ (١٠)

تَذَكَّرْنِي الْأَحْلَامُ لَيْلِي وَمِنْ تُظْفٍ عَلَيْهِ خَيَالَاتُ الْأَحْبَةِ بِحُلْمِ

- (١) خص الصباح بالدعاء لأن الغارات والكراوات تقع صباحاً (٢) التحمل : الترحل
وجرتم : موضع (٣) القنان : جبل لبنى أسد ، والحزن : ما غلظ من الأرض ، يقول :
مرت بهم أشهر الحل وأشهر الحرم (٤) أنماط : جمع نمط ، وهو ما يبسط ، والعناق :
الكرام . والكلفة : البئر الرقيق . وراد : جمع ورد وهو الأحمر . ومشاكهة : مشابهة
(٥) السوبان : الأرض المرتفعة . والتوريك : ركوب أورك الدواب . يقول : وركبت هذه
النسوة أورك الدواب في حال علوهن متن السوبان ، وعليهن دلال الإنسان الطيب العيش
(٦) بكر : سار بكرة ، واستحر : سار سحراً . يقول : ابتدأن السير وفرن سحراً وهن
قاصدات لوادى الرس لا يحظته كاليده القاصدة للقم لا تحظته (٧) الملبى : اللهو . واللطيف :
الثنائي . والنوسم : التفرس (٨) المهن : الصوف المصبوغ . والقنا : عنب الثعلب
(٩) الزرق : شدة الصفاء ، وجمام : جمع جم وهو مجتمع الماء في الحوض أو غيره . ووضع
العصى : كناية عن الإقامة ، والتخييم : ابتناء الحيمة (١٠) جزع الوادى : قطعه ، والمراد
بالقيني : الرجل ، والقشيب : الجديد ، والمقام : الواسع .

سَعَى سَاعِيَا غِيظَ بَنَ مَرَّةً بَعْدَ مَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْذَمِّ
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجُلًا بَنَوُهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمُ (١)
يَمِينًا لَنَعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبَرَّمِ (٢)
تَدَارَكْتُمَا عَبَسَا وَذُبْيَانِ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطَرَ مَنْشَمِ (٣)
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكُ السَّلْمَ وَاسْمَا بِعَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمِ (٤)
عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيَا مَعْدٍ هُدَيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَثْرًا مِنَ الْجَدِّ يُعْظَمِ
تَعْمَى لِلْكُلُومِ بِالْمِثْنِ فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا مِنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ (٥)
يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً وَلَمْ يُهْرِقُوا بَيْنَهُمْ مَلءَ مِجْجَمِ
فَأَصْبَحَ يُحَدِّثُ فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَامٍ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزْتَمِ (٦)



(١) البيت : السكبة ، وجرم : كانوا ولاية البيت قبل قريش (٢) السيدان : هرم بن سنان والحارث بن مرة . والسحيل : الخط المقتول على قوة واحدة ، والمبرم المقتول على قوتين ، والمعنى : نعم السيدان وجدتما حين تفاجئان لأمر قد أبرمتاه وأمر لم تبرماه (٣) منشم : قيل إنه اسم امرأة عطارة ، اشترى قوم منها جفنة ، وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غصهم الأيدي في ذلك العطر ، فقاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم ، فطير العرب بعطر منشم (٤) الضمير في منها يعود إلى السلم ، وهو يهكر ويؤنت (٥) الكلوم : الجروح ، وتعنى : تمحى ، بالثين : الإبل ، يعطيها نجوماً . والمعنى : تمحى الجروح بالثين من الإبل ، ولكن أصبحت الإبل يعطيها نجوماً من هو يرى الساحة بعيد عن الحرم في هذه الحروب (٦) التلاد : المال القديم الموروث ، والإفال : جمع أفيل وهو الصغير السن من الإبل ، والمزمن المعلم ، يقول : فأصبح يجري في أولياء المقتولين من نفائس أموالكم القديمة الموروثة غنائم متفرقة من إبل صفار معلمة ، وهو بهذا يخاطب السيدين .

أَلَا أَبْلَغُ الْأَخْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلُّ مُقْسَمٍ (١)
 فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ لِيَخْفَى وَمِمَّا يُكْتُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
 يُؤَخِّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلُ فَيَنْقَمَ
 وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الرَّجْمِ (٢)
 مَتَى تَبْعُمُوهَا تَبْعُمُوهَا ذَمِيمَةٌ وَتَصْرَ إِذَا صَرَّيْتُمُوهَا فَتَصْرَمَ (٣)
 فَتَمْرِكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَى يَشْفَاهَا وَتَلْقَحُ كَشَافًا ثُمَّ تُنْتَجُ فَتُنْتِمِ (٤)
 فَتُنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمُ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَنْفِطِمَ (٥)
 فَتُقْتَلُ لَكُمْ مَا لَا تُقِلُّ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهِمٍ (٦)
 لَعَمْرِي لِنِعْمَ الْحَيِّ جَرَّ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بْنُ ضَمْضَمٍ (٧)

(١) الأخلاف : أسدوغطفان ، يقول : أبلغ ذيان وخلفاءها وقل لهم : قد حلقت على إبرام الصلح كل حلف فتخرجوا من الحث ، وهل أقسمت : قد أقسمت (٢) الحديث المرمم : الذي يرمم فيه بالظنون (٣) المعنى : أنكم إذا أوقدتم نار الحرب ذمتم ، ومتى هُزمتها ثارت (٤) فقال الرحي : خرقه من جلد أو غيره توضع تحت الرحي ليقع عليها الطعين ، والباء : بمعنى مع ، واللقح : حمل الولد ؛ والكشاف : أن تلقح النعجة في السنة مرتين ، والاشام : أن تلد الأنثى توأمين ، : وتترككم الحرب عرك الرحي الحب مع نفالها ، وخص تلك الحالة لأنه لا يسط إلا عند الطحن ، ثم قال : وتلقح الحرب في السنة مرتين وتلد توأمين ، وكل هذا كناية عن كثرة الشر (٥) يريد بأشأم المعنى الصدري ، كأنه قال غلمان شؤم ، وأحمر عاد : هو عافر ناقه صالح . قال الأصمعي : أخطأ زهير في هذا ، لأن عافر الناقة من ثمود ، وقال المبرد : ليس بغلط لأن ثمود يقال لها عاد الأخيرة بدليل قوله تعالى : « وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى » (٦) قال الأصمعي : يريد أنها تفل لهم دماً ، وليست تفل لهم ما تفل قرى العراق من قفيز ودرهم ، وهو تهكم (٧) قتل ورد بن حابس العبسي هرم بن ضمض المرى الدياني قبل الصلح ، فلما وقع الصلح تواري أخوه حصين لثلاً يطالب بالدخول في الصلح ، ثم انتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس فقتله بأخيه ، فركبت عبس ، ثم استقر الأمر بين القبيلتين على عقل القاتل ، يقول : أقسم بحياقي لنعمت القبيلة (ذيان) حتى عليها حصين بن ضمض وإن لم يوافقوه في إضمار النذر .

وكان طوى كشحاً على مُسْتَكِنَةٍ فلا هو أبداها ولم يتقدّم (١)
 وقال سأقضى حاجتي ثم اتقى عدوى بألفٍ من ورأى ملجُم
 فشدّ فلم يُفزع بيوتا كثيرة لدى حيث أَلَقَتْ رَحْلَهَا أُمّ قشعم (٢)
 لدى أسدٍ شاكي السلاح مُقَذَفٍ له لبدٌ أظفاره لم تقلم (٣)
 جرى متى يُظلم يُعاقب بظلمه سريماً وإلاّ يُبد بالظلم يظلم
 رعو ظمأهم حتى إذا تمّ أوردوا غماراً تفرّى بالسلاح وبالدم (٤)
 فقصّوا منايا بينهم ثم أصدرُوا إلى كلالٍ مُستوبلٍ مُتَوَحِّمٍ (٥)
 لعمرك ما جرت عليهم رماحهم دم ابن نهيك أو قتيل الثلم
 ولا شاركت في الموت في دم نوفل ولا وهب فيها ولا ابن المخزم (٦)
 فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونه صحیحات مالٍ طالعاتٍ لمخرم (٧)
 لحيّ حلالٍ يعصم الناس أمرهم إذا طرقت إحدى الليالي بمُعظم (٨)

(١) طوى كشحاً : أضمر ، والمستكنة : الغدرة . يقول : كان حصين أضمر في صدره حقداً ، وطوى كشحه على ثبة مستتره ، ولم يظهرها لأحد (٢) أم قشعم : المنية ، يقول : حمل حصين على الرجل الذي رام أن يقتله بأخيه ولم يتعرض لغيره (٣) شاكي السلاح : تام السلاح ، والمقذف : يقذف به في الوقائع ، وهذا البيت والذي يليه من صفات حصين (٤) عاد الشاعر إلى وصف الحرب . الظم : ما بين الوردتين ، والغار : الماء الكثير ، والتغرى : التشقق . يقول : رعو لابلهم الكلال حتى إذا تم الظم أوردوها مياهاً كثيرة ، وهذا استعارة ، والمعنى : أنهم كفوا عن القتال وأقلعوا عن النزال مدة معلومة ، ثم عاودوا الوقائع (٥) قضا : تموا . واستوبل الشيء وجده ويلاً ؛ واستوخم الشيء : وجده وخياً ، جعل اعتزامهم على الحرب بمنزلة الكلال الويل (٦) يقول : أقسم بيقائك وحياتك أن رماحهم لم تجن عليهم دماء هؤلاء المسنين ، بين براءة ذمهم عن سفك دمهم ليكون ذلك أبلغ في مدحهم بعقلهم القتلى (٧) المخرم : ألف الجبل (٨) الحلال جمع حال ، أى أنهم يعقلون القتلى لأجل حتى نازلين يعصم جيرانهم أمرهم إذا أنت إحدى الليالي يأمر فطيع .

كرام فلا ذو الضغن يُذَرِّكُ تَبَلُّهُ ولا الجارمُ الجاني عليهم بِمُسَلِّمٍ^(١)



سَمِثُ تَكْلِيفِ الحَيَاةِ وَمَنْ يَمِشُ وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
رَأَيْتُ النَّيَا خَبُطَ عَشْوَاءٍ مِنْ نَصَبٍ وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُخْلِ بِفَضْلِهِ
وَمَنْ يُؤْفٍ لَا يُدَمِّمُ وَمَنْ يَهْدِ قَلْبُهُ وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ النَّيَا يَتَلَنَّهُ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ وَمَنْ يَمِصُّ أَطْرَافَ الرَّجَاجِ فَإِنَّهُ
وَمَنْ لَا يَنْدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ وَمَنْ يَغْتَرِبُ بِحَسَبِ عَدُوٍّ صَدِيقَةٍ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرَأٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ . يَسْأَلُ
وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمَّ تَمَّتْهُ وَمَنْ تَخْطِئُ يَمُورُ فِيهِمْ^(٢)
يُضَرِّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ عِنْسِمِ^(٣) يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَقْتَرِ الشَّمَّ يُشَمُّ^(٤)
عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفَنُّ عَنْهُ وَيُدَمِّمُ إِلَى مَطْمِنٍ الْبَرِّ لَا يَتَجَمَّعُ
وَإِنْ يَرِقْ أَسْبَابُ السَّمَاءِ يَسْلُمُ يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رَكِبَتْ كُلَّ لَهْدَمٍ^(٥) يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
وَمَنْ لَا يَكْرُمُ نَفْسَهُ لَمْ يَكْرَمْ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ

- (١) التَّيْلُ : الحقد ، والجارم والجاني سواء تأنيث الأعشى ، وهو الذي لا يبصر شيئاً
(٢) الحَبُطُ : الضرب باليد ، والعشواء :
(٣) المنسم : للبعير بمنزلة السنبك للفرس
(٤) وفرت القى : كثرته (٥) الزجاج : جمع زج وهو الحديد المركب في أسفل الرمح
وعالية الرمح ضد سافلته ، وجمها العوالى ، واللهدم : السنان الطويل . إذا التقت فتتان من العرب
سدت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبها ، وسعى الساعون في الصلح ، فإن أبنا إلا التنادى
في القتال ، قلبت كل واحدة منهما الرمح واقتلتا بالأسنة ، والمعنى : من أبى الصلح ذلته الحرب .

وَكأَنَّ تَرَى مِنْ صَامَت لَكَ مُعْجِبِ زِيَادَتِهِ أَوْ نَقْصِهِ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلَّ بِمَدِّهِ وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا فَعْدْتُمْ وَمَنْ أَكْثَرُ التَّسَالِ يَوْمَ مَا سَيُحْرَمُ

أما قيس بن زهير فقد خرج على وجهه حتى لحق بالمر بن قاسط ، فقال : يامعشر
النمر ؛ أنا قيس بن زهير غريب حرب ، فانظروا إلى امرأة قد أدبها الفنى وأذلها
الفقر . فزوّجوه امرأة منهم ، ثم قال : لا أقيمُ فيكم حتى أخبركم بأخلاق ؛ إلى
امرؤ غيور فخور أنف ؛ ولست أفخر حتى أبتلى ، ولا أغار حتى أرى ، ولا أنف
حتى أظلم . فرضوا بأخلاقه ، وأقام فيهم زماناً ، ثم أراد التحول عنهم ، فقال :
يامعشر النمر ؛ إلى أرى لكم على حقاً بمصاهرتي لكم ومقامي بين أظهركم ، وإلى
أمركم بمخصال ، وأنها كم عن خصال ؛ عليكم بالأناة فيها تدرك الحاجة ، وتسويد
من لا تعاينون بتسويده ، والوفاء ، فيه تتعاضون ، وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل
المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وخطط الضيف بالإلزام ، وإياكم
والرهان فيه ثكلت مالكا أخى ، والبغى فإنه صرع زهير أبى ، وإياكم والسرف
في الدماء ، فإن قتل أهل الهبأة أورثني العار ، ولا تمطوا في الفضول فتعجزوا عن
الحقوق . ثم رحل إلى عمان ، فأقام بها إلى أن مات .

(٥) يوم الرِّقْمِ*

غَزَتْ بَنُو عَامِرٍ غُظْفَانَ بِالرِّقْمِ ، وَعَلَيْهِمْ عَامِرٌ ^(١) بَنُ الطَّفِيلِ ، شَابًا لَمْ يُرَأْسْ بَعْدَ ،
وَنَذِيرٌ ^(٢) بِذَلِكَ بَنُو مَرَّةَ بْنِ عَوْفٍ وَمَعَهُمْ قَوْمٌ مِنْ أَشْجَعٍ وَنَاسٌ مِنْ فَرَازَةَ ^(٣) ،
فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْهَزَمَ بَنُو عَامِرٍ .

وَجَمَلُ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ يَقُولُ : يَا لَقَيْسَ ! لَا تَقْتُلِ تَمُوتِي ، وَأَمَرْتُ غُظْفَانَ مِنْ
بَنِي عَامِرٍ أَرْبَعَةَ وَثَمَانِينَ رَجُلًا دَفَعُوهُمْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ أَشْجَعٍ كَانَتْ بَنُو عَامِرٍ قَدْ أَصَابُوا
فِيهِمْ ، فَقَتَلُوهُمْ أَجْمِينَ .

وَانْهَزَمَ الْحَكَمُ بْنُ الطَّفِيلِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى قَطَعَ الْعَطَشُ أَعْنَاقَهُمْ فَاتُوا ،
أَمَّا الْحَكَمُ بْنُ الطَّفِيلِ فَإِنَّهُ خَافَ أَنْ يُؤَسَّرَ وَيُمَثَّلَ بِهِ ، فَجَعَلَ فِي عُنُقِهِ حَبْلًا ،
وَصَعَدَ إِلَى شَجَرَةٍ ، وَشَدَّهُ وَدَلَّى نَفْسَهُ فَاخْتَنَقَ ، وَفَعَلَ مِثْلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي غَنِيٍّ ،
فَلَمَّا أَلْقَى نَفْسَهُ نَدِمَ فَاظْطَرَبَ ، فَأَدْرَكَوهُ وَخَلَّصُوهُ وَعَيَّرُوهُ بِجَزَعِهِ ، وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ
الْوَرْدِ فِي ذَلِكَ :

وَنَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دِيَارِهَا عُلَّالَةً ^(٤) أَرْمَاحٍ وَضَرْبًا مَذْكِرًا

* لُغْفَانُ عَلَى بَنِي عَامِرٍ ، وَالرِّقْمُ جِبَالٌ دُونَ مَكَّةَ بِدِيَارِ غُظْفَانَ

معجم البلدان (ضرغد) ، ابن الأثير ص ٣٩٣ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣١٨ ج ٣ ، خزائن
الأدب ص ٧٠ ج ٣ ، الفضليات ص ٣٠

(١) عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ : كَانَ مِنْ أَشْهَرِ فُرْسَانَ الْعَرَبِ بَأْسًا وَنَجْدَةً وَأَبْعَدَهَا اسْمًا وَشَهْرَةً ، أَدْرَكَ
الْإِسْلَامَ وَلَسْكَنَهُ لَمْ يَسْلَمْ ؛ وَلَا مَاتَ نَصَبَتْ لَهُ بَنُو عَامِرٍ أَنْصَابًا ، مِيلًا فِي مِيلٍ حَتَّى عَلَى قَبْرِهِ ؛ لَا تَنْشُرُ
فِيهِ زَاعِيَةً ، وَلَا يَرْعَى وَلَا يَسْلُكُهُ رَاكِبٌ وَلَا مَاشٍ ، وَلَهُ وَقَائِعٌ مَشْهُورَةٌ فِي مُذْحَجٍ وَخَشْمٍ وَغُظْفَانَ
(٢) نَذِيرٌ : عَلِمَ (٣) مَرَّةً وَأَشْجَعٌ وَفَرَازَةُ : مِنْ غُظْفَانَ (٤) الْعُلَّالَةُ فِي الْأَصْلِ : مَا حَلَبَ
بَعْدَ الْفَيْقَةِ الْأُولَى .

بكل رِقَاقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ وَلَدَنٍ مِنَ الْخَطِيِّ قَد طَرَّ (١) أُسْمَرَا
عجبت لهم إذ يَخْنُقُونَ نفوسهم ومقتلهم تحت الوعى كان أجدرًا
وكان عامرُ بن الطفيل قبل الموقعة رأى امرأةً من فزارة فسألها فقالت : أنا أسماء
بنت نوفل الفزاري ، وبيننا هي تجيبه خرج عليه المهزومون من قومه وبنو مرة في
أعقابهم ؛ فلما رأى ذلك عامر ألقى دِرْعَهُ إلى أسماء وولى منهزمًا ، فأدتها بعد ذلك إليه ،
وفيها قال بعد الموقعة :

وَلتَسْأَلَنَ أَسْمَاءُ وَهِيَ حَفِيَّةٌ نَصْحَاءَهَا أَطَرَدْتُ أُمَ لَمْ أَطْرِدِ (٢)
قَالُوا لَهَا : فَلَقَدْ طَرَدْنَا خِيْلَهُ قَلَحَ الْكَلَابِ وَكُنْتُ غَيْرَ مَطْرَدٍ (٣)
فَلَا بُغْيَنَّاكُمْ قَنَّا وَعُورَاضًا وَلَا قُبْلَنَّا الْخَيْلَ لَابَةَ ضَرْغَدٍ (٤)
بِالْخَيْلِ تَمُرُّ بِالْقَصِيدِ كَأَنَّهَا حِدَا تَتَابَعُ فِي الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ (٥)
وَلَا تَأَرَنَنَّ بِمَالِكٍ وَبِمَالِكٍ وَأَخِي الْمُرُورَةَ الَّتِي لَمْ يُسْنَدِ (٦)
وَقَتِيلَ مُرَّةٍ أَتَأَرَنَنَّ فَإِنَّهُ فَرَّغُ وَإِنْ أَخَاهُمْ لَمْ يَقْصَدِ (٧)
يَا سَلَمُ أُخْتَ بَنِي فَزَارَةَ إِنَّنِّي غَانٍ وَإِنْ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ
وَأَنَا ابْنُ حَرْبٍ لَا أَزَالُ أَشْبَهَا سَمَرًا وَأَوْقَدَهَا إِذَا لَمْ تَوْقَدِ (٨)

- (١) طر الحديد طرأ : أحدها (٢) هي أسماء بنت قدامة الفزاري . قال أبو محمد بن
ابن الأعرابي : كان يهواها عامر ويشبب بها (٣) القلح : صفرة تملو الأسنان ، شبه الشاعر بها
فزاره ويكون النصب على التمر وجملة (وكننت . . .) حال (٤) قنا : جبل في ديار بني ذبيان
وعوارض : جبل لبني أسد ، ولا قبْلَن الخيل : أى بالخيل ، واللابة : الأرض ذات الحجارة السوداء
وضرغد : أرض لهُذَيْل (٥) القصيد : جمع قصيدة ، وهو كسر القنا (٦) المروراة :
موضع بالكوفة ، ولم يسند : لم يدفن ، وترك للسباع تأكله (٧) فرغ : هدر ، ولم يقصد
لم يقتل (٨) أى أدبر أمرها وقت سمرى بالليل .

ولما بلغ شعره غطفان هجاء جماعة منهم ، وكان النابغة الذبياني غائباً عند ملوك
 غسان ، ولما عاد سأل قومه عما هجوا به عامر بن الطفيل ، فأنشدوه ما قالوا فيه
 وما قال فيه ، فقال : لقد أفحشتم ، وليس مثلُ عامرٍ يُهَجَى بمثل هذا ، ثم قال
 يخطئُ عامرٌ في ذكره امرأةً من عقائلهم :

فإن يك عامرٌ قد قال جهلاً	فإن مطية الجهل الشبابُ
فإنك سوف تحلم أو تباهى	إذا ما شبت أو شاب الغرابُ
فكن كأبيك أو كأبي براء	توافقك الحكومة والصوابُ
فلا تذهب بحلمك طامثاً ^(١)	من الخيلاء ليس لهن بابُ

(٦) يوم النُتَاء*

خرجت بنو عامر تريد غطفان، لتدرك بثأرها يوم الرِّقْم، فَأَغَارُوا عَلَى نَعْمِ بَنِي عَبْسِ وَذُبْيَانَ وَأَشْجَعَ فَأَخَذُوها ، وَعَادُوا مُتَوَجِّهِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَضَلُّوا الطَّرِيقَ وَسَلَكُوا وَادِي النُّتَاءَ ، فَأَمَعُوا فِيهِ وَلَا طَرِيقَ لَهُمْ وَلَا مَطْلَعَ ، حَتَّى قَارَبُوا آخِرَهُ ، وَكَادَ الْجَبَلَانِ يَلْتَقِيَانِ ؛ وَإِذَا هُم بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْسٍ تَخْطِيطُ^(١) الشَّجَرِ لَهُمْ فِي قُلَّةِ الْجَبَلِ ، فَسَأَلُوها عَنِ الْمَطْلَعِ ، فَقَالَتْ : أَلْفَوَارِسُ الْمَطْلَعِ - وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ الْخَيْلَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَهِيَ عَلَى الْجَبَلِ ، وَلَمْ يَرَهَا بَنُو عامر ؛ لِأَنَّهُمْ فِي الْوَادِي ، فَأَرْسَلُوا رَجُلًا إِلَى قُلَّةِ الْجَبَلِ يَنْظُرُ لَهُمْ ، فَقَالَ : أَرَى قَوْمًا كَأَنَّهُمُ الصَّبْيَانُ عَلَى مَتُونِ الْخَيْلِ ، أَسِنَّةُ رِمَاحِهِمْ عِنْدَ آذَانِ خَيْلِهِمْ ، قَالُوا : تِلْكَ فِرَازَةٌ . قَالَ : وَأَرَى قَوْمًا يَبِضُّ جِمَادًا^(٢) كَانَ عَلَيْهِمْ ثِيَابًا مُمَرَّمًا ، قَالُوا : تِلْكَ أَشْجَعٌ . قَالَ : وَأَرَى قَوْمًا نَسُورًا قَدْ عُلُّوا خِيُولَهُمْ آخِذِينَ بِعَوَامِلِ^(٣) رِمَاحِهِمْ يَجْرُؤُنَهَا . قَالُوا : تِلْكَ عَبْسٌ^(٤) ، أَنَا كَمِ الْمَوْتِ الزَّوَامِ^(٥) .

* لغطفان على عاصر ، والنُتَاءُ خِيَلَاتُ لَبْنِ عِطَارِدَ ، وَهُوَ النَّتَاءُ كَهْمَزَةٍ فِي الْقَامُوسِ ، وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ هُوَ يَوْمُ النَّبَاةِ ، وَفِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ وَالْأَغَانِي النَّتَاءَةُ .

المقد الفريد ص ٣١٩ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٥ ج ١ ، الأغاني ص ٣١٣ ج ١٠

- (١) خبط الشجرة : ضربها بالعصا ليسقط ورقها (٢) الجعد : الخفيف من الرجال ، وقيل المجتبع الشديد وجمعه جعاد (٣) عامل الريح وعاملته : صدره دون السنان وجمعه عوامل (٤) فِرَازَةٌ وأشجع وعبس : بطون في غطفان (٥) موت زوَام : عاجل ، وقيل سريع مجهز وقيل : كربة وهو أصح .

ولحقهم الطلب بالوادي، فاقتتلوا قتالا شديداً، وكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد^(١)، فقات القوم .

وقتل كثير من بني عامر وكانت الهزيمة عليهم ، وقتل من أشرافهم البراء بن عامر بن مالك ، ونهشل وأنس وهزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر ، وعبد الله ابن الطفيل .

وفي تلك الموقعة قال حراشة بن عمرو العبسي :

وساروا على أطنابهم^(٢) وتواعدوا مياهاً تحامتها تميم وعامر
قدفتم في اليم ثم خذلهم فلا وألت^(٣) نفس عليك تحاذر

(١) الورد : اسم فرس عامر (٢) الأطناب : الطرائق (٣) وألت : نجت .

(٧) يوم حَوْزَةِ الأوَّل*

وَإِىْ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ السَّلَمِيِّ عُكَّازٌ فِي مَوْسَمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ،
فَيَبْنَاهُ وَيَعِشِي بِسُوقِ عُكَّازٍ إِذْ لَقِيَ أَسْمَاءَ الرِّبَّةِ ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً ؛ فَدَعَاَهَا لِنَفْسِهِ
فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي عِنْدَ سَيِّدِ الْعَرَبِ هَاشِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ ^(١) ؛ فَأَحْفَظْتُهُ ،
فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَا فَأَرَعَنَّهُ عَنْكَ ! قَالَتْ : شَأْنُكَ وَشَأْنُهُ .

وَرَجَعْتُ إِلَى هَاشِمٍ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ مَعَاوِيَةُ وَمَا قَالَتْ لَهُ ؛ فَقَالَ هَاشِمٌ : فَلَعْمَرِي
لَا نَزِيمَ أَيْتَانَا حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ جَهْدِهِ .

ثُمَّ التَّقْيَا ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ بِظِعْمَانٍ يَنْدُبُنَاكَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ
هَاشِمٌ بِمَا أَحْفَظُهُ .

فَلَمَّا انْصَرَمَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَتَرَجَعَ النَّاسُ عَنْ عُكَّازٍ ، خَرَجَ مَعَاوِيَةُ غَازِيًا فِي
فِرْسَانِ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، يُرِيدُ هَاشِمَ بْنَ حَرْمَلَةَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي مَرْوَةَ وَفِرَازَةَ ^(٢) ،
فَنَهَاهُ أَخُوهُ صَخْرٌ وَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي بِكَ إِنْ غَزَوْتَهُمْ عَلِقَ بِكَ حَسَكُ الْعُرْفُطِ ^(٣) . فَأَبَى
مَعَاوِيَةُ وَسَارَ بِقَوْمِهِ .

فَلَمَّا كَانَ مَعَاوِيَةُ بِمَكَانٍ يُدْعَى الْحَوْزَةَ ^(٤) دَوَّمت ^(٥) عَلَيْهِ طَيْرٌ ، وَسَنَحَ ^(٦) لَهُ

* سَلِمَ عَلَى ذِيانٍ ، وَحَوْزَةَ : وَادٌ بِالْحِجَازِ .

الْأَغَانِي ص ٣٢٩ ج ٢ وَص ٢٨ ج ١٠ وَص ١٣٤ ج ١٣ ، الْمَقْدُ الْفَرِيدُ ص ٣٢٠ ج ٣ ،
التَّبْرِيزِيُّ عَلَى الْحَمَاسَةِ ص ١١٠ ج ٣ ، الْحَمَاسَةُ ص ٤٥٥ ج ١

(١) هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ مِنْ بَنِي مَرْوَةَ (٢) فِرَازَةُ وَمَرْوَةُ : فِي ذِيانٍ (٣) الْعُرْفُطُ :
شَجَرُ الطَّلْحِ وَلَهُ صِنْفٌ كَرِيهٌ الرَّائِحَةِ (٤) قَالَ بَعْضُهُمْ : الْجَوْزَةُ ، وَالشَّكُّ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ
(٥) الدُّوْمَانُ : حُومَانُ الطَّائِرِ (٦) السَّانِحُ : مِنَ الصَّيْدِ مَا أَتَى مِنَ الْمِيَّاسِرِ إِلَى الْمِيَّامِنِ .

ظبيٌ وغرابٌ ؛ فتطيرُ منهما ، ورجع في أصحابه . وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال :
ما منعه من الإقدام إلا الجبن .

ولما كانت السنة المقبلة خرج لغزوهم ، نحتى إذا كان في ذلك المكان سَنَحَ له
ظبيٌ وغرابٌ ، فتطيرُ ورجع ، ومضى أصحابه ، وتخلَّف في تسعة عشر فارساً
منهم لا يريدون قتالاً ، وَوَرَدُوا ماءً ، وإذا عليه بيتٌ شَعْرٌ ؛ فصاحوا بأهله ،
فخرجت إليهم امرأةٌ فقالوا : يَمَنُ أَنْتِ ؟ فقالت : امرأةٌ من جهينة أحلاف بني
مرة^(١) ، ثم وردوا الماء يسقون ، فانسلت المرأة ، وأنت هاشم بن حرملة فأخبرته
بمخبر هؤلاء ، وأنهم غيرُ بعيدٍ ، وعرفته عندتهم ، وقالت : لا أرى إلا معاوية بن عمرو
في القوم .

فقال : بالكأع^(٢) ؛ أمعاوية في تسعة عشر رجلاً ! شَبَّهَتْ وَأَبْطَلَتْ^(٣) .
قالت : بلى ، قلتُ الحق ، وإِن شئت لأصقنهم لك رجلاً رجلاً ، قال :
هاتى

قالت : رأيتُ فيهم شاباً عظيمَ الجَمَّةِ^(٤) ، جَهَّتْهُ قد خرجت من تحت
مِنْفَرَةٍ^(٥) ، صبيحَ الوجه ، عظيمَ البطن ، على فرسٍ غَرَاءَ^(٦) . قال : نعم ، هذه
صفةُ معاوية بن عمرو وفرسه السماء .

قالت : ورأيت رجلاً شديدَ الأَدَمَةِ^(٧) ، شاعراً يُنْشِدُهُم ، قال : ذلك خُفَافٌ^(٨)
ابن عمير .

(١) قوم هاشم (٢) الكأع : الحقاء (٣) يريد : اختلط عليك الأمر وأتيت
بالباطل (٤) الجمّة : مجتمع شعر الرأس (٥) المنفر : زرد من الدرع ، يلبس تحت
القلنسوة (٦) غراء : بيضاء (٧) الأدمة في الإنسان : السواد (٨) هو خفاف
ابن عمير بن عمرو بن الحارث بن عمر بن الفريد السلمي ، المعروف بابن ندبة ، وهي أمه ، وكانت
سوداء حبشية .

قالت : ورأيت رجلا ليس يَبْرَحَ وسطهم ؛ إذا نادَوْهُ رفعوا أصواتهم ، قال :
ذاك عباس الأصم .

قالت : ورأيت رجلا طويلا يُكَنِّوْهُ أبا حبيب ، ورأيتهم أشدَّ شئاً له توقيراً ،
قال : ذاك نُمَيْشَةُ بن حبيب .

قالت : ورأيت شاباً جميلاً له وَفْرَةٌ ^(١) حَسَنَةٌ ، قال : ذاك العباس بن مرداس
السلمي .

قالت : ورأيت شيخاً له ضفيرتان ، سمعته يقول لمعاوية : بأبي أنت ! أَطَلَّ
الوقوف ، قال : ذاك عبد العزى زوجُ الخنساء أخت معاوية وصخر .

فنادى هاشم في قومه ، وخرج في مثل عدته من بني مرة ، ولم يشعر المسلميون
حتى ظلموا عليهم ، فقال لهم خُفَّاف بن عمير : لا تُنازِلوهم رجلاً رجلاً ، فإنَّ خيلهم
تَثْبُتُ للطَّراد ، وتحمل ثقل السلاح ، وخيلكم قد أَنَهَكَها الغزو وأصابها الخفا ^(٢) .

واقتتلوا ساعة ، ولما رأى هاشمُ بن حرمة معاويةَ قال لأخيه دريد بن حرمة - وكان
هاشم ناصحاً من مَرَضِ أصابه : يا دريد ؛ إن هذا إن رآني لم آمن أن يشدَّ عليَّ ،
وأنا حديث عهد بشيكة ^(٣) ، فاستطردَّ له دوني حتى تجملَه بيني وبينك ، ففعل ،
وحمل عليه معاوية ، وأردفه ^(٤) هاشم ، فاختلفا طعنتين ، وأردى ^(٥) معاويةُ هاشماً
عن فرسه السماء ، وأنفذ هاشم سنانَه من معاوية . ثم جاء دريد بن حرمة فأجهز
على معاوية وقتله ^(٦) .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس (٢) الخفا : رقة القدم والخف والحافر

(٣) الشيكة : الوقوع في الشوك ، وقد شيك الرجل أيضاً : أصابه الشوك ؛ وهي حمرة تظهر
في الوجه وغيره من الجسد ، وقال في السلن : هي داء كالطاعون (٤) أردفه : تبعه

(٥) أرادَه : أسقطه (٦) قال في الأغاني ص ٢٨ ج ٢ تحالف دريد بن الصبة ومعاوية بن
عمر ووثاقا إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده ، وإن قتل أن يطلب بثأره ، فلما قتل معاوية
قال دريد قصيدة يرثيه منها :

وشدّ خفاف بن عمير على مالك بن حمار الفزاري ، فقتله (١) .

ثم إن السماء فرس هاشم دخلت في جيش بني سليم ؛ فأخذوها وظنوها فرس مالك بن حمار الفزاري الذي قتله خفاف بن عمير ؛ ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخي معاوية ، فقالوا : أنعم صباحاً أبا حسان ! فقال : حيتم بذلك ، ما صنع معاوية ؟ قالوا : قُتِل . قال : فما هذه الفرس ؟ قالوا : قَتَلْنَا صاحبها ، فقال : إذا كنتم أدركتم ثأراً كم ، فهذه فرس هاشم بن حرملة !

فإن الرزم يوم وقت أَدْعُو
ولو أسمعته لأناك يسعي
فلم أسمع معاوية بن عمرو
بشكة حازم لا غمز فيه
حنث السعي أو لأناك يجري
الشكة : السلاح . لبس جلد الثمر : تنكر له
إذا لبس الكماة جلود نمر

عرفت مكانه فغطفت زوراً
الزور : اسم جبل

على لرم وأحجار ثقال
الإرم : حجارة تنصب علماً في المفازة

وبينان القبور آني عليها
(١) قال خفاف في قتل مالك بن حمار :

أقول له والرمح يَأْطُرُ مَتْنَهُ
وقفت له علوى وقد خام صحتي
تأمل خفافاً لأنني أنا ذلكا
لأنني مجداً أو لأنأنا هالكا
لأن ذر قرن الشمس حين رأيتهم
سراعاً على خيل تؤم السالكا
فلمأ رأيت القوم لا ود بينهم
شريحين شتى طالباً ومواشكا
شريحين : صنفين

وجانبت شبان الرجال الصعالكا
تيممت كبش القوم حين عرفته
كست متنه من أسود اللون حالكا
فجادت له يعني يدي بطعنة
به أدرك الأبطال قدما كذلكا
أنا الفارس الحامى الحقيقة والذي
كسته نجيماً من دم الجوف صائكا
فان ينبج منها هاشم فبطعنة
صائكا : لاصقا

ولما دخل رجب ركب صخر بن عمرو السماء صبيحة يوم حرام، حتى أتى بني مرة؛ فلما رأوه قال لهم هاشم : هذا صخر فحيوه وقولوا له خيراً - وهاشم مريض من الطعنة التي طعنه معاوية ، فقال : مَنْ قتل أخى ؟ فسكتوا ، فقال هاشم : هلمَّ أبا حسان^(١) إلى مَنْ يَخْبِرُكَ ، فقال : مَنْ قتل أخى ؟ فقال هاشم : إذا أُصِبتَني أو دُرِيداً فقد أُصِبتَ ثأرك ، قال : فهل كَفَنْتُمُوهُ ، قال : نعم في بُرْدَيْنِ أحدهما بخمس وعشرين بكرة ، قال : فأروني قَبْرَهُ فأروه إياه . فلما رأى القبر جَزِعَ عنده ، ثم قال : كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جَزَعِي ، فوالله ما بُتْ منذ عقلت إلا وائرأ أو موتوراً ، طالياً أو مطلوباً حتى قتل معاوية ، فما دُفِنَ النوم بعده^(٢) .



وقال صخر بن عمرو أخو معاوية يرثيه :

وعاذلة هَبْتُ بليلاً تلومني ألا تلوميني كفى اللوم مايا
وقالوا: ألا تهجو فوارس من هاشم ومالي وإهداء الخنا ثم ماليا^(٣)
أبي الهجو أنى قد أصابوا كريمي وأن ليس إهداء الخنا من شماليا^(٤)
إذا ما لهرؤ أهدى ليث تحية فحيّاك رب الناس عني معاويا

(١) أبو حسان : كنية صخر (٢) لما رجع صخر إلى قومه قالوا له : اهجمهم ، فقال :

لن ما بيننا أجل من القذع ، على أننى أ كف نفسى عن هجائهم رغبة عن الخنا

(٣) الخنا : الفحش ، وهذه رواية الحماسة ، ورواية الأغاني لليث :

يقول ألا تهجو فوارس هاشم ومالي إذن أهجوم ثم ماليا

(٤) يريد بكريمي : حرمتي ، والقبائل : الخصلة ، وفي رواية « من سماتيا » .

لِنِعْمِ الْفَتَى أَدَى ابْنُ صِرْمَةَ بَزَّهْ إِذَا رَاحَ فَحُلُّ الشُّوْلِ أَحْدَبَ عَارِيَا^(١)
 إِذَا ذُكِرَ الْإِخْوَانُ رَفَرَتْ عِبْرَةٌ وَحَيَّتْ رَمْسًا عِنْدَ لِيَّةَ ثَاوِيَا^(٢)
 وَطَيْبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَجَلِّ عَلَيْهِ عَمَالِيَا
 وَذَى إِخْوَةٍ قَطَّمْتُ أَقْرَانَ بَيْنَهُمْ كَمَا تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَالِيَا^(٣)

(١) ابن صرمة: هو هاشم بن حرمة قاتل معاوية ، والبز: السلاح ، والشول: النوق التي خف
 لبها وارفع ضرعها ، وأحدب عار: هزبل ، وقوله: « إذا راح ظرف » لما دل عليه لنعم الفتى
 (٢) لية: اسم موضع ، والثاوي: اللقيم (٣) أقران بينهم: وصل بينهم ، وأصل الأقران
 الحبال . قال في الأغاني: قال هذا البيت بعد أن أوقع بيني مرة قاتلي أخاه .

(٨) يوم حَوْزَةِ الثاني*

تذكر صخر^(١) بن عمرو الشريد السلمي مَقْتَل أخيه معاوية، وهاجت به الله كرى؛ فخرج لِقِتال بنى مُرَّة، وركب السَّماء وكانت غُرَّاء مُحَجَّلَة، فسودَّ غُرَّتُها وتحجَّلها - فرأته بنتُ لهاشم بن حرملة، فذهبت إلى عمِّها دريد بن حرملة وقالت: أين السَّماء^(٢)؟ قال: هي في بنى سليم، قالت: ما أشبهها بهذه الفرس! فاستوى جالساً، ولما رآها قال: هذه فرس بهيم^(٣)، والسَّماء غُرَّاء مُحَجَّلَة؛ وعاد فاضطجع ولم يشهر حتى طعمته صخر.

فثارَ وتناذروا، وولى صخر، وطلبتَه غطفان عامَّة يومها، ووقف دونه شجرة ابن عبد العزى، فردَّ الخيلَ عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه.

ثم إن هاشم بن حرملة خرج يوماً مُنتَجِماً، فلقى عُمرو بن قيس الجشمى،

* لسليم على بنى مرة (من ذبيان)

الأغانى ص ١٤٠ ج ١٣، المقد الفريد ص ٣٤٠ ج ٣، لسان العرب مادة (غريل - نام)، الكامل للبرد ص ٢٨١ ج ٢

(١) هو أحد بنى سليم، وكان شاعراً حليماً جواداً، محبوباً في عشيرته، شريفاً في قومه، وكان أبوه يأخذه بيده ويد أخيه معاوية ويقول: أنا أبو خيرى مضر، فتعترف العرب له بذلك، وكان أماً الحسناء لأبيها، قاسمها ماله مرات كثيرة، وكان يعطيها في كل مرة خير النصفين، ولما لامته زوجه في ذلك قال:

والله لا أمنحها شرارها ولو هلكت قددت خمارها

واتخذت من نهر صدارها

فلما قتل لبست عليه الصدار، وقالت فيه خير المرائى (٢) السماء: فرس هاشم بن حرملة

(٣) البهيم: الأسود، ومالاشية فيه من الخيل للذكر والأنثى.

ثم تبعه وقال : هذا قاتلُ مُعاوية ، لا وألتَ نفسي إنْ وآلٌ ^(١) ، ولما نَزَلَ كُنْ له بين
الشجر ، حتى إذا دنا منه أرسل عليه مِعْبَلَةٌ ^(٢) ، ففلقَ قِحفه ^(٣) فأت ^(٤) ، وقال
في ذلك :

إني قتلْتُ هاشمَ بنَ حَرْمَلَةَ إذا الملوكُ حَوَّلَهُ مُعْرِبَلَهُ ^(٥)
يَقْتُلُ ذا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

ولما بلغ الخنساء قَتْلُ هاشم قالت :

فِدَاً للفراسِ الجشْمى نفسى وأفديه بمن لى مِنْ حميم
أفديه بكلِّ بنى سليم بظاعنهم وبالأَنْسِ ^(٦) المقيم
كما مِنْ هاشم أَقْرَرْتُ عيني وكانت لا تَنَامُ ولا تُنِيمُ ^(٧)

(١) وآل : نجا (٢) النصل : العريض الطويل (٣) القحف : ما انقلب من الجمجمة
ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء (٤) قال الأصمعي : مررت بأعرابي وهو
يخضد شجرة ويرتجز ويقول :

لو كنت إنساناً لكنت حاتماً أو الفلام الجشْمى هاشماً
قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أولاً تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هو الذى يقول :
وعاذلة هبت بلبيل تلومنى كاذبى إذا أنفقت مالى أضيماً
دعبنى فإن الجود لن يتلف الفتى ولن يخلد النفس اللثيمة لومها
وتذكر أخلاق الفتى وعظامه مفرقة فى القبر باد رميها
سلى كل قيس هل أبانى خيارها ويعرض عني وغدها ولثيمها
وتذكر قيس متى وتكرى إذا ذمنى فتيانها وكريمها

قلت : لا أعرفه ، قال : لا عرفت ! هو الذى يقول فيه الشاعر :

أحبنا أباه هاشم بن حرملة يقتل الذنب ومن لا ذنب له
ترى الملوك حوله مغربله

(٥) المغربل : القتل المتفجع (٦) الأنس : الحى المقيمون (٧) قال فى اللسان :
يقال : أصاب الثأر النميم ، أى الذى فيه وفاء طلبته ، وفلان لا ينام ولا ينيم ، أى لا يدع أحداً
ينام ، وأنشد البيت (مادة — نام) .

فَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ تَرْثِيهِ :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرَى الْجَمِيلَ
أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى الْفَتَى السَّيِّدَا طَوِيلَ النَّجَادِ رَفِيعِ الْعِمَا
إِذَا الْقَوْمُ مَدَّوْا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَجْدِ مَدَّ إِلَيْهِ يَدَا
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ مَضَى مُصْعِدَا
يَكْفُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلَا
تَرَى الْحَمْدَ يَهْوَى إِلَى يَتِيهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا

وَمِنْ جَيِّدِ قَوْلِهَا :

أَبْعَدَ ابْنُ عَمْرٍو مِنَ الْإِلَهِ مَرِيدَ حَلَّتْ^(١) بِهِ الْأَرْضُ أَتَقَالِهَا
لَعَمْرُ أَبِيهِ لَنِعْمَ الْفَتَى إِذَا النَّفْسُ أَعْجَبَهَا مَا لَهَا
فَإِنَّ تَكُ مَرَّةً أَوْدَتْ بِهِ فَقَدْ كَانَ يُكَبِّرُ تَقَاتِلَهَا
فَخَرَّ الشَّوَامِخُ^(٢) مِنْ فَقْدِهِ وَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
تَهَمَّتْ بِنَفْسِي كُلَّ الْهَمُومِ فَأَوَّلَى لِنَفْسِي أَوَّلَى لَهَا
لَأَحْمِلَ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ^(٣) فَأَمَّا عَلَيْهَا وَإِنَّمَا لَهَا

وَقَالَتِ ثَرْثَى مَعَاوِيَةَ :

أَرِيقُ مِنْ دُمُوعِكَ وَاسْتَفِيقُ^(٤) وَصَبْرٌ إِنْ أَطَقْتَ وَلَنْ تُطِيقَ

(١) حلت : من الحلى ، تقول : زينت به الأرض الموتى (٢) الشوامخ : الجبال
(٣) على حالة ، وعلى خطة وهى الفيصل ، فأما ظفرت وإما هلكت (٤) فى الكامل :
معنى هذا : أن السمعة تذهب اللوعة .

وقولى : إِنْ خَيْرَ بَنِى سُلَيْمٍ وفارسها بصحراء البقيع
 أَلَا هَلْ تَرْجِعَنَّ لَنَا إِلَيْكَ وأيامنا بنا بِلَوَى الشَّقِيقِ
 وَإِذْ نَحْنُ الْفَوَارِسُ كُلُّ يَوْمٍ إِذَا حَضَرُوا وَفَتَيَانُ الْحَقِيقِ
 وَإِذْ فِينَا مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو عَلَى أَدْمَاءٍ كَالْجَلْرِ الْفَنِيقِ
 فَبَكَّيْنَاهُ فَقَدْ أَوْدَى حِمْدًا أَمِينَ الرَّأْيِ مُحَمَّدَ الصَّدِيقِ
 فَلَا وَاللَّهِ لَا تَسْلَاكَ نَفْسِي لِفَاحِشَةٍ أُتَيْتَ وَلَا عُقُوقِ^(١)
 وَلَكِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرًا مِنَ النَّعْلَيْنِ وَالرَّأْسِ الْحَلِيقِ^(٢)

(١) أى لا أجد فيك ما تسلو نفسي عنك له
 (٢) قال في الكامل : تأويل النعلين أن
 المرأة كانت إذا أصيبت بحميم جعلت في يديها نعلين تصفق بهما وجهها وصدرها .

(٩) يَوْمُ اللَّوَى*

غزا عبد الله بن الصَّمة^(١) - ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية بن بكر ابن هوازن - غطفان ، فظفر بهم ، وساق أموالهم في يوم يقال له : يوم اللوى ، ومضى بها .

ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له أخوه دُرَيْد : النجاء يا أبا فُرْعان^(٢) ! نَشَدْتُكَ الله ألا تنزل ، فإن غطفان ليست بغافلة عن أموالها وقد ظفرت ؛ فأقسم لا يريم حتى يأخذ مِرْبَاعَهُ^(٣) ، وينقع نَقِيعَتَهُ^(٤) ، فيأكل ويطعم ، ويقسم البقية بين أصحابه .

وبيناهم على ذلك ، وقد سطعت الدِّوَاخُنُ^(٥) ، إذا بُغِبَارٌ قد ارتفع أشد من دخانهم ، وإذا عبس وفزارة وأشجع^(٦) قد أقبلت ، فقالوا لِرَبِيعَتِهِمْ^(٧) : انظر ماذا ترى ؟

* لغطفان على هوازن ، واللوى : واد من أودية بني سليم

الأغانى ص ٦ ج ١٠ ، العقد الفريد ص ٣٢٣ ج ١ ، شرح التبريزى على ديوان الحماسة ص ٣٠٥ ج ٢ ، جهرة أشعار العرب ص ٢٢٦

(١) سبي الصمة ربحانة بنت معديكرب فأولدها بنيه الأربعة : عبد الله وقد قتلته غطفان ، وعبد يثوث وقد قتلته بنو مرة ، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب ، وفي ربحانة يقول أخوها عمرو بن معديكرب حين سبيت :

أمن ربحانة الداعى السبيع يؤرقنى وأصحابى هجوع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوره إلى ما تستطيع

(٢) كان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى ، فاسمه عبد الله وخالد ومعبد ، وكنيته أبو فُرْعان وأبو دقانة وأبو وفاء (٣) المرباع : ربع الغنمة ، وهو حظ الرئيس فى الجاهلية

(٤) النقيعة : ناقة ينحرها الرئيس من وسط الإبل ، ويضع منها طعاماً لأصحابه

(٥) جمع دخان (٦) عبس وفزارة وأشجع : من غطفان (٧) الربيعة : الطليعة .

فقال : أرى قوماً جَعَاداً^(١) كَأَنَّ سَراييلَهم قد غُمست في الجَادَى^(٢) ، قال : تلك أشجع ، ليست بشيء ! ثم نظر فقال : أرى قوماً كَأَنَّهُم الصَّيَّان ، أَسَنَّتْهُم عند آذَان خيلهم . قال : تلك فِزَارَةٌ . ثم نظر فقال : أرى قوماً أَدْمَاناً^(٣) ، كَأَنَّمَا يَحْمِلُونَ الجَبَل بِسَوَادِهِمْ ، يَخْدُونُ^(٤) الأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ خَدًّا ؛ وَهَمَّ يَجْرُونَ رِمَاحَهُمْ جَرًّا ، قال : تلك عبس والموت معهم !

ثم تلاحقوا بِالْمَنْعَرَج من رُمَيْلَةِ اللُّؤَى ، فاقتتلوا ، فقتل رجلٌ من بني عبس عَبْدَ اللَّهِ بن الصَّمَّة ، فَنَادَوْا : قَتَلَ أَبُو ذُقَافَةَ ! فمطف دريد أخوه فذَبَّ عنه ؛ فلم يُغْنِ شَيْئاً ، وجرح دريد وسقط ، فكفُّوا عنه وهم يرون أَنَّهُ قَتَلَ واستنقذوا المَال ، ونجا مَنْ هَرَب .

فَرَزَهْدَمَ العَبْسِي وَكَرَدَمَ الفَزَارِي بدريد وهو مرثى^(٥) في القتلى ؛ قال دريد : فسمعت زهدماً العَبْسِي يقول لكَردم الفَزَارِي : إِنِّي لَأَحْسِبُ دريداً حَيًّا ، فأنزل فَأَجِيزَ عَلَيْهِ ، قال : قد مات ، قال : انظر إِلَى سُبَّتِهِ^(٦) هل تَرْمِزُ^(٧) ؟

قال دريد : فَسَدَدْتُ مِنْ حِمَاوَاهَا^(٨) ، فنظر فقال : هِيَهَات ! قد مات ! ثم مَالَ بِالزُّج^(٩) فِي الشَّرَجِ فطعن فيه ؛ فسال دم كان قد احتقن في جوفه ، فعرفت الخُفَّةَ حينئذ ، وأمهلت حتى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَشَيْتُ وَأَنَا ضَعِيفٌ قد زَرَفَنِي^(١٠) الدَّم ، حتى مَا أَكَادُ أَبْصِرُ ، وما شعرتُ إِلَّا وَأَنَا بَيْنَ عُرْقُوبِي بَعِيرٍ ظَمِينَةٍ^(١١) ، فنفر البعيرُ ؛ فنادت :

(١) جعاد : جمع جعد ، وهو الرجل المجتعب بعضه إلى بعض ، أو الشديد
الزعران ، منسوب إلى قرية بالشام تنبت الزعران ، اسمها جادية (٢) الجادى : جمع آدم ،
والآدم من الناس : الأسمر (٣) أدمانا : جمع آدم ، (٤) يخذون : يشقون (٥) المرثى : من حل من المعركة
ويه رمق (٦) السبة : الاست (٧) ترمز : تضرب (٨) الحمار : الشرج
(٩) الزج : الحديدة في أسفل الرمح (١٠) يقال : ترف الدم فلاناً ، فهو منزوف ونزيف
أبى سال منه دم كثير (١١) الظمينة : المرأة ما دامت في الهودج .

نمودُ بالله منك مَنْ أَنْتَ؟ قلت : لا ، بل من أَنْتِ؟ ويلك ! فقالت : امرأة من هوازن .
قلت : وأنا من هوازن ، وأنا دريد بن الصمة ؛ فأعلت الحى بمكانى ؛ ففسل عنى الدم
وزودتُ زاداً وسقاءً ونجوت .



وفى موت عبد الله بن الصمة قال دريد أخوه يرثيه :

أَرَثْتُ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ^(١) بعاقبة وأخلفتُ كُلَّ مَوْعِدٍ
وَبَاتَتْ وَلَمْ أَحْمَدْ إِلَيْكَ جَوَارَهَا ولم تَرَجُ مِنْ رَدَّةِ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
أَعَاذَتْنِي كُلَّ أَمْرِي وَإِنْ أُمُّهُ متاعُ كِرَادِ الرَّاحِبِ التَزَوُّدِ
أَعَاذَلِ إِنْ الرِّزْقُ أُمْسَالُ خَالِدٍ ولا رزء مما أهلك المرء عن يَدِ^(٢)
نَصَحْتُ لِمَارِضٍ^(٣) وَأَصْحَابِ عَارِضٍ ورهط بني السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمِ شُهْدِي
فَقُلْتُ لَهُمْ : طُنُّوا بِالْفَيْ مَدَجَجٍ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ^(٤)
أُمْرَتُهُمْ أَمْرِي^(٥) بِمَنْعَرَجِ اللَّوِي فلم يستبينوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْنِي غَيْرُ مُهْتَدٍ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ^(٦) إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أُرْشَدُ
دَعَانِي أَخِي وَالْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فلما دعانى لم يجِدْنِي بِقُعْدَدٍ^(٧)

(١) قال في الأغاني : كانت أم معبد امرأته فطلقها ، لأنها رأتة شديد الجزع على أخيه فعانتبه على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته فقال هذه القصيدة (٢) خالد من أسباء عبد الله
(٣) عارض : من أسباء عبد الله أيضاً ، ورهط بني السوءاء أصحاب عبد الله (٤) ظنوا :
أيقنوا ، أو ماظنكم بأننى مدجج ، والمدجج : التام السلاح ، وسراتهم : خباياهم ، والفارسي المسرد :
الدروع (٥) أمرى أى مأمورى (٦) غزية : قبيلة من هوازن ، وهى رهط الشاعر
(٧) القعد : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

تنادوا فقالوا : أُرِدَّتِ الخيل فارساً
فإن يكُ عبدُ الله خلى مكانه
ولا يَرمَا إذا الرياح تناوحت
برطبِ العِصاهِ والهشيمِ المضدِّ (٣)
كيشُ الإزارِ خارجُ نصفِ ساقه
بميد من الآفاتِ طلاعُ أنجد (٤)
قليل التشكى للمصيباتِ حافظُ
من اليومِ أعقابَ الأحاديثِ في غد (٥)
تراه خَميصَ البطنِ والزادُ حاضرُ
عَتِيدُ ، ويغدو في القميصِ المقدد (٦)
وإن مسّه الإقواءُ والجهدُ زادهُ
سباحاً وإتلافاً لما كان في اليدِ
صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسه (٧)
وطيبَ نفسى أننى لم أقلْ له
كذبتَ ولم أبخل بما مَلَكَتْ يدي
نظرتُ إليه والرِّماحُ تنوشه
كوقع الصياصى فى النسيجِ المُمدد (٨)

(١) أى : أعبد الله ذلكم الهالك ؟ ولما دعاه إلى هذا القول أمران : سوء ظن الشقيق ،
والثانى علمه إقدامه فى الحرب (٢) خلى مكانه : مضى لسيّله ، والوفاء : الهياة ،
والطائش : الذى لا يصيب (٣) البرم : الضجر ، وتناوحت الرياح : هبت صبا مرة ، وشمالاً
مرة ، وذلك آية الجذب ؛ والعزاء : كل شجر يعظم وله شوك . والهشيم : النبت اليابس المتكسر ،
والمضد : المقطع (٤) كيش الإزار : مثل فى الجد والتشمير ، والكيش : الحقيف السريع
الحركة ، وبميد من الآفات : يريد أنه لا داء به ، وهو سليم الأعضاء (٥) المعنى : أنه
لا يتألم للنوابت تنزل بساحته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس فى غده
(٦) يصفه بقلة الطعام ، والزهد فى اللباس ، مع اتساع الحال ، لأنه يؤثر غيره على نفسه ، والعَتِيد
المد ، والمقدد : المقطع (٧) « صبا » الأول من الصبي وهو صغر السن ؛ وصبا الثانى من الصباء
بمعنى الفتاة ، المعنى : تماطى للهوى صغيراً ، فلما اكتمل وظهر الشيب فى رأسه ، نحى الباطل عن نفسه
(٨) تنوشه : تتناوله ، والصياصى : جمع صيصة ، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة .

وكنْتُ كذاتِ البو رِيعتُ فأقبلتُ : إلى جلدٍ من مَسكِ سَقَبٍ مُقَدَّرٍ (١)
 فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتُ : وحتى علا في حالِك اللون أسودى (٢)
 فما رِمْتُ حتى خرَّقَتني رِماحُهم : وغُودرتُ أكيُّو في القنَّاء المتقصد (٣)
 قتالَ امرئٍ وامى أخاه بنفسه : وأيقن أن المرءَ غيرُ محلِّدٍ
 قليل التشكِّي للمصيباتِ حافظٌ : من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غدٍ
 وقال أيضاً :

تقول : ألا تبكي أخاك ! وقد أرى : مكان البُكا، لكن بنيتُ على الصبر
 فقلتُ أعبد الله أبكى أم الذي : له الحدث الأعلى قتيلَ أبي بكر (٤)
 وعبدُ ينفوثٍ تمجِّلُ الطيرُ حوله : وعزَّ المصابُ حثوَّ قبرٍ على قبرٍ (٥)
 أبي القتلِ إلا آلُ صِمةٍ إنهم : أبوا غيرَه والقَدَرُ يجري إلى القَدَر (٦)
 فإنا نرينا لا تزال دماؤنا : لدى واترٍ يشقى بها آخرَ الدهر (٧)
 فإنا لللحمِ السيفِ غيرَ نَكيرةٍ : ونلحمُه حيناً وليس بنى نُكر (٨)

(١) ذات البو : ناقة يذبح ولدها أو يموت ، فيحشى لها جلده فترأمه ، أى كنت من الوله عليه مثل ذلك. والجلد ما جلد من السلوخ، وألبس غيره، لتشبه أم السلوخ فتدر عليه ، والسك : الجلد ، والسب : ولد الناقة (٢) أسودى : كما يقال في الأحمر أحمى ثم خفت ياء النسب بحذف إحداها (٣) المتقصد : المتكسر (٤) قتل أبي بكر بن كلاب هو أخوه قيس، أرجع إلى الأغاني صفحة ١٤ فية تفصيل لسبب قتله (٥) عبد ينفوث : أخوه أيضاً ، وقد قتلته بنو مرة ، وحثو بدل من المصاب ، ومفعول عز محذوف ، كأنه قال : وعز الشاعر المصيبة ، حثو قبر على قبر ، أى حصول الواحد بعد الواحد (٦) يريد : أنهم قدروا للقتل (٧) يقول : إنا أبدأ تكون دماؤنا عند من قتلنا له قتيلا يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلبه من دمائنا (٨) لحمه : أطمعه اللحم ، يقول : إنا نخطر بأنفسنا فنقتل ونقتل ، وليس ذلك فينا ومنا بمنكر .

يُمَارُ عَلَيْنَا وَاتَرِين فَيُشْتَقَى بِنَا إِنْ أَصْبَنَّا أَوْ نُفَيْرُ عَلَى وَتَرِ
قَسَمْنَا بِذَلِكَ الدَّهْرَ شَطْرَيْن بَيْنَنَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ



ثم أَغَارَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ بَعْدَ مَقْتَلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى غَطَفَانَ ، يَطَالِبُهُمْ بِدَمِهِ ؛
فَاسْتَقْرَاهُمْ ^(١) حَيًّا حَيًّا ، وَقَتَلَ مِنْ بَنِي عَبْسٍ سَاعِدَةَ بْنَ مُرَّةٍ ، وَأَمَرَ ذُؤَابَ بْنَ أَسْمَاءَ
ابْنَ زَيْدِ بْنِ قَارِبَ ، أَسْرَهُ مُرَّةَ بْنَ عَوْفِ الْجُشَمِيِّ . فَقَالَتْ بَنُو جُثَمٍ : لَوْ فَادَيْنَاهُ ^(٢) !
فَأَبَى ذَلِكَ دُرَيْدٌ عَلَيْهِمْ ، وَقَتَلَهُ بِأَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ . وَقَتَلَ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ رَجُلًا
يُقَالُ لَهُ حِزَامٌ وَإِخْوَةٌ لَهُ ، وَأَصَابَ جَمَاعَةً مِنْ بَنِي مُرَّةٍ وَمِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ
وَمِنْ أَحْيَاءِ غَطَفَانَ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ . وَفِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي مَنْ قُتِلَ فِيهِ مِنْهُمْ
يَقُولُ :

تَأَيَّدَ ^(٣) مِنْ أَهْلِهِ مَعَشَرٌ فَجَوْهُ سُوَيْقَةٍ فَلَا أَصْفَرُ
فِي جَزَعٍ ^(٤) الْحَلِيفِ إِلَى وَاسِطٍ فَذَلِكَ مَبْدَى وَدَاً بِجَحْضٍ
فَأَبْلَغَ سُلَيْمَى وَأَلْفَا فَهَا ^(٥) وَقَدْ يَمُطِفُ النَّسَبُ الْآكِبُ
بَانِي ثَارَتْ بِأَخْوَانِكُمْ وَكَنتُ كَأَنِّي بِهِمْ مُخْفَرٌ ^(٦)
صَبَحْنَا فِزَارَةَ سُمَرَ الْقَنَا فَهَلَّا فِزَارَةُ لَا تَضْجَرُوا
وَأَبْلَغَ لَدَيْكَ بَنِي مَارِزٍ فَكَيْفَ الْوَعِيدُ وَلَمْ تَقَرُّرُوا

(١) استقراهم : تتبعهم (٢) فاداه : أطلقه ، وقبل فديته (٣) تأيد : أقر ، وبمعشر
وجو سويقة والأصفر : أساء مواضع (٤) الجزع : منعطف إلى الوادي ، والحليف وواسط :
موضان (٥) ألفاها : قومها المجتمعون حولها ، مفردة لف (بالكسر) (٦) أخفره :
تفنى عهده .

فَإِنْ تَقْتُلُوا فِتْيَةً أَفْرَدُوا أَصَابَهُمُ الْحَيْنُ أَوْ تَنْظَفَرُوا
 فَإِنْ حَزَامًا لَدَى مَعْرَكٍ وَإِخْوَتَهُ حَوْلَهُمْ أُنْسِرُوا
 وَيَوْمَ يَزِيدُ • بَنِي نَاشِبٍ وَقَبْلُ يَزِيدُكُمْ الْأَكْبَرُ
 أَتَرْنَا صَرِيحَ بَنِي نَاشِبٍ وَرَهْطَ لَقِيْطٍ فَلَا تَفْخَرُوا
 تَجَرُّ الضَّبَّاعُ بِأَوْصَالِهِمْ (١) وَيَلْقَحْنَ مِنْهُمْ وَلَمْ يُقْبَرُوا

(٧) فِي نِهَايَةِ الْأَرْبِ : لَمَّا الضَّبْعُ إِذَا لَقِيتَ قِتِيلًا بِالْعَرَاءِ وَوَرَمَ وَانْفَجَحَ غَرْمُولُهُ تَأْتِيهِ فِتْرَتُهُ

ثُمَّ تَأْكُلُهُ .

(١٠) حديث ابن ضبّا *

قد كان من حديث الحرب التي وقعت بين أبي بكر بن كلاب، وبين بني جعفر (١) أن سعد بن ضبا الأسدي كان جاراً لعُتْبَةَ بن مالك بن جعفر، وكان يُرعى (٢) عليه - وبني جعفر يزعمون أنه كان أسيراً عند عُتْبَةَ بن جعفر - وكانت بنو أسد قد قتل من بني أبي بكر قتيلاً، فقالت بنو أبي بكر: علام تدعون ابن ضبا وأنتم تطلبون بني أسد بما تطلبونهم، فعمدوا إليه فقتلوه، وبني جعفر عنه غيَّب.

فلما بلغ ذلك بني جعفر غضبوا، وكان في بني جعفر رجل من بني أبي بكر يقال له مالك بن قحافة، فقال - وهو صهر بني جعفر - لا يسؤكم الله؛ إنما هذا رجل من بني أسد، وقد كنا نطلبهم بدم، وقد علمتم ذلك، فلا تسفكوا دماءنا ودماءكم فيه، فهذا ابني لكم بديتته، ولا تقتلوا قومكم. قالوا: نعم؛ فأخذوا ابنه فحبسوه بالديَّة.

فبينما هم كذلك إذ أقبل بعض بني جعفر فلقوا ربيعة الشر بن كعب بن عبد الله ابن أبي بكر، ومعه وطبان من لبن يريد بهما أهله، فقالوا: هل أنت ساقينا من هذا اللبن؟ قال: نعم، فنزل عن قعوده ليسقيهم، فأخذوه فشدّوه وثاقاً، وقد تروى من اللبن، ثم طردوا به فسلح، ثم شدّوه مع ابن مالك بن قحافة.

* لبني أبي بكر بن كلاب على بني جعفر بن كلاب (كلاهما من عامر) . وابن ضبا: رجل من بني أسد.

التقايس ص ٥٣٣ طبع أوربا.

(١) بنو جعفر بن كلاب، وبني أبي بكر بن كلاب: بطنان في بني عامر (٢) يقال: أزعيت عليه؛ أي بقيت عليه ورحته.

فلما رأى ذلك مالكُ قال لامرأته : احتملي . فاحتملت ، فلما سارت ركب فرسه ثم أقبل عليهم فقال : يا بني جعفر ؛ لا آتي قومي أبداً حتى أقتلَ بعضكم أو تقتلوني ، أو أرجع بأحد الأسيرين ، فمئذكم أسيرُ لبني وأسيرُ دم . فأعطوه ابنه ، وحبسوا ربيعة موثقاً أربع ليالٍ حتى أدّى بنو بكر عقلَ ابنِ ضبا ؛ فبعث بها بنو جعفر إلى بني أسد .

فلما أدوها قال عامر بن كعب أخو ربيعة الشر : أدوا إلى يابني جعفر إيسار أخي وما صنعتُم به حتى كان منه ما كان ، أو حكموني . فأبى ذلك بنو جعفر . فقال عوف ابن الأحوص : هذا ابني دأبُ بن عوف ، فليس بشرٍّ من أخيكُم فاصنعوا به ما صنعَ بصاحبكم !

فأبى ذلك بنو أبي بكر ، واجتمع القومُ بعضهم إلى بعض ، فلما لقت الحربُ بين بني جعفر وبني أبي بكر قتل رجل من بني جعفر - يقال له منيع - رجلاً من بني أبي بكر ؛ فأقبلت غني - وقد كانوا قتلوا ابناً لعروة بن جعفر قبيل ذلك - حتى نزلوا على مالك بن كعب بن عبيد بن أبي بكر ؛ فقال مالك : قد أصابت غني منكم دماً ، وأصبتُم منا دماً فبئروا أحدَ القتيلين بالآخر ؛ فقالت بنو جعفر : نحن نعطيكم الدم الذي أصبنا من ابنك ، وخلّ بيننا وبين ثأرنا من غني ؛ فإنّا لا نرضى منهم بدون دية الملوكة ، فأذنوا بحرب .

فسارت بنو جعفر إلى بني أبي بكر ، وسار معهم سائر بني كلاب ، حتى إذا تراءى الجمعان خذلت بنو جعفر .

فلما رأت بنو جعفر أنهم قد خذلوا ، وقد كان طُفيلُ الغنوى قال لبني أبي بكر : ادفعوني إلى بني جعفر ، فوالله لا يمتدّون علينا ولا يظلموننا حقّاً هو لنا عندم ،

فإن جعفرًا لا تُقَرَّ على هذا ، فأبوا ، وخرج بنو جعفر متوجهين إلى بني الحارث ابن كعب ليحالفوهم .

فنزّلوا فيهم وحالفوهم وأقاموا فيهم حولاً ، فقالت بنو الحارث بمضها لبعض : ما يمنع أن نزوج من بني جعفر عشرين امرأة ، ونزوجهم عشرين امرأة ، وتشترك الأرحام بيننا وبينهم ؟ فإنهم الأشراف والأكفاه ، ولا نبالي إذا فعلنا ذلك من أجل^(١) علينا من العرب ؛ فمشوا إلى عامر بن مالك ، فذكروا ذلك له ، فرضيت بنو جعفر ، وعامر ساكت لا يتكلم .

فلما انصرف القوم نادى عامر في بني جعفر : لا يَبْقَيْنَ أَحَدٌ له فرسٌ إلا ركبهُ ولا سلاحٌ إلا لبسه ، وأخذ رُمحه . ففعلوا ، ثم نادى أن احتملوا بأثقالكم ونساءكم ، ثم قال : سيروا حتى تقطعوا ثنية^(٢) القهر ، فإذا قطعتموها فأنزلوا ، ففعلوا ، ووقف عليهم عامر بن مالك ، حتى جازوا الثنية ، ثم أتاها ، فقال : هل أخذت لكم ديةً أو أبيتكم على خسفٍ قط ؟ قالوا : لا ، قال : والله لتطيعنني أو لا تكونن على سيفي حتى يخرج من ظهري .

ثم قال : أتندرون ما أراد القوم ؟ أرادوا أن يرتبطوكم فتكونوا فيهم أذناناً ، ويستعينوا بكم على العرب ، وأنتم سادة هوازن ورووسهم فسيروا .

فخرجوا سائرين ، وخرج عامر وطفيل وعبيدة ومعاوية — وهم بنو أم البنين — وشملى بن مالك ، وحنظلة وعامر ابنا طفيل ، ولييد بن ربيعة ، ونزلت بنو جعفر في ناحية أرض قشير ، ثم قصدوا إلى بني أبي بكر يريدون مالك بن كعب بن عبيد بن أبي بكر ، فوجدوه يبيع^(٣) رَكِيًّا فنزلوا حتى خرج منها .

(١) أجلب عليه : أعان عليه ، ويقال : أجلبوا عليه إذا تجمعوا وتألبوا . (٢) ثنية بالين

(٣) الميح : أن تدخل البئر فتملأ بالبلو لقلعة ماها . والركية : البئر .

فلما رأهم رَحِبَ بهم ، ودعا بِلَقْحَةٍ ^(١) ، ثم أمر حالبًا فحلبها ، فقال : اسقِ
 سيّدَ بنى عامر ، فسقى عامر بن مالك . ثم قال : اسقِ سيّدَ بنى عامر ، فسقى بعده
 طفيلًا . ثم قال : اسقِ سيّدَ بنى عامر ، فسقى معاوية . ثم قال : اسقِني ، ثم سألهم :
 ما حاجتكم ؟ فقالوا : أردنا أن نبوءَ بحَقِّكم ، ونرجعَ إلى قومنا ، فقال مالك :
 اختاروا منى خلتين ، ثم حُكِّمى بعدها ، قالوا : قد قَبِلْنَا إحداهما وقَبِلْنَا حُكْمَكَ .
 قال : إن شئتم أن تظعنوا على حَرْبٍ مُجَلِّيَةٍ أو تُقيموا على سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ ، فقالوا :
 أَرِنَا حُكْمَكَ . قال : ما كان لكم عندي من غَائِلَةٍ أو مُخَاشَةٍ ^(٢) أو دَمٍ ، ما قلَّ
 من ذلك وما كثرَ فهو لكم ، ودمُ صاحبكم ابنُ عُرْوَةَ فهو على أفضلِ الدِّبَاتِ دِيَاتٍ
 أهل بيته في مَالِي ، وما كان لِعَيْنِي فهو عليّ ، وبرثم منه ؛ فذلك حيث يقول لبيد ،
 وغازطه ما يرى :

أَبْنَى كِلَابٍ كَيْفَ تَنْفَى جَعْفَرُ وَبَنُو ضَبِينَةَ حَاضِرُوا الْأَجْبَابِ ^(٣)
 قَتَلُوا ابْنَ عُرْوَةَ ثُمَّ لَطَوْا ^(٤) دُونَهُ حَتَّى نَحَاكِمَهُمْ إِلَى جَوَابِ ^(٥)

(١) اللقحة : الناقة الحلوب . (٢) المخاشة : ما هو دون الدية لقطع يد أو أذن
 (٣) الأجباب : منازل لبني جعفر التي نفيت عنها وأقامت بها غنى . (٤) لطوا : استقروا
 (٥) جواب : لقب مالك بن كعب السكلابي المذكور .

(١١) يوم هَراميت*

كان بَدْءُ الجرب يوم هَراميت أن الجَلِيلِج بن شُدَيْد الجَمْفَرِي^(١) نَزَلَ فِي بَيْتِ
بَنَاحِيَةِ هَراميت لِيَحْتَفِرَهَا ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ الْأَسْوَدُ بن شَقِيق الضَّبَابِي^(٢) فَنَعِمَهُ ، فَأَمَحَدَرَا
فِي الْبَيْتِ ، فَضْرِبَهُ الْأَسْوَدُ عَلَى أُذُنِهِ فَحَدَمَهَا^(٣) وَشَجَّهُ شَجَّةً ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِرَأْسِ
الْبَيْتِ ، فَأَنزَلُوا عَلَيْهِمَا الرِّجَالَ حَتَّى خَلَصُوا بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَتِ الضَّبَابُ : دُونَكُمْ صَاحِبِنَا
فَاقْتَصُوا ، وَخَذُوا أَرْضَ^(٤) جِرَاحَةَ صَاحِبِكُمْ .

فَقَالَتِ بَنُو جَمْفَرٍ - وَفِيهِمْ بَذَخٌ^(٥) شَدِيدٌ - لَا نَأْخُذُ حَقْنًا أَبَدًا إِلَّا عَنَوَةً .
فَانصَرَفَ الْقَوْمُ ، وَكُلٌّ مُحْتَمِلٌ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَمْفَرٍ : يَا جَلِيلِجُ ؛
أَنْتَ الْيَوْمَ الْجَلِيلِجُ ، وَغَدًا الْمَحْدُومُ ؛ فَشَحَذَ بَنِي جَمْفَرٍ وَأَحْمَشَهُمْ^(٦) ، وَكَانُوا مَعَ بَنِي
الضَّبَابِ فِي مَحَلَةٍ وَاحِدَةٍ .

ثُمَّ التَّقَوْا عَلَى هَراميتَ فَاقْتَتَلُوا ، ثُمَّ تَحَاجَزُوا وَاحْتَمَلَ الْحَيَّانِ ، وَافْتَرَقُوا بَعْدَ
الْأُلْفَةِ .

فَنَزَلَتِ الضَّبَابُ عَلَى غَوْلٍ وَالْخِصَافَةِ^(٧) ، وَنَزَلَ جَمْفَرُ الشَّبَكَةِ^(٨) وَمَعْرُوفًا ،

* لِلضَّبَابِ عَلَى بَنِي جَمْفَرٍ (كَلَامُهُمَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ) . وَالهَراميت : آبَارُ مَجْتَمَعَةِ بَنَاحِيَةِ الدَّهْنَاءِ

مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ص ٤٥٠ ج ٨ ، الْفَتْاوى ص ٩٣٧ طَبْعُ أَوْرَبَا

(١) بَنُو جَمْفَرٍ ، هُمْ أَبْنَاءُ جَمْفَرِ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ (٢) الضَّبَابُ :

وَلَدُ مَعَاوِيَةَ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَإِنَّمَا سَمَوْا الضَّبَابَ ، لِأَنَّهُمْ عَمَرُوا بَنِي مَعَاوِيَةَ

كَانَ وَلَدُهُ ضَبَا وَمَضْبَا وَضَبَابًا وَحَسِيلًا (٣) حَدَمَهَا : قَطَعَهَا (٤) الْأَرْضُ : الدِّيَةِ

(٥) الْبَذَخُ : الْكِبَرُ (٦) أَحْمَشَهُمْ : أَغْضَبَهُمْ (٧) الْغَوْلُ وَالْخِصَافَةُ : مَاءَانُ لِلضَّبَابِ

(٨) الشَّبَكَةُ : مِنْ مِيَاهِ بَنِي قَشِيرٍ ، وَمَعْرُوفٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي جَمْفَرٍ .

فكثوا يسيراً ، والضباب متوقفة للشر ، قد أذكت العيون فليست تنام ؛ ثم إن بني جعفر سارت إلى الضباب .

وبينا الضباب في بعض الطريق إذ لقيهم يزيد بن سهم الغنوي راكباً ، فقالوا : هذا راكب فاسألوه عن بني جعفر ، فاتوه ، فقالوا : ما الخبر ؟ فقال لهم الغنوي : ما أدري ما أقول لكم إلا أن النعم منكم قريب ^(١) .

فخرجت الضباب مبادرة إلى النعم مخافة الغارة ، وخلفوا أبا لطيفة بن الخطيم ابن الأعرى ، وهو يومئذ سيد الضباب وابن أخ له وأربعة نفر .

وأقبل جمع بني جعفر فتلقاهم زَيْنُ الضبابي في مِزَى له يسوقها ؛ فقال زاجر ^(٢) بني جعفر : يا قوم ؛ قد لقيتم زائناً ^(٣) وزاجراً وناطحاً ، فارجموا ، فوالله لا تصيدون في وجوهكم هذه خيراً فأطيعوني ؛ فأبوا عليه .

فبينما هم في مسيرهم إذ لقيهم مالك بن الربيع وشريك بن الهيثم الضبائيان ، فقتلوهما . فقال أهل الرأي منهم : ارجعوا فقد أصبتم بصاحبكم ، وأدر كنتم تأركم في عافية ؛ فأبى جماعتهم إلا المسير ، وقالوا : يا بني جعفر ؛ اجعلوه يوماً من أيامكم ، فساروا حتى انتهوا إلى محلهم ؛ فوجدوا أبا لطيفة بن الخطيم وأصحابه يقتلهم ، وفيهم رجلان يقال لهما الأشهبان من فرسانهم ، فقتلوهما ، ونزل أبو لطيفة بن الخطيم وبه رمق فقطعوا أنفه ، وعمدوا إلى ملحفة حمراء فصبغوها بدم أبي لطيفة ، وبعثوا بها مع بشير إلى نساءهم .

(١) قال ذلك يكيد للضباب تعصاً لبني جعفر ؛ لأن ولادته كانت فيهم (٢) الزاجر : من بضلع الزجر ، وهو العيافة والتسكين (٣) الزين : الدفع ، ومنه حرب زبون ؛ أي يدفع بعضها بعضاً كثرة .

وفي بني جعفر وَجْزَةٌ بنت الخطيم أختُ أبي لطيفة ؛ فلما جاء البشيرُ بقتل
أبي لطيفة صرخت بناتُ وَجْزَةٍ على خالهنَّ ، فقالت أمهنَّ : اسْكُنِّي ، فوالله لئن كان
ظنني ببني عمرو (وهم الضُّباب) ليبينَنَّ الليلةَ في بني جعفر نوحٌ كثير .

وانتهت الضُّباب إلى النعم ، ثم عادوا فوجدوا أبا لطيفة ، وبه رمقٌ وإذا القومُ
قتلى ، فقالوا له : مَنْ أصابك ؟ قال : أصابني خَيْشَنَةٌ وهو أحدُ الرِّدِّينِ على الجمل
الأسود ، فاتبعتهم الضُّباب ، فلحقهم على الثنية فاقْتَلَوْا قتالاً شديداً ، فقتل من
الفریقین من هؤلاء وهؤلاء ، وقصدَ هُرَيمُ بن الخطيم - أخو أبي لطيفة - قصدَ
خَيْشَنَةَ قاتل أخيه فقتله وقطع أنفه ، وبعث به مع بشير إلى أبي لطيفة .

فلما أتاه البشيرُ قال : وصلتكم يا بني عمرو رَحِمَ ! الآن ذهب غليلي ، لستُ أبالي
مَتَى مِتُّ .

وانهزمت بنو جعفر ، وطردتهم الضُّباب بعيداً خمسةً أميالاً أو نحو ذلك ، وحجَرَ
بينهم الليلُ ، ورجعت الضباب فاحتملت قتلاًها ، وهابت بنو جعفر أن تنقل قتلاها
حتى يمشوا النساء يحملن القتلى ؛ فشت السُّفراءُ بينهم ، فَفَضَّلَ لبني جعفر على الضُّباب
خمسَةٌ بعد البَوَاء .

وقال الأَجْلَحُ^(١) الضُّبابي ، وكان فارساً شديداً ، فاتبع القوم وهو يقول :

لا تَسْقِه حَزْراً ولا حلياً إن لم تجده ساجحاً يَمْبُوباً^(٢)

(١) نسب هذا الشعر في اللسان : للخطيم الضُّبابي (لسان مادة جون) ، وقال في حاشية اللسان :
في الصاغاني : هولاء أجَلَحُ بن قاسط الضُّبابي (٢) يصف فارساً يقول : لا تسقه شيئاً إن لم تجد فيه
هذه الخصال ، والحزر من اللبن : الذي أخذ شيئاً من المحوْضة ، والساجح : الشديد العدو ،
والمبُوب : الكثير الجري .

ذَا مِيعَةٍ (١) يَلْتَهُمُ الْجُبُوبُ (٢) يَتْرُكُ صَوَّانٌ (٣) الصَّوَى رَهْ كُوبًا
بِرْلَقَاتٍ (٤) قُعْبَتٌ تَقْعِييَا يَتْرُكُ فِي آثَارِهِ لُهُوبًا (٥)
يَبَادِرُ الْأَثَارَ أَنْ تَوُوبًا (٦) وَحَاجِبَ الْجَوْنَةِ (٧) أَنْ يَفِيَا
كَالذُّبِ يَتَلَوُ طَعْمًا قَرِيًّا (٨) عَلَى هَرَامَيْتَ تَرَى الْمَجِيَا
أَنْ تَدْعُو الشَّيْخَ فَلَنْ يُجِيبَا

فقاتل يومئذ فأبلى ، وكان ممن قتل الكَرَّوسُ وَمِعْتَرٌ ضربه ضربةً بالسيف
أَشْرَعَتْ فِي شِقَّةٍ ، فنادى مِعْتَرٌ : يَا بَنِي جَعْفَرٍ ؛ إِنْ شَدَدْتُمُونِي شَوْبٍ فَلَا بَأْسَ عَلَيَّ ،
فلم يلبث أن مات ، فقال في ذلك الأَشْرَبُ بْنُ عُمَارَةَ الضَّبَابِي :

عَشِيَّةً يَدْعُو مِعْتَرٌ يَا لَ جَعْفَرٍ أَخُوكم أَخُوكم أَجْدَلُ الشَّقِّ مَائِلُهُ
ولحق الأَجْلَحُ بْنُ قَاسِطِ ابْنِي مُحَمَّدِ بْنِ بَحِيرٍ ، وَهَامِيسُ بْنُ أَبِيهِمَا مِنْ آخِرِ
الليل ، فقال لهما : أَجْزَانِي الشَّيْخُ ، فَقَالَا : لَقَدْ اسْتَعْرَضْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ جَزْرًا كَثِيرًا
وَمَا لِهَذَا رَبَّنَا . وَقَدْ كَانَ الْأَجْلَحُ لَمَّا لَيْسَ دِرْعُهُ تَرُكُ جُرْبَاتِمَا (٩) لَمْ يَشُدَّهُ عَلَيْهِ مِنْ
الْمَجْلَةِ ، فَقَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ : شُدَّ عَلَيْكَ الْجُرْبَانُ ، فَقَالَ : إِنْ أَلْدَى يُبْصِرُ هَذَا الْمَوْضِعَ لَبْصِيرًا

(١) المِيعَةُ : النشاط والحدة ، و يَلْتَهُمُ : يبتلع (٢) الجُبُوبُ : الأرض الغليظة ، وقيل الأرض
الغليظة من الصخر لا من الطين ، وقيل هي الأرض عامة ، وقيل وجه الأرض
(٣) الصَّوَّانُ : الصم من الحجارة ، والصَّوَى : الأعلام ، والركوب : المذلل ، ورواية النقائض :
يَتْرُكُ صَوَّانَ الْحَصَى رُكُوبًا (٤) قُعْبَتٌ : جمع قُعْبَةٍ ، وقيل جَوَافِرُهُ ، والتَقْعِيْبُ : أَنْ يَكُونَ الْحَافِرُ مَقِيًّا كَالْقُعْبِ
لَا اسْتِدَارَتَهُ (٥) اللُّهُوبُ : جمع لُهِبٍ ، ورواية النقائض : أَلْهُوبًا (٦) الْأَوْبُ : الرجوع
يقول : يَبَادِرُ آثَارَ الَّذِينَ يَطْلُبُهُمْ لِيَدْرِكَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ ، وَيَبَادِرُ ذَلِكَ قَبْلَ مَغِيبِ الشَّمْسِ
(٧) الْجَوْنَةُ : الشمس (٨) شَبَّ الْفَرَسِ فِي عُدُوهِ بِذُّبٍ طَامِعٍ فِي شَيْءٍ يَصِيدُهُ عَنْ قَرَبٍ
فَقَدْ تَنَاهَى طَعْمَهُ (٩) جُرْبَانِ السَّيْفِ : حِدَهُ وَنَعْمَدَهُ .

فلما حَمَلَ على لُبْنَى مُحِيضَةً نَظَرَ حَاجِبُ بْنُ حَمِيضَةَ إِلَى مَوْضِعِ الْجُرْبَانِ لَمْ يَشْهَدْ فُطْمَنَهُ
فِي لَبَنَتِهِ فَقَتَلَهُ ، وَأَخَذَا فَرَسَهُ فَرَكَبَاهُ وَنَجَّوَا بِأَيْبِهِمَا .

فلما قَدِمَ الْحَجَّاجُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَجَّهَ
إِلَيْهِمْ عُمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُرَاقَةَ الْقُرَشِيَّ أَحَدَ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ ؛ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ
جَمَعَ الْفَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ نَادَى : مَنْ جَاءَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ فَلَهُ بَعِيرٌ . فَجِئُوا بِحَطَبٍ كَثِيرٍ ،
فَنَضَّدَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ حَوْلَهُمْ ، ثُمَّ أَشْعَلَ فِيهِ النَّارَ ؛ فَلَمَّا لَحِقَتِ الْقَوْمَ النَّارُ ، وَظَنُّوا
أَنَّهُ الْمَوْتُ نَادَى : مَنْ أَطْفَأَهَا فَلَهُ بَعِيرٌ ، فَأَطْفَأَهَا النَّاسُ ، فَأَخْرَجَهُمْ ، وَقَدْ كَادُوا
يَحْتَرِقُونَ ، ثُمَّ دَعَا بِالصَّخْرِ لِيَحْطَمَ أَدْرُعَهُمْ فَضَجُّوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ دُونَ لَأَمْرِ
الْجَاهِلِيَةِ أَبَدًا ؟ فَقَالُوا : لَا تَعُودُ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَضَمَّنَ الصَّبَّائِيُّونَ لِلْجُمْهُورِيِّينَ مَا يَطْلُبُونَ ،
وَأَخَذَ دَرَّاجُ بْنُ زُرْعَةَ بْنُ قُطَيْنَ بْنِ الْأَعْرَفِ الصَّبَّابِيُّ فَوْجَهُ بِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ
هُوَ صَاحِبُ الْأَفَاعِيلِ فَقَتَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَقَالَ دَرَّاجُ فِي السَّجْنِ :

أَلَا يَا غَرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَارْبِعَ	وَطَرًا بِالَّذِي قَدْ حُمَّ وَيَحْكُ أَوْقَعَ
فَطَارَ بِتَحْقِيقٍ وَجِدْتُ بَعْبَرَةً	أَتَاهَا رَشَاشُ الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ مَدْنَعٍ
فَلَيْسَ لِيَا لَيْنَا بِطِخْفَةٍ وَالْحَمَى	يَجْرُ تَجَمَّاتُ فَا بَكِ شَجْوَكِ أَوْ دَعِ
إِذَا أُمُّ مِرْيَاحٍ ^(١) غَدَّتْ فِي ظَمَائِنِ	جَوَالِسٍ ^(٢) نَجْدًا فَاضَتْ الْعَيْنُ تَدْمَعُ
فَبَلَّغُ بَنِي عَمْرٍو سَلَامًا وَرَحْمَةً	بِآيَاتِ شِدَائِي إِذَا الْخَيْلُ تُقَدِّعُ
بِآيَةٍ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَدْ عَلِمْتُ	أَهْلًا ^(٣) عَنْ ضَرْبِ الْكَمِيِّ ^(٤) الْمُقْنَعِ
قَدْ كُنْتُ أَعْطِيكُمْ طَرِيقِي وَتَالِدِي	وَأَدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ كُلَّ مَدْنَعٍ

(١) السرياح : الجراد ، وأم سرياح : امرأة مشتق منه
(٢) الجالس : الآتي نجداً ،
(٣) هلال : فزع وجين
(٤) الكمي : الشجاع .

فلا تخشعوا للقوم من خشية الردى لكل امرئ يومه حمام مضرع
ولما لأخشي من رجال تركتهم ورأى أن يعطوا الذي كنت أمنع
فإن يك ظني بالحجازي صادق يقاتلهم فرداً ولا يتخشع
ويسقيهم كأساً من الموت مرة كما قد سقوه مثلها فتضلع
ولما دخات السجن أيقنت أنه هو البين لا بين النوى ثم يجمع
وما السوط أبكاني ولا السجن شقني ولكنني من رهبة الموت أجزع



٧- أيام قيس وكنانة

١- يوم الكديد.

٢- » برزة.

٣- حرب الفجار.

(١) يوم الكديد*

— ١ —

خرج دُرَيْدُ^(١) بن الصَّمَّةِ في فوارس بني جُشَمِ^(٢) ، يريد الغارة على بني كِنانة ؛ فلما كان بواد لبني كِنانة رُفِعَ له رجل من ناحية الوادى ومعه ظمينة^(٣) . فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه : صَحَّ به أَنْ خَلَّ عن الظمينة وانجُ بنفسك - وهو لا يعرفه - فانهى إليه الرجل وألحَّ عليه ، فلما أبى أُلقي زمام الراحلة وقال للظمينة :

سَيرى على رِسْلِكَ سَيرَ الآمن . سَيرَ رَداحِ^(٤) ذاتِ جَاشٍ ساكن
إِنْ انْتِنَانِي دُونَ قِرْنِي^(٥) شائئى أَبْلَى بِلأى واخْبِرْى وعَايى
ثم حمل على الفارس فصرعه ، وأخذ فرسه فأعطاه الظمينة .

فبعت دُرَيْدُ فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبه ؛ فرآه صريماً ، فصاح به ، فتصامَّ عنه ، فظنَّ أنه لم يسمع ففضّيه ، وألقى زمام الراحلة إلى الظمينة ، ثم حمل على الفارس فصرعه ، وهو يقول :

* لبني سليم (بطن في قيس عيلان) على كِنانة ، والكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة
المقد الفريد ص ٣٢٤ ج ٣ ، الأغاني ص ١٢٩ ج ١٤ ، الأملى ص ٢٧١ ج ٢ ، سمط الآلى : ص ٩١٠ ج ٢ ، قصص العرب ص ٢٤٦ ج ٤ ، بلوغ الأرب ص ١٤٤ ج ١ .
(١) دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ : سيد بني جُشَمِ وفارسهم وقائدهم ، كان مظفراً ميمون القبية ، غزاه نحو مائة غزوة ما أخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام ولم يسلم . (٢) جُشَمِ : بطن في هوازن ، ودُرَيْدُ كان من حى فيهم يقال لهم بنو جداعة (٣) الظمينة : المرأة ما دامت في الهودج (٤) امرأة رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق (٥) القرن : الكعب .

خَلَّ سَبِيلَ الْحَرَّةِ النَّمِيعةِ إِنَّكَ لَاقٍ دُونَهَا رَيْبَةً
فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ ^(١) مُطِيئَةٌ أَوْ لَا فَخُذُهَا طَمَنَةٌ سَرِيعةُ
فَالطَّمَنُ مَنَى فِي الْوَعَى سَرِيعةُ

ثم حمل عليه فصرعه .

فلما أبطأ على دُرَيْدٍ بَثْ فَارِسًا آخَرَ ، لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَا ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمَا ، فَرَأَاهَا
صَرِيْعِينَ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ يَقُوْدُ ظَمِيْنَتَهُ ، وَيَجْرُو رُمَحَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ : خَلَّ عَنِ الظَّمِيْنَةِ .
فَقَالَ لَهَا رَيْبَةُ : اقْصِدِي قَصْدَ الْبُيُوتِ ، ثُمَّ اقْبِلِي عَلَيْهِ فَقَالَ :

مَاذَا تَرِيدُ مِنْ شَتِيْمٍ ^(٢) عَابِسٍ أَلَمْ تَرِ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ
أَزْدَاكُمَا عَامِلُ رَمَحٍ يَابِسٍ

ثم طعنه فصرعه ، فأنكسر رُمُحُه .

ولما أبطأ عن دُرَيْدٍ ارْتَابَ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا الظَّمِيْنَةَ وَقَتَلُوا الرَّجُلَ ، فَلَحَقَ
بِهِمْ ، فَوَجَدَ رَيْبَةَ ^(٣) بَنَ مَكْدَمَ لَا رَمَحَ مَعَهُ ، وَقَدْ دَنَا مِنَ الْحَيِّ ؛ وَوَجَدَ أَصْحَابَهُ قَدْ
قَتَلُوا ، فَقَالَ لَهُ دُرَيْدٌ : أَيُّهَا الْفَارِسُ ؛ إِنْ مِثْلَكَ لَا يُقْتَلُ ، وَإِنْ الْخَيْلُ نَائِرَةٌ بِأَصْحَابِهَا ،
وَلَا أَرَى مَمْلَكَ رَمَحًا ، وَأَرَاكَ حَدِيثَ السِّنِّ ؛ فَدُونَكَ هَذَا الرَّمَحُ ؛ فَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَى
أَصْحَابِي فَتُبْطِّطُهُمْ عَنْكَ .

(١) الرماح الخطية : تنسب إلى الخط ، وهو مرفأ في بلاد البحرين (٢) الشقيم : الأسد
السابس (٣) ربيعة بن مكرم : أحد فرسان كنانة المعدودين وشجعانهم المشهورين ، وهو
من قبيلة فراس بن غنم بن مالك بن كنانة ، وكان بنو فراس أعجم العرب ، كان الرجل منهم يعدل
بعشرة من غيرهم ، وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت والله أن لي بجمعكم وأنتم
مائة ألف ثلاثمائة من بني فارس .

وَأَنى دُرَيْدُ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ فَارِسَ الظَّمِينَةِ قَدْ سَحَاها ، وَقَتْلَ فُرْسَانِكُمْ ،
وَانْتَزَعَ رُمُحِي ، وَلَا طَمَعُ لَكُمْ فِيهِ ؛ فَانصَرَفَ الْقَوْمُ ، وَقَالَ دُرَيْدُ :

مَا إِنِ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بَمِثْلِهِ حَايَ الظَّمِينَةِ فَارِسًا لَمْ يُقْتَلَ
أَرْدَى فَوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نَهْزَةً (١)
مَتَهَلَّلًا تَبْدُو أَسْرَةً وَجْهَهُ مِثْلَ الْحَسَامِ جَلَّتْ أَيْدَى الصَّيْقَلِ (٢)
يُزْجِي ظَمِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُحْمَهُ مَتَوَجِّهًا يَمْنَاهُ نَحْوَ الْمَزَلِ
وَتَرَى الْفَوَارِسَ مِنْ خِيفَةِ رُحْمِهِ مِثْلَ الْبُغَاثِ خَشِينَ وَقَعَ الْأَجْدَلِ (٣)
يَالَيْتَ شَمْرَى مَنْ أَبَوَهُ وَأُمُّهُ ؟ يَأْصَحُ مَنْ يَكُ مِثْلَهُ لَمْ يُجْهِلْ
وَقَالَ رَبِيعَةُ :

إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الْيَقِينُ فَسَأَلِي عَنْ الظَّمِينَةِ يَوْمَ وَادِي الْأَخْرَمِ (٤)
إِذْ هِيَ لِأَوَّلِ مَنْ أَنَاها نُهْبَةً لَوْلَا طَعَانُ رَبِيعَةَ بْنِ مُكْدَمٍ
إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الْفَوَارِسِ مَيْتَةً خَلَّ الظَّمِينَةُ طَائِمًا لَا تَنْدَمُ
فَضَرَفْتُ رَاحِلَةَ الظَّمِينَةِ نَحْوَهُ عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضَ مَا لَمْ يَعْلَمْ
وَهْتَكْتُ بِالرُّمْحِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ (٥) فَهَوَى صَرِيمًا لِلْيَدَيْنِ وَالْفَمِ
وَمُنَحَتْ آخِرَ بَعْدِهِ جِيَّاشَةً نَجَلَاءُ فَاغْرَةً كَشِدْقِ الْأَضْجَمِ (٦)
وَلَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بآخر ثالثٍ وَأَنى الْفِرَارَ لِي الْغَدَاةُ تَكْرُمِي

(١) النهزة: الشيء الذي هو لك معرض كالغنيمة ، يقال: فلان نهزة المحتلس ، أى صيد لكل أحد
(٢) الصيقل: جلاء السيوف (٣) البغاث: طائر أعبر ، والأجدل: الصقر
(٤) الأخرم: جبل في طرف الدهناء (٥) إهابه: جلده (٦) الضجم: عوج في
القم ، ويشبه الجرح الواسع بالقم الأضجم .

— ٢ —

وقام نزاع بين نفر من بني سليم^(١) ، ونفر من بني فراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم ، ثم إنهم ودّوهما ، ثم ضرب الدهر ضربته ، وخرج بُبَيْشَةُ بن حبيب السلمي غَازِيَا ، فلقى ظُفْمًا من بني كنانة بالكديد ، ومعهم قومهم من بني فراس بن مالك بن كنانة ، وفيهم عبد الله بن جِذْل الطمان والحارث ابن مكدم ، وأخوه ربيعة بن مكدم ، فلما رآهم الحارث قال : هؤلاء بنو سليم يَطْلُبُونَ دماءهم ، فقال أخوه ربيعة : أنا أذهب حتى أعلمَ عِلْمَ القوم ، فأتيكم بخبرهم ، وتوجّه نحوهم .

فلما ولى قال بعض الظنن : هرب ربيعة ! فقالت أخته عزة بنت مكدم : أين تنهى ترّة الفتى ؟ فمطف - وقد سمع قول النساء - فقال :

لقد علمن أنني غير فرق^(٢) لأظننّ طمعةً وأعتنق^(٣)

أصبحهم صاحٍ بحمّر الحدق عَضْبًا^(٤) حُسَامًا سِنَانًا^(٥) يَأْتَلِقُ

ثم انطلق يَمْدُو به فرسه ، فحمل عليه بعضُ القوم ، فاستطرد^(٦) له في طريق الظنن حتى قتله ، وتبعه نبيشة ثم رماء فالحق بالظنن يَسْتَدْعِي ، حتى انتهى إلى أمه أم سنان فقال : اجعلي على يدي عِضَابَةً وهو يرتجز :

شَدَى عَلَى الْعَصْبِ أُم سِيَّارٍ فَقَدْ رُزِيتَ فَارِسًا كَالدِّينَارِ

يَطْمَنُ بِالرُّمَحِ أَمَامَ الْأَذْبَارِ

(١) سليم : بطن في قيس عيلان ، وهم قوم دريد

(٢) الاعتناق في الحرب : مثل المناق في غيره (٤) العضب : السيف (٥) السنان :

طرف الرمح (٦) استطرد : تقهقر ، وكأنه يندفع .

فَقَالَتْ أُمُّهُ :

إِنَّا بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ مَرُورَ أَخْبَارٍ لَنَا كَذَلِكَ
 مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَبَيْنَ هَالِكٍ وَلَا يَكُونُ الرَّزَاءُ إِلَّا كَذَلِكَ
 وَشَدَّتْ عَلَيْهِ عَصَابَةً ، فَاسْتَسْقَاهَا مَاءً ، فَقَالَتْ : إِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ مِتُّ ؛ ففَكَرَّ
 رَاجِعًا عَلَى الْقَوْمِ ، يَنْزِفُهُ الدَّمُ ^(١) ، حَتَّى أَتَى ^(٢) ، فَقَالَ لِلطُّعْنِ : أَوْضِعْ ^(٣) رِكَابَكُنَّ
 حَتَّى يَنْتَهِيَنَّ إِلَى أَدْنَى الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيِّ ، فَإِنِّي لَأَبِي سَوْفَ أَقِفُ دُونَكُنَّ لَهُمْ عَلَى الْعَقَبَةِ ،
 فَأَعْتَمِدَ عَلَى رِجْلِي فَلَا يَقْدُمُونَ عَلَيَّ لِمَا كَانِي . ففَعَلْنَا ذَلِكَ ^(٤) .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَإِنَّهُ يَوْمَئِذٍ غَلَامٌ لَهُ ذُوَابَةٌ ، فَأَعْتَمَدَ عَلَى رُجْعِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ لَهُنَّ
 عَلَى مَتْنِ فَرْسِهِ حَتَّى بَلَغَ مَا مَنَّهُنَّ ، وَمَا يُقَدِّمُ الْقَوْمَ عَلَيْهِ .

وَرَأَاهُ نُبَيْشَةَ بْنُ حَبِيبٍ فَقَالَ : إِنَّهُ لِمَسَارِئِلُ الْعَنْقِ ، وَمَا أَظْنُهُ إِلَّا قَدْ مَاتَ ،
 وَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ خُرَاعَةِ كَلْبٍ مَعَهُ أَنْ يَرْمِيَ فَرْسَهُ ، فَرَمَاهَا ، فَفَقَصَصَتْ ^(٥) ، قَالَ
 عَنْهَا مَيْتًا .

ثُمَّ لَحِقُوا الْحَارِثَ بْنَ مُكْدَمٍ فَقَتَلُوهُ ، وَأَلْقَوْا عَلَى رِييعةٍ أَحْجَارًا ، فَرَّ بِهِ رَجُلٌ
 مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ ، فَفَنَرَتْ نَاقَتَهُ مِنْ تِلْكَ الْأَحْجَارِ الَّتِي أَهْلَيْتْ عَلَى رِييعةٍ ،
 فَقَالَ يَرِثِيهِ ، وَيَعْتَذِرُ إِلَّا يَكُونُ عَقَرُ نَاقَتِهِ عَلَى قَبْرِهِ ، وَحَضَّ عَلَى قَتْلَتِهِ ، وَغَيَّرَ مَنْ
 فَرَّ وَأَسْلَمَهُ مِنْ قَوْمِهِ :

فَنَرَتْ قَلُوصِي ^(٦) مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ ^(٧) بُنِيتَ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوْبِ

(١) يَنْزِفُهُ الدَّمُ : يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ . (٢) أَتَى : ضَعَفَ مِنَ الْجَرَاخَةِ . (٣) أَوْضَعَ :
 رَكَابَكُنَّ : حَثَوْنَهُ عَلَى السَّيْرِ السَّرِيعِ . (٤) قَالَ أَبُو مَرْوَانَ الْعَلَاءُ : لَا نَعْلَمُ قَتِيلًا وَلَا مَيْتًا
 حَتَّى الْأَطْطَانُ غَيْرُهُ . (٥) يُقَالُ قَصَصْتُ الْفَرَسَ : إِذَا رَفَعْتَ يَدَيْهَا وَطَرَحْتَهُمَا مَعًا
 (٦) الْقُلُوصُ مِنَ الْإِبِلِ : الشَّابَّةُ . (٧) الْحَرَّةُ : الْحِجَارَةُ السُّودَاءُ ، وَالْمُرَادُ قَبْرُ رِييعةٍ .

لا تَنْفِرِي يَانَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ سِبَاءُ^(١) خَيْرٌ مِسْعَرٍ^(٢) لِحُرُوبِ
لَوْلَا السَّفَارُ وَبَعْدُ خَرَقٌ^(٣) مَهْمَهُ لَتَرَكْتَهَا تَحْبُو عَلَى الرُّقُوبِ
فَرَّ الْفَوَارِسُ عَنْ رِبِيعَةٍ بَعْدَ مَا نَجَّاهُمْ مِنْ غَمْرَةِ الْمَكْرُوبِ
لَا يَبْعَدَنَّ رِبِيعَةُ بْنُ مَكْدَمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ^(٤)
وَقَالَتْ أُخْتُهُ تَرْتِيهِ :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ مُهْرَاقٍ سَحًّا فَلَا عَازِبَ كَلَامًا وَلَا رَاقٍ
أَبْكَيْ عَلَى هَالِكٍ أَوْدَى فَأَوْرَثَنِي بَعْدَ التَّفَرُّقِ حُزْنًا حَرُّهُ بَاقٍ
لَوْ كَانَ يُرْجَعُ مَيِّتًا وَجَدْتُ ذِي رَحِمٍ أَبْقَى أَخِي سَالِمًا وَجَدِي وَإِشْفَاقٍ
أَوْ كَانَ يُفْدَى لَكَانَ الْأَهْلُ كُلُّهُمْ وَمَا أَتَمَّ مِنْ مَالٍ لَهُ وَاقٍ
لَكِنْ سَهَامُ الْمَنَايَا مِنْ نُصَيْنٍ لَهُ لَمْ يُفْنِهِ طَبٌّ ذِي طَبٍّ وَلَا رَاقٍ
فَاذْهَبْ فَلَا يَبْعَدَنَّكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ لَاقَى الَّذِي كُلُّ حَيٍّ مِثْلُهُ لَاقٍ
فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مَطْوِقَةٌ وَمَا سَرَيْتُ مَعَ السَّارَى عَلَى سَاقٍ
أَبْكِي لَذِكْرَتِهِ عَبْرَى مُفَجَّعَةٍ مَا إِنْ يَجِيفُ لَهَا مِنْ ذِكْرَةٍ مَاقٍ^(٥)

ثم لم يلبث بعد ذلك بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة أن أغاروا على بني جشم رهط دريد ، ففتكوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصمة ، فأخفى نسبه ..

(١) سباء خمر : مشتريها (٢) مسعر الحرب : موقدها (٣) الخرق : الفلاة الواسعة تتخرق فيها الرياح ، أى يشتد هبوبها ، والمهمه : المفازة المقفرة ، والسفار : السفر
(٤) الذنوب : الدلو فيه ماء ويقال : إنه لما بلغ شعره بنو كنانة قالوا : والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق (٥) هو ماق العين ..

وبينا هو عندهم إذ جاء نسوة يتهادين إليه ، فصرخت امرأةٌ مهننٌ بقلات :
 هلكنم وأهلكنم ، ماذا جرُّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذى أعطى ربيعة رُمحه يوم
 الظعينة ، ثم ألقى عليه ثوبها وقالت : يالَ فراس ؛ أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبنا
 يوم الوادى ، فسألوه مَنْ هو ؟ فقال : أنا دُرَيْدُ بن الصَّمة ! فَنُ صاحبي ؟ قالوا : ربيعة بن
 مكدَّم ؟ قال : فافعل ؟ قالوا : قَتَلْتَهُ بنو سُلَيْم . قال : فن الظعينة التى كانت معه ؟
 قالت المرأة : ربيعة بنت جندل ، وأنا هى ؛ فخبسه القوم ، وآمروا أنفسهم ، وقالوا :
 لا ينبغي أن تكفر نعمة دُرَيْدٍ عندنا ، وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا
 المخارق الذى أسره ، فانبعثت المرأة فى الليل فقالت :

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمةً وكل فتى يُجزي بما كان قدماً
 فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه وإن كان شراً كان شراً مُدَمَّماً
 سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة بإعطائه الرمح السديد القوِّماً
 فقد أدركت كفاءاً فينا جزاءه وأهلٌ بأن يجزي الذى كان أنما
 فلا تكفروه حقَّ نعماء فيكم ولا تركبوا هلك الذى ملأ الفها
 فإن كان حياً لم يضق بشوابه ذراعاً غنياً كان أو كان مُعدماً
 ففكّوا دريداً من إسار مخارق ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سُلماً

فأصبح القوم ، وتعاونوا بينهم وأطلقوه ، وكسبه ربيعة وجهزته ، ولحق بقومه
 ولم يزل كافاً عن غزو بنى فراس حتى هلك .

(٢) يوم بُرْزة*

لما قَتَلَتْ بنو سُلَيْم ربيعة بن مَكْدَمَ فارس كِنَانَةَ (يوم السَّكْدِيد) رَجَعُوا وَأَقَامُوا مَا شَاءَ اللَّهُ؛ ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ بْنَ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الشَّرِيدِ - وَكَانَ بَنُو سُلَيْم قَدْ أَمَرُوهُ عَلَيْهِمْ - بِدَالِهِ أَنْ يَفْزُو بَنِي كِنَانَةَ ، فَأَغَارَ عَلَى بَنِي فِرَاسِ بُرْزَةَ^(١) ، وَرئيسُ بَنِي فِرَاسِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَذَلٍ .

وَلَمَّا تَقَى الْجَمْعَانِ دَعَا عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْبَرَازِ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ هَنْدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا هَنْدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَخُوكَ أَسْنُ مِنْكَ - يَرِيدُ مَالِكَ - فَرَجَعَ وَأَحْضَرَ أَخَاهُ ، فَبَرَزَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَجَمَلَ بِرَبْجٍ وَيَقُولُ :

اَقْتَرِبُوا قِرْفَ الْقَمْعِ^(٢) إِنِّي إِذَا مَوْتُ كُنْعٍ^(٣)

لَا أَتَوْقِي بِالْجَزَعِ

وَشَدَّ عَلَى مَالِكٍ فَقَتَلَهُ . فَبَرَزَ إِلَيْهِ أَخُوهُ كُرْزُ بْنُ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ فَقَتَلَهُ أَيْضًا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَخُوهُمَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ ، فَتَخَالَفَا طُمْنَتَيْنِ ، فَجَرَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، وَتَحَاجَزَا .

* يوم برزة لبني فراس (من كنانة) على بني سليم ، وبرزة : موضع ، وقد اتصل به يوم الفتياء ، وهو لبني سليم على بني فراس ، وأصل الفتياء : المفازة لآما فيها وأطلقت على موضع .
العقد الفريد ص ٣٢٦ ج ٣ ، معجم البلدان - برز .

(١) برزة : ضبطه صاحب معجم البلدان (بالضم) وقال : إنه رآه (بالفتح) بخط بعض الأدباء . وقال : إنه موضع به وقعة تذكر في أيام العرب (٢) القرف في الأصل : الوسخ الذي ينتج عن اللبن ، والقمع : ما يوضع في لم السقاء والزق ، وكأنه يقول : أنتم كذلك في الوسخ (٣) كنع : دنا .

فقال عبد الله :

تَجَنَّبْتُ هَذَا رَغْبَةً عَنْ قِتَالِهِ إِلَى مَالِكٍ أَعْشَوُ^(١) إِلَى ضَوْءِ مَالِكٍ
فَأَنْفَقْتُهُ بِالرَّمَحِ حِينَ طَمَعْتُهُ مَعَانِقَةً لَيْسَتْ بِطَمَعَنَةِ بَاتِكِ^(٢)
وَأَتْنِي لَكُرْزٍ فِي الْغُبَارِ بِطَمَعَنَةِ عِلَتْ جِلْدُهُ مِنْهَا بِأَحْمَرِ عَاتِكِ^(٣)
قَتَلْنَا سُلَيْمًا غَتَهَا وَصَمِيمَهَا فَصَبِرَا سُلَيْمًا قَدْ صَبِرْنَا لَذَلِكَ
فَإِنْ تَكِ نِسْوَائِي بِكَيْفٍ فَقَدْ بَكَتِ كَمَا قَدْ بَكَتِ أُمُّ لَكُرْزٍ وَمَالِكِ

وقال :

قَتَلْنَا مَالِكًا فَبَكَوْا عَلَيْهِ وَهَلْ يُنْفَى مِنَ الْجَزَعِ الْبُكَاءُ
وَكُرْزًا قَدْ تَوَكَّنَاهُ صَرِيحًا تَسِيلُ عَلَى تَرَائِبِهِ^(٤) الدَّمَاءُ
فَإِنْ تَجْزَعُ لَذَلِكَ بَنُو سُلَيْمٍ فَقَدْ وَأَيُّهُمْ غَلَبَ الْعِزَاءُ
فَصَبِرَا يَاسْلِيمُ كَمَا صَبِرْنَا وَمَا فِيكُمْ لَوَاحِدُنَا كِفَاءُ
فَلَا تَبْعُدُ رَيْعَةً مِنْ نَدِيمٍ أَخُو الْهَلَائِكِ إِنْ ذُمَّ الشِّتَاءُ
وَكَمْ مِنْ غَارَةٍ وَرَعِيلٍ خَيْلٍ^(٥) تَدَارَكُهَا وَقَدْ تَحَسَّنَ اللَّقَاءُ

— ٢ —

ثم إن بني الشريد جرّموا على أنفسهم النساء والدّهن حتى يدرّكوا ثأرهم من
بني كنانة ، فأغار^(٦) عمرو بن خالد بن صخر على بني فراس ، فقتل منهم نفراً ؛
منهم حاصم بن المثلّج ، ونضلة ، والمبارك ، وعمرو بن مالك ، وحصن ، وشريح ، وسبي سبياً
فيهم ابنة مكدم .

(١) أعشو : أقصد (٢) السيف الباتك : القاطع
إذا قدمت واحمرت (٤) الترائب : عظام الصدر (٥) الرعيل : القطعة من الخيل
(٦) هذا هو يوم الفيء .

فقال عباس بن مرداس في ذلك يردّ على ابن جندل كلمته التي قالها يوم برزة :
 ألا أبلغن عنى ابن جندل ورهطه فكيف طلبناكم بكرزٍ ومالك
 غداة فجعناكم بحصن وبابنه وبابن الملقى عاصم والمبارك
 ثمانية منهم ثأرناهم به جميعاً وما كانوا بواء^(١) بمالك
 نذيقكم - والموت بيني سرادقاً عليكم - شبا حدّ السيوف البوّاتك
 تلوح بأيدينا كما لاح بارق تلالاً في داجٍ من الليل حالك
 صبحناكم لموج المناجيج^(٢) بالضحى تمرُّ بنا مرّ الرياح السواهلك^(٣)
 إذا خرجت من هبوة^(٤) بعد هبوة سمّت نحو ملثف من الموت شائك
 وقال هند بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد :

قتلت بمالك عمراً وحصناً وخليت القتّام على الحدود
 وكُرزاً قد أبأت به شريحاً على إثر الفوارس بالكديد
 جزيناكم بما انتهكوا وزدنا عليه ما وجدنا من مزيد

(١) البواء : الكف
 المناجيج في الإبل أيضاً
 الغبرة .
 (٢) المناجيج جمع عنجوج : الرائع من الخيل ، وقد استعملوا
 (٣) ريج ساهك : عاصف شديدة المرور
 (٤) الهبوة :

(٣) حروب الفجار*

أيام الفجار الأول

اليوم الأول

كان بَذْرُ بن معشر الفجاري^(١) رجلاً منيعاً مستطيلاً بِمَنْعَتِهِ عَلَى مَنْ وَرَدَ عُكَاظَ . وفي أَحَدِ المَوَاسِمِ بُمُكَاطِ اتَّخَذَ مَجْلِسًا بِهَا ، وَقَعْدَ فِيهِ ، وَجَمَلَ يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ وَيَقُولُ :

نَحْنُ بَنُو مُدْرَكَةَ بْنِ خِنْدِفٍ^(٢) مَنْ يَطْمَعُوا فِي عَيْنِهِ لَا يَطْرِفُ

وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يُفْطَرِفُ^(٣) كَأَنَّهُمْ لُجَّةُ بَحْرِ مُسَدِفٍ^(٤)

ثُمَّ مَدَّ رِجْلَهُ وَقَالَ : أَنَا أَعَزُّ الْعَرَبِ ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعَزُّ مِنِّي فَلْيَضْرِبْهَا بِالسَّيْفِ ! فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَصْرٍ^(٥) بَنَ مَعَاوِيَةَ ، فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رِكْبَتِهِ فَأَنْدَرَهَا^(٦) ،

* بَيْنَ كِنَانَةَ وَقَيْسَ ، سَمِيَتْ الْفَجَارُ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَهِيَ الشُّهُورُ الَّتِي يَحْرُمُونَهَا فَقَجَرُوا فِيهَا ، وَهِيَ فَجَارَانُ ؛ الْفَجَارُ الْأَوَّلُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَالْفَجَارُ الثَّانِي خَمْسَةُ أَيَّامٍ فِي أَرْبَعِ سَنِينَ ، وَقَدْ حَضَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عُكَاظَ مَعَ أَعْمَامِهِ وَكَانَ يَنَاولُهُمُ النَّبْلَ ، وَانْتَهَتْ سَنَةُ ٥٨٩ م

ابن الأثير ص ٣٥٩ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٨ ج ٣ ، تاريخ العرب في الجاهلية لجورجى زيدان ص ٢٤١ ، الأغاني ص ٧٤ ج ١٩ ، سراج العيون ص ٥٨ ، شواعر العرب ص ٦١ (١) ينتهى نسبه إلى عبد مناه بن كنانة (٢) خندف : زوج إلياس بن مضر ، وإليها نسب أولاد إلياس جميعا (٣) قال في اللسان : الفطريف والظنارف : السبيل المريف السخي الكثير الخير ، وأُنشد :

* وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ تَنْطَرِفَا *

(٤) مُسَدِفٌ : مَظْلَمٌ (٥) اسْمُهُ الْأَحْمَرُ بْنُ مَازِنٍ (٦) أَنْدَرَهَا : قَطَعَهَا .

ثم قال : خُذْهَا إِلَيْكَ أَيُّهَا الْمُخَنَفُ - وَهُوَ مَاسِكُ سَيْفِهِ - ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ
هُوَازِنٍ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ هَمْدَانَ ذُو التَّنَطُرُفِ بَحْرٌ بِمَجُورٍ زَاخِرٍ لَمْ يُنَزَفِ
نَحْنُ ضَرْبَنَا رُكْبَةَ الْمُخَنَفِ إِذْ مَدَّهَا فِي أَشْهَرِ الْمَرْفِ (١)
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : فَتَحَاوَرَ الْحَيَّانُ عِنْدَ ذَلِكَ ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا الدِّمَاءُ ، ثُمَّ
تَرَا جَمُوعًا وَرَأَوْا أَنَّ الْخَطْبَ يَسِيرُ .

(١) المَرْفُ : الْمَوْقِفُ بِمَرْفَاتٍ .

اليوم الثاني *

قالوا: إن شباباً من قُريش وكنانة كانوا ذوى غرام ، فرأوا المرأة من بنى عامر وضيئة حسّانة^(١) بسوق عسكاظ جالسة ، وهى فضل^(٢) عليها بُرُقع لها ، وقد اكتنفها شبابٌ من العرب وهى تحادثهم .

فجاء الشباب من قُريش وكنانة ، وأطافوا بها وسألوها أن تسفر ، فأبت ، فقام أحدهم فجلس خلفها وحلّ طرف رداءها ، وشدّه إلى فوق حُجْزَها^(٣) بشَوْكة - وهى لا تعلم - فلما قامت انكشف درعُها^(٤) عن ظهرها ؛ فضحكوا وقالوا : منعمتنا النظر إلى وجهك ، وجُدّت لنا بالنظر إلى بطنك .

فنادت: يالَ عامر ! فساروا وحملوا السلاح ، وحملته كِنانة ، واقتتلوا ، ووقعت بينهم دماء يسيرة ، فتوسّط حربُ بن أمية ، واحتمل دماء القوم ، وأرضى بنى عامر من مثله صاحبهم :

* بين قريش وكنانة وقيس ، واتّهى بصلح توسط فيه حرب بن أمية

(١) الحسانة : المرأة الحسنّة (٢) يقال امرأة فضل : قى ثوب واحد

(٣) الحِجْزة :

معقد الإزار من السراويل (٤) الدرع : الفميص .

* اليوم الثالث *

كان لرجل من بني جُثَم بن بكر بن هوازن دَيْنٌ على رجل من كِنانة ، فَلَوَّاه به (١) ،
وطال اقتضاؤه إياه ، فلم يُعطه شيئاً ، فلما أعياه وافاه الجُشمى فى سوق عُكاظِ بِقِرْدٍ
وجمل ينادى : مَنْ يبيعنى مِثْلَ هذا الرُّبَّاحِ (٢) بِمالِ على فلان بن فلان الكِنانى !
من يمطينى مِثْلَ هذا بِمالِ على فلان بن فلان الكِنانى ! رافعاً صوته بذلك ؛ فلما طال
نِدَاؤُهُ بذلك ، وتمييزُهُ به كِنانة مرَّ به رجلٌ منهم ؛ فضرب القِرْدَ بسيفه فقتله ،
فهتف الجُشمى : يا آل هوازن ! وهتف الكِنانى : يا آل كِنانة ! فَتَجَمَّعَ الحَيَّانُ
حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفّوا وقالوا : أفى رُبَّاحٍ تُرىقون دماءكم ،
وتقتلون أنفسكم ! وأصلح عبد الله بن جُدعان بينهما .

* بين كِنانة وقيس ، وتحاجز الحَيَّان ، وأصلح بينهما عبد الله بن جُدعان .

(١) لَوَّاه : ماطله . (٢) الرِّبَّاح : القِرْد .

أيام الفجار الثاني

١ - يوم نخلة*

كان البرّاض^(١) بن قيس الكنانى سكيراً فاسقاً ، خلعه قومه وتبرّوا منه ، فشرب فى بنى الدّيل^(٢) فخلّموه ، فأتى مكة وأتى قريشاً ، فنزل على حرب بن أمية ، فحالفه وأحسن جواره ، وشرب بمكة حتى همّ حرب أن يخلّمه ، فقال لحرب : إنه لم يبقَ أحدٌ ممن يعرفنى إلا خلّعنى سواك ، وإنك إن خلّعتنى لم ينظرُ إلى أحدٍ بعدك ، فدعنى على حلفك وأنا خارج عنك ؛ وتركه وخرج .

وكان النعمان بن المنذر قد بعث إلى سوق عكاظ إذ ذاك بلطيمة^(٣) يُجيزها له سيّد مضر ، فتباع ويشتري له بثمنها الأدم والحرير والوكاء^(٤) والبرود من العصب^(٥) والوشى والسير^(٦) والعدنى .

وكانت سوق عكاظ فى أول ذى القعدة ، فلا تزال قاعة^(٧) يباع فيها ويشترى إلى حضور الحج .

* لقيس عيلان على كنانة وقريش ، ونخلة : موضع قريب من مكة فيه نخل وكروم

(١) كان يضرب المثل بفتكه ، فيقال : أفتك من البراض ، قال بعضهم :

والفتى من تعرفته الليالى فهو فيها كالحية النضاض

كل يوم له بصرف الليالى فتكة مثل فتكة البراض

(٢) بنى الديل : حى من عبد قيس . (٣) اللطيمة : العير التى تحمل الطيب وبز التجار

(٤) الوكاء : رباط القرية وكل ما شد رأسه من وعاء ونحوه . (٥) العصب من الثياب :

اليامية . (٦) السير : نوع من البرود فيها خطوط تعمل من الفر

يبين النخلة والطائف ، وبها نخل وأموال لثيف .

وجَهَّزَ النِّمْنَمانَ لَطِيْمَةً لَهُ وَقَالَ : مَنْ يُجِيزُهَا ؟ فَقَالَ الْبَرَّاضُ : أَنَا أُجِيزُهَا عَلَى بَنِي كَنْانَةَ ^(١) . فَقَالَ النِّمْنَمانُ : إِنَّمَا أُرِيدُ رَجُلًا يُجِيزُهَا عَلَى أَهْلِ نَجْدٍ ، فَقَالَ عُرْوَةُ ^(٢) الرَّحَالُ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ رَجُلٌ هَوَازِنٌ - أَكَلَبُ خَلِيعٍ يُجِيزُهَا لَكَ ؟ أَيْتَ اللَّعْنِ ! أَنَا أُجِيزُهَا لَكَ عَلَى أَهْلِ الشَّيْحِ وَالْقَيْصُومِ ^(٣) فِي أَهْلِ نَجْدٍ وَتَهَامَةَ !

فَقَالَ لَهُ الْبَرَّاضُ : أَعَلَى بَنِي كَنْانَةَ تَجِيزُهَا يَا عُرْوَةُ ؟ فَقَالَ عُرْوَةُ : وَعَلَى النَّاسِ جَمِيعًا ! فَدَفَعَهَا النِّمْنَمانُ إِلَى عُرْوَةَ ، وَخَرَجَ بِهَا ، وَتَبِعَهُ الْبَرَّاضُ ، وَعُرْوَةُ يَرَى مَكَانَهُ وَلَا يَخْشَاهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : أَوَارَةُ ^(٤) نَزَلَ عُرْوَةُ وَشَرِبَ مِنَ الْحَمْرِ ، وَغَنَّتْهُ قَيْئَةً ، ثُمَّ قَامَ فَنَامَ .

فَجَاءَ الْبَرَّاضُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَتَأَشَّدَ عُرْوَةُ وَقَالَ : « كَانَتْ مِنِّي زَلَّةٌ ، وَكَانَتْ الْقَعْلَةُ مِنِّي ضَلَّةٌ » ، وَلَكِنَّ الْبَرَّاضَ قَتَلَهُ ^(٥) ، وَهَرَبَ عَصَارِيطُ ^(٦) الْإِبِلِ ، وَاسْتَنَاقَ الْبَرَّاضُ اللَّطِيْمَةَ إِلَى خَيْبَرِ .

(١) يَرِيدُ أَهْلَ الْحِجَازِ (٢) هُوَ عُرْوَةُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْبَةَ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ يَنْتَسِبُونَ إِلَى جَعْفَرٍ فَيَقَالُ الْجَعْفَرِيُّونَ ، وَكَانَ يَعْرِفُ بِعُرْوَةَ الرَّحَالِ - لِرَحْلَتِهِ إِلَى الْمُلُوكِ ، وَكَانَ مِنْ ذَوِي الْعَقْلِ وَالشَّهَامَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَرْدَافِ الْمُلُوكِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (٣) الشَّيْحُ وَالْقَيْصُومُ : نَبْتَانِ وَهُوَ يَرِيدُ أَنَّهُ يُجِيزُهَا عَلَى الْعَرَبِ جَمِيعًا (٤) أَوَارَةُ : مَاءُ لَبْنِي تَيْمٍ (٥) وَقَدْ ارْتَجَزَ الْبَرَّاضُ فِي قَتْلِ عُرْوَةَ :

قَدْ كَانَتْ الْقَعْلَةُ مِنِّي ضَلَّةً هَلَا عَلَى غَيْرِي جَعَلْتَ الزَّلَّةَ
فَسَوْفَ أَعْلُو بِالْحَسَامِ الْقَعْلَةَ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَدَاهِيَةَ يِهَالِ النَّاسِ مِنْهَا شَدَّدْتَ لَهَا بَنِي بَكْرِ ضُلُوعِي
هَتَكْتَ بِهَا يَبُوتَ بَنِي كَلَّابٍ وَأَرْضَعْتَ الْوَالِيَّ بِالرُّضُوعِ
جَمْتَ لَهَا يَدِي بِنَصْلِ سَيْفٍ أَقْلَ نَفَرٍ كَالْجُدْعِ الصَّرِيعِ

سَيْفٌ أَقْلَ : ذُو فُلُولٍ .

وَقَالَ :

وَكُنْتُ قَدِيمًا لَا أَقْرُ فُغَارًا وَكُنْتُ قَدِيمًا لَا أَقْرُ فُغَارًا
فَأَسْمَعُ أَهْلَ الْوَادِيْنَ خَوَارًا

تَقَمْتُ عَلَى الْمَرْءِ الْكَلَّابِي فَخَرَهُ تَقَمْتُ عَلَى الْمَرْءِ الْكَلَّابِي فَخَرَهُ
عَلَوْتُ بِحَدِّ السَّيْفِ مَفْرُقَ رَأْسِهِ عَلَوْتُ بِحَدِّ السَّيْفِ مَفْرُقَ رَأْسِهِ

(٦) الْعَصَارِيطُ : الْخُدَمُ الْقَائِمُونَ عَلَى الْإِبِلِ .

وَتَبِعَهُ رَجُلَانِ مِنْ قَيْسٍ لِيَأْخُذَاهُ ؛ أَحَدُهُمَا مِنْ غَنِيٍّ ، وَالْآخَرُ مِنْ غَطَفَانَ ، وَلَمَّا وَصَلَا إِلَى خَيْبَرَ كَانَ الْبَرَّاضُ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمَا ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ الرَّجُلَانِ ؟ قَالَا : مِنْ قَيْسٍ ؛ وَاحِدٌ مَنَا مِنْ غَطَفَانَ ، وَالْآخَرُ مِنْ غَنِيٍّ ؛ فَقَالَ الْبَرَّاضُ : وَمَا شَأْنُ غَطَفَانَ وَغَنِيٍّ بِهَذِهِ الْبِلَادَةِ ؟ فَقَالَا : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مَنْ أَهْلُ خَيْبَرَ ، قَالَا : أَلَيْكَ عِلْمٌ بِالْبَرَّاضِ بْنِ قَيْسٍ ؟ فَقَالَ : دَخَلَ عَلَيْنَا طَرِيدًا خَلِيمًا فَلَمْ يَوْوَهُ أَحَدٌ مِنْ خَيْبَرَ ، وَلَا أَذْخَلَهُ بَيْتًا . قَالَا : فَأَيْنَ يَكُونُ ؟ فَقَالَ : وَهَلْ لَكُمَا بِهِ طَاقَةٌ إِنْ دَلَّتُكُمَا عَلَيْهِ ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : فَانْزِلَا وَاعْقِلَا رَا حَلْتِيكُمَا ، فَفَعَلَا .

ثُمَّ قَالَ : فَأَيْكُمَا أَجْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْضَى مَقْدَمًا ، وَأَحَدٌ سَيْفًا ؟ فَقَالَ الْغَطَفَانِيُّ : أَنَا ! قَالَ الْبَرَّاضُ : فَانْطَلِقْ أَذْكَ عَلَيْهِ ، وَيَحْفَظُ صَاحِبُكَ رَا حَلْتِيكُمَا ، فَفَعَلَ . وَانْطَلَقَ الْبَرَّاضُ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيِ الْغَطَفَانِيِّ حَتَّى انْتَهَى إِلَى خَرِيبَةٍ فِي جَانِبِ خَيْبَرَ ، خَارِجَةٍ عَنِ الْبُيُوتِ .

فَقَالَ الْبَرَّاضُ : هُوَ فِي هَذِهِ الْخَرِيبَةِ وَإِلَيْهَا يَأْوِي ، فَأَنْظُرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ أَهْوُ فِيهَا أَمْ لَا ؟ فَوَقَفَ لَهُ وَدَخَلَ الْبَرَّاضُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هُوَ نَائِمٌ فِي الْبَيْتِ خَلْفَ الْجِدَارِ عَنْ يَمِينِكَ إِذَا دَخَلْتَ ؛ فَهَلْ عِنْدَكَ سَيْفٌ فِيهِ صَرَامَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : هَاتِ سَيْفَكَ أَنْظُرْ إِلَيْهِ أَصَارِمٌ هُوَ ؟ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَهَزَّهَ الْبَرَّاضُ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَوَضَعَ السَّيْفَ خَلْفَ الْبَابِ .

وَأَقْبَلَ عَلَى الْغَنَوِيِّ فَقَالَ لَهُ ^(١) : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : لَمْ أَرِ أَجْبَنَ مِنْ صَاحِبِكَ ؛ تَرَكْتُهُ قَاعًا فِي الْبَابِ الَّذِي فِيهِ الرَّجُلُ ، وَالرَّجُلُ نَائِمٌ ، لَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ . فَقَالَ الْغَنَوِيُّ : يَا لَهْفَاهُ ! لَوْ كَانَ أَحَدٌ يَنْظُرُ رَا حَلْتِنَا ؟ فَقَالَ الْبَرَّاضُ : هُمَا عَلَى إِنْ ذَهَبْنَا . وَانْطَلَقَ الْغَنَوِيُّ وَالْبَرَّاضُ خَلْفَهُ ، حَتَّى إِذَا جَاوَزَ الْغَنَوِيُّ بَابَ الْخَرِيبَةِ أَخَذَ الْبَرَّاضُ السَّيْفَ مِنْ خَلْفِ الْبَابِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَأَخَذَ سِلَاحَيْهِمَا وَرَا حَلْتِيَهُمَا وَانْطَلَقَ .

ولقى البراءُ بشرَ بن أبي خازم فقال له : هذه القلائص^(١) لك على أن تأتي حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان وهشاما والوليد ابني المغيرة فتخبرهم أن البراءُ قتل عروة ، فإني أخاف إن يسبق الخبرُ إلى قيس^(٢) أن يكتموه حتى يقتلوا به رجلا من قومك عظيما . فقال له : وما يؤمنك أن تكون أنتَ ذلك القتل . قال : إن هوازن لا ترضى أن تقتلَ بسيدها رجلا خليعا مثلي .

وكانت العرب إذا قدمت عُكاظ دفعت أسلحتها إلى عبد الله بن جُدعان^(٣) حتى يفرغوا من أسواقهم وحجَّهم ، ثم يردُّها عليهم إذا ظعنوا . وكان سيِّدا حكيما متريِّبا من المال . فجاء القومُ وأخبروه خبرَ البراءُ وقتله عروة ، وأخبروا حربَ ابن أمية وهشاما والوليد ابني المغيرة .

وجاء حربٌ إلى عبد الله بن جُدعان فقال له : احتبس قبلك سلاحَ هوازن . فقال له ابن جُدعان : أيا بالعدر تأمرني يا حرب ! والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربتُ به ، ولا رمح إلا طعنتُ به ما أمسكتُ منها شيئا ؛ ولكن لكم فائدة درع ، ومائة رمح ، ومائة سيف في مالي تستعينون بها . ثم صاح ابن جُدعان في الناس : من كان له قبلي سلاحٌ ، فليأت ليأخذه . فأخذ الناس أسلحتهم .

وبعث ابن جُدعان وحربُ بن أمية وهشام والوليد إلى أبي براء زعيم هوازن : إنه قد حدث في قومنا بحكمة حدثُ أتنا خبره ، وقد خفنا تفاقمَ الأمر ، فلا تشكروا خروجنا ولا يرد عنكم تحملنا . وساروا على كل صعب وذلول راجعين إلى مكة .

(١) القلائص : جمع قلوص ، وهي الشابة من الإبل
(٢) قيس : قوم عروة وهو ينتهي إلى عامر فهوازن فقيس عيلان
(٣) كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب لعظمها ، وربما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم طعامه .

فلما كان آخر النهار أتى عامر بن مالك مُلَاعِبَ الأَسِنَّةِ الخَبْرُ ، فقال : غَدَرَتِ قريش ، وخذعني حرب بن أمية ، والله لا تنزل كنانة عكاظ أبداً ، ثم ركبوا في إثرهم حتى أدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجن عليهم الليل ؛ فكفوا .

ونادى أحد بني عامر^(١) : يا معشر قريش ؛ ميعاد ما ينفنا هذه الليلة من العام المقبل بمُكاظ .

(١) اسمه الأدرم بن شعيب .

٢ - يوم شَمْطَةِ*

تَجَمَّعَتْ قَرِيشٌ وَكِنَانَةٌ بِأَسْرِهَا وَالْأَحَابِيشِ ^(١) وَمَنْ لَحِقَ بِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِجَةَ ؛ وَسَلَّحَ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ مِائَةَ كَمِيٍّ ^(٢) بِأَدَاةٍ كَامِلَةٍ ، سِوَى مَنْ سَلَّحَ مِنْ قَوْمِهِ ، وَجَمَعَ سَلِيمٌ وَهَوَازَنٌ ^(٣) جَمْعَهَا وَأَخْلَافَهَا غَيْرَ كَلَابٍ وَبَنِي كَعْبٍ ^(٤) ؛ فَانْتَهَمَا لَمْ يَشْهَدَا يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْفَجَارِ غَيْرِ يَوْمِ نَحْلَةٍ .

فاجتمعوا بِشَمْطَةِ مِنْ عِكاظٍ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي تَوَاعَدُوا فِيهَا عَلَى قَرْنِ الْحَوْلِ ؛ وَعَلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَرِيشٍ وَكِنَانَةٍ سَيْدٌ ، وَكَذَلِكَ عَلَى قَبَائِلِ هَوَازَنٍ وَسَلِيمٍ ؛ غَيْرَ أَنَّ أَمْرَ كِنَانَةٍ كُلِّهَا إِلَى حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةٍ . وَعَلَى إِحْدَى مُجَنَّبَتَيْهَا ^(٥) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ وَعَلَى الْآخَرَى هِشَامُ بْنُ الْغَيَرَةِ ، وَأَمْرُ هَوَازَنٍ وَسَلِيمٍ كُلِّهِمَا إِلَى مَسْعُودِ بْنِ مَعْتَبٍ النَّقَفِيِّ . وَتَنَاهَضَ النَّاسُ ، وَزَحَفَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؛ فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ لِكِنَانَةٍ عَلَى هَوَازَنٍ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ تَدَاعَتْ هَوَازَنٌ ، وَصَابِرَتْ ، وَانْقَشَعَتْ كِنَانَةٌ ، وَاسْتَحْرَ ^(٦) الْقَتْلُ فِي قَرِيشٍ ، وَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو مُسَاحِقٍ بُلْعَاءَ بْنَ قَيْسٍ

* لَقِيسٌ عَلَى كِنَانَةٍ وَقَرِيشٍ ، وَشَمْطَةُ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ عِكاظٍ

(١) الْأَحَابِيشُ : يَسْمُونَ أَحَابِيشَ قَرِيشٍ ، وَاسْمُهَا كَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ تَحَالَفُوا بِأَنَّهُمْ لَيْدٌ عَلَى غَيْرِهِمْ ، مَسْجَالِيلٌ وَمَا وَضَعَ نَهَارٌ ، وَمَارَسَا حَبَشَى (جَبَلٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ) (٢) الْكَمِيُّ : الشَّعَاعُ (٣) كَانَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ مَلَاعِبُ الْأُسْتَنِةِ أَبُو بَرَاءٍ ، وَعَلَى بَنِي نَصْرٍ وَسَعْدٌ وَثَقِيفٌ سَلِيمٌ بْنُ رَيْعٍ . وَعَلَى بَنِي جِشْمِ الصَّمَةِ (وَالِدُ دَرِيدٍ) وَعَلَى غُظْفَانَ عَوْفُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ . وَعَلَى بَنِي سَلِيمٍ عَبَّاسُ بْنُ زَغَلٍ . وَعَلَى فِهِمْ وَعَدَوَانُ كَدَامُ بْنُ غَمْرٍو ، وَجَمِيعُهُمْ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ (٤) كَعْبٌ وَكَلَابٌ : حَيَّانُ فِي بَنِي عَامِرٍ (٥) الْحُجْبَةُ الْيَمْنَى : هِيَ مَيْمَنَةُ الْعَسْكَرِ ، وَالْحُجْبَةُ الْيَسْرَى : هِيَ الْمَيْسَرَةُ ، وَمَا مُجَنَّبَتَانِ بِكُسْرِ النُّونِ ، وَقِيلَ : هِيَ الْكُتَيْبَةُ الَّتِي تَأْخُذُ إِحْدَى نَاحِيَتَيْ الطَّرِيقِ ، قَالَ فِي اللِّسَانِ : وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ (٦) اسْتَحْرَ : اشْتَدَّ .

قال لقومه : الحقوا برّحِم^(١) ؛ ففعلوا وانهزم الناس ، وفي ذلك يقول خِداش^(٢)
ابن زهير :

ألا أبلغ إن عرضت به هشاماً	وعبد الله أبلغ والوليد
أولئك إن يكن في الناس خيرٌ	فإنّ لديهم حسباً وجوداً
هم خيرُ العاشر من قريش	وأورأها إذا قدحت زُوداً
بأنا يوم شِطَّةٍ قد أقمنا	عمود المجد إن له عموداً
جلينا الخيلَ ساهمةً إليهم	عَوَّاس يدِرغن النقع قُوداً ^(٣)
فيتنّا نعقد السيّا ^(٤) ويأتوا	وقلنا صبحوا الأُنس ^(٥) الجديداً
فجاءوا عارضاً برّداً وجثنا	كما أضرمت في الغاب الوقوداً ^(٦)
ونادوا بالمعيرِ لا تفرّوا	فقلنا لا فرار ولا صدوداً ^(٧)
فعارَكنا السكّمة ^(٨) وعاركونا	عراك النمر عاركت الأسودا
فولّوا نضرب الهامات منهم	بما انتهكوا المحارم والحدودا

(١) رخم : موضع قريب من مكة (٢) هو خدّاش بن زهير بن عمرو ، من عامر بن
صمصة (٣) قود : جمع أقود ، وهي الخيل السلسة القيادة . والنقع : الفبار الساطع . والخيل
الساهمة : التي تتغير ألوانها مما بها من الشده ، ومنه قول عنترة :

والخيل ساهمة الوجوه كأنما يسقى فوارسها نقيع الخنظل

(٤) السيا : العلامات (٥) الأُنس : الحى القيون (٦) العارض : السحاب ، والبرد : المطر ،
كأنهم أمطروا سهاماً (٧) لاصدودا : لا يصدم أحد (٨) السكّمة : جمع كمي وهو الشجاع .

٣ — يوم العَبْلَاءِ*

عادت هَوَازَن وكنانة إلى الحرب ، والتقوا على قرن الحَوْل في اليوم الثالث من أيام عُكاظ ، واقتتلوا وكانت الهزيمة على كِنانة^(١) ، فقال خِدَاش بن زهير :

ألم يبلغك بالْعَبْلَاءِ أَنَا ضربنا خِنْدِفا حتى استقادوا
نبتى بالنازل عزّ قيسٍ وودّوا لو تسيخُ بنا البلاد
وقال أيضا :

ألم يبلغك ما قالت قريش وحى بنى كنانة إذ أُثيروا
دهنهم بأرعن مكفهرٍ فظلّ لنا بمقوتهم زئير^(٢)
نقوم مارن الخلطى فيهم يحى على أسننتنا الخريز

* لقيس على كنانة وقريش ، والعبلاء : علم على صخرة يضاء إلى جنب عكاظ
(١) وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد (والد الزبير بن العوام) ، قتله مرة بن معتب الثقفي
وفي ذلك يقول رجل من ثقيف :

منا الذي ترك العوام مجندلا تتناب الطير لحماً بين أحجار
(٢) الأرعن : الأنف العظيم من الجبل ، وشبه به الجيش ، يقال : جيش أرعن ، أى له فضول
كرعان الجبل ، والكفهر : السحاب الغليظ السود الراكب بعضه بعضاً ، شبه به الجيش ، والقوة :
الساحة والحلّة .

٤ — يوم عُكاظ *

التقت كِنانة وقيسُ على رأس الحول من اليوم الرابع من أيام عُكاظ ، وقد جمع بعضهم لبعض ، واحتشد الرؤساء بحالهم ^(١) ؛ وحمل عبدُ الله بن جدعان يومئذ ألفَ رجل من بني كِنانة على ألفِ بعر ، وخشيت قريش أن يجرىَ عليها ما جرى يوم القَبلاء ، فقيّد حرب وسفيان وأبو سفيان ^(٢) بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم وقالوا : لا نبرح حتى نغوث مكاننا ، أو نظفر !

واقتل الناسُ يومئذ قتالا شديداً ، وثبت الفريقان حتى همت بنو بكر بن عبدمناه وسائر بطون كِنانة بالهرب ، وكانت بنو مخزوم تلي كِنانة فحافظت حفاظاً شديداً ، وكان أشدهم يومئذ بنو المغيرة ؛ فإنهم صبروا وأبْلَوْا بلاءَ حسناً ؛ فلما رأت ذلك بنو عبدمناه بن كِنانة تذاَمروا ^(٣) فرجعوا ، وحملت قريش وكِنانة على قيس من كل وَجْه حتى انهزمت .

* لكِنانة وقريش على هوازن

- (١) لما خرجت قريش للموعِد ، كان على كل بطن رئيس ، فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإخوته أبو طالب وحزّة والعباس ، وعلى بني أمية وأحلافها حرب بن أمية ، وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم ، وعلى بني أسد خويلد ابن أسد ، وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة (والد أبو جهل) ، وعلى بني تيم عبد الله بن جدعان ، وعلى بني جمح معمر بن خبيب ، وعلى بني سهم العاص بن وائل ، وعلى بني عدى زيد بن عمرو ، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس (والد سهيل بن عمرو) ، وعلى بني فهر عبد الله بن الجراح (والد أبي عبيدة) ، وعلى بني بكر بن عبدمناه بلعاء بن قيس ، وعلى بني أسد بشر بن أبي خازم ، وعلى بني فراس بن غم عمير بن قيس (٢) في ابن الأثير : أبو العاص (٣) تذاَمروا : تلاوموا على ترك الفرصة . وقد تسكون بمعنى تحاضوا على القتال .

ولما رأى أبو السيد النضرى ^(١) ما تصنع كنانة من القتل نادى : يامعشر بنى كنانة ؛ أسرفتم فى القتل . فقال ابن جُعدان : إنا معشر يُسرف . ولما رأى سبيع بن ربيع هزيمة قبائل قيس عقل نفسه واضطجع وقال : يامعشر بنى نصر ؛ قاتلوا عنى أو ذروا ؛ فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدوان ^(٢) ، وانهزم باقى قبائل قيس ، وقاتل هؤلاء ولسكهم لم يغنوا شيئاً .

وكان مسعود بن معتب الثقفى قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس ابن عبد مناه خباء ، وقال لها : مَنْ دَخَلَهُ من قریش فهو آمن ، فجعلت توصل فى خبائها ليتسع ؛ فقال لها : لا يتجاوزنى خباؤك ، فإنى لا أمضى إلا من أحاط به الخباء . فأحفظها ، فقالت : أما والله إنى لأظن أنك ستؤد أن لو زدت فى توسعته .

فلما انهزمت قيس دخلوا خبائها مستجيرين بها ؛ فأجار لها حرب بن أمية جيرانها ، وقال لها : يا عمّة ؛ من تمسك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن . فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا ، فلم يبق أحدٌ لا نجاة عنده إلا دار بخبائها ، فقبل لذلك الموضع : مدار قيس ، وكان يضرب به المشل ، فتغضب قيس ^(٣) .



وفى هذا اليوم قال ضرار بن الخطاب الفهرى :

ألم تسأل الناس عن شأننا ولم يُثبت الأمر كالحابر
غداة عكاظ إذ استكملت هوازن فى كفها الحاضر

(١) من قيس ، وهو عم مالك بن عوف (٢) قبائل فى قيس (٣) كان مسعود بن معتب قد أخرج معه يومئذ بنيه : عروة ولوحة ونورة والأسود ، فكانوا يدورون وهم غلمان فى قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ليحبروهم فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا .

وجاءت سليم تهزُّ القنا على كل سلهبة^(١) ضامر
 وجئنا إليهم على المضمرات بأرعن ذى لَجَبٍ زَاخِر^(٢)
 فلما التقينا أَذَقْنَاهُمْ طِيعَانًا بِسُوءِ الْقَنَاءِ^(٣) العائري
 ففرت سليم ولم يصبروا وطارت شَمَاعًا^(٤) بنو عامر
 وفرت ثقيف إلى لَآئِهَا^(٥) بمنقلب الخائب الخاسر
 وقاتلت المنس^(٦) شطر الها رثم تولت مع الصادر

(١) السلهبة : القرس الجسيمة ، والضامر : القرس الدقيق الحاسجين (٢) الأرعن :
 الجيش ، واللجب : الصياح (٣) السهم العائري : الذي لا يدري من أين يأتي
 (٤) شماعا : متفرقين (٥) اللات : صنم (٦) المنس : قبيلة .

٥ - يوم الحرية*

ثم جَمَعَ هؤلاء وأولئك ، والتقوا على رأسِ الحول بالحريرة ، والرؤساء بمحلمهم
إلا بلعاء بن قيس فإنه قد مات ، فصار أخوه جُثامة بن قيس مكانه على عشرين ،
واقْتَتَلُوا ؛ فانهزمت كنانة .

ثم كان الرجلُ بعد ذلك يَلْقَى الرجلَ ، والرجلان يلقيان الرجلين ؛ فيقتل
بعضهم بعضاً .

ثم تداعروا إلى الصلح على أن يعدّوا القتلى ، فأبى الفريقين فضل له قتلُ أخذ
ديتهم من الفريق الآخر ، فتعادوا القتلى فوجدوا قريشاً وبنى كنانة قد أفضلوا على
قيس عشرين رجلاً .

فرهن حرب بن أمية ابنه أبا سفيان، ورهن الحارث بن كلدة العبدى ابنه النضر،
ورهن سفيان بن عوف ابنه الحارث . ولما رأت قيس رهائن قريش بأيديهم رغبوا
في العفو فأطلقوهم ، وانصرف الناس بعضهم عن بعض ، ووضعوا الحرب .

وفي تلك الوقعة قال خِدَاش بن زهير :

لقد بلوكم فابلوكم بلاءهم	يوم الحرية ضرباً غير تكذيب
إن توعدونى فإني لأبئن عمكم	وقد أصابوكم منه بشوئوب
وإن ورقاء قد أودى أبا كنف	وابنى إياس وعمرا وابن أيوب
وإن عثمان قد أودى ثمانية	منكم وأنتم على خير وتجريب

(*) ليس على كنانة وقريش ، والحريرة موضع بين الأبواء ومكة قرب نخلة .

وقالت أميمة بنت أمية بن عبد شمس ترى أخاها أبا سفيان بن أمية ومن قتل

من قومها :

أبى ليلك لا يذهب^(١) ونيط الطرف بالكوكب^(٢)
 ونجم^(٣) دونه النسران بين الدلو والعقرب^(٤)
 وهذا الصبح لا يأتي ولا يدنو ولا يقرب^(٥)
 يقرب^(٦) عشيرة متاً كرام الحميم والنصب^(٧)
 أحوال^(٨) عليهم دهر^(٩) حديد^(١٠) الثاب^(١١) والخلب^(١٢)
 خل^(١٣) به وقد أمنوا ولم يقصر^(١٤) ولم يشطب^(١٥)
 وما عنه إذا ما حل^(١٦) م من منجى ولا مهرب^(١٧)
 ألا باعين فابكيهم^(١٨) بدمع منك مستغرب^(١٩)
 فإن أبكى فهم عزى^(٢٠) وهم ركنى وهم منك^(٢١)
 وهم أصلى^(٢٢) وهم فرعى^(٢٣) وهم نسبي إذا أنسب^(٢٤)
 وهم مجدى^(٢٥) وهم شرعى^(٢٦) وهم حصنى إذا أرب^(٢٧)
 وهم رمنى^(٢٨) وهم ترمى^(٢٩) وهم سيقى إذا أغضب^(٣٠)
 فكم من قاتل منهم^(٣١) إذا ما قال لم يكذب^(٣٢)

(١) تريد أن ليلها قد طال لفرط حزنها على القتلى
 والنسران هما : النجم الطائر والنجم الواقع وهما اسمان لنجمين ، وهى تزعم أن النجم لا يروح مكانه
 كناية عن طول الليل (٢) التقدير : أبكى لعمر ، والحميم : الطباع (٣) أحوال عليهم :
 أحوالهم (٤) أقصره : كفه . وشطبه : قطعه ؛ تقول أصابهم الدهر بضرباته حين كانوا
 يأمنون منها فلم يدفعها عنهم دافع (٥) استغوب الدمع : سال (٦) تريد أنهم فخرى
 وسندى .

وكم من ناطقٍ فيهم خطيب مصفغ مُعَرَّب^(١)
 وكم من فارس فيهم كميّ مُعَلِّمٌ مُحَرَّب^(٢)
 وكم من مدّريّ فيهم أريب جُولٍ قُلَّب^(٣)
 وكم من جَحْفَلٍ فيهم عَظِيمُ النَّارِ وَالْمَوَكِّ^(٤)
 وكم من خَضِرٍ فيهم نَجِيبٌ مَاجِدٌ مُنْجِب^(٥)



وقالت فاطمة^(٦) بنت الأحجم ترثي الجراح^(٧) زوجها :

يا عين بكى عند كل صباح^(٨) جودي بأربعة^(٩) على الجراح
 قد كنت لي جَبَلاً أَلُوذُ بظِلِّهِ فتركتني أضْحَى بِأَجْرَدٍ ضاح^(١٠)
 قد كنت ذات حَمِيَّةٍ ماعشت لي أُمْسَى الْبَرَّازِ وَكنت أنتِ جَنَاحِي^(١١)
 فاليوم أخضع للذليل وأتقى مِنْهُ وَأدفع ظالِي بِالرَّاحِ^(١٢)

- (١) العرب : الفصحح (٢) الكمي : الشجاع ، والمعلم : الفارس الذي يجعل لنفسه علامة الشجاعة في الحرب . والحرب : الكثير الحروب (٣) المدري : السيد التولى أمر قومه ، والأريب : الماهر الحاذق ، والجول : الشديد الاحتياط (٤) الجحفل : الجيش الكبير ، والموكب : الجماعة (٥) الخضرم : السيد الجواد (٦) أمها خالدة بنت هاشم بن عبد مناف نبئت في أواخر القرن السادس للمسيح (٧) حكى أن فاطمة الزهراء كانت تتمثل بهذه الأبيات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٨) اختصت الصباح لأنه كان وقت نكاته بأعدائه (٩) لعلها تريد الموقنين والعاظنين (١٠) قال في التبريزي عند شرح هذا البيت : الأجرد : الأملس والضحى : البارز للشمس ، أي انكشفت بعد أن كنت في ستر (١١) يقال : فلان حي الأنف ، أي لا يحتمل الضيم ، والبراز : الفضاء ، وهي تريد أن حياتك كانت تشد أزرى (١٢) تريد أنه لا ناصر لها ، ولا سلاح عندها تدفع به عن نفسها من يظلمها ، وتكفي برد من يظلمها بدفعه بالراح ١٠

وَأَغْضُ مِنْ بَصْرِي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسِي وَرِمَاحِي ^(١)
 وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنًا لَهَا يَوْمًا عَلَى فَنَنِ دَعْوَتِ صَبَاحِي ^(٢)
 أُمِسْتُ رِكَابَكَ يَا بَنَى لِيلى بَدَنًا صَنَفَيْنِ بَيْنَ مَوَاحِضٍ وَلِقَاحِي ^(٣)
 وَلَقَدْ تَظَلَّ الطَّيْرُ تَخْطَفُ جُنْحًا مِنْهَا لُحُومُ غَوَارِبٍ وَصِفَاح ^(٤)
 وَمَطْوَحٍ قَفَرٍ دَعْوَتُ نَعَامِهِ قَبْلَ الصَّبَاحِ بِضُمِّرٍ أَطْلَاح ^(٥)
 وَخَطِيبٍ قَوْمٍ قَدَمُوهُ أَمَامَهُمْ تَقَى بِهِ مُتَخَمِّطٌ ^(٦) تَيَّاح ^(٧)
 جَاوَبَتْ خُطْبَتَهُ فَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمَّا نَطَقَتْ مَمْلَحٌ بِمِلَاح ^(٨)



(١) بَانَ : بعد ؛ تقول : احتمل الظلم وأُحتمِل الضيم لعلنى بأن قد اجتمعت أسنة الرماح التى كان يدافع بها القرسان عنى (٢) قال التبريزى فى شرح هذا البيت : أى أقول : واسوء صباحاه ! والمواخض : القرب من التوق ، ونصب شجننا لأنه مفعول له ؛ لأن الشجن يحملها على الدعاء ، والشجن معناه : الحزن (٣) الركاب : الإبل لا مفرد لها من لفظها ، وليلى أمه ، والبدن : جمع بادن وهو عظيم البدن ، واللقاح : الإبل بأعيانها ، الواحدة لقوح ، وهى الحلوب ، تمدحه بسمة ثروته (٤) الجتح : جمع جانح ، أى مائل ، ومنها تعود لى الركاب ، والفوارب : جمع غارب وهو الكاهل ويستنام البعير والصفاح : جمع صفح وهو الجنب ، تريد : أنه يضحي لضيفه وللمحتاجين ضحايا ، وكثرتها ينال منها الطيور (٥) المطوح : المغازة الواسعة يتيه بها السالك فيها ، والاطلاح : جمع طلع ، وهو المهزول كالضامر ، تقول إنه يسلك فى الصحارى القفرة ويسير فيها غدوة قبل النعام ، لرباطة جأشه ، ويركب خيلا خفيفة قليلة اللحم ، أهزلها بكثرة ركوبها (٦) المتخبط : التكبر (٧) التياح : من يتعرض لما لا يعنيه (٨) الملاح : جمع ملح ، تمدحه بالبالغة واللسن ، تقول فى البيتين : ربما أنك خطيب مدره اختاره قومه ، واثنين بفصاحته ، وهو يعظم نفسه ، ويتعرض لأمرور ليست من شأنه ، فأغثته بجوابك له ، فكان أمامك كأنه تفه لا طعم له ، فلفتة بملاح ، أى عمل كلامك فيه فىن قصه .

وقالت ترى إخوتها :

إخوتي لا تبعدوا أبداً وبلى والله قد يبعدوا^(١)
لو تملكتهم عشيرتهم^(٢) لاقتناء المزم أو ولدوا
هان من بعض الرزية أو هان من بعض الذي أجد^(٣)
كل ما حي وإن أمروا واردوا الحوض الذي وردوا^(٤)

(١) لا تبعدوا : أى لا تهلكوا ، وهى فى ههنا البيت تتحسر وتتوجع (٢) تملكتهم : تملكت بهم
(٣) هان : جواب لو ، والرزية : المصيبة ، ومعنى البيت : لو تملكت بهم عشيرتهم
زمناً طويلاً حتى حازت المزم ، أو خلفوا أولاداً لحف بعض المصيبة ، أو بعض ما أجده من الحزن
(٤) ما : زائدة وأمروا : عمروا ، والضمير فيه يرجع إلى كل ، والمعنى كل الأحياء وإن عمروا
طويلاً لا بد أن يردوا الحوض الذى وردوه إخوتي .

٨- أيام قيس وعيم

١- يوم زحر حان .

٢- « شعب جبلة .

٣- « ذى نجب .

٤- « الصرائم .

٥- « الرغام .

٦- « جزع ظلال .

٧- « المروت .

(١) يوم رَحْرَحان *

لما قتل الحارث بن ظالم المرّي خالد بن جعفر الكلّابي غدرًا عند النّمان^(١) تشاءم قومه به ، ولأموه ، فكره أن يكون لهم عليه منّة ، فهرب ونبت به البلاد . ثم لحق بتميم واستجار بهم فأجاروه ، وأبوا أن يُسلموه أو يُخرجوه من عندهم ، وعلم بهذا بنو عامر^(٢) ، فخرجوا إليه ، وفيهم كثير من وجوههم يزعمهم الأخص ابن جعفر الكلّابي أخو خالد بن جعفر ؛ ولما صاروا بأدنى مياه بني دارم^(٣) رأوا امرأة منهم تجني الكمأة^(٤) ، ومعها جل لها ، فأخذها رجل منهم وسألها عن الخبر ، فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب^(٥) بن زُرارة ، وما وعده من نصره ومنته .

فلما كان الليل نام ، وقامت المرأة إلى جملها فركبتُهُ ، وسارت حتى صبحت بني دارم ، وقصدت سيدهم حاجب^(٦) بن زُرارة بن عدُس ، فأخبرته الخبر ، وقالت : أخذني أمس قومٌ لا يريدون غيرك ولا أعرفهم . قال : أخبريني ، أي قوم هم ؟ قالت : قوم يُقبلون بوجوه الظباء ، ويدبّرون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر ، فصفيهم لي .

* لعاصم على تميم ، ورحرحان : اسم جبل قريب من عكاظ ، خلف عرفات
ابن الأثير ص ٣٤١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٠ ج ٣ ، النقائق ص ٢١٤ ج ١ ، الأغاني ص ٣٠ ج ١٠ ، معجم البلدان (رحرحان) .
(١) ارجع إلى يوم بطن عاقل صفحة ٢٤٢ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : قوم خالد ابن جعفر الكلّابي (٣) دارم : حي من تميم (٤) الكمأة : نبات (٥) هو حاجب ابن زُرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم (٦) رواية ابن الأثير أن هذا الحديث كان مع زُرارة ، وأسندته إلى حاجب صاحب الأغاني .

قالت : رأيت رجلاً قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بخُرْفَةٍ ، صغيرَ العينين ، وعن أمره يصُدُّرون . قال : ذاك الأحوص ، وهو سيّد القوم .

قالت : ورأيت رجلاً قليلَ النطق ، إذا تكلم اجتمع القومُ كما تجتمع الإبل لفحلها ؛ أحسنُ الناسُ وجهاً ، ومعه ابنان له يلزمانه . قال : ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل .

قالت : ورأيت رجلاً جسيماً كأنَّ لحيته مُعَصَّفَةٌ ؛ قال : ذاك عوف بن الأحوص .

قالت : ورأيت رجلاً هُلُقَماً^(١) جسيماً ، قال : ذاك ربيعةُ بن عبد الله .

قالت : ورأيت رجلاً أخنسَ^(٢) قصيراً ، قال : هذا ربيعة بن قرط .

قالت : ورأيت رجلاً أقرنَ الحاجبين ، كثيرَ شعرِ السَّيْلَةِ^(٣) ، يسيلُ لُعاؤه على لحيته إذا تكلم . قال : ذاك جندج بن البكاء .

قالت : ورأيت رجلاً صغيرَ العينين ضيقَ الجهة ، يقود فرساً له ، معه جفیر^(٤) له لا يكاد يفارقُ يده ، قال : ذاك ربيعة بن كعب .

قالت : ورأيت رجلاً معه ابنان أصهبان ، إذا أقبلا رماهما الناسُ بأبصارهم ، وإذا أدبرا كانا كذلك . قال : ذاك الصَّعِق بن عمرو بن خويلد ، وابناه يزيد وزرعة .
قالت : ورأيت رجلاً لا يقول كلمة إلا وهي أحدٌ من شَفَرَةٍ^(٥) ، قال : ذاك عبد الله بن جعدة بن كعب . ثم أمرها حاجب فدخلت بيتها .

ودعا حاجب الحارث بن ظالم فأخبره بخبرِ القوم ، وقال : يابن ظالم ؛ هؤلاء

(١) الهلقام : الضخم الطويل (٢) الخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في

الأرنبة (٣) السيلة : ما على الشارب من الشعر (٤) الجفیر : الجعبة من الجلد

(٥) الشفرة : السكين العظيم أو جانب النصل .

بَنُو عامر قد أَوَّك، فما أنت صانع ؟ قال الحارث : ذاك إليك ؛ فإن شئت أَقَتُ
فقاتلتُ القومَ وإن شئتَ تَنَحَّيْتُ ، قال حاجب : تَنَحَّ غنى غير مَلوم ! فغضب الحارث
من ذلك وقال :

لمعمرى لقد جاورتُ في حَيٍّ وائِلٍ ومن وائِلٍ جاورتُ في حَيٍّ تغلب
فأصبحت في حَيِّ الأرقامِ^(١) لم يَقُلْ لي القومُ يا حار بن ظالمٍ اذهب
وقد كان ظنِّي إذ عدلتُ إليكم بنى عُدُس^(٢) ظنِّي بأصحابٍ يَتَرَبِّ
غداةً أَناهم تَبَعٌ في جنوده فلم يُسلموا الرَّأَيْنَ من حَيٍّ يَحْصِبُ
فإن تك في عُلَيَّا هَوازن شوكةً تُخافُ ففِيكُمْ حَدٌّ نابٍ ومُغْلِبُ
وإن يُسلم البرء الزُّراري جاره فَأَعْجِبْ بها من حاجبٍ ثم أعجب
فغضب حاجب وقال :

لمعمر أَيْك الخَيْر يا حار إنني لا مُنْعُ جارٍّ من كليب بن وائِلٍ
وقد علم الحَيُّ المَدَى أَننا على ذاك كُنَّا في الخطوب الأوائِلِ
وأنا إذا ما خاف جارٌ ظلامَةً لبسنا له ثوبِي وفاءً وناثِلِ
وأن تَيْمًا لم تحارب قَبِيلَةً من الناس إلا أُولِيتْ بالكواهِلِ
ولو حاربتنا عامر يابن ظالمٍ لمضتْ غلينا عامرٌ بالأناثِلِ
ولا سَتَيْقَنْتْ عُلَيَّا هَوازن أَننا سنوْطُها في دارها بالقَبائِلِ
ولكنني لا أَبْثُ الحرب ظالما ولو هَجَّها لم أَلَفْ شَحْمَةَ آكلِ

(١) الأرقام : حَيٍّ من تغلب . (٢) عدس : جد حاجب .

ففتَحَى الحارث^(١) عن بني تميم، ولحق بمروض اليمامة .

ثم أرسل حاجب إلى الرعاء يأمرهم بإحضار الإبل ففعلوا ، وأمرهم غمّلوا
الآهل والأثقال وساروا نحو بلاد بني بغيض، ولبت هو مع بعض القوم ينتظر بني عامر .
وأصبح بنو عامر - وقد علموا حال المرأة وخبرها وهربها - فسقط في أيديهم ،
 واجتمعوا يُدِرون الرأى . قال بعضهم : كائى بالمرأة أتت قومها ، فأخبرتهم الخبر ،
 فخذروا وأرسلوا أهلهم وأموالهم إلى بلاد بني بغيض ، وابتوا مُدِين لکم فى السلاح .
 فاركبوا بنا فى طلب نعمهم وأموالهم ؛ فإنهم لا يشمرون حتى نصيب حاجتنا ،
 ونصرف . وركبوا يطلبون ظن^(٢) بني تميم .

فلما أبطأ بنو عامر عن حاجب قال لقومه : إنَّ القوم قد توجَّهوا إلى ظمئکم
وأموالکم ، فسيروا إليهم ؛ فساروا مجدين حتى التقوا برحر حان ؛ فاقتتلوا قتالا
شديداً ، وانهزمت بنو تميم ، وأسر معبد بن زرارة ، أسره عامر والطفيل ابنا مالك
ابن جعفر بن كلاب .

فوفد لقيط بن زرارة فى فدائه^(٣) فقال لهما : لکما عندى مائتا بغير .
 فقالا : یا أبا نهشل ؛ أنت سيّد الناس ، وأخوك معبد سيد مضر ، فلا تُقبلُ فيه إلا
ذبة ملك . فأبى أن يزيدهم ، وقال لهم : إن أبانا أو صانا ألا يزيد أحداً فى ديتہ على
مائتى بغير .

فقال معبد للقيط : لا تدعنى بالقيط ، فوالله لن تركتني لا ترانى بعدها أبداً .

(١) كذا فى الأغانى ، وزواية النفاض : أن الحارث قاتل مع بني تميم ، ولكن لم يكن له بلاد .

يذكر (٢) الظن : جمع ظئنة ، وهو الهودج ، فيه المرأة أم لاه والمراد هنا الإبل

(٣) فى فداء معبد أقوال كثيرة للرواة ، والثبت هنا رواية العقد الفريد .

فقال لقيط : صَبْرًا أبا القمعاق ؛ فأين وصاة أئينا : ألا تَوَأْكُلُوا العرب أنفسكم ،
ولا تريدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتذوَّب^(١) بكم ذؤبان العرب .
ورحل لقيط^(٢) عن القوم ؛ ومنع بنو عامر معبدًا عن الماء وضارَّوه حتى مات
هزالًا^(٣) .

(١) ذؤب: خبث وصار كالذئب (٢) وقد عير لقيط بتهاونه في افتداء أخيه . قال شريح
ابن الأحوص :

لقيط وأنت امرؤ ماجد ولكن حلمك لا يهتدى
ألمأ أمنت وساغ الشرا ب واحتل بيتك في شهيد
شهيد : اسم موضع .

رفعت برجلك فوق القرا ش تهدي الفصائد في معبد
وأسلمته عند جد القتال وتبخل بالمال ألا تقتدى

(٣) وفي بعض الروايات : إن معبدًا أبى أن يطعم شيئًا أو يشرب حتى مات هزالًا ، وفي بعضها
إن بني عامر بعثوه إلى رجل بالطائف كان يعذب الأسرى ، فقطعه لربا لربا حتى قتله .

(٢) يوم شعب جبلة*

— ١ —

لما نشبت المداوة بين عبس وذبيان ابني عطفان في حرب داحس^(١) والغبراء ، خرج بنو عبس من ديارهم ، وعلى رأسهم الربيع بن زياد العبسي وأخوه عامر^٢ ، وقيس ابن زهير بن جذيمة ؛ وفيما هم سائرون قال لهم الربيع : أما والله لأرمين العرب بحجرها ، أقصدوا بني عامر^(٢) .

وساروا حتى نزلوا مضيقة من وادي بني عامر ، ونزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب - وكان العقدة من بني عامر إلى كعب^(٣) بن ربيعة - فقال ربيعة بن شكل : يا بني عبس ؛ شأنكم جليل ، وذخلكم^(٤) الذي يطلب منكم عظيم ، وأنا والله أعلم أن هذه الحرب أعزّ حرب ، ما حاربتها العرب قط ، ولا بدّ من بني كلاب ، فأمهلوني حتى أستطلع طلع^(٥) قومي .

* لعمري (من قيس) وخلفائهم من عبس ، على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرها . وجبلة : جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرقى الجبل إلا من قبله . ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدّها ، وكان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة

معجم البلدان ص ٥٠٠ ج ٣ ، النقائض ص ١١٥ ج ٢ ، الأغاني ص ٣٣ ج ١٠ ، العقد الفريد ص ٣٠٧ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٥٥ ج ١ ، شواعر العرب ص ٤٨

(١) ارجع إلى صفحة ٢٤٦ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : من قيس عيلان وفيهم بطون كثيرة : منهم كعب وكناب وعمر والحريش وجمدة وقد شهدوا جميعاً جبلة إلا هلال بن عامر وعامر ابن ربيعة (٣) بطن في بني عامر (٤) الذحل : الثأر (٥) أطلعتة طلع أمرى : أبنته سري .

وخرج في قوم من بني كعب حتى جازوا^(١) بني كلاب ، فلقبهم عوف^(٢) بن الأحوص ، فحدثوه في أمر بني عيس ، فقال : يا قوم ؛ أطيعوني في هذا الطرف من غطفان ، فاقطعوهم واغنمواهم لا تفلح غطفان بعده أبداً ، والله لا تزيدون علي أن تسمنواهم وتمنواهم ؛ ثم يصيروا لقومكم أعداء .

فأبوا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على أبيه الأحوص بن جعفر ، فذكروا له من أمر عيس ، فقال الأحوص لربيعة بن شكل : أظلمتهم ظلك ، وأطمعهم طاماك ؟ قال : نعم ، قال : قد والله أجرت القوم !

ثم جاء الربيع بن زياد وقيس بن زهير إلى الأحوص - وكان رجلاً شيخاً - فتقدم إليه قيس وأخذ يجامع ثوبه من وراء فقال : هذا مقام المائد بك ، قتلتم^(٣) أبي فما أخذت له عقلاً^(٤) ، ولا قتلت به أحداً ، وقد أتيتك لتجبرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جار مما أجير منه نفسي .

ولما سمع عوف بذلك - وكان غائباً - أتى الأحوص - وعنده بنو جعفر - فقال : يا مشر بن جعفر ؛ أطيعوني اليوم واعصوني أبداً ، وإن كنت والله فيكم ممصياً ؛ إن عيساً والله لو لقوا بني ذبيان لولواكم أطراف الأسنة فابدهوا بهم فاقتلواهم ، واجملوهم مثل البرغوث دماغه في دمه ، فأبوا عليه وحالفوهم ، وأنزلوهم بمجوحة دارهم .

وكان لقيط بن زرارة سيد بني تميم قد عزم على غزو بني عامر للأخذ بثأر أخيه

(١) يقال : جاز الموضع ، أي سار فيه (٢) عوف ابن الأحوص بن جعفر بن كلاب ابن عامر (٣) قتله خالد بن جعفر العامري في يوم النغراوات (٤) العقل : الدية .

مَعْبَد^(١) ، وبينما هو يتجهزُ إِذْ أَتَاهُ الْخَبْرُ بِحَلْفِ بَنِي عَمْسٍ وَعَامِرٍ .

وكان لقيطٌ وجيهاً عند الملوك ، فذهب إلى النعمان بن المنذر يستنجده ، وأطمعته في الفَنَاءِ فَأَجَابَهُ ؛ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْجَوْنِ الْكَلْبِيِّ مَلِكِ هَجَرَ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي قَوْمٍ قَدْ مَلَأُوا الْأَرْضَ نَعَمًا وَشَاءَ ، فترسل معي ابنيك ، فإصْبَنَّا مِنْ مَالٍ وَسَبَى فَلَهُمَا ، وَمَا أَصَبْنَا مِنْ دَمٍ فَلِي ؟ فَأَجَابَهُ الْجَوْنُ إِلَى ذَلِكَ ، وَجَعَلَ لَهُ مَوْعِدًا رَأْسَ الْحَوْلِ .

ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى كُلِّ مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْسٍ دَخْلٌ ، يَسْأَلُهُ الْحَوْلُ وَالتَّظَاهَرُ عَلَى غَزْوِ عَبْسٍ وَعَامِرٍ ؛ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ بَنُو ذُبْيَانَ لِمَدَاوَنِهِمْ لِبَنِي عَبْسٍ بِسَبَبِ حَرْبٍ دَاخِسٍ وَالْفِتْرِاءِ ، وَبَنُو أَسَدٍ لِحَلْفِ كَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي ذُبْيَانَ .

وَلَمَّا كَانَ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ مِنْ يَوْمِ رَحْرَحَانَ انْهَلَتْ الْجِيُوشُ عَلَى لَقِيْطٍ : أُرْسِلَ الْجَوْنُ جَيْشًا وَعَلَيْهِ ابْنَاهُ عَمْرُو وَمَعَاوِيَةُ ، وَأُرْسِلَ النُّعْمَانُ جَيْشًا وَعَلَيْهِ أَخُوهُ لِأُمِّهِ حَسَّانُ بْنُ وَبَرَةَ الْكَلْبِيِّ ، وَأَقْبَلَ الْحَلِيفَانِ أَسَدٌ وَذُبْيَانٌ وَعَلَيْهِمْ حِصْنُ بْنُ حَذِيفَةَ ، وَأَقْبَلَ شَرْحِبِيلُ بْنُ أَخْضَرَ بْنُ الْجَوْنِ بْنُ آ كُلٍ الْمُرَارِ فِي جَمْعٍ مِنْ بَنِي كَنْدَةَ .

— ٣ —

وَسَارَ بَنُو تَيْمٍ فِي رُؤُوسِهِمْ : حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَلَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَعَمْرُو بْنُ عَمْرُو ، وَالْحَارِثُ بْنُ شِهَابٍ ؛ وَمَعَهُمْ أَهْلَافُهُمْ ، وَتَبِعَهُمْ غُثَاءٌ^(٢) مِنَ النَّاسِ يُرِيدُونَ الْفَنِيْمَةَ ، وَتَمَّ لَهُمْ جَمْعٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَكْثَرُ مِنْهُ ؛ فَلَمْ تَشْكُ الْعَرَبُ فِي هَلَاكِ بَنِي عَامِرٍ .

(١) قتله بنو عامر يوم رحرحان (٢) الغناء : ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزيد وورق الشجر النبال ، يريد أن يذال الناس وسقطهم .

ولما سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص - وهو يومئذ شيخ كبير ،
قد وقع حاجباه على عينيه ، وقد ترك الغزو ، غير أنه يدبر أمر الناس ، وكان مجرباً
حازماً ميمون النقيصة^(١) ؛ فأخبروه الخبر ، فقال لهم الأحوص : قد كبرت فما أستطيع
أن أجىء بالحزم ، وقد ذهب الرأي مني ؛ ولكن إذا سمعتُ عرفت ، فأجمعوا آراءكم ،
ثم يبتوا ليلتكم هذه ، ثم اغدوا عليّ ، فاعرضوا عليّ آراءكم .

ففعّلوا ، فلما أصبحوا غدّوا عليه ، فوضعت له عباءة بفنائنه فجلس عليها ، ورفع
حاجبيه عن عينيه بمصابة ، ثم قال : هاتوا ما عندكم ، فقال قيس بن زهير العبسي :
بات في كنانتي اليوم مائة رأي . فقال له الأحوص : يكفيننا منها رأي واحد حازم
صليب مُصيب ؛ هات فأنشرُ كِئانتك . فجعل يعرض كل رأي رأى حتى أنفذ^(٢) .
فقال له الأحوص : ما أرى أنه بات في كنانتك الليلة رأي واحد .

وعرض الناس آراءهم حتى أنفذوا . فقال : ما أسمع شيئاً ، وقد صرتم إلى ؛
اجمعوا أثقالكم وضعفاءكم . ففعّلوا ، ثم قال : حملوا طعنكم ؛ فحملوها . ثم قال :
انطلقوا حتى تعلوا في اليمين ؛ فإن أدرككم أحدٌ كررتم عليه ، وإن أعجزتموهم
مضيتُم . فسار الناس حتى أتوا وادي نجار^(٤) ضحوة .

ثم رُئِيَ الناس يُرجع بعضهم على بعض ، فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا
عمرو بن عبد الله بن جعدة ، قدم في فتیانٍ من بني عامر يمدّون بمن أجاز بهم ، فقال
الأحوص : قدّموني ، فقدّموه حتى وقف عليهم ، فقال : ما هذا الذي تصنعون ؟
فقال عمرو : أردت أن تفضحننا وتخرجنا هاريين من بلادنا ، ونحن أعزُّ العرب ،

(١) ميمون النقيصة : محمود المختبر (٣) يريد حتى انتهى ، ويقال : أشد القوم ؛ إذا نفذ
زادهم أو ما لهم (٤) نجار : موضع في ديار بني تميم .

وأكثرُ عدداً وجلداً وأحدُ شوكة ! تريد أن تجعلنا موالى في العرب إذ خرجت بنا هارباً .

قال : فكيف أفعل وقد جاءنا مالا طاقة لنا به ؟ فما الرأي ؟ قال : نرجع إلى شعب جبلة ، فنحز النساء والضعفة والذراري والأموال في رأسه ، ونكون في وسطه فقيه نمل^(١) ، فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ، ولا مقام لهم ، وإن صعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة ، فكنت في حرز ، وكانوا في غير حرز ، وكنت على قتلهم أقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي ! فأين كان هذا حين استشرت الناس ؟ قال : إنما جاءني الآن ، فقال الأحوص للناس : ارجعوا ، فرجعوا^(٢) .

ودخلوا شعب جبلة ، وحصنوا النساء والذراري والأموال في رأس الجبل ، وحلّوا^(٣) الإبل عن الماء ، واقتسموا الشعب بالقداح والقرع بين القبائل في شظاياها^(٤) ؛ ثم عمى عليهم الخبر ، فجعلوا لا يدرون ما قرب القوم من بعدهم .

— ٤ —

وأقبلت تميم وأسد وذبيان ولِفهم نحو جبلة ، فلقوا في طريقهم كرب بن صفوان

(١) الثل : الحصب والماء (٢) وفي ذلك يقول النابغة الجعدي ، وهو أحد شعراء

بنو عامر :

ونحن حبسنا الحى عبساً وعامراً

وقد صعدت وادى نجار نساؤهم

عطفناهم عطف الضروس فصادفوا

من الهضة الحمراء عزاً ومغلا

الضروس : الناقة العضوض

(٣) حلّوا الإبل : منعوها (٤) الشظايا : القطع من رؤوس الجبال .

السعدى - وكان شريفاً - فقالوا له : ما منعك أن تسير معنا في غزاتنا ؟ قال : أنا مشغول في طلب إبل لي ، فقالوا : لا ، بل تريد أن تُفند بنى عامر ، ولا تترك حتى تعطينا عهداً وموثقاً ألا تفعل ؛ خلف لهم .

ثم خرج عنهم وهو مُغضب ، ومضى مُسرعاً على فرس له عُري^(١) ، حتى إذا نظر إلى مجلس بنى عامر نزل تحت شجرة حيث يرويه ، فأرسلوا إليه يدعونه ، فقال : لست فاعلاً ؛ ولكن إذا رحلت فأتوا منزلي فإنَّ الخبر فيه .

فلما جاءوا منزله ، إذا تراب في صرة وشوك قد كسر رهوسه ، وفرغى جهته ، وإذا حنظلة موضوعة ، وإذا وطبُّ معلق فيه لبن ؛ فقال الأحوص : هذا رجل قد أخذت عليه المواثيق ألا يتكلم ، وهو يخبركم أن القوم مثلُ التراب كثرة ، وأن شوكتهم كليلة ، وجاءكم بنو حنظلة . انظروا ما في الوطب ، فاصطبوه^(٢) ، فإذا فيه لبن فارص^(٣) . فقال : القوم منكم على قدر حلاب اللبن إلى أن يحزُر^(٤) .

(١) فرس عرى : لا سرج عليه (٢) اصطبوه : أراقوه (٣) فارص : حامض (٤) هذه رواية الأغاني ، وفي ابن الأثير : لقي لقيط في طريقه كرب بن صفوان - وكان شريفاً - فقال : ما منعك أن تسير معنا في غزاتنا ؟ قال : أنا مشغول في طلب إبل لي ، فقال : لا ، بل تريد أن تنذر بنا القوم ، ولا أتركك حتى تحلف أنك لا تخبرهم ، فحلف له ، ثم سار عنه وهو مغضب ، فلما دنا من عامر أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكاً وتراباً وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ، ثم رمى بها حيث يسقون . ولم يتكلم ، فأخذها معاوية بن قشير ، فأتى بها بن الأحوص ابن جعفر ، وأخبره أن رجلاً ألقاها وهم يسقون ، فقال الأحوص لقيس بن زهير : ما ترى في هذا الأمر ؟ قال : هذا من صنع الله لنا ، هذا رجل قد أخذ عليه عهد على ألا يكلمكم ، فأخبركم أن أعداءكم قد غزوكم عدد التراب ، وأن شوكتهم شديدة ؛ وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم ، وأما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم ، وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة ، وأما الأحجار =

ثم دعا الأحوص قيس بن زهير العبسي ، فقال له : ما ترى ؟ فإنك تزعم أنه لم يمرض لك أمران إلا وجدت في أحدهما الفرج ؟ فقال قيس : فإذا قد رجعت إلى رأيي فأدخلوا نَمَمَكُم شَعْبَ جَبَلَة ، ثم أَظْمِئُوهَا هذه الأيام ولا تُورِدُوها الماء ، فإذا هجاء القوم فإن لقيطاً فيه طيش وسيقتحم الجبل ، وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل ، وأنحسوها بالسيوف والرماح ، فتخرج مداعير عطاشاً ، فتشعلهم ، وتقرق جمعهم ، وأخرجوا أنتم في آثارها ، واشفوا نفوسكم .

فقال الأحوص : نعم ما رأيت ؟ وأخذوا برأيه .

وعاد كرب بن صفوان فلق لقيطاً ، فقال له : أأندرت القوم ؟ فأعاد الحلف له أنه لم يكلم أحداً منهم ؛ فخلّى سبيله ، فقالت له ابنته دختوس - وكان لقيط يصحبها في غزواته ، ويرجع إلى رأيها : رُدْنِي إلى أهلي ، ولا تعرّضني لعبس وعامر فقد أندرهم لا محالة ، فاستحمقها ، وساء كلامها ، وردّها .

وفياهم سائرون قابلهم غلامٌ أعسر^(١) ؛ فتشاءمت بنو أسد ، وقال بعضهم لبعض : ارجعوا عنهم ، فرجعوا ، ولم يسر مع لقيط منهم إلا نفيّر يسير .

ولما وصل بنو تميم وأخلاقهم إلى شعبِ جَبَلَة حيث بنو عامر وعبس قال الناس للقيط : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تصعدوا إليهم ؛ فقال شاس بن أبي ليلى : لا تدخلوا

فهى عشر ليال يأتيتكم القوم إليها . قد أندرتكم فكونوا أحراراً ، واصبروا كما يصبر الأحرار

الكرام (ابن الأثير ص ٣٥٦ ج ١) .

(١) الأعسر : الذى يعمل بيده النبال خاصة .

على بنى عامر ؛ فإنى أعلمُ الناسَ بهم ، قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزمونى ؛ فما رأيتُ قوماً قطّ أقلقَ بمنزلي من بنى عامر ، والله ما وجدتُ لهم مثلاً إلا الشُّجاعُ ^(١) فإنه لا يقرُّ فى جُحره قلقتا ، وسيخرجون إليكم ، والله لئن نِغِمتُ هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم .

فقال لقيط : لندخلنَّ عليهم ، فأتوهم وقد أخذوا حِذرهم ؛ وجعل الأحوص ابنه شريحاً على تربية الناس .

وأقبل لَقيط وأصحابه مدلين ^(٢) ، فاستَدُوا ^(٣) إلى الجبل حتى ذرَّت الشمس ، ثم أخذوا فى الصعود . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أتوك ، فقال : دَعُوهم ؛ حتى إذا أنصَفُوا ^(٤) الجبل وانتشروا فيه قال الأحوص : حلُّوا عُقْل الإبل ثم اتبعوا آثارها ، ولُيْتَبِع كل رجل منكم بغيره حجرين أو ثلاثة .

ففعَلُوا ، ثم صاحوا بها فخرجت تَحْطُمُ كلَّ شَيْء مرَّت به وَخَبَطَتْ تَمِيماً ومن معها وانحطوا منهزمين فى الجبل حتى السهل ، ولما بلغوا السهل لم يكن لأحدِ هَمَّةٍ إلا أن يذهب على وجهه ، وجعلت بنو عامر يقتلونهم ، ويصرعونهم بالسيوف فى آثارهم ، وانهزموا شرَّ هَزِيمَةٍ ^(٥) .

(١) الشُّجاع : الحية الذكر (٢) مدلين : مجترئين (٣) استَدُوا : صعدوا فى الجبل

(٤) أنصَفُوا الجبل : وصلوا إلى نصفه (٥) وفى ذلك يقول أحد بنى أسد :

زحمت أن العير لا تقاتل بلَى إذا ما فقع الرحائل

واختلف الهندى والدوابل وقالت الأبطال من ينارل

بلَى وفيها حسب ونائل

وجعل لقيط لا يمرُّ به أحدٌ من الجيش إلا قال : أنت والله قتلْتنا ! فجعل يقول :

يا قوم قد أحرقتُموني باليوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم
فاليوم إذ قاتلتهم فلا لوم تقدموا وقدّموني للقوم
فقال له شاس بن أبي ليلي :

لكن أنا قاتلتها قبل اليوم إذ كنت لا أتعصى أموري في القوم
ثم ركب لقيط فرسه ، وزج بنفسه للعراك ، قطعنه شريح ، وأرثَّ ذبه طعنات ،
وبقي يوماً ثم مات ^(١) .

وأما حاجبُ بن زُرارة فقد ولَّى منهزماً ، فتبعه زهْدَم وقيس ابنا حزن
العَبْسِيَّان ، وجعللا يطرُدانه ، ويقولان له : استأَسِرْ - وقد قدرا عليه - فقال :
من أنما ؟ فقالا : نحن الزُهْدَمَان ^(٢) ، فقال : لا أَسْتَأْسِرُ اليوم لمولائين .

وبينا هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرُّقِيَّةِ العامري . فقال لحاجب : استأَسِرْ ،
قال : ومن أنت ؟ قال : أنا مالك ذو الرُّقِيَّةِ . فقال : افعلْ لعمري ، ما أدركتني حتى
كِدْتُ أن أكون عبداً ، وألقي إليه رُمُحَه ، واعتنقه زهْدَم فألقاه عن فرسه . فصاح

(١) قيل إن لقيطاً أرثت وحمل وهو مجروح ، وبقي يوماً ومات ، فلما أحس بالموت أشد قائلاً :

يا ليت شعري اليوم دختنوس إذا أناها الحخير المرموس
تحلق القرون أو تميس لا يل تميس لها عروس

دختنوس : بنته

الحخير المرموس : الذي يستر عنها ويكتم . والقرون : الدواب .

(٢) الزُهْدَمَان : زهْدَم وقيس ابنا حزن ، وفيهما يقول قيس بن زهير :

جزاني الزُهْدَمَان جزاء سوء وكنت المرء يجرى بالكرامه

حاجب : يَا غَوَاثَ ! وَجَمَل زَهْدَم يُرَاوِغ قَاثَم السيف ، فَنَزَل مَالِكٌ وَاقْتَلَعَ زَهْدَمًا عَنْ حَاجِبٍ .

فَنَشَى زَهْدَمٌ وَأَخُوهُ حَتَّى أَتَى قَيْسُ بْنُ زَهِيرٍ فَقَالَا : أَخَذَ مَالِكٌ أُسِيرَنَا مِنْ أَيْدِينَا .
فَقَالَ : وَمَنْ أُسِيرُ كَمَا ؟ قَالَا : حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ .

فَخَرَجَ قَيْسٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ : إِنَّ صَاحِبَكُمْ أَخَذَ أُسِيرَنَا . قَالُوا : مَنْ صَاحِبُنَا ؟ قَالَ : مَالِكُ ذُو الرِّقْبَةِ أَخَذَ حَاجِبًا مِنَ الزَّهْدَمِيِّينَ .

فَجَاءَهُمْ مَالِكٌ فَقَالَ : لَمْ أَخْذِهِ مِنْهُمَا ؛ وَلَكِنَّهُ اسْتَأْذَنَ لِي وَتَرَكَهُمَا ؛ فَلَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى حَكَّمُوا حَاجِبًا فِي ذَلِكَ - وَهُوَ فِي بَيْتِ ذِي الرِّقْبَةِ - فَقَالُوا : مَنْ أَمَرَكَ يَا حَاجِبُ ؟
فَقَالَ : أَمَّا مَنْ رَدَّنِي عَنْ قَصْدِي وَمَنْعَنِي أَنْ أَجْجُوَ وَرَأَى مِنِّي عَوْرَةً فَتَرَكَهَا فَالْزَهْدَمَانُ^(١) ، وَأَمَّا الَّذِي اسْتَأْذَنَ لِي فَهَذَا ؛ فَحَكَّمُونِي فِي نَفْسِي .

فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : قَدْ جَعَلْنَا إِلَيْكَ الْحُكْمَ فِي نَفْسِكَ ، فَقَالَ : أَمَّا مَالِكٌ فَلَهُ أَنْفُ نَاقَةٍ ، وَلِلزَّهْدَمَانِ مِائَةٌ .

— ٧ —

قَالَ الرَّاوِي : وَزَعَمَ عُلَمَاؤُنَا أَنَّهُ لَمَّا ائْهَزَمَ النَّاسُ خَرَجَتْ بَنُو عَامِرٍ وَحُلَفَاؤُهُمْ فِي آثَارِهِمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَسْلُبُونَ ، فَلَحَقَ قَيْسُ بْنُ الْمُتَنَفِّقِ^(٢) عَمْرُو بْنُ^(٣) عَمْرٍو التَّمِيمِيَّ فَاسْرَهُ ، فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بْنُ الْأَبْرَصِ فِي سَرْعَانِ^(٤) الْخَيْلِ ، فَرَأَاهُ عَمْرُو مُقْبِلًا ، فَقَالَ لِقَيْسٍ : إِنْ أَدْرَكَنِي الْحَارِثُ قَتَلَنِي ، وَفَاتَكَ مَا تَلْتَمِسُ عِنْدِي ؛ فَهَلْ أَنْتَ مُحْسِنٌ إِلَىَّ وَإِلَى نَفْسِكَ ؟ تَجَزَّ نَاصِيَتِي فَتَجْعَلْهَا فِي كِنَانَتِكَ ، وَلَكَ الْعَهْدُ لَا فَيْنَ لَكَ ! فَفَعَلَ ،

(١) الزَّهْدَمَانِ : زَهْدَمٌ وَقَيْسٌ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (٢) قَيْسُ بْنُ الْمُتَنَفِّقِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ

(٣) هُوَ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَدَسٍ مِنْ تَمِيمٍ ، وَهُوَ زَوْجُ دِحْتُوسَ بِنْتِ لَقِيْطٍ (٤) سَرْعَانُ الْخَيْلِ : أَوَائِلُهَا .

وأدركما الحارث وهو ينادى قيساً ويقول : اقتل ، اقتل ! ولكن قيساً أطلق عمرأ ،
ولحق عمرو بقومه (١) .

ونزل حسان بن عامر بن الجون وصاح : يا آل كنفدة ! فحمل عليه شريح
ابن الأحوص ، فاعترض دون ابن الجون رجل من كنفدة ، فضربه شريح في رأسه
فانكسر السيف ، فخرج يعدو بنصف السيف .

(١) روى صاحب الأغاني أنه لما كان الشهر الحرام خرج قيس بن المنتقى إلى عمرو بن عمرو
ليستخيه ، وتبعه الحارث بن الأبرص حتى قدما على عمرو بن عمرو ، فأمر عمرو ابنة أخيه أمينة وقال
لها : اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القبة — وقد كان الحارث قتل أباه زيدا يوم
جبله — فجاءت بالقبة فرأت الحارث أحياء وأجلها ، فظنته قيساً ، فضربت القبة وهي تقول :
هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليه بما أطلع به على .

فلما رجعت إلى عمها عمرو قال : يا بنة أخي ، على من ضربت القبة ؟ فنكتت لعت الحارث ، فقال :
ضربتها والله على رجل قتل أبائك ، وأمر بقتل عمك ، فجزعت مما قال عمها ، فقال الحارث :

أما تدرين يا بنة آل زيد أمين بما أجن اليوم صدرى
أمين : يا أمينة

فكم من فارس لم ترزئيه	فتي الفتيان في عيس وقصر
رأيت مكانه فصدت عنه	فأعيا أمره وشددت أزرى
أمرت به لتخمش ختاه	فضيع أمره قيس وأمرى

الحنة : الزوجة

ثم إن عمرأ قال : يا حار ما الذي جاء بك ؟ فوالله مالك عندي نعمة ، ولقد كنت سيء الرأى في ،
وقتلتي أخي ، وأمرت بقتلي ، فقال : بل كففت عنك ولو شئت إذ أدركتك لقتلتك . قال : مالك
عندي من يد ، ثم تدمم منه فأعطاه مائة من الإبل ، ثم انطلق وذهب .

ولما جاء قيس عمرأ أعطاه عمرو إبلا كثيرة ، فخرج قيس بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به
الحارث بن الأبرص ، فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس ، فأخذ ما كان معه ، فلما
أتى قيس بني أبيه من بني المنتقى اجتمعوا إليه ، وأرادوا الخروج ، فقال : مهلا ! لا تقاتلوا اخوتكم
فإنه يوشك أن يرجع ، وأن يثول إلى الحق ، فإنه رجل حسود . فلما رأى الحارث أن قيساً قد
كف عنه رد إليه ما أخذ منه .

وشدّ طفيل بن مالك، فأسر حسان بن الجون، وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون، فأسرَه وجزّ ناصيته وأعتقه على الثواب^(١).

وانصرف سنان بن أبي حارثة الرّمي في بني ذبيان على حاميته، ومعه مالك بن حمار الفزاري، فلحق بهم معاوية بن الصّموت الكلّابي ومعه حرّمة المكلّي ونفر من الناس؛ ولما رأهم سنان قال لمالك: يا مالك؛ بكرّ وأحمنا، ولك خولة ابنتي أزوجكها؛ فكرّ مالك فقتل معاوية، ثم قتل حرمة واثنين من قيس. ومضى بعد ذلك مالك وهو يقول:

ولقد صدّدتُ عن النّعمة حرّمةً^(٢) وبغيته لدداً^(٣) وخيلي تطرد
أقبلته صدرَ الأغرّ وصارماً ذكراً فخرّ على اليدين الأبعدُ
وابن الصّموت تركت حين لقيته في صدر مارنة^(٤) يقوم ويقعدُ
وابنا ريعة في النّبار كلاهما وابنا غنى عامر والأسود
حتى تنفس بعد نكظ^(٥) مُججراً أذهبتُ عنه والفرائص تُرعدُ

(١) حدث بعد هذا أن قيس بن زهير العبسي لقي معاوية فقتله، فأتى عوف بن الأحوص بنى عيس فقال: قتلتم طليق فأحيوه أو آتوني بملك مثله، فتخوفت بنو عيس شره — وكان مهيباً — فقالوا: أمهلنا، وانطلقوا حتى آتوا أبا براء وعامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف، فقال: دونكم سلمى بن مالك فإنه نديمه وصديقه، وكان في سلمى حياة فقال: سأ كلم لكم طفيل بن مالك أخاه ليسلم إليكم حسان بن جون، وانطلقوا إليه، فقال طفيل لسلمى: قد آتوني بك، ما أعرفني بما جئت له: أنيتوني فريدون مني حسان بن الجون — وكان قد أسره — وتسلمونه لي عوف. خذوه، فأعطاهم إياه، فأتوه، فجزّ ناصيته وأعتقه، ولذلك ممى عوف الجراز.

(٢) اللد: الخصومة (٣) يقال: رمح مارن؛ صلب ابن (٤) النكظ: الجهد، والمجحر: المضطر لللبأ، والضيق عليه.

يعدو بيزى سايح ذو ميمة نهذ المراكل ذو تليل أقود^(١)

- ٨ -

وفي ذلك اليوم قالت دختنوس ترى أباه لقيط بن زرارة ، وقد ضربه بنو عبس
بعد موته :

ألا بالها الويلات ويلة من بكى لضرب بنى عبس لقيطاً وقد قضى^(٢)
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة ولا تحفل الصم الجنادل من نوى^(٣)
فلو أنكم كنتم غداة لقيم لقيطاً ضربتم بالأسنة والقنا^(٤)
غدرتم ولكن كنتم مثل خضب أضاءت لها القناص من جانب الشرا^(٥)
فاثاره فيكم ولكن ثاره شريح أردته الأسنة أم هوى^(٦)

(١) البز : السلاح ، يريد يعدو بى سايح - فرس - يمد يديه فى الجرى ، والميمة : أول الجرى
وأشطه ، ونهد : مرتفع ، والمركل من القرس : حيث تصيب برجلك ، والتليل : العنق ، وأقود
سلس القيادة (٢) الضمير فى لها يعود إلى بنى عبس ، تقول : لتعل بنى عبس الويلات ،
وتريد من بكى : نفسها (٣) تحفل : تضم ، والصم الجنادل : الصخور العظيمة ، ونوى :
مات ، يريد : أن الصخور التى تغطى جسمه فى قبره ، لا تكاد تضمه لعلو شأنه (٤) جواب
الشرط محذوف تقديره : لو قاتلتم لقيطاً بالأسنة والرماح لرأيتم بأسه وفرتم من وجهه (٥) الخضب :
كأنه جمع خاضب ، وهى النعامة ، وفى اللسان أن جمعه خواضب ، والقناص : جمع قانس وهو الصياد ،
وأضاءت له : أوقدت ناراً . والقرى : مكان . تقول : غلبتموه بالغدر ولكنكم قد فرتم قبل
ذلك من وجهه كالنعام متى أحس باليادين ، وهم قد أوقدوا له ناراً ليقتنموه (٦) أرداه :
أهلكه ، والثأر هنا : المطلوب بدم القتل ، وشريح بن الأحوص العامرى : قاتل لقيط ، وهوى :
سقط ومات ؛ تقول : ليس لكم الفخر يابنى عبس ، فأعما قاتله والمطلوب بدمه هو شريح بن
الأحوص العامرى ، سواء قتل لقيط بالأسنة فى حياحة الحرب ، أو حمل وبه طعنات فمات بعد
ذلك .

فإن تعقب الأيام من فارس تكن عليك حريقاً لا يُرام إذا سَمَا^(١)
لنَجْزِيَكُم بِالْقَتْلِ قِتْلًا مُضْمَعًا وما في دماء الخمس يامال من بَوَا^(٢)
ولو قَتَلْتَنَّا غَالِبٌ كَانَ قَتْلُهَا علينا من العار المجدع للعلا^(٣)
لقد صبرت الموت كعبٌ وحافظت كلابٌ وما أنتم هناك لمن رَأَى^(٤)
وقالت أيضاً :

لمعرى لقد لاقت من الشق دارم عناء وقد رابت حميداً ضرابها^(٥)
فما جِئُوا بالشَّعْبِ إِذْ صَبَرْتُ لَهُمْ ربيعة يُدعى كعبها وكلاتها^(٦)
عَصَوْا بسيف الهند واعتقلت لهم بُرَا كاء موتٍ لا يَطِيرُ غُرَابُهَا^(٧)
وقالت في لقيط أيضاً :

بكر النعمى بخير خِندَفَ كَهْلُهَا وشبابها^(٨)

(٧) تقول : إذا دارت الأيام فأمكنتنا من شرح وقومه فسترونا لسر نار حرب لا تطفأ إذا ما علا ضرامها وانتشر سعيها (٢) تريد بالحس ، أشراف بني تميم الذين قتلوا ، ومال : ترخي مالك . البوا : السواء والكفء ، تقول : سوف تقتل منكم أضعاف ما قتلتم ، ولا نجد منكم يمالك أحدا يساوى بالقدر والشأن الخمسة الذين قتلوا منا فقتلهم بهم (٣) بنو غالب بطن من بني عامر وهم أئذهم ، والجميع للعلا : الفاطم له ، المانع من الوصول إليه ، تقول : يسرنا أن القتل لم يقتلهم أحد من بني عامر ، ولو كان ذلك لحل بنا عار لا يمحى (٤) تخاطب بني غالب فتقول : إنا رأينا بني كعب وبني كلاب يلبون في الحرب البلاء الحسن ، ولكننا لما طلبناكم لم نجدكم هناك (٥) تريد بالشق مدخل جبله ، ودارم : حى من تميم وهو قوم دختنوس ، وحيد قوم من بني عامر (٦) تقول : لم يشغل بنو دارم لما تألب عليهم بنو ربيعة ، وبيعة أبو كعب وكلات . وتريد بالشعب شعب جبله (٧) عصوا : دافعوا عن أنفسهم بسيف مهندة فاطمة وبراء كاء : الثببات في الحرب والجد ، ويقال للرجل إذا وقع في خطب : لا يطير غرابه ، وهى تريد أن سعدهم المعتاد في الحروب اعتقل لهم ، أى امتنع عنهم في هذه الواقعة .
(٨) بكر : أتى باكرأ . وخندف : أم مدركة بن إلياس ، وإليها تنسب قبائل مضر ، ومنها تميم قوم الشاعرة .

وبخيرها نسباً إذا عُدَّتْ إلى أنسابها (١)
 وأضرَّها لعدوِّها وأفكَّها لرقابها (٢)
 وقريمها ونحيبها في المطيقات ونابها (٣)
 ورئيسها عند الملو ك وزين يوم خطبها
 فرَّع عمود المشيرة رافعاً لنصابها (٤)
 فيعولها ويحوطها ويدبُّ عن أحسابها (٥)
 ويظا مواطي للعدو وكان لا يمشي بها (٦)
 فعل المدل من الأسو د لحيمها وتبائها (٧)
 كالكوكب الدرِّي في الظلِّماء لا يخفى بها (٨)
 عبث الأغر به وكل منية لكتابها (٩)
 فرَّت بنو أسد فرا ر الطير عن أربابها (١٠)
 وهوَازن أصحابهم كالقار في أذئابها (١١)
 لم يحفظوا حسباً ولم يأووا لفي وعقابها (١٢)

(١) رواية ابن الأثير : وأتمها نسباً إذا رجعت إلى أنسابها (٢) أي أنه يحرق رقاب قومه من الأسر (٣) الفرع : السيد ، وأصله الغالب في المقارعة . والمطبيقات : الشدائد ، والسنون المجذبة ، وناب القوم : سيدهم (٤) الفرع : الابن . والعمود : السند (٥) ذب عن الأمر : دافع عنه (٦) تريد أنه يتعقب آثار العدو في مسالك لم يعود أن يجري فيها (٧) المدل : الواصل من نفسه . والحين : الهلاك ، والتباب : الفساد (٨) الدرِّي : الشبيه بالدرة (٩) الأغر : السيد ، تسكني به عن قاتل لقيط وهو شريح بن الأحوص ، وكتابتها : إبانها ووقتها ، كما قال تعالى : « لكل أجل كتاب » (١٠) بنو أسد : من حلفاء تميم يوم شعب جيلة ، وهي بهذا تهجوم (١١) وهوَازن من حلفاء تميم أيضاً شبهتهم بالقار لجبنهم (١٢) تريد بالمقاب لقيطاً ، والمعنى : أنهم بفرارهم فقدوا شرفهم ، ولم يجتمعوا بليقطة على العدو ، بل تركوه يقاتل وحده .

وقالت تهجو النعمان بن قهوس التميمي ، وكان حاملا- في يوم شعب جبلة- لواء
بني تميم ، وهو من أشرفهم ، ففرّ هارباً :

فَرَّ ابْنُ قَهْوَسَ الشَّجَا عُ بَكَفَهُ رُمَحٌ مِثْلُ^(١)

يَعْدُو بِهِ خَاظِي الْبَضِيعِ كَأَنَّهُ سَمْعٌ أَزَلُ^(٢)

إِنَّكَ مِنْ تَيْمٍ فَدَعْ غَطْفَانَ إِنْ سَلُّوا وَحَلُّوا^(٣)

لَا مِنْكَ عَدُوٌّ وَلَا آبَاكَ إِنْ هَلَكُوا وَذَلُّوا^(٤)

فَخَرُّ الْبَغِيِّ بِحَدِّجٍ رَبَّتَهُمَا مَ إِذَا النَّاسُ اسْتَقَلُّوا^(٥)

وَلَقَدْ رَأَيْتَ أَبَاكَ وَسَطَ مَ الْقَوْمِ يَبْزُو أَوْ يَجِيلُ^(٦)

مَتَلَدًا رِبْقَ الْفَرَا رَ كَأَنَّهُ فِي الْجِيدِ غُلُ^(٧)

-
- (١) المثل : الشديد (٢) الخاطي : المكتنز ، والبضيع : ما انحاز من لحم الفخذ الواحد بضبعة ، والسمع : ولد الضبع ، تقول : نجاهه فرس مكتنز اللحم يشبه السمع ، والأزل : السريع (٣) تيم : فرغ من تميم ، تقول : إنك من قوم جبناء ، فلا تسرع غطفان أصحاب الشدة (٤) تقول : لو حل الدل بغطفان فإنهم يستغنون عنك وعن آبائك (٥) البغي : المرأة الفاجرة ، والحديج من مراكب النساء ، واستقل الناس : ذهبوا ، ضربت هذا مثلا ، وأرادت بالبغوي بني التيم ، وعنت بربة الحديج- وهي السيدة غطفان (٦) يبرزو : كناية عن الجبن ، ويجل : يجمع الجلة وهي العبر (٧) الربق : القود ، تريد : أن أباه لا يصلح إلا لرعاية الغنم حين يضع حبالها في عنقه كأنها أغلال تغلها .

(٣) يوم ذى نجب *

لما كان العامُ التابع من يومِ جَبَلَة خرج ناسٌ من بني عامر بن صعصعة إلى حسان ابن كَبْشَة السكندی ^(١)؛ منهم عامر بن مالك بن جعفر مَلَاعِبُ الأَسَفَة ، وطفيل بن مالك بن جعفر ، وعمر وهب الأحوص بن جعفر ، ويزيد بن الصِّمِق ، وقُدَامَة بن سلمة ابن قُشير ، وعامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ؛ واستنجدوه على بني حَنْظَلَة ^(٢) ابن مالك ، وقالوا : هل لك في إِبِلِ عَكْر ^(٣) ، ونساء كَلْبَقَر ، وتسير مُبَرِّدًا ^(٤) ، وترجع سالماً غانماً من قوم قد أَوْقَعْنَا بهم حديثاً ، وقتلنا قُرَسانهم ورؤسائهم ! فأقبل معهم بصنائمه ومن كان معه ، ومرّ على بني عامر ؛ فسارمعه من خفّ منهم . وبلغ الخبر بني حَنْظَلَة فقال عمرو بن عمرو بن عُدُس ^(٥) : يا بني مالك ؛ إنه لا طاقة لكم بهذا الملك ومنّ معه ؛ فخِفُوا من مكانكم هذا - وكانوا يومئذ في أعلى الوادي مما يلي محبى القوم وكانت بنو يربوع في أسفله - ودعُوا بني يربوع فإنهم حتى مُصَرِّمٌ نَكِد ^(٦) ، فإنْ ظَهَرَ المَلِكُ عليهم سالتم ؛ فبَقِيَّةُ السَّلْمِ خيرٌ من بقية الحرب ، وإنْ ظهرت يربوع عليهم كنتم مع إخوانكم . ففعلوا .

* لَبِنَى تَمِيم على بنى عامر (من قيس) . وذو نجب ذكره ياقوت فقال : موضع كانت فيه وقعة لبِنَى تَمِيم على بنى عامر بن صعصعة . وكان هذا اليوم بعد مرور عام على يوم جَبَلَة .
النقائض ص ٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩ (طبع أوربة) ، ابن الأثير ص ٣٦٣ ج ١ ، معجم البلدان ص ٢٥٢ ج ٨

(١) حسان بن كَبْشَة ملك من ملوك اليم
(٢) بنو حَنْظَلَة : حى في تميم
(٣) العكر : ما فوق خمسمائة من الإبل
(٤) يقال : أبرد : دخل في آخر النهار
(٥) عدس في بنى تميم بضم الدال ، وفي سائر العرب بفتحها
(٦) نكد الرجل فهو منكود : إذا كثّر سؤاله وقلّ خيرُه ، ورجل نكد : أى عسر .

وأقبلَ حسانٌ ومَنْ معه من الجيش في وجه الصبح ، والتقوا بيني يربوع ،
فاقتتلوا ، فضرب حُشيش^(١) بن نمران الرياحي حسان بن كبشة الملك على رأسه
فقتله ، وانهزم أصحابه .

وأسر ثعلبة بن الحارث اليربوعي يزيد بن الصَّمق ، فأبصره في يده ثعلبة بن
الحارث بن عمرو، فضربه على رأسه فأَمَّهُ، وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قُرْزُل^(٢)،
وضرب زنباع بن الحارث أحد بني رياح عبيدة بن مالك على هامته فسات في يده ؛
فقال في ذلك سُحَيْم بن وَثِيل الرياحي :

ونحنُ ضربنا هامة ابن خُوَيْلِد^(٣) يزيد وضررنا عبيدةً بالدم
بذئ نَجَبٍ إذ نحن دون حريمنا على كل جِيَّاش الأجارى^(٤) مِرْجَم^(٥)



وقتل خالد بن مالك النهشلي - رئيس بني عامر - عمرو بن الأحوص ، وقد كان
بعضُ أصحابه قال له : ياخالد ؛ اقتلْ بأبيك^(٦) ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن
كبشة ، فقال أوس بن حُجْر :

كان بنو الأبرص^(٧) أقرانكم فادرَكوا الأحدثَ والأقدمَا
إذ قال عمروُ لبني مالك لا تُعْجِلُوا المِرَّةَ أن تُحْكَمَا

- (١) في رواية : جيش بالجم
(٢) اسم فرسه ، وقال ابن الأعرابي : هو اسم فرس عامر
ابن الطفيل . وقال أبو عبيدة : كانت فرس الطفيل ، وكذلك قال الجوهري
(٣) ابن خويلد : يزيد بن الصق (٤) الأجارى : ضروب من الجري
(٥) مرجم : شديد (٦) كان عمرو بن الأحوص قتل أبا خالد يوم جيلة
(٧) بنو الأبرص : بنو يربوع بن حنظلة .

والله لولا قُرْزُلُ^(١) إِذْ نَجَا لَكَ مَثْوَى خَدِّكَ الْأَخْرَمِ^(٢)
نَجَاكَ جِيَاشُ^(٣) هَزِيمٌ^(٤) كَمَا أَحْمَيْتَ وَسْطَ الْوَبَرِ الْمَيْسَمَا

-
- (١) فرس طفيل بن مالك بن جعفر وقد فر به من بني يربوع كما سبق (٢) الأخرم : الجبل : وهو منقطع أنفه وهو يريد : لثوى خدك في الأرض . وأخرما الكتفين أيضاً : رءوسهما من قبل العضدين مما يلي الوابلة ، وقيل : هما طرفا أسفل الكتفين اللذان اكتنفا كعبرة الكتف ، فالكعبرة بين الأخرمين ، والمعنى : لقتلت فسقط رأسك عن أخرم كتفك
- (٣) الجياش : الشديد الجري السريع كأنه مشتق من القدر إذا جاشت بالغي والهزيم كذلك ، يقول : يغيث ويهزم يعني يصوت صوتاً كغلي الرجل (٤) كما أحمت : يعني به السرعة . يقول هذا الفرس يلهب في عدوه كما يلهب الميسم وهي الحديدية تحمي بالنار حتى تصير كالجمرة ثم توضع على جلد البعير علامة ، والأصمعي يقول معناه : إنه سريع الجري ، فسرعة هذا الفرس كسرعة ممر هذا الميسم في جلد البعير ووبره .

(٤) يوم الصرائم*

أغارَت بنو عَبَسَ على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى الصريحُ بنى يربوع ، فركبوا في طلب بنى عَبَسَ ، فأدركوهم بذات الجَرْفِ^(١) ، فقتلوا شريحاً وجاراً ابني وهب ، وأسروا فروة وزنباعا ابني الحكم بن مروان بن زنباع ، وأسرَ أُسيد بن حِنَّاءَةَ الحكم ابن مروان بن زنباع العبسي . وقتل عَصْمَةَ بنَ حَدْرَةَ الرياحي سبعين رجلاً من بنى عَبَسَ - وقد كان المَعْقاق بن التَّلَاق بن قيس خرج في طلب إبل له ، فمرَّ ببني عَبَسَ ، فأخذه شريح وجابر ابنا وهب فقتلاه ، فنذر عَصْمَةَ ألا يطعم خمرأ ، ولا يأكل لحماً ، ولا يقرب امرأة ، ولا يفسل رأسه ، حتى يقتل به سبعين رجلاً من بنى عَبَسَ ، فقال لما قتلهم :

اللهُ قد أمكَّنني من عَبَسَ سماعَ شرابي وشَقَّيتُ نفسي
وكنْتُ لا أقرب طَهْرَ عُرْسي ولا أَشدُّ بِالْوِخافِ^(٢) رأسي
ولم أكنْ أَشربُ صَفْوَ الكاشِ

وقال سُحَيْم بن وَثِيل :

وافي ابنُ زنباع وفروة: عَقَدْنَا وفيهم دماءُ الحَيِّ لما تُصَرِّم

* بين عَبَسَ و يربوع ، ويسمى يوم بنى جذيمة وذات الجرف أيضاً ، والصرائم : اسم موضع كما في معجم البلدان

النقائض ص ٢٤٨ ، ٣٣٦ (طبع أوربة)

(١) الجرف : موضع في نواحي البليمة (٢) الوخف : ضربك الخطي في الطشت يورخف ليختلط . وقول : أما عندك وخيف أغسل به رأسي ، والوخيف والوخيفة : ما أُوخِفَ به ، ويقال : أَناه بلبن مثل وخاف الرأس .

وفي هذا اليوم قال الخطيئة ، وقد كان في الجيش فهرب :

ما أدرى إذا لاقيتُ عمراً أكلبي^(١) آلَ عمرٍو أم صحاح
لقد بلغوا الشفاء فأخبرونا بقتلى من قتلنا رباح
حوتنا منهم لما التقينا رماح في مراكرها رماح
وجرد في الأعنة ملجعات خفاف الطرف كلمها السلاح
إذا نار الغبار خرجن منه كما خرجت من الغدر^(٢) السراح
وما بأبوا كبأ وهم^(٣) علينا بفضل دماهم حتى أراحوا

وفي هذا اليوم قال : شميث بن زنباع بن الحارث بن ربيعة الرياحي :

سائل بنا عبساً إذا ما لقيها على أي حى بالصراثم دلت
قتلنا باصبراً شريحاً^(٤) وجاراً وقد نهلت منها الرماح وعلت
جزينا بما أمت أسيدة حقبة حويلة إذ آذنها فاستقلت
فأبلغ أبا حمران أن رماحنا قصت وطراً من غالب وتلفت^(٥)
فدنى لرباح إذ تدارك ركضها ربيعة إذ كانت بها النعل زلت
فطرنا بحالي للصريح ولا ترى لنا نعماً من حيث يفزع شلت^(٦)
وما كان دهرى إن فغرت بدولة من الدهر إلا حاجة النفس سلّت

(١) كلب الرجل : عضه الكلب الكلب ، فأصابه مثل ذلك ، ورجل كلب من رجال كلبين ، وكتب من قوم كلب
(٢) الغدر : الحجارة والشجر وكل ما وارك ، والسراح : جمع سرحان وهو الذئب ، قال الأزهرى : وأما السراح في جمع السرحان ، فقير محفوظ عندى
(٣) البأو : الكبر (٤) شريح وجابر : ابنا وهب ، وهما من بني عوذ بن غالب (٥) تلفت : يريد من الفتل وهو الزيادة ، وأبو حمران : عروة بن الورد العبسي (٦) شلت : يريد لا يهمون طرد لبلهم إذا فزعوا ولكنهم يقيمون ثقة منهم بأنفسهم والشلل والطرده سواء .

(٥) يوم الرغام*

أغار عُنَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ فِي بَنِي ثَعْلَبَةَ^(١) بَنِي يَرْبُوعَ عَلَى طَوَائِفٍ مِنْ بَنِي كَلَابٍ^(٢)؛ فَطَرَدُوا^(٣) إِبِلَهُمْ، وَكَانَ أَنَسُ بْنُ عَبَّاسٍ الْأَصَمُّ أَخُو بَنِي رِغْلٍ^(٤) مُجَاوِرًا فِي بَنِي كَلَابٍ، وَكَانَ يَبْنِي بَنِي ثَعْلَبَةَ بَنِي يَرْبُوعَ، وَيَبْنِي بَنِي رِغْلٍ عَهْدَ الْأَيْسَفِ دَمٌ، وَلَا يُؤْ كُلُّ مَالٍ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْكَلَابِيُّونَ الدَّعْوَى يَا آلَ ثَعْلَبَةَ، يَا آلَ عُبَيْدٍ، يَا آلَ جَمْفَرٍ! عَرَفُوهُمْ، فَقَالُوا لَأَنَسِ بْنِ عَبَّاسٍ: قَدْ عَرَفْتَ مَا يَبْنِي رِغْلٌ وَيَبْنِي بَنِي ثَعْلَبَةَ بَنِي يَرْبُوعَ، فَأَدْرِكْهُمْ فَاحْبِسْهُمْ عَلَيْنَا حَتَّى نَلْحَقَ.

فَخَرَجَ أَنَسٌ فِي آتَائِهِمْ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ قَالَ عُنَيْبَةُ لِأَخِيهِ حَنْظَلَةَ ابْنِ الْحَارِثِ: أَغْنِ^(٥) عَنَّا هَذَا الْفَارَسَ؛ فَاسْتَقْبَلَهُ حَنْظَلَةُ فَقَالَ لَهُ أَنَسُ: إِنَّمَا أَنَا أَخُوكُمْ وَعَقِيدُكُمْ^(٦)، وَكَنتُ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؛ فَأَعْرِضْ عَنِّي أَوْ لِي فِيهَا أَعْرِضْ عَنِّي عَلَيْهِ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ.

فَرَجَعَ حَنْظَلَةُ إِلَى أَخِيهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالُوا: حَيَّاكَ اللَّهُ! هَلُمَّ قَوَّالٍ^(٧) إِلَيْكَ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهَا، وَبَنُو أَخِي وَأَهْلُ بَيْتِي مَعِيَ، وَقَدْ أَمَرْتُهُمْ بِالرُّكُوبِ فِي أَثَرِي، وَمِمَّا أَعْرِفُ بِهَا مَنِي.

* لَبْنِي يَرْبُوعَ (مَنْ تَمِيمٌ) عَلَى كَلَابٍ (مَنْ قَيْسٍ). وَالرَّغَامُ: اسْمُ رَمْلَةٍ بَيْنَهُمَا مِنْ نَوَاحِي الْيَمَامَةِ. النَّقَاشُ مِ ٤١٠ طَبْعُ أَوْرَبَةِ

- (١) بَنُو ثَعْلَبَةَ بَنِي يَرْبُوعَ: حَتَّى فِي تَمِيمٍ (٢) بَنُو كَلَابٍ: حَتَّى فِي عَامِرٍ (٣) يُقَالُ: طَرَدَ الْإِبِلَ: إِذَا ضَمَّهَا مِنْ نَوَاحِيهَا (٤) رِغْلٌ: بَطْنٌ فِي سَلِيمٍ، وَسَلِيمٌ فَرْعٌ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ (٥) يُقَالُ: أَغْنَى عَنْ شَرِكٍ أَيْ أَصْرَفَهُ وَكَفَّهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَنْ يَغْنَى عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»، وَفِي حَدِيثِ عُمَانَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَثَّ إِلَيْهِ بِصَحِيفَةٍ فَقَالَ لِلرَّسُولِ: أَغْنِهَا عَنَّا، أَصْرَفْهَا وَكَفَّهَا (٦) الْعَقِيدُ: الْمَاعِزُ (٧) اعْرِضْهَا.

ثم جاء فوارس بنى كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث ، فقال أنس : إنما هم
بنى وبنو أخى - وإنما كان يرئسهم ^(١) لتلحق جماعة فوارس بنى كلاب - فالحقوا ،
فحمل الحوثر بن قيس ^(٢) على حنظلة فقتله ، وحمل لأم بن سلمة على الحوثر هو وابن
مزنة فأمرأه ، ودفعاه إلى عتيبة فقتله صبراً ^(٣) ، وهزم الكلابيون .

ومضى بنو ثعلبة بالإبل ، وفيها إبل أنس بن عباس ، فلم تُقر أنسا نفسه حتى
اتبعهم رجاء أن يصيب منهم غرة وهم يسرون في سخواء ^(٤) .

ثم تحلف عتيبة في قضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه ، فمأشعر إلا بأنس
قد مر في آثارهم فتغفله عتيبة حتى وثب عليه فأسرته وأتى به أصحابه ، فقال له
بنو عبيد : قد عرفت أن لأم بن سلمة وابن مزنة قد أسرا الحوثر ؛ فدفعاه إليك
فضربت عنقه ، فأعقبيهما منه أنس بن عباس ؛ فهو خير منه ، فأبى عتيبة أن يفعل
ذلك ، حتى افتدى أنس نفسه بمائتي بعير ، فقال العباس بن مرداس ^(٥) يعير عتيبة
أخذه أنسا وبينهم ما بينهم من الميثاق :

كَثُرَ الضَّجَّاجُ ^(٦) وَمَا مُنِيتُ بِغَادِرٍ كَعُتْبَيْةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
جَلَلَتْ حَنْظَلَةُ ^(٧) الْمَخَانَةَ وَالْخَنَاءَ وَدَنَسَتْ آخِرَ هَذِهِ الْأَحْقَابِ
وَأَجْرَتُمُ أَنْسَا فَمَا حَاوَلْتُمُ بِإِسَارِ جَارِكُمُ بَنَى الْمَيْقَابِ ^(٨)
فَخَوُوا ^(٩) بِأَطْرَافِ الْأَنْوَفِ وَأَمْهَلُوا عَنْكُمْ قَوَادِمَ صِرْمَةِ الْأَعْرَابِ

(١) يرئسهم : يبطئهم (٢) الحوثر بن قيس : من بنى كلاب (٣) يقال للرجل يقدم
فيضرب عنقه : قتل صبراً (٤) السخواء : الأرض السهلة الواسعة (٥) العباس بن
مرداس : من بنى سليم قوم أنس ، شاعر جاهلى وأدرك الإسلام ثم أسلم ، وهو أحد أغربة العرب
وقد جملة ابن سلام في الطبقة الخامسة من الشعراء (٦) الضجج : الصياح
(٧) حنظلة : قوم عتيبة إذ هو من يربوع بن حنظلة (٨) الميقاب : التى تلد الحنى ، والوقب
الأحمى (٩) الفخ : أن ينام الرجل وينفخ في نومه ، وفخ التأم ينفخ (بكسر الفاء)

فقال عتيبة :

غدرتم غدرهً وغدرتُ أخرى فليسَ إلى توافينا سبيلُ
 كأنكم غداة بني كلابٍ تفأقذُم^(١) على لكم دليلُ
 وقال مالك بن نويرة^(٢) لما أبى عتيبة أن يدفع إليهم أنسا ، يئنُّ عليه بدفع
 بني عبيد الحويرة إليه حتى قتله :

ونحن نأرنا قبلها بامر أمه غداة السكابين والهيلُ تشهدُ
 فجئنا به صبرا إليك تقوده وأنت ضعيفُ الصوت قلبك يرعدُ
 قيادَ ذيلٍ لا يُنازعُ رأسه وقلنا لك اقتله وقد كدت تبلدُ

(١) يقال تفأقذ القوم ؛ أى فقد بعضهم بعضاً
 (٢) مالك بن نويرة : من ثعلبة بن يربوع
 أحد الشعراء المخضرمين ، قتله خالد بن الوليد في حروب الردة .

(٦) يوم جزع ظلال*

أغارَت بنو فزارة ، ورئيسهم عُمَيْيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، ومعه مالك ابن حِمار السَّمْعِيُّ متساندين ؛ هذا من بني عدى بن فزارة ، وذلك من بني شَمْعٍ بن فزارة^(١) ، على التَّيْمِ وعدى وثور أطْحَل من بني عبد مناة^(٢) ، فلتُوا أيديهم غنائم وإبلا ونساء ، وأخذ يومئذ شريك بن مالك بن حُدَيْفَةَ أربعين امرأة من التَّيْمِ وعُكْل فأطلقهن وردَّهن ، وأخذ خارجة بن حصن نفراً من التَّيْمِ فأطلقهم بغير فداء .
فأدعت بعد ذلك بنو يربوع أن عَتَيْبَةَ بن الحارث بن شهاب وبني يربوع أدركوهم بحقيل^(٣) فاستنقذوهم^(٤) .

ثم إنه ضرب الدهر من ضربانه^(٥) ، فبلغ بني فزارة أن النعمان بن جسام التيمي وعوف بن عطية وسبيع بن الخطيم - وهم سادة التيم - وابن المخيط ، وهو سيد بني عدى تيم^(٦) انطلقوا إلى بني سعد بن زيد مناة^(٧) وضبة^(٨) يستمدونهم ،

* لفزارة (من قيس) على تيم . وجزع ظلال : موضع

معجم البلدان ص ٣٠٨ ج ٣ ، القائض ص ٣٠٢ ، ١٠٦٧ (طبع أوربة)

(١) فزارة : حى في ذبيان ، وذبيان فرع من قيس عيلان (٢) يسمى بعض النسابين هذه الأحياء بالرباب (٣) حقيل : واد في ديار بني عكل (٤) في ذلك يقول جرير وهو يفخر على التيم :

تداركنا عينة وابن شمع وقد مرا بهن على حقيل

فردوا المردقات بنات تيم ليربوع فوارس غير حميل

(٥) ضرب الدهر من ضربانه وضربه : مر من مروره وذهب بعضه (٦) عدى تيم :

حى في تيم (٧) بنو سعد : حى في تيم (٨) ضبة : تنسب إلى ضبة بن أد بن طابخة

ابن الياس .

وَيَسْأَلُونَهُمُ النَّصْرَ ، فَرَكَبَتْ بَنُو فِزَارَةَ وَرَأْسُهُمْ أَيْضًا عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ، فَأَغَارُوا عَلَى التِّيمِ ، فَقَتَلُوهُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلُوهُ أَحَدًا ، وَأَخَذُوا مِائَةَ امْرَأَةٍ مِنَ التِّيمِ ، فَقَسَمْنَهَا عَيْنَةُ بَيْنَ بَنِي بَدْرِ ^(١) ، وَأَخَذُوا سَبْيًا كَثِيرًا فَقَتَلُوهُمْ .

فَلَمَّا نَزَلُوا اشْتَرَتْ بَنُو فِزَارَةَ الْخُمُوزَ لِيَشْرَبُوا ، فَقَالَ عَيْنَةُ : ابْعَثُوا بَنَاتِ تِيمِ فَلْيَنْقِلْنَ زِقَاقَكُمْ . فَاَنْطَلَقَ نِسَاءُ تِيمٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُنَّ مِنْ رَجَالِهِنَّ يَنْقُلُونَ زِقَاقَ الْخَمْرِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَمْرُوهُنَّ فَجَعَلْنَ يَمْزُجْنَ فَيْشْرَبُونَ وَلَا يَسْقُونَ تَيْمًا مَحْقُورَةً لَهُمْ ، فَأَتَى كَذَلِكَ زَمَانٌ .

ثُمَّ إِذْ عَيْنَةُ سَأَلَ قَوْمَهُ أَنْ يَرُدُّوا بَنِي تِيمٍ فَفَعَلُوا ، فَرَدُّوا السَّبْيَ إِلَى تِيمٍ ، وَأَطْلَقُوا الرِّجَالَ بِغَيْرِ فِدَاءٍ ^(٢) .

ثُمَّ إِذْ بَنِي مَرَّةَ ^(٣) أَغَارُوا عَلَى التِّيمِ وَرَبِيسُ بَنِي مَرَّةَ يَوْمُئِذٍ سَنَانُ بْنُ سَنَانٍ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ ، فَقَتَلُوا التِّيمَ وَعَدِيًّا وَعُكْلًا ، وَأَخَذُوا سَبْيًا كَثِيرًا ، فَلَمْ يُنْتَقُوا مِنْهُمْ شَيْئًا وَاسْتَخْدَمُوهُمْ .

(١) بدر : قوم عينة (٢) فذلك قول جرير :

خُذْ مِنْ بَنِي غِيْظٍ مَرَّةً بِمَدَامَا خُذْ مِنْ التَّدَايِ مِنْ شُرُوبِ بَنِي بَدْرِ

إِذَا مَا اشْتَرَوْا خَمْرًا قَتَلْتُمْ زِقَاقَهُمْ إِلَيْهِمْ وَلَا يَسْقُونَ تَيْمًا مِنَ الْخَمْرِ

(٣) مرة : حي في ذبيان .

(٧) يوم المروت*

كان من حديث هذا اليوم أن قَعْنَبَ بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع التقي هو وُبَيْر^(١) بن عبد الله العامري بمكاظ ، والناس متواقفون ، فقال بُجَيْر : يا قَعْنَب ما فعلت البيضاء فرسك ؟ قال : هي عندي . قال : فكيف شُرك لها ؟ قال : وما عَسَيْتُ أن أشكرها به ؟ قال : وكيف لا تشكرها وقد نجتك مني ! قال قَعْنَب : ومتى كان ذلك ؟ قال : حيث أقول :

لو أمكنتني من بَشَامَةٍ^(٢) مُهَرَّتِي لَلَأَقَى كَمَا لَاقَتْ فُؤَارِسُ قَعْنَبِ

تَمَطَّتْ^(٣) به البيضاء بعد اختلاسه على دَهَشٍ وَخِلْتَنِي لَمْ أَكْذِبِ

فأنكر ذلك قَعْنَب ، وتلاعنا وتداعيا أن يقتل الصادقُ منهما الكاذب ، ونذَر قَعْنَبُ أن لا يراه بعد هذا الموقف إلا قتله أو مات دونه .

فَضَرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبَانِهِ ، ثم إن بُجَيْرَ آغار على بني العنبر يوم إزِمَ الكَلْبَةُ^(٤) وهم خُلوْف ؛ فأصاب منهم ناساً ، وانفَلَتَ منهم مُنْفِلَتُونَ ، وأتى الصريحُ بنى حنظلة ، وبني عمرو بن تميم وبني العنبر فركبوا في أثَرِ بُجَيْر ، وقد سار يَمْنُ أَخَذَ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَحِقَ بَنُو عَمْرٍو بَنِي تَمِيم ، فقال بُجَيْرُ لأصحابه من بني عامر : انظروا ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلاً عارضةً رماحها على كواهل خيلها . قال : أولئك بنو عمرو

* تميم على عامر (من قيس) والمروت : موضع في ديار بني تميم
ابن الأنثري ص ٣٨٦ ج ١ ، النقايس ص ٧٠ (طبع أوربة) ، بلوغ الأرب ص ١٠٨ ، معجم البلدان (المروت)

(١) في النقايس : بجير بفتح الباء وكسر الحاء ، وهذا الضبط عن اللسان - مادة نكد
(٢) بَشَامَة : اسم رجل (٣) تَمَطَّتْ به : سارت سيراً ممدوداً (٤) موضع بين البصرة والحجاز .

ابن تميم، وليست بشيء. فلحقوا بـيُجَيْر وهو بالمرّوت، فاقتتلوا شيئاً من قتال؛ ثم لحق بنو مالك بن حنظلة، فقال بُجَيْر لأصحابه: انظروا ما ترون؟ قالوا: نرى خيلاً ناصبةً الرماح. قال: أولئك بنو مالك بن حنظلة، وليست بشيء. فلحقوا وقاتلوا شيئاً من قتال، ثم لحقت خيل شَمَاطِيط^(١)، فقال بُجَيْر: ما ترون؟ قالوا: نرى خيلاً شَمَاطِيط ليس معها رماح وكأنا عليها الصبيان. قال: أولئك بنو يربوع، رماحهم عند آذان الخيل، إياكم والموت الرّؤم! فاصبروا، وما قوتلتم منذ اليوم إلا الساعة.

فكان أول من لحق من بني يربوع نعيم^(٢) بن عتاب، فظعن النّائم بن قُرط أخا بني قُشَيْر فصرعه وأسرّه، ثم لحق قَعْنَب بن عَصَمَة بجيرا فطعنه فأرداه عن فرسه، فوثب عليه كدّام بن بجيلة^(٣) المازني، فأبصره قَعْنَب بن عتاب، وهو في يد كدّام فحمل عليه، فأراد كدّام منعه، فقال قَعْنَب: ماز^(٤) رأسك والسيف! فخلّى عنه كدّام، فضربه قَعْنَب بن عتاب فأطار رأسه، وانهزم بنو عامر. واستنفذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر وعادوا.

(١) متفرقة أرسلالا
بالنون والحاء (٤) أي يمازني رأسك والسيف. قال في اللسان: ولم يكن اسمه مازناً وإنما كان اسمه كدّاماً، وإنما سماه مازناً لأنه من بني مازن، وقد تفعل العرب مثل هذا في بعض المواضع.

(٢) كان يسمى الواقعة لبليته (٣) في النقائض: بن نخيلة

٩- أيام ضيعة وغيرهم

- ١- يوم النصار.
- ٢- » الشقيقة .
- ٣- » براخة .
- ٤- » دارة مأسل .
- ٥- » النقيعة .

(١) يوم النّسار*

أَجْدَبَتْ أَرْضُ مُضَرَ وَأَخْصَبَتْ بِلَادُ بَنِي سَعْدِ^(١) وَالرَّبَابِ^(٢) وَجَادَهَا الْغَيْثُ ؛ فلما وقع ذلك الْغَيْثُ أَقْبَلَتْ عَامِرُ بْنُ صَعْمَصَةَ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ إِلَى بَنِي سَعْدِ ، وَكَانُوا يَوَاصِلُونَهُمْ بِالنَّسَبِ ؛ فَسَأَلُوهُمْ أَنْ يُرْعَوْهُمْ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ ، ففعلوا .

فلما اجتمع بنو سعد والرَّبَابِ وهَوَازِنَ وَمَنْ مَعَهُمَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ مَا اجْتَمَعَ مِثْلَ عِدَّتِنَا قَطُّ إِلَّا كَانَتْ بَيْنَهُمْ أَحْدَاثٌ ؛ فليُضْمَنَّ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ مَا كَانَ فِيهِمْ ، وليُضْمَنَّ رَجُلٌ مِنْ سَعْدِ وَالرَّبَابِ مَا كَانَ فِيهِمْ ؛ فَكَانَ الضَّامِنُ لِمَا كَانَ فِي سَعْدِ وَالرَّبَابِ الْأَهْتَمَ^(٣) ، وَكَانَ الضَّامِنُ عَلَى هَوَازِنَ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ عَامِرِ ابْنِ صَعْمَصَةَ ؛ فَرَعَوْا ذَلِكَ الْغَيْثَ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثم إن رجلاً من بني ضَبَّةَ يُقَالُ لَهُ الْحَنْتَفُ أَغَارَ عَلَى خَيْلٍ لِمَالِكِ ذِي الرُّقَيْبَةِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ^(٤) ، فَلَسْتَوَدَعَهَا رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ خَزِيمَةَ يُقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَمْرِ ، وَكَانَ غِيَبَهَا قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَ عَوْفِ بْنِ غَطِيَّةَ التَّيْمِيِّ^(٥) .

* لُصَّةٌ وَتَمَيَّنَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ . وَالنَّسَارُ : جِبَالٌ صَغِيرَةٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ مَا لَبَّى عَامِرَ

ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٦ ج ٣ ، التفاضل ص ٢٣٨ ، ٧٩٠ ، ١٠٦٤ (طبع أوربة) ، شرح الفضليات صفحة ٣٦٤

(١) بنو سعد أحياء في تميم (٢) الرباب : أحياء ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس ؛ سموا كذلك لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا (الفاموس) (٣) الأهتم : اسمه سنان بن سمي بن خالد ، وهو من بني سعد بن زيد بن مناة بن عمرو بن تميم ، وقف خلاف بينه وبين قيس بن عاصم النخري يوم الكلاب الثاني ، فرفع قيس قوسه فضرب فم الأهتم بها ، فهتف أسنانه ، فسمى بالأهتم من يومئذ (٤) من بني قشير ، وقشير : بطن في بني عامر ، ومالك هذا هو الذي أسر حاجب بن زرارة يوم شعب جيلة (٥) من ضبة .

فلما فَقَدَ مالِكُ ذُو الرُّقَيْبَةِ خَيْلَهُ أَقْبَلَ هُوَ وَقَرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ إِلَى الْأَهَمِّ فَقَالَا :
ضَمَانُكَ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَا : عُذِي عَلَى خَيْلِنَا فَذُهِبَ بِهَا . فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ
مَنْ أَحَدُهَا ؟ قَالَا : لَا . قَالَ : فَاطْلُبُوا وَاسْأَلُوا وَاطْلُبْ وَنَسْأَلْ ، فَإِنْ يَكُنْ أَصَابَهَا
رَجُلٌ مِنْ سَعْدٍ وَالرَّبَابِ فَأَنَا لَهَا ضَامِنٌ حَتَّى أَرُدَّهَا .

وطلبوا وسألوا فذكر لهم رجلٌ أنها رُبِيت عند عوف بن عطية التيمي ، فسألوه
فأنكر أن يكون رآها أو علم منها علماً ، وسأل الأهم فوجدها قد كانت عنده ،
فاحتبس إبل عوف حتى أَرْضَى ذَا الرُّقَيْبَةِ مِنْ خَيْلِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ شَرَوَاهَا ^(١) .

فانطلق عوف إِلَى الْحَنْتَفِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَزَدَ عَلَيْهِ عِدَّةً مَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَرَغِبَ الْحَنْتَفُ
فِي الْخَيْلِ فَأَمْسَكَهَا ، فَقَالَ عَوْفُ بْنُ عَطِيَّةَ فِي ذَلِكَ :

يَا قُرَّةُ ابْنَ هُبَيْرَةَ بْنِ قُشَيْرٍ يَاسَيِّدَ السَّلَامَاتِ إِنَّكَ تَظْلُمُ
يَا قُرَّةُ إِنْ تَشْمُرُ فَإِنِّي شَاعِرٌ أَوْ إِنْ تُكَارِمُنِي فَفِيرُكَ أَكْرَمُ
هَلْ أَغْرَمَنْ لِعَامِرٍ مِنْ عَامِرٍ وَلَمْ أَلَا قِهِمْ وَلَمْ أَتَكَلَّمْ
أَوْ أَغْرَمَنْ لِدَى الرُّقَيْبَةِ خَيْلَهُ إِنْ كَانَ دَلَّهُمْ عَلَى الْأَهَمِّ

ثُمَّ أَظْهَرَ الْحَنْتَفُ الْخَيْلَ ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ يورِدُهَا عَدِيرًا يَسْقِيهَا إِذْ لَقِيَهِ رَجُلٌ مِنْ
بَنِي قُشَيْرٍ فَنَازَعَهُ فِيهَا ؛ فَضْرَبَ الْقُشَيْرِيُّ الْحَنْتَفَ عَلَى سَاعِدِهِ وَضَرَبَهُ الْحَنْتَفُ فَقَتَلَهُ
وَوَقَعَ الشَّرُّ ؛ وَجَاءَتْ بَنُو عَامِرٍ ^(٢) إِلَى بَنِي سَعْدٍ فَقَالُوا : نَحْنُ إِخْوَتُكُمْ وَفِي جَوَارِكُمْ ،
وَقَدْ فُعِلَ بِنَا مَا تَرَوْنَ ، فَخُذُوا لَنَا بِحَقِّنَا . فَكَلَّمُوا بَنِي ضَبَّةَ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا أَقْبَلَ
رَجُلَانِ فَأَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَمَاتَ صَاحِبُهُمْ وَخَطِئٌ عَنْ صَاحِبِنَا ، فَنَحْنُ
نُعْطِيهِمُ الدِّيَّةَ .

(١) شَرَوَى الْمَنَى : مِثْلُهُ (٢) قَوْمُ الْقُشَيْرِيِّ الْمَقْتُولِ .

فَأَبَى الْمَامِرِيُّونَ أَنْ يَقْبَلُوا الدِّيَّةَ ، وَقَالُوا : نَقْتُلُ بِصَاحِبِنَا ، فَأَبَتْ بَنُو ضُبَّةَ ،
وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ ، وَغَضِبَتْ بَنُو سَعْدٍ فَاجْتَمَعُوا مَعَ بَنِي عَامِرٍ ، وَتَوَاعَدُوا أَنْ يَلْتَقُوا بِالنَّسَارِ ،
وَاسْتَمَدُّوا بَنِي أَسَدٍ فَأَمَدُّوهُمْ ؛ فَالْتَقُوا بِالنَّسَارِ فَاقْتُلُوا ، فَصَبَرَتْ عَامِرٌ وَاسْتَحَرَّ بِهِمْ
الشَّرُّ ، وَانْفَضَّتْ بَنُو سَعْدٍ فَوَازِلَتْ (١) لَمْ يُصَبْ مِنْهُمْ كَبِيرٌ . أَمَّا بَنُو عَامِرٍ فَهَزِمُوا
وَقَتَلُوا وَسُبُّوا ؛ فَقَتَلَ شَرِيحُ بْنُ مَالِكٍ الْقُشَيْرِيُّ رَأْسُ بَنِي عَامِرٍ ، وَصَارَتْ سَلْمَى
بِنْتُ الْحَلَقِ لَمَرْوَةَ بْنِ خَالِدِ بْنِ نَضْلَةَ ، وَصَارَتْ الْعَنْقَاءُ بِنْتُ هَامٍ مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بِن
كَلَابِ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ ، وَصَارَتْ أُمُّ خَازِمِ بِنْتُ كَلَابِ لِأَرْطَاةَ بْنِ مُنْقِدِ
الْأَسَدِيِّ ، وَرَفْعَةُ بِنْتُ صُبَيْحٍ لِلْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الْأَسَدِيِّ ، وَهَنْدُ بِنْتُ وَقَاسٍ لَقَيْسِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُقَعِيِّ ، وَأُمَامَةُ بِنْتُ الْمَدَاءِ لِأُسَامَةَ بْنِ عِمْرِ الْوَالِيِّ ، فَقَالَتْ سَلْمَى
الْحَلَقُ تَعَيَّرَ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ بِفِرْعَوْنِهِ وَالطَّفِيلِ :

لَحَى الْإِلَهَ أَبَا لَيْلَى بِفِرْعَوْنِهِ يَوْمَ النَّسَارِ وَقُنْبَ الْمَيْرِ جَوَابًا (٢)

كَيْفَ الْفَخَارُ وَقَدْ كَانَتْ بِعَمْرٍاءِ يَوْمَ النَّسَارِ بَنُو ذُبْيَانَ أَرْبَابًا

لَمْ تَنْعَمُوا الْقَوْمَ إِذْ شَلُّوا سِوَامَكُمْ وَلَا النِّسَاءَ وَكَانَ الْقَوْمُ أَحْزَابًا

فَبَعَثَتْ بَنُو كَلَابِ إِلَى الْقَوْمِ فَشَاطَرُوهُمْ سَبِيهِمْ ، فَقَالَتْ الْفَارَعَةُ بِنْتُ مَعَاوِيَةَ مِنْ

بَنِي قُشَيْرٍ تَعَيَّرَ كِلَابًا بِمَشَاطِرِهِمُ الْأَحَالِيفَ سَبَايَاهُمْ يَوْمَئِذٍ :

مَنَا فَوَارِسُ قَاتِلُوا عَنْ سَبِيهِمْ يَوْمَ النَّسَارِ وَلَيْسَ مَنَا أَشْطَرُ

وَلَيْسَ مَنَا نَصْرُ الْمَشِيرَةِ ذُو الْحَى (٣) وَحَفِيفٌ نَا فِجَّةٌ بَلِيلٌ مُسْهِرٌ (٤)

(١) هربت، وفي النقائض: فافضت بنو عيم (٢) جواب: لقب مالك بن كعب؛ لأنه كان يجوب

الآبار يحفرها ويتخذها لنفسه (٣) ذو الحى: أى ذو اللحية بن عامر بن عوف بن أبي بكر بن

كلاب، وشجبت الريح إذا جاءت بقوة (٤) مسهر بن عبد قيس بن ربيعة بن أبي بكر بن كلاب.

زَعِمَتْ بَرُوحٌ^(١) بَنِي كِلَابٍ أَنَّهُمْ
 كَذَبَتْ بَرُوحٌ بَنِي كِلَابٍ إِنَّهَا
 حَاشَى بَنِي الْمُجَنُونِ إِنْ أَبَاهُمْ
 لَوْلَا بَيُوتُ بَنِي الْحَرِيشِ تَقَسَّمَتْ
 مَنَعُوا النِّسَاءَ وَأَنْ كَمَبًا أَدْبَرُوا
 تَمَشَى الضَّرَاءُ^(٢) وَبِوَلْهَا يَنْقَطِرُ
 صَاتٌ^(٣) إِذَا سَطَعَ الْغَبَارُ الْأَكْدَرُ
 سَبَى الْقَبَائِلَ مَا زُنُ وَالْمَغْبِرُ

(١) الإزوخ : التي تدخل ظهرها وتخرج بطنها
 (٢) الضراء : ما سترك وواراك
 (٣) صات : له صوت في الناس وذكره ، والصيت : الشديده الصوت ، وفي رواية : لولا بنو نبت ،
 ربيعة بنت الحريش ، وبنوها بنو خويلد بن ثعلبة ، وبنو المجنون : من بني أبي بكر .

(٤) يوم الشقيقة*

قال بسطامُ بنُ قيسٍ سميذ بنُ شيبان^(١) لأُمِّه ليلي بنت الأحوص : إني قد أخذمتك من كلِّ حيٍّ أمةٌ ، ولستُ منتهياً حتى أخذمك أمةً من بني ضبة^(٢) ، فقالت له أُمُّه : يا بني لا تفعل ؛ فإن بني ضبة حي لا يسلم ولا يغم منهم من غزاهم .

ولكنه خرج لغزوه ، ومعه رجلٌ يزجر الطير من بني أسد بن خزيمه يُسمَّى قعيداً .

فلما دنا من ثقا^(٣) يقال له ثقا الحسن في بلاد بني ضبة صعدَه ليربأ^(٤) ، فإذا هو بنعمٍ قد ملأ الأرض فيه ألفٌ بعيرٍ لمالك بن المُتَفِقِ الضَّبِّي قد فقأ عينَ خُلها - وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية إذا بلغت إبلٌ أحدهم ألف بعير ، تُفقأ عينَ أحدها ليردَّ عنها الحسد - وإبلٌ من تبعه وجميعها إبلُ مُرتبة ، ومالك بن المُتَفِقِ على فرسٍ له جواد .

فلما أشرف على الثقا تخوَّف أن يروَّه فيندروا^(٥) به ، فاضطجع بطنُه لظهره ،

* لُصبة على شيبان . والشقيقة : كل جد بين حبلٍ رمل ، وقيل الشقيقة : فرجة في الرمال تثبت المشب ، وهو يسمى أيضاً ثقا الحسن ، والحسن اسم رمل بعينه

التفاض ص ١٩٠ ، ٢٣٣ طبع أوربة ، المقد الفريد ص ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ معجم البلدان (مادة حسن) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص ٥٢ ج ٣

(١) شيبان : بطن في بكر (٢) ضبة : حي في مضر (٣) الثقا : القطعة من الرمل المحدودة (٤) يقال : ربأهم وربأ لهم ؛ صار ريثة لهم ، أي طليعة (٥) يندرون : يملون .

وأنحدر حتى أسهل بمستوى من الأرض ، وقال : يا بني شيبان ؛ لم أراك اليوم في الغرة وكثرة النعم .

فلما نظر نقيذ الأسدى إلى لحيته بسطام مُعفرة بالتراب حين أسهل تطير له ، وقال :

والذى يُحلف به ؛ لئن صدق طائرُك لتعفرنَّك بنو ضبة اليوم بالتراب ، فأطمني وانصرف .

فقال له بسطام : أأرجع وقد بلغت غايى وأشرفت على الغنيمة ؛ فقال الأسدى : إني لست لك بصاحب ، وأنا منصرف عنك وتاركك ، ثم أخذته رعدة تهيبا لفراقه ، وقال له : ارجع يا أبا الصَّهْبَاء ؛ فإني آنحوف عليك القتل ، فعمصاه ، وركب نقيذ الطريق وفارقه .

وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الإبل وطردوها ، وفيها فحل مالك يقال له أبو شاغر - وكان أعمى - ونجا مالك بن التفتق على فرسه إلى قومه من ضبة ، واستصرخهم قائلا : يا صباحاه (١) ! فأجابوه ، ثم عاد ومعه فوارس منهم أذكروا القوم وهم يطردون النعم ، فجعل فحله أبو شاغر يشد من النعم ليرجع ، ويتبعه الإبل ، فكلما تبعته ناقة عقرها بسطام . فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال : ماذا السَّفهُ يا بسطام ! لا تعقرها لا أباك ! فإما لنا وإما لك .

ثم إن رجلا من بني ثعلبة يقال له أرطاة بن ربيعة لحق بنى ضبة ومعه قوسه وأسهمه وقال : يا بني ضبة ؛ بأبى أنتم وأمى ! مرونى بأمركم وما تريدون أن أصنع ،

(١) يا صباحاه : كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة ؛ لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح ؛ فكان القائل : يا صباحاه ! يقول : قد غشنا العدو (لسان العرب - مادة صبح) .

فقالوا : عليك براوية^(١) القوم فإتاما هي أنفُسهم ، وقد اشتدَّ الحر - وكانوا قد جمَعوا ما كان معهم من ماء على جل لهم - فأهوى أُرطاة للجمل الذى عليه الماء بسهم ، فوضعه فى سالفته^(٢) فقطع نخاع الجمل ، فتجَعَب^(٣) الجمل على جرَّانه^(٤) ، وانقَدَّت المزداتان اللتان عليه .

فلما رأى أصحاب بسطام من شيئا أن الماء قد هُرِق سَقَطَ فى أيديهم ، واستأَمروا ثم ألقوا السلاح .

وكان عاصم بن خليفة الصَّبَاحى أحد بنى ضبة رجلا طُرُفَة^(٥) ، وكان يضع حديدة له قبل الغزو ، فيقال له : ما تصنعُ بها يا عاصم ؟ فيقول : أَقْتُلُ بها بسطاما ، فيهزءون منه . فلما جاء الصريخ بنى ضبة أسرج أبو عاصم فرسه ، ثم جعل يشدُّ أزرار الدرع عليه ، فبادره ابنه عاصم وركب فرس أبيه فناده أبوه مرارا ، فجعل لا يلتفت إليه ولا يجيبه ، وسار حتى لحق الفرسان ، ثم سأل رجلا من فرسان بنى ضبة : أيهم الرئيس ؟ أبى أنت ؟ فقال : حاميتهم صاحب الفرس الأدهم - وكان بسطام يحمى قومه فى أخريات الناس على فرس يقال له الزعفران - فعارضه عاصم حتى حاذاه ، ثم حمل عليه فطمنه بالرمح فى صمَّخ أذنه ، وأنفذ الطمَّنة إلى الجانب الآخر ، وهو مُعْتَجِر بملاءة صفراء ، ثم نزل إليه عاصم ليسليه ، فقال له بسطام : إنك قد أحرزت سَلْبى فمليك غيرى . ثم وقع رأسه على الآءة^(٦) من شجر الرمل فات .

فلما رأت ذلك بنو شيبان خلَّو سبيل النعم ، وولَّو الأُدبار ، فن قَتيل وأسير .



(١) براوية : المَزَادَة فيها الماء ، والبعر والبغل والحمار يستقى عليه (٢) السالفة : ماتقدم من المتق (٣) تجعَب : انقلب (٤) جران البعر : مقدم عتقه من مذهبه إلى منحوره (٥) طُرُفَة : أحمق (٦) الآلاء : شجر مر .

وكان عبدُ الله بن عَنَمَةَ الضُّبِّي مُنْقَطِعًا إِلَى بَنِي شَيْبَانَ بِمَوَدَّتِهِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَخْوَالَهُ
وكان يَفْزُو مَعَهُمُ الْغَازِي ، فَلَمَّا مَاتَ بِسُطَّام خَافَ أَنْ يُقْتَلَ ، فَقَالَ يَرِثِيهِ :
لَا أُمُّ الْأَرْضِ وَيْلٌ ، مَا أَجَنَّتْ ؟ بِحَيْثُ أَضَرَ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ ^(١)
يُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ ^(٢)
أَجِدْكَ لَنْ تَرِيهِ وَلَنْ نَرَاهُ تَخُبُّ بِهِ عُدَا فِرَّةَ ذَمُولٍ ^(٣)
حَقِيقَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ تُمَارِضُهَا مُرَبِّيَّةٌ ذَمُولٌ ^(٤)
إِلَى مِيعَادِ أُرْعَنَ مُكْفَهَرٍ تَضْمُرُ فِي جَوَانِبِهِ الْخِيُولُ ^(٥)
لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ ^(٦)
أَفَاتَتْهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرِو وَلَا يُوفِي بِسُطَّامٍ قَتِيلٌ ^(٧)

(١) ما : استفهامية ، وأجنت : سترت ، أضر : دنا ، والحسن : جبل رمل . والمعنى : ويل
للأرض كيف سترت رجلاً عظيماً بمكان قرب فيه الطريق من الجبل المسمى الحسن
(٢) أبا الصهباء : كنية بسطام ، والأصيل : العشية ، وهو وقت الأضياف (٣) أجذك :
أجد منك ، وتخُبُّ : تُمسِي الحب ، والعذافرة : الغليظة ، والذمول : السريعة ، والثني الأول
لرؤيته في السلم ، والثاني لرؤيته في الحرب (٤) الحقيقة : ما يجعل وراء الرجل ، والبدن :
الدرع ، والمربية : السمينة ، والذمول : من الدؤلان ، وهو نوع من السير . والمعنى : وراء رجل
هذه الناقة درع وسرج ، تمارضها ناقة سمينة (٥) الأرعن : الجيش الكثيف كأنه أنف
في الجبل ، والمكفهر : الكريه النظر ، وتضمُرُ : تلغف القوت القليل بعد السمن ، والمعنى تسير
الناقة به إلى ميعاد جيش كثيف (٦) المرباع : ربع الغنمية ، وكان الرئيس يأخذه حقاً له عند
الغزو ، والصفايا : جمع صفية ، وهي أشياء كان يصطفها الرئيس لنفسه من خيار ما يغم ، والنشيطه :
ما أصابه الجيش في طريقه من قبل أن يصل إلى مقصده ، والفضول : ما فضل ولم ينقسم ، والمعنى أن
المفقود كانت له إمارة تسوغ له ما لا تسوغ لغيره (٧) أفات : تمتد إلى مفعولين ، واحدهما
مُخَنَفٌ ، كأنه قال : أفاتت الناس بنو زيد بن عمرو بسطاماً ، أي الانتفاع به ، وكانهم ضيعوا
دمه ولا يوفى بدمه دم قتيل .

وخرَّ على الألاءِ لم يُوسدْ كانَّ جبينه سيفٌ صَفيلٌ^(١)
فإن تجزع عليه بنو أبيه فقد فجموا وفاتهم جليلٌ
يمطّام إذا الأشوال^(٢) راحت إلى الحجرات ليس لها فصيلٌ

وقالت شَمْعلة بنت الأَخضر بن هبيرة :

ويومَ شقيقة الحسنين^(٣) لاقَتْ بنو شيان آجالاً قصّاراً
شكنا بالأسنة وهي زورٌ^(٤) صماخي كبشهم حتى استداراً
وأوجرناه^(٥) أسمرَ ذا كُوبٍ يشبه طوله مسداً^(٦) مغاراً
فخرٌ على الألاءِ لم يُوسدْ وقد كان الدماء له خماراً

وقال مُحَرِّز بن الكَعْبَر الضبي ، يفخر بفعال بني ضبة :

أطلقتُ من شيبانَ سبعينَ رعائياً فأبوا جميعاً كلهم ليس يشكروُ
إذا كنتَ في أفناءِ شيان مُنعماً فجزَّ اللحى إن النواصي تُكفرُ
فعلّ تيمّا أن تُغيرَ عليكم بجيشٍ وعلى أن أُغيرَ فأقدِرُ
فلا شكركمُ أبني إذا كنتُ مُنعماً ولا ودّكم في آخرِ الدهرِ أضمرُ

(١) الألاء : شجرة ، وشبه جبينه لصفائه وانحسار الشعر عنه بسيف مصقول ، أي لم يكن أغم ،
والنعم عندهم مذموم (٢) الأشوال : الشول من التوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها ، وآتى
عليها سبعة أشهر من يوم تتاجها أو ثمانية فلم يبق في ضروعها إلا شول من اللبن : أي بقية مقدار
ثلث ما كانت تحلب حدثان تتاجها ، واحدها شائلة والأشوال جمع الجمع (٣) الحسنان : تقوان
من رمل بني سعد ، وهذه رواية اللسان ، ورواية النقائص : ويوم شقائق الحسين (٤) رواية
النقائص : * شكنا بالرماح وهن زور * وهي زور : يعني الخيل ، وزور : جمع
أزور من الزور ، وهو الميل (٥) أوجره الرمح : طعنه به في فيه (٦) مسدا مغاراً :
حبلاً شديداً القتل .

وقالت أم بسطام :

لبيك ابن ذى الجدين بكر بن وائل
إذا ما غدا فيهم غدوا وكأنيهم
فله عينا من رأى مثله فتى
عزيز الكرم لا يهد جناحه
وحال أنقال وعائد مجر^(١)
سبيك عان لم يجد من يفكه
وتبيك أسرى طالما قد فككتهم
مفرج حومات الخطوب ومدرك الـ
فقد بان منها زينها وجمالها
نجوم سماء ينهن هلالها
إذا الخيل يوم الرقع هب نزالها
وليت إذا الفتان زلت نعالها
تحمل إليه كل ذاك رجالها
وبيك فرسان الوغى ورجالها
وأرملة ضاعت وضاع عيالها
حروب إذا صالت وعز صيالها

(١) المحجر : المضطر للنجا .

(٣) يوم بُزَاخَة *

أغار مُحَرِّقُ الْفَسَانِي ، وأخوه في إِيَادٍ ^(١) وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بني ضَبَّةَ بنِ أَدِّ بْنِ زَاخَة ، فاستاقوا النَّعَمَ ، فَأَتَى الصَّرِيحُ بنِي ضَبَّةَ فركبوا فَأَدْرَكُوهُ ، واقتتلوا قتالاً شديداً ؛ ثُمَّ إِنَّ زَيْدَ الْفَوَارِسِ حَمَلَ عَلَى مُحَرِّقٍ فَأَعْتَقَهُ وَأَسْرَهُ ، وَأَمَرُوا أَحَاهُ ^(٢) حُبَيْشُ بنِ دَافِ السَّيْدِيِّ ، فَقَتَلَهُمَا بَنُو ضَبَّةَ ، وَهَزِمَ الْقَوْمُ ، وَأَصِيبَ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ ابْنُ الْقَارِئِ أَخُو بَنِي ثَعْلَبَةَ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مَعَاوِيَةَ بنِ كَعْبِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ سَعْدِ بنِ ضَبَّةَ :

نِعْمَ الْفَوَارِسُ يَوْمَ جَيْشِ مُحَرِّقٍ لِحَقْوَاهُمْ يَدْعُونَ بِآلِ ضَرَّارٍ
زَيْدُ الْفَوَارِسِ كَرَّ وَابْنًا مُنْذِرٍ وَالْخَيْلُ أَوْجَفَهَا ^(٣) بَنُو جَبَّارٍ
حَتَّى سَمَوْا لِمُحَرِّقٍ بِرِمَاحِهِمْ بِالطَّمَنِ بَيْنَ كِتَابٍ وَغُبَارٍ



يَزِمِي بِنْرَةً كَامِلَةً وَبَنَحْرَهُ خَطَرَ النَّفُوسِ وَأَيَّ حِينِ خِطَارِ
لَمَّا رَأَوْا يَوْمًا شَدِيدًا بِأَسْهُ كَرِهَ الْحَيَاةَ وَشَقَّةَ الْأَسْفَارِ
وَكَانَ زَيْدًا زَيْدَ آلِ ضَرَّارٍ لَيْثٌ بِكَفْيِهِ الْمَنِيَّةَ ضَارٍ

* لُصْبَةٌ عَلَى إِيَادٍ ، وَبُزَاخَةٌ : مَاءٌ

الْقَائِضُ م ١٩٥ طَبْعُ أَوْرِبَةِ

(١) أَيَادٍ : شَعْبُ عَدْنَانِي ، أَبُوهُ إِيَادُ بنِ مَعْدِ بنِ عَدْنَانَ ، وَلَيْسَتْ لَهُمْ قِبَائِلُ مَشْهُورَةٌ

(٢) كَانَ يُقَالُ لِأَخِي مُحَرِّقِ فَارِسٍ مُرْدُودٌ (٣) أَوْجَفَ دَابَّتَهُ : إِذَا خَشَا .

وَكُنْ أَثَارَ الْغَرِيبِ عَلَيْهِمْ وَمَكْرَهُ يَوْمًا مُطَافُ دُورِ
جَمَلُوا لِمَا فِي الطَّيْرِ مِنْهُمْ وَقَعَةً صَرَغَى تَضَوُّرٌ فِي قَدَا أَسَارِ (١)
لَوْ لَا فَوَارِسُهُنَّ قَفْظَنَ عَوَاطِلًا فِي غَيْرِ مَا نَسَبٍ وَلَا إِصْبَارِ

(١) الموار: الضعيف الجبان السريع القرار.

(١) يوم دارة مأسل *

غزا عتبة بن شتيّر بن خالد الكلابي بني ضبة ، فاستاق نعيمهم ، وقتل حصن ابن ضرار الضبي زيد^(١) الفوارس - وكان يومئذ حدثاً لم يُذكر .

فجمع أبوه ضرار قومه ، وخرج نائراً على بني عمرو بن كلاب ، فأفلت منه عتبة ابن شتيّر ، وأسر أباه شتيّر^(٢) بن خالد - وكان شيخاً كبيراً - فأتى به قومه وقال : يا شتيّر ؛ اختر واحدة من ثلاث ، قال : اعرضها عليّ ، قال : إما أن تردّ ابني حصيناً قال : فإني لا أنشر الموتى ، قال : وإما أن تدفع لي ابنك عتبة أقتله به ، قال : لا ترضى بذلك بنو عامر أن يدفعوا فارسهم شاباً مقبلاً بشيخ أعور ، هامة^(٣) اليوم أو غد . قال : وإما أن أقتلك ، قال : أما هذه فنعم . فأمر ضرار ابنه أدهم أن يقتله ، فلما قدّمه ليضرب عنقه ، نادى شتيّر : يا آل عامر ؛ صبراً^(٤) بصبي ! كأنه أرف أن يقتل بصبي .

فقال في ذلك شملة :

وخيرنا شتيّراً من ثلاثٍ وما كان الثلاث له خياراً
جعلت السيف بين الليث منه^(٥) وبين قصاص لمتّه عذاراً^(٦)

* لضبة على بني عامر ، ودارة مأسل : ماء لعقيل

العقد الفريد ص ٣٣٠ ج ٣ ، معجم البلدان (مادة دارة مأسل) .

(١) زيد الفوارس : شاعر جاهلي ، وكان فارساً رئيساً على قومه ، شهد يوم الفرتين ، ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه ، وزيد الفوارس كان فارسهم ، ولذا قيل : زيد الفوارس (٢) في اللسان : شتيّر بن خالد : رجل من أعلام العرب كان شريفاً قال :

أوالب لا فاته شتيّر بن خالد عن الجهل لا يفرركم بأنام

(٣) يقال : فلان هامة اليوم أو غد ؛ إذا أشرف على الموت (٤) أي أقتل صبراً بصبي

(٥) الليث بالكسر : صفح العنق ، (٦) وفي ذلك يقول عمرو بن لجأ :

لا تهج ضبة يا جرير فإنهم قتلوا من الرؤساء ما لم يقتل

قتلوا شتيّراً ببن غول وابنه وابني هشيم يوم دارة مأسل

(٥) يوم النقيعة*

كان المثلّم بن المشخّرة العائذي الضبي^(١) مجاور آل بني عيس، فتقامر^(٢) هو وعمارة ابن زياد العبسي بالقداح^(٣)، فقمّره^(٤) عمارة، حتى حصل عليه عشرة بكار^(٥)، فقال له المثلّم: هلمّ أزيدك في المقارة حتى تريد عليّ، أو أخطّ بعض ما عليّ. فقال له عمارة: ما أنا بفاعلٍ؛ ما أريد أن أزيد عليك، وقد عجّزت، وما أريد أن أخطّ عنك شيئاً قد ركبته عليك.

فقال له المثلّم: خلّ معنى حتى آتى قومي فأبعث إليك بالذي لك عليّ؛ فأبى عمارة إلا أن يرّثه. فرهنه ابنه شرّخاف، وخرج حتى أتى قومه، فأخذ البكار فأبى بها عمارة، وافتكّ ابنه.

فلما انطلق بابنه قال له في الطريق: يا أبتاه؛ من ممّضال؟ قال: ذلك رجلٌ من بني عمّك ذهب فلم يوجد إلى الساعة، ولم يحبس له أثر. قال شرّخاف: فأبى قد عرفت قتله. قال أبوه: ومن هو؟ قال: هو عمارة بن زياد العبسي،

* لُصبة على عيس، والنقيعة: أرض تنبت الشجر، بين بلاط سليط وبني ضبة. ويسى هذا اليوم أيضاً يوم أعيان.

النقائض ص ١٩٣ طبع أووبة، ابن الأثير ص ٣٩٤ ج ١

(١) من ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مدركة

(٢) تقامر: تراهن

(٣) القداح: جمع قِدَح وهو ما كان يلعب به اليسر

(٤) قره: غلبه

(٥) البكار: جمع بكرة، وهي الفئنة من الإبل.

سمعته يحدث القوم يوماً - وقد أخذ فيه الشراب - أنه قتله ثم لم يكن له ناشد.

ولبثوا بعد ذلك حيناً ، وشبَّ شرحاف ؛ ثم إنَّ عُمارة بن زياد جمع جمعاً عظيماً من بني عبس ، فأغار بهم على بني ضُبَّة ، فأطردُّوا إيلهم ، وركبت عليهم بنو ضُبَّة ، فأدركوهم في المَرعى ؛ فلما نظر شرحاف إلى عُمارة قال : يا عُمارة ؛ أتعرَفني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا شرحاف بن المثلِّم ، أدُّ إلى ابنِ عمي مِعْضالاً لا مثله يوم قَتَلته .

قال عُمارة : يا شرحاف ؛ اذكر اللَّبن^(١) ، قال شرحاف : الدَّم أحبُّ إليَّ من اللَّبن ، ثم حمل عليه فقتله ، وهزم جيشه واستنقذ الإبل .

ففي ذلك يقول المثلِّم بن السَّخْرة :

إِن تَنْكِرُونِي فَأَنَا الْمُثَلِّمُ فَارِسُ صِدْقِي يَوْمَ تَنْضَاحِ الدَّمِ
بِشِكَّتِي^(٢) وَفَرَسٌ مُصَمَّمٌ^(٣) طَعْنًا كَأَفْوَاهِ الزَّادِ^(٤) الْمُضَمِّ

وقال شرحاف :

أَلَا أَبْلَغُ سَرَاةَ بَنِي بَنِيضٍ^(٥) بَمَا لَاقَتْ سَرَاةَ بَنِي زِيَادٍ^(٦)
وَمَا لَاقَتْ جَذِيعَةَ إِذْ تُحَايِ وَمَا لَاقَى الْفَوَارِسَ مِنْ بَجَادٍ^(٧)

(١) اللَّبن : إبل لها لبن ، وهو يريد الدية ، وفي حديث أمية بن خلف لما رآهم يوم بدر يقتلون قال : أما لكم حاجة في اللَّبن ، أي تأسرون فتأخذون فداهم إيلهم (٢) الشكة :

السلاح (٣) المصم : الفرس الشديد الصلب ، والذكر والأنثى فيه سواء

(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهي الراوبة ، ولا تكون إلا من جلد (٥) بنيض بن ربيعة

ابن غطفان (٦) بنو زياد : الربيع بن زياد العبسي وإخوته ، ويسمون الكلمة

(٧) جذية وبجاد : بطان في عبس .

تَرْكُنَا بِالنَّقِيعَةِ آلَ عَبَسَ شَمَاعًا يُقْتَلُونَ بِكُلِّ وَادٍ
 وَمَا إِن فَاتَنَّا إِلَّا شَرِيدٌ يَوْمُ الْقَفْرِ فِي تِيهِ الْبِلَادِ
 فَسَلُّ عَنَا عُجَارَةَ آلِ عَبَسَ وَسَلُّ وَرَدًّا وَمَا كُلُّ بَدَادٍ^(١)
 تَرَكَتَهُمْ بَوَادِي الْبَطْنِ وَهَنَّا لِسَيِّدَانِ الْقَرَارَةِ وَالْجِلَادِ^(٢)

(١) بداد : أى متبددين (٢) السيدان : جمع سيد وهو الذئب . والقاررة : المظنن من الأرض . والجلاذ : جمع جلد ، وهى الأرض الصلبة المستوية المتن .

١٠- أيام متفرقة

١- يوم جديس .

٢- » ذات الأثل .

٣- » صوءر .

(١) يوم جَدِيس*

كانت منازلُ طَسَم في موضع اليمامة ، وكان يملكهم عَمَلِيق ، وكانت معهم جَدِيس ، ولكنَّ عَمَلِيقاً في أول مملكته قد تَمَادَى في الظُّلْم والغشْم^(١) والسيرة بغير الحق .

وكانت امرأة من جَدِيس يقال لها هَزِيلَة ، ولها زوج يقال له ماشق ، فطلَّقها وأراد أخذَ وَلَدِها منها ، فخاصَمته إلى عملِيق ، فقالت : « يا أيها الملك ؛ إني حملته تسماً ، ووضعتُه دَفْعاً ، وأرضعته شَفْعاً ؛ حتى إذا نمت أوصَّالُه ودنا فصَّالُه ، أراد أن يأخذَه مني كرهاً ، ويتركني من بعده ورَّها^(٢) » .

فقال لزوجها : ما حُجَّتُكَ ؟ قال : « حُجَّتِي أيها الملك أني قد أعطيتها المهر كاملاً ، ولم أصِبْ منها طائلاً ، إلا وليداً خاملاً ، فافعل ما كنت فاعلاً » . فأمر بالانلام أن يُنزعَ منهما جميعاً ، ويجعل في غلمانِه . فقالت هَزِيلَة :

أَتَيْنَا أَخَا طَسَم لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا فَأَنْفَذَ حُكْمًا فِي هَزِيلَة ظَالِمًا

لِعَمْرِي لَقَدْ حُكِّمْتَ لَا مَتَوَرِّعًا وَلَا كُنْتَ فِيمَا يُبْرِمُ الْحُكْمَ عَالِمًا

نَدِمْتُ وَلَمْ أُنْدَمْ وَأَنْتَ لِعَثْرَتِي وَأَصْبَحَ بَعْلِي فِي الْحُكُومَةِ نَادِمًا

فلما سمع عملِيق قولها أمر ألا تزوج بكر من جَدِيس وشهدى إلى زوجها حتى يراها هو قبل زوجها ، فلقوا من ذلك بلاء وجهداً وذلاً ، فلم يزل يفعل هذا حتى

* جَدِيس علي طسم ، وطسم وجيس ؛ من العرب البائدة

قصص العرب ص ٢٣٤ ج ٤ ، ابن الأثير ص ٢٠٣ ج ١ ، خزائن الأدب ص ٢٣٥ ج ٢ ،

مهذب الأغاني ص ١ ج ١

(١) الغشْم الظلم (٢) وره - كفرج : حق .

زُوجَت الشَّمْسُوسَ ، فلما أرادوا حَمْلَهَا إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق ومعها القِيَانُ
يُغْنِيَنِ :

أَبْدَى بِعَمَلِيقَ وَقَوَى فَارَكَبِي وَبَادِرِي الصَّبْحَ لِأَمْرِ مُعْجَبٍ
فَسَوْفَ نَلْقَيْنَ الَّذِي لَمْ تَطْلُبِي وَمَا لِمَكْرِ عِنْدَهُ مِنْ مَهْرَبٍ
فَدَخَاتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَلَعَ سَبِيلَهَا ، فَخَرَجَتْ إِلَى قَوْمِهَا شَاقَّةً دِرْعَهَا وَهِيَ فِي أَقْبَحِ
مَنْظَرٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :

لَا أَحَدٌ أَذَلَّ مِنْ جَدِيسٍ أَهْكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُرُوسِ !
يَرْضَى بِهَذَا يَا قَوَى حَرًّا أَهْدَى وَقَدْ أُعْطِيَ وَسِيقَ الْمَهْرِ
لَاخِذَةً الْمَوْتَ كَذَا لِنَفْسِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ ذَا يَمْرُسِهِ
وَقَالَتْ تَحَرَّضْ أَهْلَهَا فِيمَا أَتَى إِلَيْهَا :

أَيَجْمَلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فَتَيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فَيْكُمْ عَدَدُ النَّمْلِ
وَتَصْبَحُ عَشَى فِي الدَّمَاءِ عُقْبَرَةٌ (١) عَشِيَّةُ زُفَّتْ فِي النِّسَاءِ إِلَى بَمَلٍ
وَلَوْ أَنَّا كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا تُقَرُّ بِذَا الْفَعْلِ
فَمُوتُوا كِرَامًا أَوْ أَمِيتُوا عَدُوَّكُمْ وَدَبُّوا لِنَارِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ
وِلَا فَخَلُوا بَطْنَهَا ، وَتَحَمَّلُوا إِلَى بَلَدٍ قَفِيرٍ وَمُوتُوا مِنَ الْهَزْلِ
فَلْيَلْبِسْنَ خَيْرٌ مِنْ تَمَادٍ عَلَى أَذَى وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى الذَّلِّ
وَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَنْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ فَكُونُوا نِسَاءً لَا تَعَابُ مِنَ الْكُحْلِ
وَدُونَكُمْ طِيبُ الْعُرُوسِ فَإِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِأَثْوَابِ الْعُرُوسِ وَلِلنَّسْلِ
فَبُعْدًا وَسُخْفًا لِلَّذِي لَيْسَ دَافِعًا وَيَحْتَالُ عَشَى بَيْنَنَا مَشِيَّةَ الْفَحْلِ

فلما سمع أخوها الأسود - وكان سيدًا مُطَاعًا - قال لقومه : يامعشر جديس ؛

(١) قد كان يقال لها الشمسوس أيضًا .

إِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَيْسُوا بِأَعَزَّ مِنْكُمْ فِي دَارِكُمْ إِلَّا بِمَا كَانَ مِنْ مَّلِكٍ صَاحِبِهِمْ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ ، وَلَوْلَا عِزُّنَا وَإِدْهَانُنَا^(١) مَا كَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَيْنَا ، وَلَوْ اِمْتَنَعْنَا لَكَانَ لَنَا مِنْهُ النَّصْفُ ؛ فَاطْلِمُونِي فِيمَا آمَرَكُمْ بِهِ ، فَإِنَّهُ عَزُّ الدَّهْرِ ، وَذَهَابُ ذُلِّ الْعَمْرِ ، وَاقْبَلُوا رَأْيِي . وَقَدْ أَحْيَى جَدِيسًا مَا سَمِعُوا مِنْ قَوْلِهَا ، فَقَالُوا : نَطِيعُكَ ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ أَكْثَرُ وَأَحْيَى وَأَقْوَى . قَالَ : فَإِنِّي أَصْنَعُ لِلْمَلِكِ طَعَامًا ، ثُمَّ أَدْعُوهُمْ لَهُ جَمِيعًا ، فَإِذَا جَاءُوا يَرْفُلُونَ فِي الْحُلَلِ تُرْنَا إِلَى سَيُوفِنَا ، فَأَهْمَدْنَاَهُمْ بِهَا . قَالُوا : نَفْعُ .

وَصَنَعَ طَعَامًا كَثِيرًا ، وَخَرَجَ بِهِ إِلَى ظَهَرِ بَلَدِهِمْ ، وَدَعَا عَمَلِيْقًا ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ مَعَ أَهْلِهِ يَرْفُلُونَ فِي الْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ ، حَتَّى إِذَا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ ، وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى الطَّعَامِ أَخَذُوا سَيُوفَهُمْ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ ؛ فَشَدَّ الْأَسْوَدُ عَلَى عَمَلِيْقٍ فَقَتَلَهُ ، وَكُلَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَلِيسَةٍ حَتَّى أَمَاتُوهُمْ ؛ فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الْأَشْرَافِ ، شَدُّوا عَلَى السَّفَلَةِ فَلَمْ يَدْعُوا مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَقَالَ الْأَسْوَدُ فِي ذَلِكَ :

ذُوقِ بَيْبُتِيكَ يَا طُسَمُ مَجَلَّةً	فَقَدْ أَتَيْتَ لِعَمْرَى أَعْجَبَ الْعَجَبِ
إِنَّا أَتَيْنَا فَلَمْ نَنْفَكْ نَقْتُلُهُمْ	وَالْبَغْيُ هَيْجَ مِنْ سَوْرَةِ الْغَضَبِ
وَلَنْ يَمُودَ عَلَيْنَا بَنِيهِمْ أَبَدًا	وَلَنْ يَكُونُوا كَذِيْ أَنْفٍ وَلَا ذَنْبِ
وَإِنْ رَعَيْتُمْ لَنَا قُرْبَى مُؤَكَّدَةً	كُنَّا الْأَقَارِبَ فِي الْأَرْحَامِ وَالنَّسَبِ

(١) الإدهان : إظهار خلاف ما يضررو الفش .

(٢) يوم ذات الأئمل

غزا صخر بن عمرو بن الشريد السلمي بني أسد بن خزيمه ، واكتسح إيلهم ، فأتى الصريح^(١) بني أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأئمل^(٢) فاقتتلوا قتالا شديداً ، وطمعن ربيعة بن ثور الأسدي صخرأ في جنبه وفات القوم بالغنيمه ، وجوى^(٣) صخر من الطعنة ، فكان مريضاً قريباً من الحول ، حتى مله أهله .

وفي أحد الأيام سمع امرأة من جاراته تسأل سلمى امرأته : كيف بعلك ؟ قالت : لا حتى فيرجى ، ولا ميت فينسى ؛ لقد لقينا منه الأمر^(٤) . ثم سمعها تسأل أمة كيف صخر ؟ فتقول : أرجو له العافية ، فقال في ذلك :

أرى أمَّ صخر لا تمل عيادتي . وملت سُلَيْمَى مضجعى ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة^(٥) عليك ومن يمتز بالحدثان ؟
أهمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه . وقد حيل بين العير والنزوان^(٦)

* لأسد على سليم ، وذات الأئمل : موضع في بلاد تميم الله بن ثعلبة

العقد المفريد ص ٣٢٢ ج ٣ ، الأغاني ص ١٣٠ ج ١٣ ، خزنة الأدب للبغدادى ص ٣٩٣

(١) الصريح : المستغيث (٢) ذات الأئمل : موضع في بلاد تميم الله بن ثعلبة وقد عناها

الشاعر بقوله :

فإن ترجع الأيام بيني وبينكم بنى الأئمل مثل صيني ومربعي
أشد بأعناق النوى بعد هذه مرائر إن جاذبتها لم تقطع

(٣) الجوى مقصور : كل داء يأخذ في الباطن لا يستمرأ معه الطعام ، وقيل هو داء يأخذ في

الصدر - جوى (كفرح) / (٤) الأمران : الشر والأمر العظيم ؛ كما في اللسان (مادة مر)

(٥) إذا أنقل المريض على قومه يقال : هو جنازه عليهم ، جاء هذا المعنى في لسان العرب مادة

(خبر) وأورد هذا البيت شاهداً على ذلك المعنى (٦) العير : الحمار الوحشى والأهلى .

والنزوان : الوتب .

لعمري لقد نَبَّهْتُ من كان ناعماً وأُصمْتُ من كانت له أُذنان
 وللموت خَيْرٌ من حياةٍ كأنها مَحَلَّةٌ يَعْسُوبُ برأس سنان^(١)
 وأى امرئٍ ساوى بأمِّ حليلة^(٢) فلا عاش إلا في شقاء وهوان
 فلما طال عليه البلاء - وقد نتأت قطعة مثل الكبد في جنبه في موضع الطعنة -
 قالوا له : لا قطعها لرجوت أن تَبْرَأَ ، فقال : شَأْنُكُمْ ، فأشفق عليه بعضهم ؛ فهوهُ
 فأبى . وقال : الموت أهون علىَّ مما أنا فيه ؛ فأحموا له شَفْرَةً ، ثم قطعوها من نفسه ،
 ثم جاءت أخته الخنساء فقالت : كيف صبرُهُ ، فقال صخر في ذلك :
 أجاتنا إن الخطوب تنوب على الناس كل المَخْطِئِينَ تصيب
 فإن تسأليني هل صبرتُ فإنني صبورٌ على رَبِّبِ الزَّمانِ صليبُ
 كأنى وقد أدنوا إلى شِفَارِهِم من الصبر دأى الصَّفْحَتَيْنِ^(٣) رَكُوبُ
 أجاتنا لست الغداة بظاعنٍ ولكنى مقيم ما أقام عسيب^(٤)
 ثم لم يلبث أن مات ، ودفن بعسيب .

(١) العسوب السيد والرئيس . قال في اللسان : المعنى أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان
 يعنى : إن العيش إذا كان هكذا فهو الموت (٢) الحليلة : الزوجة (٣) الصفحة من
 الرجل : جنبه . والركوب : كثير الركوب (٤) عسيب : اسم جبل بعلية نجد .

(٣) يوم صوءر

أَجْدَبَتْ بِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَصَابَتْ بَنِي حَنْظَلَةَ ^(١) سَنَةٌ ، فَبَلَغَهُمْ خِصْبُ بِلَادِ كَلْبٍ ^(٢) بَنِ وَبَرَةَ ، فَانْتَجَمَهَا بَنُو حَنْظَلَةَ ، فَنَزَلُوا صَوَّءَرَ ، وَكَانَتْ بَنُو يَرْبُوعٍ قُدَّامَ النَّاسِ ، فَنَزَلُوا أَقْصَى الْوَادِي ، وَتَسَرَّعَ غَالِبٌ ^(٣) بَنِ صَعْصَعَةٍ فِيهِمْ وَحْدَهُ ، دُونَ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَ بَنِي يَرْبُوعٍ مِنْ بَنِي مَالِكٍ غَيْرُ غَالِبٍ ، فَلَمَّا نَزَلُوا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ فَجَسَّ مِنْهَا نَاقَةً كَوْمَاءَ ^(٤) فَنَحَرَهَا وَأَطْعَمَهَا .

فَقَالَ أَنَسٌ : لَيْسَ فِينَا مِنْ بَنِي مَالِكٍ غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَقَدْ نَحَرَ وَلَمْ نَنَحِرْ ؛ فَقَالُوا لِسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلٍ ^(٥) الرِّيَّاحِيُّ : انْحَرْ ، فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ سُحَيْمٍ فَجَسَّ مِنْهَا نَاقَةً فَنَحَرَهَا مِنَ الْعَدِ فَأَطْعَمَهَا .

* لبني حنظلة على بني رباح (كلاهما من تميم) . وصوءر : ماء لكلب فوق الكوفة هما بلي الشام ، وهو من الأيام التي أكثرنا ذكرها في هذا الجزء ، وإن كانت تتصل من حيث الزمن بالإسلام .

خزانة الأدب ص ٢٤٣ ج ١ و ص ٥٢ ج ٣ ، الأغاني ص ٥ ج ١٩ ، النقاظ ص ٤١٤ ، ١٠٧٠ طبع أوربة ، ذيل الأمالي ص ٥٣ ، بلوغ الأرب ص ٣٠ ج ٣ ، قصص العرب ص ١١٦ ج ٣ ، معجم البلدان ص ٣٩٥ ج ٥ .

(١) ٤ بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة (من تميم) (٢) كلب بن وبرة : قبيلة في قضاة ، وقضاة من حمير في رأي بعض النساين (٣) غالب بن صعصعة أبو الفرزدق الشاعر ، من بني مالك بن حنظلة وأبوه صعصعة محي المؤودات ، وخبره فيها مشهور ، وقد وفد غالب على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمر حتى لحق على بن أبي طالب بالبصرة ، ومات في إمارة يزيد وملك معاوية (٤) الكوماء : الناقة الضخمة السنام (٥) رباح : قبيلة في يربوع ، وسحيم ابن وثيل : شاعر معروف في الجاهلية والإسلام ، وعده ابن سلام في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ، وقال عنه : شاعر خنذيد شريف مشهور الذكر في الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع في قومه .

قِيلَ لْغَالِبِ : إِنَّمَا نَحْرُ^(١) سُحَيْمٍ مَوَاةٌ^(٢) ؛ فَضَحِكَ غَالِبٌ ، وَقَالَ : كَلَّا ، وَلَكِنَّهُ امْرُؤٌ كَرِيمٌ ، وَسَوْفَ أَنْظُرَ .

فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ حَبَسَ مِنْهَا نَاقَتَيْنِ فَنَحَرَهُمَا فَأَطْعَمَهُمَا ، فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ سُحَيْمٍ نَحَرَ نَاقَتَيْنِ فَأَطْعَمَهُمَا ، فَقَالَ غَالِبٌ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّهُ يُوَأْتِنِي .

فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ حَبَسَ مِنْهَا عَشْرًا فَمَقَلَهَا ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَرْبَةَ فَجَعَلَ يَنْحَرُهَا فَانْفَلَتَتْ نَاقَةٌ مِنْهَا ، فَاِنْشَامَتْ^(٣) فِي بَنِي يَرْبُوعَ ، فَرَكِبَ غَالِبٌ فَرَسَهُ ، فَأَدْرَكَهَا عِنْدَ بَيْتِ الْخُرَّمَاءِ^(٤) ، وَكَانَتْ امْرَأَةُ الْهَذَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عُثَيْبَةَ ، فَمَقَرَهَا ، ثُمَّ كَتَبَ^(٥) فِي سَبِيلِهَا ، فَقَالَتْ الْخُرَّمَاءُ : مَا لَكَ قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ ؟ فَقَالَ : دُونَكَ فَاحْتَزِرُهَا ، فَإِنِّي لَا أَشْتُمُ ابْنَةَ الْعَمِّ ، وَلَكِنْ أَجْزِرُهَا ، فَسَأَلَتْ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : هَذَا غَالِبُ بْنُ صَمَّصَةَ . فَقَالَتْ : وَاسْوَأُ تَاهَا !

وَرَجَعَ غَالِبٌ فَنَصَبَ قُدُورَهُ ، وَغَاطَ ذَلِكَ بَنِي يَرْبُوعَ ، فَأَتَوْا سَيِّدَهُمُ الْهَذَلِيَّ ، فَتَجَمَّعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : مَا تَرَى ؟ قَدْ فَضَّخْنَا هَذَا ، وَصَنَعَ مَا تَرَى ، فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ الْهَذَلِيُّ : أَرَى أَنَّ تَأْتُوهُ فَنَتَأَكَّلُ مِنْ طَعَامِهِ ، وَتَنْحَرُوا كُلَّ نَحْرٍ ، وَتَصْنَعُوا مِثْلَ صُنْعِهِ . قَالُوا : لَا ، بَلْ إِذَا فَرَّغَ مِنْ قُدُورِهِ عَدَوْنَا فَكَفَّ نَاهَا بِمَا فِيهَا فَفَضَّخْنَاهُ ؛ وَإِنْ بَنِي مَالِكٍ حُلَمَاءُ رُجِحَ فَنَاتِيهِمْ ، فَتَقَرَّ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ فَيَغْفِرُونَ لَنَا .

قَالُوا ذَلِكَ بِمَسْمَعٍ مِنَ الْخُرَّمَاءِ ؛ فَتَقَقَّعَتْ عَمَلَحَفَتَهَا ، وَخَرَجَتْ مِنْ كِسْرِ بَيْتِهَا ،

(١) رَوَى أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي رِيَّاحٍ نَذَرَتْ لِنِ زَوْجَتِ ابْنِهَا عَجْرَدًا أَنْ تَنْحَرَ جَزُورَ بَنِي فَرْزُوحَةَ فَتَنْحَرَ جَزُورَ بَنِي لَنْدَرِهَا ، فَوَافَقَ ذَلِكَ نَحْرَ غَالِبٍ فَظَنَّ أَنَّهُ مَوَاةٌ فَفَتَحَ الْأَمْرَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَحْوَسُ :

فَكُنَّا بِبَحْرِ قَبْلِ قَبَةِ عَجْرَدٍ وَقَبْلَ جَزُورِي أُمِّهِ يَوْمَ صَوَرٍ
(٢) مَوَاةٌ : مِبَاهَاةٌ (٣) اِنْشَامَتْ : دَخَلَتْ (٤) هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ الْقَفَّاعِ
(٥) كَتَبَ وَجَارَ ، وَالسَّبِيلَةُ : مَوْضِعُ النَّحْرِ وَذَلِكَ الْمَكَانُ لَا يَخْلُو مِنْ شَعْرَاتِ هُنَاكَ .

فَأَنْتَ غَالِبًا ، فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ سِيرَ بِكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ ! ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ بِمَا يَرِيدُونَ بِهِ .
قَالَ : وَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَسْمَاءُ بِنْتُ عَوْفٍ ، وَإِنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَكْفُفُوا قُدُورَكَ
بِمَا فِيهَا ، فَيَقْتَمُوكَ خِزْيَةً . فَقَالَ : هَلْ شَعَرَ بِكَ أَحَدٌ ؟ قَالَتْ : لَا . قَالَ : فَارْجِعِي
بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي !

فَحَمَلَ ابْنُهُ وَابْنُ أُخْرٍ لَهُ عَلَى فَرَسَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : خُذَا أَعْدَاءَ^(١) الْوَادِي ، فَانْظُرَا
أَوَّلَ صَرَمٍ^(٢) تَرَيَانِهِ مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، فَعَلَىَّ بِهِ ، وَاحْشُرَا مَنْ ثَقِيْمًا مِنْهُمْ ، فَلَقِي
أَحَدَهُمَا صَرَمًا مِنْ بَنِي قُفَيْمٍ ، وَلَقِيَ الْآخَرَ صَرَمًا مِنْ بَنِي سُبَيْعٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي طُهْمَةَ ،
فَحَشَرَاهُمْ ، فَأَقْبَلُوا عَلَى كُلِّ صَمْبٍ وَذَلُولٍ ، حَتَّى نَزَلُوا حَوْلَ غَالِبٍ ، وَاسْتَقْبَضَ الْهَذْلُقُ
فَقَامَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، فَإِذَا آيَاتُ وَرَجَالٍ لَمْ يَكُنْ عَهْدُهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ، فَقَالَ : إِنِّي
لَا تَعْرِفُ وَجُوهَهَا لَمْ أَرَهَا أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأُبْنِيَّةٌ وَرَجَالًا ؛ فَبِئْسَ إِلَى بَنِي يَرْبُوعَ ، فَقَالَ :
أَتُرُونَ مَا أَرَى ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : جَاءَ كَمْ قَوْمٌ يَمْنَعُونَ قُدُورَهُمْ ؛ أَلَيْسَ هَذَا فُلَانٌ ؟
وَهَذَا فُلَانٌ ! أَفَتَرَوْنَ أَنْ تَقْتُلُوا هَؤُلَاءِ فِي غَيْرِ جُرْمٍ ! قَالُوا : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : أَرَى
أَنْ نَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ ، وَنَتَحَرَّوْا كَمَا يَتَحَرَّوْنَ ، وَتَصْنَعُوا مِثْلَ مَا يَصْنَعُ .

فَقَعَدُوا فَأَكَلُوا مِنْ طَعَامِهِ ، ثُمَّ قَالُوا السُّحَيْمُ : اعْقِرْ . فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي مَا أَقُومُ
لِنَحَّارِي بَنِي مَالِكٍ ، إِنَّمَا أَقُومُ لِنَوَّكَاهُمْ ، قَالُوا : إِنَّا نَرُفِدُكَ^(٣) . قَالَ : فَعَلَى بَنِي مَالِكٍ
نُعْمُولُونَ بِالرَّفْدِ ، وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْكُمْ أَمْوَالًا .

ثُمَّ وَرَدَتْ إِبِلُ سُّحَيْمٍ ، فَمَقَرَّ مِنْهَا خَمْسَ عَشْرَةَ أَوْ عَشْرِينَ فَضَحَكَ غَالِبٌ ؛ وَكَانَتْ
إِبِلُ غَالِبٍ تَرْدُ الْخَمْسَ^(٤) ، فَجَاءَ غِلْمَتُهُ قَدْ جَبَّوْا^(٥) فِي حَيَاظِهِمْ أَنْصَافَهَا ، فَقَالَ لَهُمْ :

(١) أَيْ نَاحِيَتِهِ أَيْ أَنْتَ عَنْ يَمِينٍ وَأَنْتَ عَنْ شِمَالٍ هَاهُنَا وَهَاهُنَا (٢) الصَّرَمُ : الْجَمَاعَةُ
(٣) أَرَفَدَهُ : أَعَانَهُ (٤) الْخَمْسُ : مِنْ أَطْغَاءِ الْإِبِلِ ، وَهِيَ أَنْ تَرعى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَتَرُدَّ الرَّابِعَ
(٥) قَالَ فِي اللِّسَانِ : الْجَبَا ؛ أَنْ يَتَقَدَّمَ السَّاقِ لِلْإِبِلِ قَبْلَ وَرُودِهَا يَوْمَ يَجِيئُ لَهَا الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ
ثُمَّ يَوْرِدُهَا فِي الْفَدِّ .

قَدْ كُمْ^(١) الْآنَ ، فَقَدْ أَرَوَيْتُمْ . قَالُوا لَهُ : وَكَيْفَ أَرَوَيْنَا ؟ وَإِنَّمَا جِئْنَا فِي أَنْصَافِ
الْحِيَاضِ وَكُنَّا نَمْلُؤُهَا ثُمَّ لَا نَضِيغُهَا حَتَّى نَأْخُذَ عَلَيْهَا قَبْلًا^(٢) سَقِيًّا عَلَى رُءُوسِهَا فَتَسْقِيهَا ؛
فَقَالَ : لَيْ قَدْ أَرَوَيْتُمْ فَحَسْبُكُمْ .

فَلَمَّا حَانَ وَرَدُّهَا لِبَسِ حُلَّتَهُ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَانْطَلَقَ مَعَهُ الْفَرَزْدَقُ .

قَالَ الْفَرَزْدَقُ : فَعَلَوْنَا صَوْمَرَ ، وَجَاءَتْ الْإِبِلُ فَأَمْهَلَ حَتَّى إِذَا أُدْبِرَتْ فَلَمْ يَبْقَ
مِنْهَا شَيْءٌ انْتَضَى سَيْفَهُ فَأَهْوَى لِمَرْقُوبَتِي آخِرَهَا ، فَفَقَرَنَ لَمَّا رَأَيْنَ الدَّمَ ، وَوَجَدَنَ
رِيحَهُ ؛ فَذَعِرَنَ فَأَقْبَلَنِي حَتَّى أَطْفَنَ بِالْحِيَاضِ نَوَافِيرَ عِطَاشًا ، وَأَقْبَلَ فِي أَثَرِهَا ؛ فَلَمَّا
لَحِقَهَا جَمَلَ يَقُولُ : عَقْرَاءُ عَقْرَاءُ ، وَيَقُولُ لِلْفَرَزْدَقِ : رَدَّهَا يَا هُمَيْمُ^(٣) ، فَجَمَلَ الْفَرَزْدَقُ
يَقُولُ : إِيَّاهُ عَقْرَاءُ ! إِيَّاهُ عَقْرَاءُ !

فَجَمَلَ يَحُولُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحِيَاضِ ، فَسَكَمَا وَرَدَ بَعِيرُ عَقْرِهِ ، حَتَّى اضْطَرَّهَا إِلَى
بَيْتِ أُمِّ سُحَيْمٍ - لَيْلى بِنْتِ شَدَّادٍ - فَعَقَرَ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَمِنْ وَرَائِهِ ، حَتَّى قُطِعَتْ
أُطْثَابُهُ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ فَسَبَّتَهُ وَدَعَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : يَا غَالِبُ ؛ إِنَّ عَقْرَكَ
لَنْ يُذْهِبَ لَوْثُكَ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْتَمُ ابْنَةَ الْعَمِّ ، وَلَكِنْ كُلُّوْا مِنْ هَذَا شَحْمًا وَلَحْمًا .
وَجَمَلَ بِعَقْرِهَا وَبَرَّجَ:

خَذَلْنِي قَوْمِي وَحَانَ وَرَدِي أَسَوْفُهُ بَنَى حُسَامُ فَرْدٍ
هَلْ أَنْتَ يَا سُحَيْمٌ غَيْرَ عَبْدٍ أَسْوَدَ كَالْفِلْدِ^(٤) مِنَ الْمُنْدِ

(١) حَسْبُكُمْ (٢) القبل : أَنْ تَشْرَبَ الْإِبِلُ الْمَاءَ وَهُوَ يَصُبُّ فِيهِ فَيَصْبِيهَا شَيْءٌ مِنْهُ ،
وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

بِالرَّيْثِ مَا أَرَوَيْتَهَا لَا بِالْعَجَلِ وَبِالْجَبَا أَرَوَيْتَهَا لَا بِالْقَبْلِ

(٣) : تَصْغِيرُ هَامٍ ، وَهُوَ اسْمُ الْفَرَزْدَقِ (٤) الفلد في الأصل : الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَبِدِ ، وَغَدِ
الْبَعِيرِ فَأَغْدَ فَهُوَ مَغْدٌ ، أَيْ بِهِ غَدَةٌ ، وَالْأُنْثَى مَغْدٌ أَيْضًا بِغَيْرِ هَاءٍ .

وقال :

آل رباح إنه الفِضاحُ وإنها الخِصاضُ واللقاحُ
قد شاع في أسواقها^(١) الجراحُ فلا تَضجِي واصبري رِياحُ
قال سُحيم^(٢) : فلم أزل أطمع أن يكفَّ حتى مرَّ بفَحْلٍ منها منه أربعة آلاف
درهم فَعَقَرَهُ ؛ فلما عَقَرَهُ علمت أنه لن يستبق شيئاً .
فذهب سُحيمُ يكفِّه عنه فأهوى إليه السيفُ فأصاب ركبته ، فقطع إحدى
رجليه .

ففقّر أربعاً مائة بعير ، فطلبه عثمان^(٣) رضى الله عنه ليماقبه ، فركب إلى أبيه
صمصمة فرحب به ، وقال : حاجتك ! قال : جئتُ أتعخِّفُ على ما عقرتُ ، فقد
رحضتُ^(٤) عنك الذم والعار ، فأخلف لي . قال : نعم وكرامة ! أخلف ما عقرتُ ،
وأشترطُ عليك ألا تَعَقَرَ بعيراً ولا بهيمةً ولا نهدبها ولا تمثّل بها . قال غالب :
لا أعطيك هذا الشرط أبداً . قال : فلا ، إلا على هذا الشرط .

فلحق بالبصرة فأتى منزل الحُفَاتِ بن زيد فالتزمه وقبله ، وقال : أقم تخرج
أعطية الحَيِّ ، وفيهم ثمانون على ألفين ، فنقاسمك من أعطيتهم ، ففعل ، فأخذ
ما أعطاه ، فارتحل بحمل ورق^(٥) ، فأتى الموسم براحله دراهم ؛ فلما قضى نسكه
زار البيت في أول الناس ، ثم ركب بين خرَجِيه بعيراً نجيباً لا يُجَارَى ، ثم نادى

(١) أسوق : جمع ساق (٢) غلام غالب كان أبصر الناس بالإبل وأرعاها

(٣) وفي خزنة الأدب : إنه لما انقضت الحجاة ، ودخل الناس الكوفة قالت بنو رباح لسُحيم :
جررت علينا عار الأبد ، هلا نَحَرْت مثل ما نَحَر غالب ، وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ؛
فاعتذر أن إبله كانت غائبة ، ونَحَر نحو ثلاثمائة ناقة ، وكان في خلافة علي بن أبي طالب ، فنع
الناس من أكلها وقال : إنها بما أهل لغير الله به ، ولم يكن الغرض منه إلا الفاخرة والمباهاة ،
فجمعت لحومها على كناسة الكوفة ، فأكلها العقبان والرخم (٤) رحضت : غسلت

(٥) الورق : الدراهم المضروبة .

بالبطحاء يأبها الناس ؛ أنا غالبُ بنِ صمصمة ، فن أخذ شيئاً فهو له ، ثم فتح الخرجين ، ثم جثا أمامه ، وعن يمينه وعن شماله ووراءه ، حتى إذا فرغ الخرجين من الورق أحال السوط في بطن البعير ثم نبأ .

فقبل لثمان : عتبت على غالب في المقر وأخفته وطلبت له لتعاقبه ، فهاهو ذلك قد أنهب ماله ، فبعث في طلبه ، فهرب ، فأعجزهم . فقال في ذلك ذو الخرق الطهوي :

أبلغ رياحاً على نأبها	ورعط المحل شفاة الكلب
فلا تمشوا منكم فارطاً	قصير الرشاء صغير الغرب ^(١)
يمارض بالدلو فيض الفرات	تصك أواذيه ^(٢) بالحشب
فما كان ذنبُ بني مالك	بأن سب منهم غلام فسب
عراقيب كوم طوال الدري	تخر بوائكهما ^(٣) للركب
بأيض يهتر في كفه	يقط ^(٤) المظام ويبرى المصب
يسامى قروم ^(٥) بني دارم	يسامى لهم غالباً قد غلب
فأبقى سحيم ^(٦) على ماله	وهاب السؤل وخاف الهرب ^(٧)

(١) الغرب : الدلو ، والفارط : المتقدم السابق إلى الماء ، يتقدم الواردة فيهم . لهم الأرسان والدلاء وعلا الحياض ويستقي لهم ، فرطت القوم أفرطهم فرطاً : سبقتهم إلى الماء ، فأنا فارط والقوم فراط .
(٢) الأواذي : جمع الآذى : الموج (٣) بوائك الإبل : سماتها
(٤) القط : القطع عامة ، وقيل : قطع النوى الصلب (٥) القرم : الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة وجمعه قروم ، والقرم من الرجال : السيد العظيم على المثل بذلك
(٦) هو سحيم بن وثيل الرياحي (٧) في رواية : الحرب .

ملحق

في أنساب العرب

أنساب العرب*

العرب العاربة

ويقال فيهم العرب العاربة - وهم بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام .^(١) والمشهور منهم شَمْبَان : الشَّعْبُ الْأَوَّلُ : جُرَّهُمْ^(٢) ، والشعب الثاني يَمْرُبُ^(٣) .

ويعرب هو أصلُ عرب اليمن - ومنه تناسلوا - ووُلد له يَشْجُبُ ، وولد يشجب سبأ - ومنه تفرعت جميع قبائلهم .

ومرجع المشهور فيه إلى جين عظيمين : حَمِير^(٤) وَكَهْلَان^(٥) :

١ - حمير

هو حَمِير بن سبأ ، وله عشرة أولاد من عقبه ، ولكن النسب يرجع إلى اثنين

رجعنا في تحرير هذه الأنساب إلى المعارف لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، ونسب قحطان وعدنان للبهر ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، ونهاية الأرب للنوري ، وقد أثبتنا هذه الأنساب هنا تسهيلا لقارى هذا الكتاب حتى يستطيع متابعة تفرع القبائل ، وإن كنا قد أشرنا في كل مناسبة إلى فروع هذه القبائل إشارات مختصرة في حواشي الكتاب

(١) وهناك جرم المذكورة في العرب البائدة ، وقد كانت منازلهم باليمن ، ثم انتقلوا إلى الحجاز فأقاموا به حتى كان نزول إسماعيل على أبيه بمكة (٢) يقال إن العرب سموا عربا ، مشتقا من يعرب (٣) ويقال إن اسمه الرنيح ، وكانت بلادهم مشارف الشام ، فظفار وما حولها (٤) كانت كهلان في أول أمرها قد تداولت الملك مع بني حمير ، ثم انفراد بنو حمير بالملك وبقيت بطون كهلان على كثيرتها تحت حكمهم ، ثم تقاصر ملك حمير .

منهم : الهميسع ومالك ، ومن مالك كان قضاة^(١) ، وإلى قضاة ينسب جل قبائل
يحير ..

والمشهور من قضاة سبعة أحياء : بلوى^(٢) ، « ومن بطونهم بنو ناب » ،
وجهبنة^(٣) ، وكلب^(٤) ، وعذرة^(٥) ، وبهراء^(٦) ، ونهد^(٧) ، وجرم (ومنهم
بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف) .

٢ - كهلان

هو كهلان بن سبأ ، وحيد من أعظم أحياء اليمن ، وأكثرهم قبائل ، والمشهور
منهم إحدى عشرة قبيلة :

١ - الأزد ، وهم ثلاثة أقسام : أزد شنوءة^(٨) وأزد السراة^(٩) ، وأزد
عمان^(١٠) .

(١) ذهب بعض النسابين إلى أن قضاة من قبائل عدنان ، وحقق السهيلي فقال : الصحيح أن
أم قضاة مات عنها زوجها مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حير وهي حامل ، فتزوجها
ممد بن عدنان ، فولدت له قضاة على فراشه ، فتبناه ، فنسب إليه . قال بعض ربازم :

قضاة بن مالك بن حير النسب المعروف غير المنكر

(٢) والنسب إلى بلوى (٣) والنسب إلى جهبنة (٤) ثم بنو كلب بن وبرة
ومنهم حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) إلى عذرة هذه ينسب العشق
والتيم . ومنهم عروة بن حزام صاحب غفراء ، وجبل صاحب بئنة (٦) كانت منازلهم من
ينبع إلى عقبة أيلة ، ومنهم المقداد بن الأسود صاحب رسول الله (٧) كانت منازلهم باليمن ،
والهم كتب رسول الله كتابه المشهور (٨) ثم بنو نصر بن الأزد ، وشنوءة لقب

لنصر غلب على بنيه (٩) السراة : موضع بأطراف اليمن نزل به فرقة منهم فعرفوا به

(١٠) عمان : مدينة بالبحرين ، تزلها قوم منهم فعرفوا بها .

وبطونهم كثيرة : منهم غَسَّان^(١) والأَوْس والخَزَج^(٢)

وفي الأوس والخزرج بطون كثيرة ، فن بطون الأوس : بنو النبت ،
وبنو عمرو^(٣) بن عوف وبنو السَّمِيعَة وبنو عبد الأشهل وبنو ظَفَر وبنو جَحْجَجِي .
ومن بطون الخزرج : بنو النجار وبنو بَيَاضَة وبنو ساعدة^(٤) وبنو سالم ، وبنو عوف^(٥)
ابن الخزرج .

٢ — طي^(٦) : ومن بطونهم بنو تيم^(٧) بن ثعلبة ، وبنو نَبْهَان
ابن عمرو ، وثل^(٨) بن عمرو ، وجَرَم بن عمر ، وجَدِيلَة ، وبَوْلَان وهِنَاء^(٩) ،
وسُدُوس^(١٠) ، وُبَحْتَر^(١١) ، وزَيْيد ، وسِنِينَس ، وَغَزِيَة ، وَلَام^(١٢) ، والغوث .

(١) غسان : ماء نزلوا عليه فسموا به ، ولغسان كان ملك العرب بالشام
بعد سليح لى أن انتهى بإسلام آخر ملوكهم جيلة بن الأيهم ، ثم ارتداده ولحقه ييلاد
الكفر (٢) الأوس والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقيعا بن عامر ماء السماء
ابن حارثة الغطريف ؛ ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وكانت منازلهم
يترتب ومنهم كان أنصار النبي صلى الله عليه وسلم (٣) أهل قباء (٤) قوم سعد
ابن عباد (٥) رهط عبد الله بن أبي بن سلول (٦) كانت منازل طي في اليمن ،
ثم خرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرقهم بسيل العرم فنزلوا بنجد والحجاز ، ثم غلبوا
بنو أسد على جبلى أجا وسلمى من نجد ونزلوها ، ثم عرفا بعد ذلك بجبلى طي^{*}
(٧) فيهم يقول امرؤ القيس :

أفر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصايح الظلام

(٨) منهم عمرو بن عبد المسيح ؛ كان أرمى العرب ؛ ولإيه يعنى امرؤ القيس بقوله :

رب رام من بنى ثعل مخرج كفيه من ستره

(٩) منهم لإياس بن قبيصة الذى ملك بعد النعمان بن المنذر (١٠) بضم السين

(١١) ومنهم أبو عبادَة البحترى الشاعر (١٢) منهم أوس بن حارثة سيد طي^{*} .

٣ — مَذْحِج^(١) ؛ ومن بطونهم خَوْلَان ، وَجَنْب^(٢) (وهم بنو منبّه والحارث والفيلّي وسَيْحَان وشُرَّان وهِفَّان) وسَعْد^(٣) العشيرة (وهم أَوْذ^(٤) وَجُفْي^(٥) وَزُبَيْد^(٦)) وَالْقَحْج^(٧) وَعَنْس^(٨) وبنو الحارث^(٩) ، وَصُدَّاء .

٤ — مُرَاد^(١٠) .

٥ — هَمْدَان^(١١) .

٦ — كَنْدَة ، ومن بطونهم بنو مُعَاوِيَة^(١٢) وَالرَائِش^(١٣) وَالسَّكُون وَالسَّكَّاسِك وبنو حُجْر^(١٤) وبنو الجون .

٧ — جُدَّام^(١٥) .

(١) سموا بمذحج لشجرة تحالفوا عندها اسمها مذحج (٢) قيل : سموا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة ، وحالفت صداء بني الحارث بن كعب ، ومنهم معاوية الخير الجنبى صاحب لواء مذحج في حرب ابني وائل ، ولهم يقول المهلهل :
أنكحها فقدما الأرقام في جنب وكان الجباء من آدم

(٣) سمي بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل ؛ فكان إذا سئل عنهم يقول : هؤلاء عشيرتى — دفعا للعين عنهم — فقيل لهم سعد العشيرة (٤) منهم الأفوه الأودى الشاعر (٥) لإليهم ينسب الإمام البخارى (٦) منهم عمرو بن معديكرب

(٧) منهم الأشتر النخعى والى بن أبى طالب على مصر (٨) منهم عمار بن ياسر الضحبانى ، والأسود العنسى التنبئ (٩) منهم عبد يفيوت الشاعر قتيل يوم السلاب الثانى (١٠) يقال : اسمه يحارب فتعزّد فسمى مراداً (١١) وكان شيعة على بن أبى طالب ، وفيهم يقول يوم الجمل : لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته . ومنهم مالك بن حريم الذى يقول :

وكنّت إذا قوم غزوني غزوتهم

فهل أنا فى ذياك همدان ظالم

مضى يجمع القلب الذكى وصارماً

وأثفاً حياً تحبّتك المظالم

(١٢) ويسمون معاوية الأكرمين ، وفيهم يقول الأعشى :

وإن معاوية الأكرمين

حسان الوجوه طوال الأمام

(١٣) رهط شريح القاضي (١٤) هم ملوك كندة ، وفيهم امرؤ القيس الشاعر

(١٥) هم فى كهلان على المشهور ، وبعضهم يردم إلى معد ، وبعضهم ينسبهم إلى مدين .

٨ — أُنَمَّار^(١) ، وولد له بِجِيلَة^(٢) وَخَنَم^(٣) .

٩ — نَعْم^(٤) .

١٠ — عاملة .

١١ — الأَشْعَرِيُّونَ^(٥) .

العرب المستعربة (المدنانية)

ويقال لهم العرب المتعربة^(٦) ، وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم — عليهما السلام — والوجودون من العرب من ولد إسماعيل ، وكلهم من بني عدنان بن أدد ؛ والباقون قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب ، ولذلك عرف هؤلاء العرب بالمدنانية .

وولد لعدنان : عَكَّ ومَعَدّ ، والنسب فيه يتحدّر من معد ، وولد لمعد ثمانية منهم قنص^(٧) ، وزار^(٨) ، والنسب في ولده إلى زار .

(١) بعضهم ينسب أعمار إلى عدنان ويقول : إن زار بن معد بن عدنان ولد له مضر وربيعة ولإد وأعمار ، وولد لأعمار بجيلة وخنم ، فصاروا إلى الين (٢) منهم جرير بن عبد الله البجلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم يقول الشاعر :

لو لا جرير هلكت بجيلة

نعم الفقى وبئست القبيلة

(٣) منهم حمران الذي يقول :

أقسست لا أموت إلا حراً

وإن وجدت الموت طعماً مرا

أخاف أن أخدع أو أغرا

(٤) منهم ملوك الحيرة اللخميون رهط النعمان بن المنذر (٥) الأَشْعَرِيُّونَ : رهط أبي موسى الأشعري (٦) سموا بذلك لأن لسان إسماعيل — عليه السلام — كان العبرانية أو السريانية فلما تزلت جرحهم (وهم من القحطانيين) عليه وعلى أمه بمكة تزوج منهم ، وتعلم هو وبنوه العربية منه (٧) في المعارف لابن قتيبة : يزعم قوم أن آل المنذر ملك الحيرة منهم (٨) وفي المعارف ذكر منهم قضاة وأنها صارت إلى حمير ، والصحيح ما ذكرناه أنها في حمير نسباً ووطناً ، وذكر أيضاً بإدأ منهم .

وولد نزار أربعة : إياد وأثمار وربيعة ومضر ، وإلى ربيعة ومضر ينسب ولد نزار وهو الصريح من ولد إسماعيل - عليه السلام -

وأما إياد فليست لهم قبائل مشهورة ، وينسبون إلى القبيل الأكبر ^(١) .
وأما أثمار فولد له خثعم وبجيلة ، ثم صاروا إلى اليمن .

ربيعة

هو ربيعة ^(٢) بن نزار بن معد بن عدنان ، والمشهور من أولاده ضبيعة وأسد .
وضبيعة قبيلة لم تكثر بطونها ، ومنها بنو أمّس ^(٣) وبنو الحارث وبنو دوفن ^(٤)

وأسد قبيلة تعددت بطونها وأفضاها ، ومنها بنو عنزة وعميرة وجديلة .

ومن جديلة عبد القيس ، وبنو النمر بن قاسط ، ووائل بن قاسط .

فبن عبد القيس : صباح ^(٥) بن لكيز ، وبنو غَم بن وديعة ، وعجل بن عمرو ^(٦)
ومحارب بن عمرو ^(٧) ، وجديعة بن عوف ^(٨) .

-
- (١) يذكر قوم أن تقيفاً منهم ، والأرجح أنه من قيس غيلان كما سيأتي . ومنهم قس بن ساعدة
وكعب بن مامة ؛ وقد جعله ابن قتيبة ابناً لمعد كما سبق . (٢) ويعرف بربيعة الفرس ؛
لأن أباه نزاراً أوصى له من ماله بالحلل (٣) إلى بني أمّس ينسب المسيب بن علس الشاعر
(٤) منهم التماس الشاعر والحارث بن عبد الله الأضجم ، وكان سيد ضبيعة في الجاهلية
(٥) منهم كعب بن عامر بن مالك ، وكان ممن وفد على النبي عليه الصلاة والسلام (٦) منهم
صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان من أصحاب علي بن أبي طالب (٧) منهم عبد الله بن همام ،
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) رهط الجارود العبدي .

وعصر^(١) بن عوف ، وشن بن أفضى ، وثلعة بن أنمار ، ونكرة^(٢) بن لكيز والدليل^(٣) بن عمرو .

وأما النمر بن قاسط فن ولد له تيم^(٤) الله ، وأوس^(٥) مناة ، وعبد مناة ، وقاسط ، ومنبه .

وأما وائل فقد ولد له بكر وتغلب ، وعنهما تفرعت بطون كثيرة .



فن بكر : يشكر بن بكر ، وعجل بن لجيم بن صعب ، وخيفة بن لجيم بن صعب وقيس وعائذ (تيم الله) ، وذهل وشييان [بنو ثعلبة بن عكابة بن صعب]

فيشكر : من بطونهم بنو غبر بن غنم ، وبنو كنانة بن يشكر ، وحرب^(٦) بن يشكر ، وذييان^(٧) بن كنانة بن يشكر .

وعجل بن ^(٨) لجيم : من بطونهم بنو حاطب بن جذيمة ، وسيار بن الأسعد ، وكعب بن الأسعد ، وبنو دلف بن جشم ، وعبد العزى بن دلف ، وضبيعة بن عجل وسعد بن عجل

(١) هم رهط الأشج ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إن فيك لحصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة . (٢) منهم الثقب العبدى والمزق العبدى الشاعران . (٣) منهم سحيم بن عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين عبروا الدجلة مع سعيد بن أبي وقاص . (٤) منهم الضحيان بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبل بني شييان ، وسمى الضحيان لأنه كان يجلس لهم وقت الضحى فيقضى بينهم . (٥) منهم صهيب بن سنان بن مالك ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان أصابه سباه في الروم ، ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه . (٦) رهط ابن الكواء . (٧) رهط سويد بن أبي كاهل . (٨) منهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، وكان سيدهم يوم ذي قار ، ومنهم الأغلب وأبو النجم الراجزان ، والدليل بن الفرخ الشاعر .

وحنيفة^(١) بن لجيم : ومن بطونهم الدول بن حنيفة ، وعبد الله بن الدول ،
وسحيم بن مرة بن الدول ، وعدى بن حنيفة ، وعامر بن حنيفة .
وقيس بن ثعلبة : من بطونهم ، تيم وسعد (وهما الحرقتان) وبنو جحدر^(٢)
(ربيعة بن ضبيعة) ومنهم المسامة وعُباد بن ضبيعة ، وسعد بن ضبيعة وسعد
ابن مالك .
وتيم الله بن ثعلبة^(٣) : من بطونهم عامر ، والحارث بن تيم الله وعائش بن مالك ،
وبنو زِمَان بن تيم الله ، وبنو هلال بن تيم الله وبنو حنَم .
وذهل بن ثعلبة : من بطونهم سدوس ومازن بن شيبان وبنو رقاش^(٤) وبنو عامر
ابن ذهل وبنو عمرو بن شيبان بن ذهل .
وشيبان بن ثعلبة^(٥) : من بطونهم بنو محم ، وبنو الحارث وربيعة ، وبنو مرة ،
وبنو الورثة ، وبنو هند ، وبنو الشقيقة ، وبنو أسعد بن همام بن مرة ، وبنو الحارث
ابن ذهل .



(١) منهم هودبة بن علي ، ممدوح الأعشى ، وشعر بن عمرو قاتل النذر بن ماء السماء يوم
عين إبلاغ . ومنهم مسيلة الكتاب ، ونجدة الحورري (٢) منهم الأعشى ميمون بن قيس
وربيعة الجعدي فارس بكر يوم تجلان اللم ، والحارث بن عباد فارس النعام ، وكان على جماعة
بكر يوم قضة وطرفة الشاعر (٣) يطلق عليهم اللهازم ، وكانوا حلفاء بني عجل
(٤) رهط الحصين بن المنذر والققعاق بن شور ودغفل النسابة (٥) منهم بسطام بن
قيس فارس بن شيبان في الجاهلية ، وقد ربح الدهليين واللاهزم اثني عشر مرباعاً ، وهاني بن
قيصة الذي أجاز عيال النعمان بن المنذر وماله عن كسرى وبسبه كانت وقعة ذي قار ، وعوف
ابن محم وفيه يقال : لا حر بوادي عوف ، وجباس بن مرة قاتل كليب ، وهمام بن مرة ،
والضحاك بن قيس ، والثني بن حارثة ، والحوفزان .

تغلب : وأما تغلب فن بطونها الأراقم ^(١) [وهم جشم ^(٢) ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث] وعكَبَ ، وبنو عدى بن أسامة ، وبنو فدوكس ^(٣) وبنو غتاب ابن سعد بن زهير ^(٤) .

قيس عيلان

من مضر بن نزار تحدر حيان عظيمان : خندف ^(٥) وقيس ^(٦) عيلان .
وولد قيس عمراً وسعداً وخَصَفَ ^(٧) .

١ — عمرو بن قيس عيلان

ولد له فهم ^(٨) وعدوان ^(٩) .



٢ — سعد بن قيس عيلان

ولد له أعصر وغطفان .

- (١) سموا الأراقم ؛ لأن عيونهم كميون الأراقم (٢) منهم كليب سيد ربيعة كلها ، وأخوه الملهل ، وهو الذي هاج الحرب بين بكر وتغلب (٣) رهط الأخطل الشاعر النصراني (٤) منهم عمرو بن كلثوم الشاعر ، أحد أصحاب الملقات (٥) خندف هي امرأة إلياس بن مضر ، وقد نسب ولد إلياس إليها وهي والدتهم (٦) في نسب قحطان وعدنان للبرد أن قيساً هو الناس بن مضر ، وأن عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس ، فنسب إليه قيس ، وذكر ابن قتيبة أن اسمه قعة (٧) زاد ابن قتيبة عكرمة وأعصر (٨) منهم تأبط شرأ العداء (٩) منهم عامر بن الظرب حاكم العرب .

مومن أعصر : غني وباهلة والطفاوة .

فغني : من بطونها عبيد وزبان ، وصريم وضبيينة ، وبنو عتريف ، ومعظم النسب إلى الأب الأكبر .

وباهلة^(١) : من بطونها بنو قتيبة (ومنهم بنو سهم وبنو أصمع) ووائل بن معن وقراص بن معن ، وأبو عليم بن معن ، وبنو أود بن معن ، وبنو جأوة بن معن ، وهلال بن معن .

والطفاوة : منهم بنو جسر وبنو ستان .

ومن غطفان : عبس بن بغيض ، وذبيان بن بغيض ، وأنمار^(٢) بن بغيض ، وعبد الله بن غطفان ، وأشجع^(٣) بن ريث .

فعبس^(٤) : من بطونهم بنو جذيمة ، وبنو جروة ، وبنو هريم وبنو بجاد .

وذبيان^(٥) : من بطونهم ثعلبة وفزارة (ومنهم شمع وهدي وبنو غراب ومازن) ومرة (ومنهم غيط وسهم ومالك وبنو حرمة) .

* *

(١) هم بنو مالك بن أعصر؛ نسبوا إلى أمهم باهلة؛ منهم قتيبة بن مسلم والأصمعي وحي بنت قرط؛ أم الأحنف بن قيس (٢) عددهم قليل ، ومنهم فاطمة بنت الحارث أم الربيع بن زياد؛ وإخوته الكلمة (٣) منهم بنو دهمان ، وكانوا ممن أعان على عثمان يوم الدار ، ومنهم فروة بن نوفل (٤) هي إحدى جرات العرب ؛ منهم زهير بن جذيمة ، وكان سيد عبس ، وابنه قيس بن زهير فارس داحس والغبراء ، وعنترة الفوارس ، والحطيئة ، وعروة بن الورد ، وزباد بن الربيع وإخوته الكلمة ، وحذيفة بن اليمان (٥) منهم الحارث بن ظالم وزباد النابغة الشاعر ، وهاشم بن حرمة ، وحذيفة بن بدر ، والشمخ الشاعر وأخوه مزرد ابنا ضرار ، وسنان بن أبي حارثة وابنه هرم ، وعامر بن ضبرة والحصين بن هام ومسلم بن عقبة صاحب جيش الحرة .

٣ — خَصَفَةُ بْنُ قَيْسِ عِيلَانَ

وُلِدَ خَصَفَةُ مُحَارِبًا وَعَكْرَمَةً .

فَمِنْ مُحَارِبِ بَنُو جَسْرٍ ^(١) وَبَنُو طَرِيفٍ (وَمِنْهُمْ بَنُو الْخَضِرِ) .

وَمِنْ عَكْرَمَةِ سَلِيمٌ وَهَوَازَنٌ .

سَلِيمٌ ^(٢) : مِنْ بَطُونِهِمْ بَنُو حَرَامِ بْنِ سَمَّالٍ ، وَبَنُو عَمِيرَةَ بْنِ خَفَافٍ ، وَبَنُو عَصْبَةَ ابْنِ خَفَافٍ ، وَبَنُو يَرْبُوعِ بْنِ سَمَّالٍ ، وَرِعْلٌ وَمَطْرُودٌ وَقَنْفَذٌ (بَنُو نُسَبَةَ بْنِ مَالِكٍ) وَبَنُو بَهْرَ بْنِ اِمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ بُهْشَه (وَمِنْهُمْ بَنُو رِفَاعَةَ وَبَنُو ذِ كَوَانَ ابْنِ ثَمَلَةَ ، وَبِحِلَّةِ بْنِ ثَمَلَةَ) وَبَنُو الشَّرِيدِ .

هَوَازَنٌ : مِنْ عَقِبِهِ ثَقِيفٌ وَبَكْرٌ .

ثَقِيفٌ ^(٣) : مِنْ بَطُونِهِمْ بَنُو مُعْتَبٍ ، وَبَنُو غَيْرَةَ ، وَبَنُو عُقْدَةَ ، وَبَنُو حَبِيبِ ابْنِ الْحَارِثِ ، وَبَنُو الْيَسَارِ بْنِ مَالِكٍ .

وَبَكْرُ بْنُ هَوَازَنٍ : مِنْ بَطُونِهِمْ سَعْدٌ ^(٤) بْنُ بَكْرٍ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ بَكْرٍ .

وَمِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ : جَشْمٌ (وَمِنْهُمْ ^(٥) غَزِيَّةٌ) ، وَنَصْرٌ ^(٦) ، وَصَمْعَصَةُ .

(١) حَلْقَاءُ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَمْعَصَةَ (٢) مِنْهُمْ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسِ الشَّاعِرِ ، وَصَخْرٌ وَمَعَاوِيَةُ

ابْنَا عَمْرُو ، وَالْخَنْسَاءُ أُخْتُهُمَا ، وَخَفَافُ بْنُ عَمِيرٍ ، وَبَيْشَةُ بْنُ حَبِيبٍ قَاتِلُ رَيْمَةَ بْنِ مَكْدَمٍ ، وَعَتْبَةُ

ابْنُ غَزْوَانَ مُؤَسِّسُ الْبَصْرَةِ (٣) مِنْهُمْ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودِ الصَّنَابِ عَظِيمُ الْقَرْنَيْنِ ، وَالْحَارِثُ

ابْنُ كَلْدَةَ طَيْبُ الْعَرَبِ ، وَعَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ الْقَفِيهِ ، وَالْحِجَاجُ بْنُ يَوْسُفَ

(٤) هُمُ أَطْلَاقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَيِّتُ هَوَازَنٍ فُجَاءَتْهُ أُخْتُهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ ،

فَأَعْتَقَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥) مِنْهُمْ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ فَارِسُ الْعَرَبِ (٦) مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ

وَكَانَ عَلَى هَوَازَنٍ يَوْمَ حَنْثٍ .

ومن صمصعة : مرة (ويعرفون ببني ^(١) سلول) وعامر .



ومن عامر بن صمصعة : نير وربيعه ، وهلال وسواء .

فنير : من بطونهم قريع بن الحارث ، وعبد الله ^(٢) بن الحارث ، وجَعُونَة ابن الحارث ، وبنو قَطَن ^(٣) بن ربيعة ، وبدر بن ربيعة ، وبنو عمرو بن نير .
وربيعة : من ولده كلاب وكعب بن ربيعة وعامر بن ربيعة ^(٤) .

فبن كلاب بن ربيعة ^(٥) : الوحيد بن كعب ، وبنو أبي بكر بن كلاب (ومنهم بنو هِصَان) وجعفر بن كلاب ، وكعب بن كلاب ، وربيعه بن كلاب ، والضَّبَاب ^(٦) ووهر بن الأضبط ، وعبد الله بن كلاب ، ونُفَّاثَة بن عبد الله ، ورؤاس بن كلاب ، وعمرو بن كلاب ، وجميعهم ينسبون إلى الأب الأكبر .

ومن كعب بن ربيعة ^(٧) : عقيل (ومنهم خفاجة والأخيل) ، وقشير (ومنهم عطيف وعطفان وبنو ضمرة) والحريش وجَعْدَة ، وعبد الله بن كعب (ومنهم بنو المجلان) وحبيب .

(١) سلول أمهم ، ومنهم العجير وعبد الله بن هام الشاعران (٢) كان فيهم العدد والشرف
(٣) رهط عبيد الراعي الشاعر (٤) من ولده عمرو بن عامر فارس الضغياء ، وخداش
ابن زهير الشاعر ، وخرقاء صاحبة ذى الرمة (٥) منهم عامر ملاعب الأسنة ، ولعبد بنهر ربيعة
الشاعر ، ووكيع بن الجراح الفقيه ، ويزيد بن الصق ، وزفر بن الحارث ، والطفيل فارس قرزل
(٦) هم حسيل وحسيل وضب (٧) منهم ابن مقبل الشاعر ، ومالك ذو الرقية وليلى الأخيلية
وتوبة بن الحمير صاحب ليلي الأخيلية والمجنون الشاعر ، والنابعة الجعدي الشاعر .

خندف

في خندف فرعان كبيران : طابخة ومدركة .

طابخة

من قبائل بني طابخة : بنو أد بن طابخة ، وهم بنو عمرو بن أد ، وضبة بن أد ، وعبد مناة بن أد ، وبنو مر بن أد .

فعبد مناة بن أد : من بطونهم (تيم ، وعدى ، وعكل ، وثور أطحل)^(١) .
وضبة^(٢) بن أد : من بطونهم (نصر ، ومازن ، والسيل ، وذهل ، وعائدة ، وتيم اللات ، وزبان ، وعوف ، وشييم) .
وعمر بن مناة هم مزينة^(٣) .



تيم

تيم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس . ولد عمرا وزيد مناة والحارث^(٤) .
فعمرو بن تيم^(٥) : من بطونهم العنبر ، وأسيّد والهجيم ، والقاليب ، وكعب ،

(١) في رأى بعضهم هم الرباب ، سموا كذلك لأنهم تحالفوا فوضعوا أيديهم في جفنة فيها رب
(٢) منهم زيد القوارس ، وسعد بن ضبة قاتل بسطام (٣) منهم النعمان بن مقرن ومنهم
معقل بن سنان ، ومنهم زهير بن أبي سلى ، ومومن بن أوس ، وإلياس بن معاوية
(٤) يلقب أبا شقرة (٥) منهم أكرم بن صيني حكيم العرب ، وأبو هالة زوج خديجة قبل
النبي صلى الله عليه وسلم وأوس بن حجر الشاعر ، وحنظلة بن الربيع الصحابي

ومالك والحارث الحبيط^(١).

وزيد مناة : منهم مالك وسعد .

فمالك بن زيد مناة : من بطونهم ربيعة^(٢) الجوع ، والبراجم (وهم عمرو وقيس وكلفة والطليم وغالب) ويربوع^(٣) بن حنظلة (ومن يربوع الأحمال^(٤) ، وبنو غُدانة ، وكليب بن يربوع وحرام بن يربوع ورياح بن يربوع والعنبر بن يربوع) وبنو دارم ابن مالك (ومن دارم عبد الله بن دارم^(٥) ، ونهشل وبجاشع ومناف وأبان وفقيم وجريز) وبنو العدوية^(٦) (وهم زيد والصدّي ويربوع) وبنو طهية^(٧) (وربيعة^(٨) ابن مالك .

وسعد بن زيد مناة : من بطونهم عوافة بن سعد ، وعمرو بن سعد ، وعبشمس ابن سعد وهبيرة بن سعد وكعب بن سعد (ومنهم مقاس وعبيد وصريم وعمير^(٩) ورئيسع ، وبنو منقر^(١٠) ، وبنو مرة^(١١) بن عبيد ، وعوف وطامر^(١٢) وعبد عمرو^(١٣)) وعوف بن سعد (ومنهم بهذلة^(١٤) وقريع^(١٥) وآل عطاردة وآل صفوان) والأجارب (وهم حرام وربيعة وعبد العزى ومالك وجشم والحارث الأعرج) .

(١) يقال لولده الحبطات ، رهط عباد بن الحصين ، وكان يعدل بألف فارس (٢) رهط علقمة بن عبيدة الفعل وعلقمة الخصى (٣) منهم الأخوص الشاعر وسجاح التنينة ووكيع بن أبي الأسود (قاتل قتيبة بن مسلم) وعتاب بن ورقاء أحد أجواد الإسلام ومالك ومتمم ابنا نورة وعتيبة ابن الحارث وجريز بن الحطفي الشاعر (٤) هم ثعلبة وعمرو والحارث أبو سليط وجيز وأمه السقاء كانت الرذافة فيهم (٥) رهط حاجب بن زراراة (٦) نسبة إلى أمهم من بني عدى (٧) هم بنو عوف ومالك ، وأمه طاية بنت عبد شمس (٨) رهط الحنظف بن سبغ صاحب جيش الرينة وقاتل جيش بن دجلة القيني . (٩) رهط السليك (١٠) منهم قيس بن عاصم (١١) منهم الأخنف بن قيس (١٢) رهط زيد بن جلبة وكان شريفاً ، كان الأخنف يقول : كنا نخرق النعال في طلب المروءة من بيت زيد (١٣) رهط سلامة بن جندل الشاعر (١٤) منهم الزرقان بن بدر (١٥) رهط الحجيل وبني أنف الناقة الذين مدحهم الحطيئة .

مُدْرِكَة

من مدركة هذيل وخزيمة .

فهذيل^(١) : من بطونهم لحيان بن هذيل ، وسعد بن هذيل ، وخزاعة بن سعد ابن هذيل ، وتميم بن سعد ، ومنعة بن سعد ، وحريث بن سعد بن هذيل ، وجهامة ابن سعد ، وغنم بن سعد ، وكاهل بن سعد بن هذيل ، وصاهلة بن كاهل ، وكعب ابن كاهل .



ومن خزيمة : أسد ، والهون ، وكنانة .

• فأسد^(٢) : من بطونهم دودان^(٣) بن أسد ، وكاهل بن^(٤) أسد ، وعمرو بن أسد ، وحلمة بن أسد^(٥) ، ومنهم أيضاً بنو الصيدا^(٦) ، وبنو نصر بن قعين ، وبنو الزينة ، وبنو غاضرة ، وبنو نعامه .

(١) منهم عبد الله بن مسعود الصحابي ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر ، وثابت بن عبد شمس الشاعر
(٢) منهم الصامت بن الأقفم قاتل ربيعة بن مالك أبا لبيد الشاعر ، ودواب بن ربيعة قاتل عتية ابن الحارث اليربوعي ، وبشر بن أبي خازم وعبيد بن الأبرص الشاعران ، وعمرو بن شأس أبو عرار ، والكميت بن زيد الشاعر ، والحساس بن هند الذي ينسب إليه عبد بن الحساس ، وزينب بنت جحش زوج النبي عليه الصلاة والسلام ، وأمين بن خزيم والأقيصر الشاعران
(٣) فيهم يقول امرؤ القيس :

قولا لدودان عبيد العصا ما غرّم بالأسد الباسل

(٤) منهم علباء بن الحارث الذي يقول فيه امرؤ القيس :

وأفلتن علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب

(٥) أنفاهم امرؤ القيس بأبيه (٦) وفيهم يقول الشاعر :

يا بني الصياد ردوا فرسى لئما يفعل هذا بالذليل

والهون : من بطونهم القارة^(١) (ومنهم عضد والديش) .



وكنانة : من بطونهم ملكان^(٢) ، وعبد مناة^(٣) (ومنهم غفار^(٤) ، والدليل^(٥) وبنو ليث^(٦) ، وبنو الحارث^(٧) ، وبنو مدلج^(٨) ، وبنو ضمرة^(٩) ، وبنو عريج ، وبنو جذيمة^(١٠) ، وعمرو بن كنانة ، ومالك^(١١) بن كنانة (ومنهم بنو فراس^(١٢) ابن غم ، وبنو ققيم^(١٣) والنضر .



ومن النضر (وهو قریش^(١٤)) : الصلت^(١٥) ومالك .



(١) هم أرمي العرب (٢) قال ابن قتيبة في المعارف : لهم بقية ، وليس فيهم شرف بارع (٣) اسمه على وربما قالوا مسعود (المعارف) (٤) رهط. أبي ذر الغفاري ، وفي الحديث غفار غفر الله لها (٥) رهط. أبي الأسود الدؤلي (٦) منهم عبيد بن عمير وعبد الله ابن شداد (٧) ويقال فيه بلحارث (٨) هم قافة العرب ، ومنهم سراقبة بن جشم المدلجي (٩) رهط. عمرو بن أمية الضمري الصحابي (١٠) منهم خالد بن الوليد بالقيصاء فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) منهم ربيعة بن مكرم (١٢) وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت والله لو أن لي بمائة ألف منكم ثلاثمائة من بني فارس بن غم (١٣) هم نساء المشهور (١٤) قيل في تسميته بذلك أنه كان في سفينة يبحر فارس فخرجت عليهم دابة عظيمة يقال لها قریش ، فخافها أهل السفينة على أنفسهم فأخرج سهماً من كنانته فأثبنتها ، ثم قربت السفينة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها معه إلى مكة فسمي باسمها (صبح الأعشى ١ : ٣٥٢) (١٥) صاروا إلى اليمن ، وقيل إنه أبو خراعة .

ومن مالك : بنو الحارث^(١) بن مالك (ومنهم بنو الجراح^(٢)) وفهر بن مالك .



ومن فهر^(٣) : محارب^(٤) بن فهر وغالب بن فهر .



ومن غالب : تيم (ويطلق عليهم بنو الأدرم^(٥)) ولؤى^(٦) .



ومن لؤى : عامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وسعد بن لؤى ، وخزيمة بن لؤى

والحارث بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، وكعب بن لؤى .



(١) في صبح الأعشى : هم بنو الحارث بن فهر وهم من الطيبين . ويقال إن الخليج منهم ، ويقال كانوا من عدوان فألحقهم عمر بن الخطاب بالحارث ، وسماو خلباً لأنهم اختلجوا من عدوان .
 (٢) منهم أبو عبيدة بن الجراح الصحابي المشهور وسهيل بن صفوان (٣) منه تفرقت قبائل قريش فقتل لهم بنو فهر (٤) منهم ضرار بن الخطاب شاعر قريش في الجاهلية ، والضحاك ابن قيس الذي قتله مروان يوم مرج راهط . وبنو الحارث بن مالك وبنو محارب بن فهر يطلق عليهم قريش الظواهر ؛ لأنهم نزلوا حول مكة وليست لهم ، وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم قريش البطاح ؛ لأنهم سكنوا بطحاء مكة (٥) هم من أعراب قريش ، ولم يكن بمكة منهم أحد ، وفيهم يقول الشاعر :

إن بني الأدرم ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد

ولا توفاهم قريش في المدد

(٦) إلى لؤى ينتهي عدد قريش وشرفها .

فعامر بن لؤى ^(١) : من بطونهم معيص ^(٢) ، وحسل (ومنهم سهل وسهيل
والسكران بنو عمرو ، وبنو مالك ^(٣) بن حسل) .
وسامة بن لؤى : من بطونهم بنو ناجية ^(٤) .
وسعد بن لؤى : من بطونهم بنو بُنَّانة (وهم عمار ، وعمارى ، ومخزوم ^(٥)) .
وخزيمة بن لؤى : من بطونهم عائذة ^(٦) .



وكعب بن لؤى : من بطونهم هصيص (ومنهم سهم ^(٧) ، ومُجَح ^(٨) ،
وعدي ^(٩) ، ومرة .



(١) منهم سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى (من المؤلفة قلوبهم) ، وعبد الله بن
أبي سرح ، ونوفل بن مساحق وعبد الله بن مخزومة (٢) منهم ابن قيس الرقيات ، وابن
العلقة الذى روى سعد بن معاذ يوم الخندق فأصاب أكله فقال : خذها وأنا ابن العرة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : عرق الله وجهك فى النار (٣) رهط سودة بنت زمعة
زوج الرسول عليه الصلاة والسلام (٤) رهط عباد بن منصور قاضى البصرة
(٥) ينسبون إلى أمهم بنانة ، ومنهم أبو الطفيل الصحابي (٦) اندمجوا فى شيبان ومقاس
العائدى الشاعر منهم (٧) منهم الحارث صاحب حكومة قريش ، وعمرو بن العاصى ، وقيس
ابن عدى ، وحبيش بن خذافة (٨) منهم صفوان بن أمية من المؤلفة قلوبهم ، وأمّية بن
خلف قتل يوم بدر وأبو عزة الجمحي وعثمان بن مظعون وأبو مخذومة مؤذن الرسول عليه الصلاة
والسلام (٩) منهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد وزيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن
مطيع ، وأبو جهم بن حذيفة ، وخارجة بن خذافة ، وكان قاضياً لعمرو بن العاص ، فقتله الحارثى
يظنه عمرأ ، وفيه قال : أردت عمرأ وأراد الله خارجة .

ومن مرة : تيم بن (١) مرة ، وبنو مخزوم (٢) بن يقظة بن مرة ، وكلاب بن مرة

* * *

ومن كلاب بن مرة : بنو زهرة (٣) بن كلاب ، وبنو قصي بن كلاب .

* * *

ومن قصي (٤) بن كلاب : عبد العزى (ومنهم بنو أسد) (٥) ، وعبد الدار (٦) ،
(ومنهم آل أبي طلحة بن عثمان) وعبد مناف .

* * *

ومن عبد مناف : المطلب (٧) ، ونوفل (٨) ، وعبد شمس ، وهاشم ،

(١) منهم أبو بكر الصديق ، وعبد الله بن جدعان ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبيد الله بن معمر
(٢) منهم أبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وخالد بن الوليد ، والمغيرة بن عبد الله ، وعمر بن
عبد الله بن أبي ربيعة (الشاعر) ، وإسماعيل بن هشام بن المغيرة ، وسعيد بن المسيب (الفقيه)
(٣) منهم عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وآمنة بنت وهب أم النبي عليه الصلاة
والسلام (٤) كان قصي عظيما في قريش ، وهو الذي جمعهم بعد التفرق ، وفي ذلك يقول الشاعر :
أبوكم قصي حين يدعى بجما
به جمع الله القبائل من فهر

وارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة بعد أن كانوا انتزعوها من بني إسماعيل (٥) منهم ورقة
ابن نوفل ، ويزيد بن زمة ، والزيير بن العوام ، والعاص بن هشام . وخويلد بن أسد أبو خديجة
بنت خويلد وحزام بن خويلد (٦) كانت يدهم مفاتيح الكعبة دون سائر بني قصي . ومنهم
عثمان بن طلحة صاحب الحجابة ، وشيبة بن عثمان بن طلحة الحارث بن علقمة ، والنضر بن الحارث
قتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأثيل (٧) منهم عبيدة بن الحارث المقتول يوم بدر والإمام
الشافعي (٨) منهم نافع بن طرب الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب ، وجبير بن مطعم
والحارث بن عامر صاحب الرقادة ، ومسلم بن قرظة ؟ قتل يوم الجمل .

ومن عبد شمس : حبيب^(١) بن عبد شمس ، وربيعة^(٢) بن عبد شمس ،
وعبد^(٣) العزى بن عبد شمس ، وأمّية بن عبد شمس الأكبر ، وأمّية بن عبد شمس
الأصغر .

ومن أمّية الأكبر : العاص وأبو العاص والميص وأبو الميص (ويسمون
الأعياص^(٤)) ، وحرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو (ويسمون
المنابس^(٥)) .

ومن أمّية الأصغر : العيلات^(٦) .

* * *

ومن هاشم بن عبد مناف : نضلة ، وأسد وصيفى ، وأبو صيفى^(٧) ، وعبد المطلب

* * *

وولد لعبد المطلب اثنا عشر ولداً منهم : أبو طالب ، والزبير ، وعبد الكعبة ،
والعباس وضرار ، وحجل ، وأبو لهب ، وقم ، والنميدان^(٨) ، وعبد الله
(أبو النبي ﷺ) .



(١) منهم عامر بن كريز (٢) هو أبو عتبة وشيبة ابني ربيعة (٣) ربهط أبي العاصي
ابن الربيع ، وزوج ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) من الأعياص هيثم بن عفا ،
وعتاب بن أسيد عامل النبي صلى الله عليه وسلم على مكة وآل سعيد من العاصي (٥) ومن
العباس آل سفيان بن حرب : معاوية وولده وإخوته (٦) منهم الثريا بنت عبد الله التي كان
يشب بها عمر بن أبي ربيعة (٧) نضلة وأسد وصيفى وأبو صيفى لم يشتهروا
(٨) لقبه الحارث .

فهرس الاعلام

(١)

الأحيمر بن عبدالله : ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١
 الأخيل بن عبادة : ٢٣٩
 أرطاة بن ربيعة : ٣٨٣
 أرطاة بن منقذ الأسدي : ٣٨٠
 أسبع بن عمرو بن لأم : ٦٠
 الأسلع بن القصاف : ٢٢٧
 أسماء المرية : ٢٨٣
 أسود بن بجير المجلي : ٣٣
 الأسود بن شقيق الضبابي : ٣٠٤
 الأسود بن المنذر : ١١
 أسيد بن جذيمة : ٢٣٧
 أسيد بن حنادة السليطي : ١٨٢ ، ١٩٢ ،
 ١٩٧ ، ٣٦٨
 الأشتر بن عمارة الضبابي : ٣٠٧
 أعشى قيس : ٣٤ ، ٣٨ ، ٩٩ ، ٢١٣
 الأعيمر بن يزيد المازني : ١٢٤
 الأغلب المجلي : ٢١٤
 الأقرع بن حابس : ٢٠٦
 أكتل بن حيان المجلي : ٢١٧
 أكم بن صيفي : ١٢٤
 أمامة بنت الغداء : ٣٨٠

أبجر بن جابر المجلي : ١٧٢ ، ١٨٤
 ابن الرعاء الضبابي : ٥٢
 أبو دؤاد الرواسي : ١٣٥
 أبو سروة السنبسي : ٦٠
 أبو سفيان بن أمية : ٣٣٤
 أبو السيد النصري : ٣٣٥
 أبو عامر الراهب : ٧٨
 أبو عمرو بن الملا : ٣٦
 أبو الغول الطهوي : ٢٢٥
 أبو قيس بن الأسلت : ٦٥
 أبو كلبة التيمي : ٣٧
 أبو لطيفة بن الخطيم بن الأعرف : ٣٠٥
 أبير بن عصمة التيمي : ١٢٤
 أئين بن عمرو السعدي : ١٢٤
 أني بن زيد : ١٦
 الأجاج الضبابي : ٣٠٦
 الأحوص بن جعفر الكلابي : ٣٤٤ ، ٣٥٠
 أحيحة بن الجلاح الأوسي : ٦٣ ، ٦٩
 ٢٤٦

بشر بن أبي خازم : ١٣٨ ، ٣٢٩
 بشر بن حزن : ٢٢٠
 بشر بن العوراء : ١٧٢
 بشر بن مسعود : ٢١٧
 بكر بن يزيد : ٣٢
 بكير (أصم بن الحارث بن عباد) : ٣٩
 بلعاء بن قيس : ٣٣١ ، ٣٣٧

(ت)

تماضر بنت الشريد : ٢٣٦

(ث)

ثابت بن المنذر بن حرام : ٦٦
 ثعلبة بن الحارث : ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٣٦
 ثعلبة بن يربوع : ٣٧٠

(ج)

جابر بن وهب : ٣٣٦
 جبلة بن باعث الليشكري : ٢٩
 جثامة الذهلي : ١٧٦
 جزء بن سعد : ١٩٣ ، ١٩٧
 جساس بن مرة : ١٤٣
 جشم بن ذهل : ١١١
 الجعد بن الشماخ : ٢١٥
 جعفر بن علبة : ٨٥
 الجليح بن شديد الجمعري : ٣٠٤
 جليلة بنت مرة : ١٤٣

امرؤ القيس بن أبان : ١٦٠
 امرؤ القيس بن حجر : ٤٩ ، ١١٥
 أميمة بنت أمية بن عبد شمس : ٣٣٨
 أنس بن عباس الأصم : ٣٧٠
 أنس بن مرة : ٢٨٢
 أنوشروان (ملك الفرس) : ٢٠
 أنيف بن جبلة الضبي : ١٨٢
 الأهم بن سنان : ١٢٨ ، ٣٧٨
 أوس بن حارثة الطائي : ١٣٧
 أوس بن حجر : ٢٠٧ ، ٢٣٦
 أوس بن خالد : ٦٠
 أوس بن قلام الحارثي : ٦
 إلياس بن عبله : ٢٢٦
 إلياس بن قبيصة : ١١ ، ٢٥ ، ٢٦
 أيوب بن محرف : ٦

(ب)

بازان (عامل كسرى) : ٢٧٢
 بجير (ابن أخي الحارث بن عباد) : ٣٩
 بجير بن عبد الله : ٢٠١ ، ٣٧٥
 بدر بن معشر النفازي : ٣٢٢
 البراض بن قيس : ٣٢٦
 بريقة بنت شديان : ٢٢٣
 بسطام بن قيس الشيباني : ١٩١ ، ١٩٧
 ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٣٨٢
 للبسون بنت منقذ : ١٤٤

جندب بن حصن الكلابي ١٣٨
الجون الكلي : ٣٥١

(ح)

حاتم الطائي : ٦٠ ، ١٣٧

حاجب بن حميصه : ٣٠٨

حاجب بن زراة : ٩٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥١

الحارث بن الأبرص : ٣٥٨

الحارث بن بدر ٢٥٩

الحارث بن بينة المجاشعي : ٥٤ ، ٢١٥

الحارث بن جبلة : ٢٠ ، ٥٤ ، ٥١ ، ٦٠

١٢٢

الحارث بن ربيعة : ٢٩

الحارث بن شريك (الخوران) : ٣٢

١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢١٣

الحارث بن الشريد : ٢٣٦

الحارث بن عباد : ١٥٤

الحارث بن عمرو (المقصود) : ٤٦ ،

١١٢

الحارث بن قراد : ١٨٢

الحارث بن كادة : ٣٣٧

الحارث بن مكدم : ٣١٥

الحارث بن همام : ١٦٢

الحارث بن وعة : ٢٥ ، ٢٩

حاطب بن قيس الأوسي : ٧٢

حبيب بن عتيبة : ٤٧

حبش بن داف : ١٠٩

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٠٨

حجر بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢

حجر بن عمرو الكندي : ٤٢

حذيفة بن بدر : ٤٩

حرب بن أمية : ٢١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩

٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧

حر بن الحارث المبسى : ٢٥٩

حرقصة بن جابر : ١٨٤

حرملة المكي : ٣٦٠

حريث بن سلمة : ٢٢١

حزيمة بن طارق : ١٨٢

حسان بن ثابت : ٦٨

حسان بن عامر بن الجون : ٣٥٩

حسان بن كبشة الكندي : ٣٦٥

حسان بن وبرة الكلي : ٣٥١

حسيل بن عمرو الكلابي : ١٣٤

حشيش بن نمران الرياحي : ٣٦٦

حصن بن حذيفة : ٢٦٤ ، ٣٥١

حصن بن ضرار الضبي : ٣٩٠

حصىصة بن شراحيل : ٢٠٨

الحصين بن أسيد بن زهير : ٢٣٢

الحصين بن زهير : ٢٣٢

الحصين بن يزيد الحارثي : ١٣٢

حضير بن سمالك : ٧٢ ، ٧٥

خفاف بن عمير : ٢٨٤

خفاف بن ندبة ٧٨

الخنساء بنت عمرو (الشاعرة) : ٢٨٥

٢٩٠

خيرى بن عبادة : ٤

(د)

دخنوس بنت لقيط : ٣٦١

دراج بن زرعة بن قطن : ٣٠٨

درهم بن زيد : ٦٥

دريد بن حرملة : ٢٨٥ ، ٢٨٩

دريد بن الصمة : ٢٩٣ ، ٣١٢ ، ٣١٧

(ذ)

ذؤاب بن أسماء : ٢٩٨

(ر)

الربيع بن زياد : ٢٤٧ ، ٢٤٩

ربيعة بن شكل : ٣٤٩

الربيع بن ضبع الفزارى : ١٢٢

ربيعة بن طريف : ١٧٦

ربيعة بن الطفيل : ١٧٦

ربيعة بن عبد الله : ٣٤٥

ربيعة بن غزالة : ٣٠

ربيعة بن كعب : ٣٠٠ ، ٣٤٥

الحطيئة (الشاعر) : ١٣٧ ، ٣٧٨

حليمة بنت الحارث الفسافى : ٥٤

الحكم بن الطفيل : ٢٧٨

الحراء بنت ضمرة بن جابر : ١٠٧

حمران بن عبد عمرو : ١٦٧ ، ١٧٨

حمل بن بدر : ٢٤٩

حماد بن زيد بن أيوب : ٧

الحنيفة الضبي : ٢٧٨

حنديج بن البكاء : ٢٣٩ ، ٣٤٥

حنظلة بن بشر : ١٨٧

حنظلة بن ثعلبة : ٢٩ ، ٣١

حنظلة بن الطفيل : ١٨٧

حنظلة بن عمار : ٣٠٢

حنظلة بن المأمون : ١٧٣

حنابزين : ٢٧

الحوثة بن قيس : ٣٧١

(خ)

خارجة بن سنان : ٢٧٠

خارجة بن حصن : ٣٧٣

خالد بن جعفر : ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٣٤٤

خالد بن مالك النهشلى : ٣٦٦

خالد بن يزيد الهراوى : ٢٧

خداش بن زهير : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧

خرم بن سنان : ٢٦٩

خفاف بن حزن : ٢٢٠

سبيع بن ربيع : ٣٣٥
 سبيع بن عمرو : ٢٦١
 سبيعة بنت عبد شمس : ٣٣٥
 سحيم بن وثيل : ٤٠١ ، ٣٦٨
 سدوس بن شيان : ٤٣ ، ١١١
 يسرى بن عبد الله الهاشمي : ٨٧
 سعد بن صبا الأسدي : ٣٠٠
 سعد بن فلحس الشيباني : ١٨٨
 سعد بن مالك : ١٥٤
 سعد بن مرة : ١٤٥
 سعدى زوج (أوس بن حارثة) : ١٣٨
 سفيان بن أمية : ٣٣٤
 سفيان بن عوف : ٣٣٧
 سلامة بن جندل السعدي : ١٨١
 سلامة بن طلب : ١٧٥
 سلمة بن الحارث : ٤٦ ، ٩٩ ، ١١٢
 سلمة بن خالد : ١١١
 سلمى بنت عمرو : ٧٠
 سلمى الملقب : ٣٨٠
 سمير بن يزيد : ٦٣
 السموءل بن عدياء : ١٢١
 سنان بن سُمي : ١٧٥
 سنان بن أبي حارثة : ٢٥٦ ، ٣٦٠
 سنان بن سنان بن أبي حارثة : ٣٧٤
 سودة بن يزيد : ١٨٧
 سوار بن حيان : ١٨٠

ربيعة بن مكدم : ٣١٣ ، ٣١٩
 رشيد بن رميص : ٢١٨
 رملة بنت صبيح : ٣٨٠
 رياح بن الأسك : ٢٣٠
 ريان بن الأسلع : ٢٦٣

(ز)

الزبرقان بن بدر : ١٢٤
 زرارة بن عدس : ١٠٠
 زرعة بن الصعق : ٣٤٥
 زنباع بن الحارث : ٣٦٦
 زنباع بن الحكم : ٣٦٨
 زهير بن أبي سلمى : ٢٧١
 زهير بن جذيمة : ٢٣٠
 زهدم بن حزن العبسي : ٢٩٤ ، ٣٥٧
 زياد بن نير الأسدي : ٢٨٠
 زياد بن الهبولة : ٤٢
 زيد بن أيوب : ٧
 زيد الخليل : ٦٠
 زيد بن عدى : ١٨
 زيد بن عمرو : ٢٢٦
 زيد الفوارس : ٣٩٠

(س)

ساعدة بن مر : ٢٩٨
 سبيع بن الخطيم : ٣٧٣

(ص)

- صخر بن أعلى الهندي : ١٣٤
صخر بن عمرو : ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩
صرد بن حمزة : ١٩٣
صرح بن ربيع : ١٧٨
الصمق بن عمرو : ٣٤٥
صلبع بن غنم : ٤٣
الصمة الجشمي : ٢١٥
الصمبل بن الأعور السكلابي : ١٣٣

(ض)

- ضرار بن الخطاب : ٣٣٠
ضرار الضبي : ٣٩٠
ضرار بن عمرو : ١٠٩
ضرار بن الأفعق : ١٧٢
ضمرة بنت أئيب الجاني : ١٢٧
ضمغم (أبو الحصين الري) : ٢٥٩

(ط)

- طارق بن ديسم : ٩٦
طريف بن عيم المنبري : ٢٠٨
طريف بن عمرو : ١٠٨
طريف بن مالك : ١٠٨
طفيل النوى : ٣٠١
طفيل بن مالك : ٣٤٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦
٣٨٠

سويد بن الحوفزان : ١٨٨

سويد بن ربيعة الدارمي : ١٠٢

سويد بن صامت الأوسي : ٦٦

(ش)

- شاس بن زهير بن حذيفة : ٢٣١
شأس بن عبدة : ٥٥
شتير بن خالد السكلابي : ٣٩٠
شداد بن معاوية : ٢٦٣
شراحيل الشيداني : ٢٠٨
شرحاف بن النظم : ٣٩٢
شرحيل بن أخضر بن الجون : ٣٥١
شرحيل بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢
شريح بن الأحوص : ٣٥٩
شريح بن الحارث اليربوعي : ٩٦
شريح بن وهب : ٣٦٨
شريك بن عمرو : ٣١
شريك بن مالك : ٣٧٣
شريك بن الهيثم : ٣٠٥
شمر بن عمرو الحنفي : ٥٢
شمعة بنت الأخضر : ٣٨٦
شميث بن زنباع الرياحي : ٣٦٩
شهاب بن عبد قيس اليربوعي : ٩٥
شيدان بن خصفة : ٢٢٠

عبد الله بن الطفيل : ٢٨٢

عبد الله بن عامر : ٢٢٠

عبد الله بن عنمة الضبي : ١٨٧ ، ٣٨٥

عبد الله بن غطفان : ٣٩٨

عبد الله بن مالك : ٢٢١

عبد الملك بن مروان : ٣٠٨

عبد يفيث بن صلاة الحارثي : ١٢٦

عبيد بن الأبرص : ١١٣

عتبة بن جعفر : ٣٠٠

عتبة بن شتير : ٣٩٠

عتاب بن هرمي بن رباح : ٩٤

عتوة بن أرقم : ١٨٧

عنيبة بن الحارث : ١٧٨ ، ١٩٢ ،

٣٧٣ ، ٣٧٠ ، ١٩٧

عنجل بن النأموم : ١٧٢

عثمان بن عبد الله بن مرفة القرشي :

٣٠٨

عثمان بن عفان : ٢٢٠ ، ٤٠٦

عدي بن الفرخ : ٣٧

عدي بن حاتم : ٦١

عدي بن زيد : ١٧

عدي بن مربيثا : ١٤

عروة بن جعفر : ٣٠١

عروة بن خالد : ٣٨٠

عروة الرحال : ٢٤٣ ، ٣٢٧

عروة بن الورد : ٢٨٧

طلحة بن سنان : ٢٦٨

طليسة بن زياد المجلي : ١٧٣

(ع)

عاصم بن خليفة الصياحي : ٣٨٤

عاصم بن عمرو : ٦٩

عاصم بن النمل : ٣٢٠

عاصم بن جوين : ١٢١

عاصم بن الطفيل : ١٣٢ ، ١٩٩ ، ٢٧٨

٢٨٢ ، ٣٠٢

عاصم بن كعب : ٣٠١ ، ٣٢٠ ، ٣٦٥

عاصم بن مالك : ١١٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤٥ ،

٣٦٥

عباس الأصم : ٢٨٥

عباس بن مرداس : ٢٨٥ ، ٣٢١ ،

٣٧١

عبد عمرو بن سنان : ١٨٧

عبد الله بن أبي : ٧٤

عبد الله بن جدعان : ١٠٩ ، ٢٤٨ ،

٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

عبد الله بن جذل الطمان : ٣١٥ ، ٣١٩

عبد الله بن جمدة : ٢٢٤

عبد الله بن الحارث بن عمرو : ١١٢

١٨٧

عبد الله بن الزبير : ٣٠٨

عبد الله بن الصمة : ٢٩٣

عصمة بن أبيير التيمي : ١٢٩
 عصمة بن حذرة : ٣٦٨
 عصيم بن مالك الجشمي : ٤٦
 عصيمة بن عاصم : ٢٢٣
 المقاق بن الفلاق : ٣٦٨
 علباء بن الحارث : ١١٥
 علبة بن جعفر : ٨٧
 علقمة الفحل : ١٠٥ ، ٥٥
 علي بن جندب : ٨٧
 عمارة بن زياد العبسي : ٣٩١ ، ٢٦٠
 عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل : ٤٢
 عمرو بن الأحوص : ٣٦٦
 عمرو بن امرئ القيس الخزرجي : ٦٤
 عمرو بن بشر : ٢٩
 عمرو بن جبلة : ٣١
 عمرو بن جندب : ١٩٩
 عمرو بن الجون : ٣٥١
 عمرو بن جوين : ٩٦
 عمرو بن الحارث بن ذهل : ١٤٦
 عمرو بن حوط : ٩٦
 عمرو بن خالد : ٣١٩
 عمرو بن سنان : ١٢٨
 عمرو بن سواد : ٢١١
 عمرو بن شعاث الطائي : ١٠١
 عمرو بن صبيح الهندي : ١٣٣
 عمرو بن عبد الله بن جمدة : ٣٥٢
 عمرو بن عمرو : ٣٦٥ ، ٣٥٨
 عمرو بن قيس : ٢٨٩ ، ٢١٢ ، ١٧٢
 عمرو بن مالك : ٣٢٠ ، ١٦٧
 عمرو المزدلف بن أبي ربيعة : ١٢٤
 عمر بن ماقط الطائي : ١٠٥
 عمرو بن العمان البياضي : ٧٢
 عمرو بن هند : ١٣٧ ، ١٠٠
 عمران بن مرة : ٢٠٦
 عميرة بن طاري : ١٨٤
 عنقرة بن شداد : ٢٦٧ ، ٢٥٨
 العنقاء بنت هام : ٣٨٠
 عوف بن الأحوص : ٣٠١ ، ٢٦٨
 ٣٦٠ ، ٣٥٠ ، ٣٤٥
 عوف بن بدر : ٢٥٩
 عوف بن جبيل : ٤٩
 عوف بن عتاب : ٩٤
 عوف بن عطية : ٣٧٨ ، ٣٧٣
 عوف بن عمرو : ١١١
 عوف بن القعقاع : ١٧٣
 عوف بن محم : ١١١ ، ٤٢
 العوام الشيباني : ١٩٤
 عيينة بن حصن : ٣٧٣ ، ٧٢
 (غ)
 غالب بن صعصعة : ٤٠١

عصمة بن أبيير التيمي : ١٢٩
 عصمة بن حذرة : ٣٦٨
 عصيم بن مالك الجشمي : ٤٦
 عصيمة بن عاصم : ٢٢٣
 المقاق بن الفلاق : ٣٦٨
 علباء بن الحارث : ١١٥
 علبة بن جعفر : ٨٧
 علقمة الفحل : ١٠٥ ، ٥٥
 علي بن جندب : ٨٧
 عمارة بن زياد العبسي : ٣٩١ ، ٢٦٠
 عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل : ٤٢
 عمرو بن الأحوص : ٣٦٦
 عمرو بن امرئ القيس الخزرجي : ٦٤
 عمرو بن بشر : ٢٩
 عمرو بن جبلة : ٣١
 عمرو بن جندب : ١٩٩
 عمرو بن الجون : ٣٥١
 عمرو بن جوين : ٩٦
 عمرو بن الحارث بن ذهل : ١٤٦
 عمرو بن حوط : ٩٦
 عمرو بن خالد : ٣١٩
 عمرو بن سنان : ١٢٨
 عمرو بن سواد : ٢١١
 عمرو بن شعاث الطائي : ١٠١
 عمرو بن صبيح الهندي : ١٣٣

(ف)

الفارعة بنت معاوية : ٣٨٠
فاطمة بنت الأحجم : ٣٣٩
فدكي بن أعيد : ١٧٦ ، ٢١٠
فراس بن حابس : ٢٠٦
فروة بن الحكم : ٣٦٦
فروة بن مسعود : ٥٣

(ق)

قابوس بن المنذر : ٩٥
قباد بن فيروز : ٤٦
قبيصة بن نعم : ١١٧
قتادة بن مسلمة : ٢٦٦
قدامة بن سلمة : ٣٦٥
قرة بن قيس بن عاصم : ١٧٦
قرة بن هبيرة : ٣٧٨
قرواش بن عمرو : ٢٦٣ ، ٢٦٨
قعنب بن الحارث : ٣٧٥
قعنب بن سمير : ١٩٣
قعنب بن عصمة : ١٩٣
قيس بن جحندر : ١٠٢
قيس بن حزن العبسي : ٣٥٧
قيس بن الخطيم : ٦٧ ، ٧٩
قيس بن زهير بن جذيمة : ٢٤٥ ،
٢٤٦ ، ٣٤٩
قيس بن عاصم النقرى : ١٢٤ ، ١٧٥

قيس بن عبد الله القعسي : ٣٨٠

قيس بن قبيصة : ٣٣

قيس بن مسعود : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٨ ،

٥٣ ، ٢٩٩

قيس بن مقلد : ١٧٨

قيس بن المنتفق : ٣٥٨

(ك)

كدام بن بجيلة : ٣٧٦

كرب بن صفوان : ٣٥٣

كردم الفزاري : ٢٩٤

كرز بن خالد : ٣١٩

كسرى أبو شران : ٢ ، ١٢٤ ، ١٩١

كعب بن أسد القرظي : ٧٤

كعب النعالي : ٦٣

كعب بن عمرو المازني : ٦٩

كعب الفوارس بن معاوية : ١٣٤

الكاحبة اليربوعي : ١٨٢

كليب بن أعيد الأشهل : ٧٨

كليب بن وائل : ١١١ ، ١٤٢

(ل)

لأم بن سلمة : ٣٧١

لبيد بن ربيعة : ٣٠٢

لبيد بن عمرو الفسائي : ٥٤

لقيط الأيادي : ٣٩

لقيط بن زرارة : ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥١

ليل بنت الأحوص : ٣٨٢

(م)

الأمور الحارثي : ١٢٥

مالك بن بدر : ٢٦٠

مالك بن جعفر : ٣٤٥

مالك بن حطان : ١٩٨ ، ٢٠١

مالك بن حمار الفزاري : ٢٨٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣

مالك بن خالد : ٣١٩

مالك بن الربيع : ٣٠٥

مالك بن زهير : ٢٥٤

مالك بن سلمة (ذو الرقية) : ٣٧٨

مالك بن المجلان : ٦٢

مالك بن قحافة : ٣٠٠

مالك بن قيس : ١٧٣

مالك بن كعب : ٣٠٠ ، ٣٨٠

مالك بن المنتفق : ٣٨٢

مالك بن المنذر بن ماء السماء : ١٠٢

مالك بن نويرة : ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٣٧٢

مكتم بن نويرة : ٩٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٣

الثلم بن قرط : ٣٧٦

الثلم بن الشخرة : ٣٩١

محرز بن مكعب الضبي : ٢١٨ ، ٣٨٦

محرق النساني : ٣٨٨

محمد بن هشام : ٩٠

مرثد بن الحارث : ٣٣

مرثد بن ذي جدن : ١٢٠

مرة بن ذهل بن شدان : ١٤٣

مزة بن عمرو : ٢٨

مرة بن عوف الجشمي : ٢٩٨

مربة بنت جابر : ١٤٣

مزيد بن سهم : ٣٠٥

مسعدة السلمي : ٢٢٠

مسعود بن مقبب النقي : ٣١٦ ، ٣٣٥

مسهر بن ذي جدى الجيري : ١٢٠

معاوية بن الجون : ٣١٥ ، ٣٦٠

معاوية بن شكل : ٢٦٨

معاوية بن الصموت : ٣٦٠

معاوية بن عمرو السلمي : ٢٨٣

معبد بن ززارة : ٣٤٧

معدان بن عصمة : ١٩٣

معدى كرب بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢

مفروق بن عمرو : ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢١٢

مقاس بن عمرو : ٢١٧

مكسر بن حنظلة : ٢٥

الملبد بن مسعود : ٢٠٢

مليل بن عبد الله : ١٩٨ ، ٢٠١

المنذر بن ماء السماء : ٤٦ ، ٥١ ، ٩٤

٩٩ ، ١٠٢ ، ١٢٠

المنذر بن المنذر بن ماء السماء : ٥٤

البلبل بن وائل : ١٤٩

(ن)

المابنة الديباني : ٢٨٠

ناشب بن بشامة : ١٧٠

نافع بن حجر : ١١٥

نبيشة بن حبيب : ٣١٥ ، ٢٨٥

نذبة بن حذيفة : ٢٤٥

النضر بن مضارب : ٨٧

النعمان بن حساس اليمى : ١٠٢ ،

٣٧٣ ، ١٢٤

النعمان بن زرعة : ٢٦

النعمان بن قهوس التميمي : ٣٦٤

النعمان بن المنذر : ٢ ، ١٠٩ ، ١٣٧ ،

٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥١

نعمة بنت ثعلبة المدوية : ٧٨

نعم بن عتاب : ٣٧٦

نعم بن القعقاع : ١٧٣

نشل بن مرة : ٢٨٢

نوفل بن ربيعة : ١١٤

(ه)

هاشم بن حرملة : ٢٨٣

الهامر : ٢٧

هاني بن قبيصة : ١٩٢

هاني بن مسمود : ٩٣ ، ٢٠٩

الهفلق بن ربيعة : ٤٠٢

هذيل بن الأخنس : ١٧١

هريم بن الخطيم : ٣٠٦

هزار بن مرة : ٢٨٤

هشام بن عبد الملك : ٩٠

هشام بن المغيرة : ٣٢٩ ، ٣٣١

همام بن بشامة : ١٧١

همام بن مرة : ١٤٤

هند بنت جرول : ١٠٧

هند بن خالد : ٣١٩ ، ٣٢١

هند بنت ظالم : ٤٢

هند بنت النعمان : ٢٧

هند بنت وقاص : ٣٨٠

هند بنت يزيد بن معاوية : ١٢١

هوزة بن علي الحنفي : ٢

(و)

وبرة السكبي : ١٠٩

وحزة بنت الخطيم : ٣٠٦

وديمة بن أوس : ١٩٣

الورد العبدى : ٢٥٠

ورقاء بن زهير : ٢٣٨

وكيع بن القصاص : ٢٢٦

الوليد بن المغيرة : ٣٢٩

الوليد بن يزيد : ٩٢

(ى)

يزيد بن حارثة : ٣١

يزيد بن حمار السكوني : ٣٣

يزيد بن حفظة : ٤١

يزيد بن شرحبيل : ٩٩

يزيد بن الصمق : ٣٦٥

يزيد بن عبد المدان : ١٢٥

يزيد بن عمرو : ١١٠

يزيد بن مسهر : ٣٢

يزيد بن معاوية : ١٢١

يزيد بن المحرم : ١٢٥

يزيد بن هوبر : ١٢٥

يزيد بن اليكسوم : ١٢٥

يوسف بن عمر النقي : ٩٢



الائمم والقبائل

(١)

بنو آكل المرار ١٢٠

أبو بكر بن كلاب : ٣٠٠

الأحارب : ١٧٥

الأحايش : ٣٣١

الأزد : ١٢٠، ٦٢

أسد : ٢٦٢، ١٣٨، ١١٢، ٤٦

٣٩٩، ٣٥١، ٣٣١، ٣٠٠

أشجع : ٢٩٣، ٢٨١، ٢٧٨، ٧٥

أكلب : ١٣٢

الأوس : ٧٣، ٧٢، ٦٢

إياد : ٣٨٨، ٣٢، ٢٧

(ب)

بنو بدر بن فزارة : ٣٧٤، ٢٤٦

البراجيم : ١٠٦، ٩٥

بكر بن عبد مناة : ٣٣٤

بكر بن كلاب : ٢٦٨

بكر بن وائل : ٤٦، ٤٢، ٢٥، ٦

١٧٨، ١٧٥، ١٤٥، ١١٢، ٩٩

٢٢٠، ٢١٧، ٢١٢، ١٩١، ١٨٥

بنو البكاء : ١٣٤

بياضة : ١٠٦، ٩٥

(ت)

تغلب : ١١٢، ٩٩، ٤٦، ٤٢، ٢٧

١٤٥

تميم : ١٢٤، ١٠٩، ٥٥، ٢٧، ٢

٢١٢، ٢٠٦، ١٩٧، ١٩٣، ١٧٠

٤٠١، ٣٥٠، ٣٣٤، ٢١٧

بنو تميم اللات : ١٧٤

بنو تميم الله : ٢٢٦، ٢٠٦

(ث)

الثعالب : ١٩٧

بنو ثعل : ١٢١

بنو ثعلبة : ١٩٧

(ج)

بنو جحجي : ٦٩، ٦٣

جديس : ٣٩٦

جديلة : ٦٠

بنو ذهل بن ثعلبة : ١٧٨ ، ١٧٥

(ر)

الرباب : ٢٠٦ ، ١٢٥ ، ١١٢ ، ١٠٩

بنو ربيع بن الحارث : ١٧٨

ربيعة : ١١١ ، ٤٢

بنو ربيعة بن ذهل : ٢٩

بنو رعل : ٣٧٠

بنو رواحة : ٢٢

الروم : ١٢٢

بنو رباح بن يربوع : ٢٢١ ، ١٨٥

(ز)

زبيد : ١٩١ ، ١٣٢

بنو زباد بن الربيع : ٢٥٠

بنو زيد (بطن في الأوس) : ٦٣

(س)

سعد بن بكر : ٣٣٥

سعد بن زيد : ١٢٥ ، ١١٢ ، ٤٦

٣٧٨ ، ٣٧٣ ، ٢٦٦

سعد المشيرة : ١٣٢

سليم : ٣١٩ ، ٣١٥ ، ٢٨٩ ، ٢٨٣

٣٩٩ ، ٣٣١

بنو سليط بن يربوع : ٢٠٩ ، ١٧٨

بنو سنان : ٢٧

بنو حشم : ٣١٢ ، ٢٩٣ ، ١٤٤

٣٣٥ ، ٣٢٥ ، ٣١٧

بنو جمدة : ١٣٣

بنو جعفر بن ثعلبة : ١٩٩

بنو جعفر بن كلاب : ٣٠٠ ، ٢٦٨

٣٥٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٢

جهينة : ٢٨٤ ، ٧٣

(ح)

بنو الحارث بن الخزرج : ٧٢ ، ٦٤

بنو الحارث بن كعب : ٨٩ ، ٨٥

٣٠٢ ، ١٣٢ ، ١٢٩

بنو حازنة بن لأم : ٢٢٦

حمير : ١٢٠

بنو حفظة : ١٧٢ ، ١٢٤ ، ١١٢ ، ٤٦

٤٠١ ، ٣٧٥ ، ٢٦٧ ، ٢١٥

(خ)

خثعم : ١٣٢

الخزرج : ٧٣ ، ٧٢ ، ٦٢

(د)

الدؤل : ٣٢٦

بنو دارم : ٣٤٤ ، ١١٢ ، ١٠٦

(ذ)

ذبيان : ٣٥١ ، ٢٨٣ ، ٢٨١ ، ٢٥٩ ، ٢٤٢

بنو عامر بن صمصمة : ١٠٩ ، ١٣٢ ،
١٩٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٦٥ ،
٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ،
٣٦٥ ، ٣٧٦

عيس : ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٣ ، ٢٨١ ،
٢٩٣

عبد القيس : ١١٢ ، ٢٤٩ ، ٣٤٩ ،
٣٦٨ ، ٣٩١

بنو عبيد : ١٩١

بنو عتيبة : ١٩١

بنو عجل : ٣١ ، ١٥٤ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ،
عدوان : ٣٣٥

بنو عدى (رھط خاتم الطائي) : ١٠٢

بنو عدى بن جندب : ١٧٤

بنو عدى بن كعب : ٣٠٨

بنو عقيل بن كعب : ٨٥ ، ٨٩

بنو عمرو بن تميم : ١٧١ ، ٣٧٥

بنو عمرو بن جندب : ١٩٨

بنو عمرو بن حنظلة : ٢٠٦

بنو عمرو بن عوف : ٦٣

بنو العنبر : ١٧٠ ، ٢٢١ ، ٣٦٥

بنو عذرة بن أسد : ١٧٥

(غ)

غسان : ٥٤

مذنبس : ٦٠

(ش)

شهران : ١٣٢

بنو شهاب : ٢٠٠

شيبان : ٢٣ ، ٤٣ ، ١٤٤ ، ١٧٨ ،

١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،

٢٦٦ ، ٣٨٢

(ص)

صداء : ١٣٢

الصنائع : ١١٢

(ض)

ضبة : ١٠٩ ، ٢٦٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٣ ،

٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١

(ط)

طسم : ٣٩٦

بنو الطماح : ٢٣١

طبي : ٢٢ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١١٦ ، ١٣٧

(ع)

بنو عائدة : ٢٠٩

بنو عاصم بن عبيد : ٢٠١

بنو كعب: ٣٥٠، ٣٣١، ٢٣٨

بنو كلاب: ٢٣٧، ٢٣٢، ٣٣١

٣٦٨، ٣٤٩

كلب: ١١٦

بنو كلفة: ١٠٦

كفانة: ٣٢٤، ٣٢٢، ٣١٢، ١١٣

٣٣٣، ٣٣١، ٣٢٦، ٣٢٥

٣٣٧، ٣٣٤

كندة: ٣٥٩، ٣٥١، ٤٢

(ل)

لحم: ٥٥

اللبازم: ١٧٠، ٢٧٥، ١٧٨، ١٨٤

(م)

بنو مازن: ٢٢١

بنو مازن بن فزارة: ٢٥٣

بنو مالك بن حنظلة: ١٧٢، ٢١٦

٤٠١، ٣٧٦

بنو مالك بن زيد: ١٩٧

بنو مالك بن كفانة: ٣١٧

بنو مجاشع: ٩٤

مخزوم: ٣٣٤

مدحج: ١٣٢، ١٢٥، ١١١

مراد: ١٣٢

بنو مرة: ٢٠٩، ١٤٤

بنو مرة بن غوف: ٢٨٣، ٢٧٨

غطفان: ٤٦، ١١٢، ٢٦٥، ٢٧٨

٣٥٠، ٢٩٣، ٢٨١

غني: ٢٤٢، ٢٣١

غوث: ٦٠

(ف)

بنو فراس بن غم: ٣١٩، ٣١٥

الفرس: ١٩١، ٣٣

فزارة: ٢٥٣، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٩٣

٣٧٣

فهم: ٣٣٥

(ق)

قريش: ١٠٩، ٢٣٦، ٣٢٤، ٣٣٠

٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣١

بنو قريظة: ٦٥، ٧٣

قشير: ٣٠٢، ٣٨٥، ٣٨٦

بنو القصاف: ٢٢٦

قضاة: ٢٧، ١١١، ١٢٥

آل قلام: ٧

قيس بن ثعلبة: ٩٩، ١٧٠

قيس عيلان: ٤٦، ١١٢، ١٢١

٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣١، ٣٢٤، ٢٣٠

٣٠٧

(ك)

بنو كاهل: ١١٥

بنو نمير بن عامر : ١٣٣
 نهـد : ١٣٢
 نهشل : ١٠٨ ، ٣١٧ ، ٢٢٠
 بنو نوفل بن عبد مناف : ١٠٥

(هـ)

هـلام بن عامر : ١٣٣
 هـوازن : ٢٣٥ ، ٢٩٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٦

(يـ)

يربوع : ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،
 ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٦
 ٢٢١ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣
 ٤٠١
 يشكر : ٣٢ ، ١٥٤
 يـود : ٦٢

بنو مريـنا : ١١
 مزينة : ٧٥
 مضر : ١١١
 معد : ١١١ ، ١٤٢
 مقاعـس : ١٧٥
 بنو منقر : ١٧٩

(نـ)

ناهـس : ١٣٢
 بنو النـبيت : ٧٤
 بنو النـجار : ٦٤ ، ٦٩
 نزار : ٤٦ ، ١١٢
 بنو نصر : ٢٩٣ ، ٣٢٢
 بنو النـضير : ٦٥ ، ٧٣
 النـمر بن قاسط : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٥٤

الامّاكن

(١)

الأبلة : ٢٥
ذات الأنبل : ٣٩٩
أجأ : ٦١
إرم الكلبة : ٣٧٥
الأفاقة : ١٩١
أنقرة : ١٢٣
أواره : ٩٩ ، ١٠٠ ، ٣٢٧
إباد : ١٩١

(ب)

البحرين : ٤٢
بردان : ٤٢
برزة : ٣١٩
بزاحة : ٣٨٨
البصرة : ٢٢٠
بطن الجريب : ١٤٦
بطن عاقل : ٢٣٢
بمات : ٧٣

(ت)

تبالة : ١٢٠
ترامة : ٦٢ ، ١١٣
نيمياء : ١٢١

(ث)

ثنتل : ١٧٥

(ج)

جيلة : ٣٤٩
جندود : ١٧٨
جذع ظلال : ٣٧٣
جفاف : ١٩٢
ذات الجفر : ٣٦٨
جفر الهباءة : ٢٦٣

(ح)

الحديفة : ١٩١
الحربية : ٣٣٧
الحزن : ١٩١
حوزة : ٢٨٣ ، ٢٨٩
الحيرة : ٢٥ ، ٤٦

شبيث : ١٤٥

شمطة : ٣٣١

الشیطان : ٢١٧

(ص)

الصرأثم : ٣٦٨

الصمان : ١٣٨ ، ١٧١

صوعر : ٤٠١

(ط)

طخفة : ٩٤

طلح : ١٨٥

ذو طلوح : ١٨٤

(ع)

عاقل : ٢١٥

عسيب : ١٢٣ ، ٤٠٠

عكاظ : ١٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢٣١ ،

٢٣٥ ، ٢٨٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣١

عين اباع : ٥١

عين التمر : ٣٣ ، ٢١٥

(غ)

غبيط المدرة : ١٩٧

غول : ٣٠٤

(ف)

فروق : ٢٦٧

فلج : ١٩٧

فيف الريح : ١٣٢

(خ)

خزار : ١١١

الخصافة : ٣٠٤

خصي : ١٩١

خورنق : ٣٣

(د)

الدهناء : ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٧١

دومة الجندل : ٤٣

(ذ)

الذئائب : ١٤٦

(ر)

الرحابة : ٦٩

رحران : ٣٤٤

الرقم : ٢٧٨

روضة التمد : ١٩١

(ز)

زبالة : ٢٠٦

زرود : ١٨٢

(س)

سحبيل : ٧٥

السلان : ١٠٩

سلمى : ٦١

(ش)

الشبكة : ٣٠٤

الفتاة : ٢٨١

فونج : ٣٦٥

نحلة : ٣٢٦

النسار : ٣٧٨

نسمة : ١٨٥

ذات النسوع : ١٩٤

النفلوات : ٢٣٥

نقا الحسن : ٣٨٢

النهي : ٥٥

(هـ)

هراميت : ٣٠٤

هجر : ٤٣

(و)

واردات : ١٥٥

الوقي : ٢٢٠

الوقيط : ١٧٠

(ي)

اليحاميم : ٦٠

اليعمرية : ٢٦١

اليماة : ١٠٠

اليمين : ٦٢ ، ١٢٠

الينسوعة : ١٨٦

(ق)

قو قار : ٣٣

قدة : ١٢٥

قشاوة : ٢٠١

القصيدات : ١٥٦

(ك)

الكديد : ٣١٢

الكلاب : ١٢٤ ، ٩٩ ، ٤٦

الكوفة : ٢٢٦ ، ٢٢٢

(ل)

لملع : ٢١٧

اللدی : ٢٩٣

(م)

دارة مأسل : ٣٩٠

مبايض : ٢٠٨

المدنية : ٦٢

مرج حليلة : ٥٤

المشقر : ٢

مليحة : ١٩١

منفج : ٢٣٠

(ن)

النباج : ١٧٥

استدراك

وقع في أثناء الطبع غلطات مطبعية ، نذكرها هنا ليستدركها القارئ قبل أن يمضي في قراءة الكتاب :

الصواب	الخطأ	٢٠	٢١	الصواب	الخطأ	٢٠	٢١
الأمن	الأمن	٢	٣٩	يكبر	يكبر	١١	٣
(تخذف)	فيها	١٢	٣٩	أسارى	أسرى	١٢	٥
أناس	إناس	٢٠	٤٢	محرووف	محرف	٢	٦
صرعه	ضرعه	٥	٤٥	القيمة	القنة	٢١	٦
٣٣١	٢٣١	١٦	٤٦	١٢	١١٢	١	١٢
عمرو	حرب	١٦	٤٨	عن	من	١٢	١٣
القباب	التياب	٦	٤٨	زيب	زينت	١٧	٢٢
عمرو	عمر	١٧	٤٩	ولاحقنك	ولاحقنك	٦	٢٤
دمن	دمن	١٢	٥٦	فوطئته	فوطنته	١٤	٢٤
امرى القيس	قيس	١٠	٦٦	مخالبه	مخاطبه	١٦	٢٤
غربة	غربة	١١	٦٨	بكل	بطل	١٩	٢٤
وارأساه	ورأساه	١	٧١	امرا	امرا	٢١	٢٤
فليت	فلبت	٥	٨٢	مطالبهم	مطالبهم	١٧	٢٦
جر	جر	٥	٨٢	مسلمة	مسلمة	١٩	٢٧
الهفى	الهفى	١٠	٨٦	يرجى	يرجى	١٨	٢٨
لقاح	لقاح	١٥	٩٧	ذراع	دراع	١٣	٣١
هيجوا	هيجوا	١٥	٩٧	فأهوى	فأهدى	٩	٣٣
اللقاح : الذين	اللقاح : ذوات الخ	١٩	٩٧	المهر	المهر	٢٠	٣٣
لم يدبوا للملوك				لقوا	لقوا	٨	٣٤
جاركم	جاركم	١١	١٠١	الهامرز	الهامرز	٣	٣٦

الصواب	الخطأ	١٠٧	١٠٨	الصواب	الخطأ	١٠٩	١١٠
بني تميم	بني بني تميم	٣	١٩٧	كان	كَانَ	١٥	١٠٧
حناءة	حياءة	٩	١٩٧	حاشية يضاف: ورواية الأمثال ثناء	حاشية يضاف:	١٩	١٠٧
لا مكذبة	لا مكذوبة	١٥	٢٣٣	إن الشر	وإن الشر	٧	١٠٨
بالإتاوة	بالإتارة	٥	٢٣٥	لَقَا حَا	لَقَا حَا	٢	١٠٩
فقصم	فقصم	١٣	٢٦٤	شَقَرَات	شَقَرَات	١	١١٨
فرجعت	فرجعت	١٣	٢٦٦	الحجا	الحجي	١	١٢٤
وَرَادٍ	وَرَاد	٤	٢٧٢	الأمالي	الآمال	٢٠	١٢٤
ينج	ينجح	٢٥	٢٨٦	بنت	بن	١١	١٤٣
غَيْبٌ	غَيْبٌ	٥	٣٠٠	ما وراءك	مادراك	١١	١٤٩
أبقيت	بقيت	٢٠	٣٠٠	تفتلي	تفتلي	٢٠	١٤٩
مخاض ولقاح	مواخض ولقاحي	٣	٣٤٠	٢	١	١٨	١٥٢
سنام	كسنام	١٤	٣٤٠	١	٢	١٨	١٥٢
ورده	وردوه	١٠	٣٤١	هَبِلْتَنِي	هَبِلْتَنِي	٢٠	١٦٦
حندج	جندج	١١	٣٤٥	وليرعوا	وليرعوا	١	١٧١
خلفائهم	خلفائهم	١٠	٣٤٩	سربه	سربه	١١	١٧٢
عانيا	رعانيا	١٠	٣٨٦	المحل	المحمل	١٥	١٧٣
إياد	أياد	١٥	٣٨٨	غادرنا	غادرنا	٢١	١٧٣
جنز	خنز	٢٠	٣٩٩	وزار	وزر	١٠	١٧٤
مَحَلَّة	مَحَلَّة	٢	٤٠٠	من ربيعة	بن ربيعة	١٣	١٧٥
فلج في الأمر	فلج الأمر	١٨	٤٠٢	كهنوة	كهنوة	٨	١٨٠

تنبيهات

١ — وضع « يوم سجل » في الباب الثاني صفحة ٨٥ ، والصواب أن يوضع في

الباب الثالث .

٢ — ذكرت قصيدة للنخساء في رثاء صخر في يوم حوزة الثاني صفحة ٢٩١ ،

والصواب ذكرها بعد يوم الأثل صفحة ٤٠٠

٣ — وقع اضطراب في شرح البيت الثاني صفحة ٣٤٠ والصواب هكذا :

قال التبريزي في شرح هذا البيت : أى أقول : واسوء صباحاه . ونصب

شجناً ؛ لأنه مفعول له ؛ لأن الشجن يحملها على الدعاء ؛ هذا إذا جعلت

الشجن الحزن والحاجة ، وإن جعلته الحبيب نصبته لأنه مفعول به .

٤ — سقط من قصيدة ابن القائف في يوم براحة صفحة ٣٨٨ البيت الرابع وهو :

ولعمركم ما الرقاد بطائش رعى بديته ولا عوار

وإليه يرجع شرح رقم ١ صفحة ٣٨٩

كتاب «قصص العرب»

لمؤلفي هذا الكتاب

فيه عرض شامل لحياة العرب : مدنياتهم وحضارتهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وذكر لعوائدهم وشمائلهم . ثم ما كان للمرأة عندهم من سامى المكانة ، وما أثر عنهم من أخبار صوروا بها حبهم العفيف ، وغزلهم الرقيق ، وما كان لهم من محاورات ومساجلات ، وما نقله الرواة من أحوال العامة والملوك وطرف القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والحروب . وقد جمع خير ما حوته أسفار التاريخ والأدب من قصص ؛ فهو سلوة الأديب ، وصديق الأريب ، ومعجم كامل للقصة العربية في كل أطوارها ، مرتب على نظام لم يسبق إليه ، قابلته الدوائر العلمية والصحف في مصر والبلاد العربية باحتفال لم يقابل به كتاب .

وقد بذلت دار « إحياء الكتب العربية » غاية جهدها فأخرجته آية في حسن التنسيق ، وجمال الطبع ، وجودة الورق .

وهو في أربعة أجزاء ، في كل جزء طرف من هذه الأخبار في أسلوبها الجيد وجمالها الرائع : وثمنه ٦٠

ويطلب من

مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

دَارُ الْحَيَاءِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ

أَيَّامُ الْعَرَبِ

فِي الْجَاهِلِيَّةِ

تأليف

محمد أبو الفضل إبراهيم

المدرس بالدراسة الأميرية

علي محمد البجاوي

المدرس بالمدارس الأميرية

محمد أحمد جاد المولى بك

الفتش الأول للغة العربية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين

الطبعة الأولى

١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م

مراجع الكتاب

الأغاني	: لأبي الفرج الأصفهاني
بلوغ الأرب في أحوال العرب	: للألوسي
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبري
تاريخ العرب قبل الإسلام	: لجورجي زيدان
تاريخ العرب القدامى	: للشبح محمد فخر الدين
جمهرة أشعار العرب	: لأبي زيد محمد بن الخطاطب القرشي
خزانة الأدب	: للبيهقي
ديوان امرئ القيس	:
ديوان الحماسة	:
ديوان علقمة الفحل	:
رغبة الأمل من كتاب الكامل	: للمرصفي
شرح العيون	: لابن نباتة المصري
شرح ديوان الحماسة	: للبربري
شرح المفصليات	: لابن الأنباري
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
شعر النصارى	: للويس شيخو
شواعر العرب	: »
المقد الفريد	: لابن عبد ربه
المعدة	: لابن رشيق
قصص العرب	: للمؤلفين
الكامل (في الأدب)	: للمبرد

الكامل (في التاريخ)	: لابن الأثير
لسان العرب	: لابن منظور
مجمع الأمثال	: للميداني
المختار من نوادر الأخبار	: لمحمد بن أحمد الأنباري
الزهر	: للسيوطي
المضاف والمنسوب	: للشمالي
معجم البلدان	: لياقوت الحموي
معجم ما استمعهم	: لأبي عبيد البكري
نقائص جرير والفرزدق	: لأبي عبيدة معمر بن المثنى

الفهرس

١ - أيام العرب والفرس

الرقم	الصفحة	العنوان
١	١	يوم الصفقة
٢	٦	يوم ذى قار

- أيام القبطانية فيما بينهم

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٤٢	يوم البردآن
٢	٤٦	» الكلاب الأول
٣	٥١	» عين أباغ
٤	٥٤	» حليلة
٥	٦٠	» اليعاقبة
٦	٦٢	حروب الأوس والحزج
—	٦٢	١ - حرب سمير
—	٦٩	٢ - حرب كعب بن عمرو
—	٧٢	٣ - حرب حاطب
—	٧٣	٤ - يوم بُمات

٣ — أيام القحطانيين والمدنانيين

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٩٤	يوم طخفة
٢	٩٩	» أواره الأول
٣	١٠٠	» أواره الثاني
٤	١٠٩	» السلان
٥	١١١	» خزاز
٦	١١٢	» حُجْر (السائر)
٧	١٢٤	» الكلاب الأول
٨	١٣٢	» قيف الريح
٩	١٣٧	» ظهر الدهناء

٤ — أيام ربيعة فيما بينها

الرقم	الصفحة	العنوان
١	١٤٢	حرب البسوس وتشتمل على : يوم النهى » الدنايب » واردات » عنيزة » القصديات » تحلاق اللمم

٥ - أيام ربيعة وتيم

الرقم	الصفحة	العنوان
١	١٧٠	يوم الوقيط
٢	١٧٥	» يُنَمِّلُ
٣	١٧٨	» جَدُود
٤	١٨٢	» زُرُود
٥	١٨٤	» ذى طُلُوح
٦	١٩١	» الإِيَاد
٧	١٩٧	» الغَمِيِيط
٨	٢٠١	» قَشَاوَة
٩	٢٠٦	» زُبَالَة
١٠	٢٠٨	» مُبَايَض
١١	٢١٢	» الرُّوْرِين
١٢	٢١٥	» عَاقِل
١٣	٢١٧	» الشَّيْطِين
١٤	٢٢٠	» الوَقْصَى
١٥	٢٢٦	» الشَّبَاك

٦ - أيام قيس فيما بينها

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٢٣٠	يوم منبج
٢	٢٣٥	» النَفْرَاوَت
٣	٢٤٢	» بطن عَاقِل

الرقم	الصفحة	العنوان
٤	٢٤٦	يوم داحس والغبراء
٥	٢٧٨	» الرِّقَم
٦	٢٨١	» الفتناء
٧	٢٨٣	» حَوْزَةُ الأول
٨	٢٨٩	» حوزة الثاني
٩	٢٩٣	» اللّوَي
١٠	٣٩٠	حديث ابن ضبا
١١	٣٠٤	يوم هَرَامِيَت

٧ — أيام قيس وكنانة

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٣١٢	يوم الكديد
٢	٣١٩	» بُرْزَة
٣	٣٢٢	حروب الفجار
٤	٣٢٢	يوم الفجار الأول
٥	٣٢٤	» يوم الفجار الثاني
٦	٣٢٥	» الفجار الثالث
٧	٣٢٦	» نخلة
٨	٣٣١	» شمطة
٩	٣٣٣	» العبلاء
١٠	٣٣٤	» عكاظ
١١	٣٣٧	» الحريرة

٨ — أيام قيس وتيم

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٣٤٤	يوم الزحرجان
٢	٣٤٩	» شعب جبلة
٣	٣٦٥	» ذى نجب
٤	٣٦٨	» الصرائم
٥	٣٧٠	» الرعام
٦	٣٧٣	» جزع ظلال
٧	٣٧٥	» المروت

٩ — أيام ضبة وغيرهم

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٣٧٨	يوم النصار
٢	٣٨٢	» الشقيقة
٣	٣٨٨	» براخة
٤	٣٩٠	» دارة مأسل
٥	٣٩١	» النقيمة

١٠ - أيام متفرقة

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم جديس	٣٩٦	١
» ذات الأئيل	٣٩٩	٢
» صوءر	٤٠٢	٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعتبر أيام العرب في الجاهلية مصدراً خصيباً من مصادر التاريخ ، وينبوعاً صافياً من ينابيع الأدب ، ونوعاً طريفاً من أنواع القصص ؛ بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث ، وما روى في أثنائها من نثر وشعر ، وما تدسّى خلالها من مآثور الحكم وبارع الحيل ، ومصطفى القول ورائع الكلام .

فهي توضح شيئاً من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم ، وتروى كثيراً مما كان يقع بين العرب القحطانيين والعدنانيين من خلاف ، وبين العدنانيين أنفسهم من أسباب النزاع ؛ بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل ، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر .

ثم هي في أسلوبها القصصي ، وبيانها الفني مرآة صافية لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب الحياة الدائرة بينهم ، وشأنهم في الحرب والسلم ، والاجتماع والفرقة ، والقضاء والأمر ، والنجدة والاستقرار ؛ وهي أيضاً مرآة صادقة تظهر فيها فضائلهم وشيئهم ؛ كال دفاع عن الحرم ، والوفاء بالعهد ، والانتصار للعشيرة ، وحماية الجار ، والصبر في القتال ، والصدق عند اللقاء ، وغير هذا مما تراه واضحاً في تلك الأيام .

ولو نظرت إلى الشعر الجاهلي في جملة وتفصيله ، وبخاصة ما كان في الفخر والحماسة والرثاء والهجاء ، فإنك تجد قد ارتبط بهذه الأيام ارتباطاً تاماً ، فبينما كان

الفوارس يناضلون بسيوفهم ورمحهم ، ويجودون بنفوسهم رخيصة في سبيل أقوامهم كان الشعراء من ورائهم يدفعون عن الأحساب بقصيدهم ، ويطلقون أسننتهم في خصومهم وأعدائهم ؛ ويندبون بقوافيهم سرعاهم والقتلى من أشرفهم وزعمائهم ؛ ترى ذلك ممثلاً في شعر الأعشى ، وعنترة ، وابن حلزة ، وعامر بن الطفيل ، وأبي قيس بن الأسلت ، وقيس بن الخطيم ، وعبد يغوث بن صلاة ، والمهمل بن ربيعة ، والخنساء ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم ممن ظهر أثر الأيام في شعره من قريب أو بعيد .

وما تحدث به الرواة من أخبار مساعير الحرب ، وما امتلأت به الكتب من ذكر المغاوير من أبطال الوقائع ؛ هذه الأيام هي مورد أقاصيصهم ، وساحة بطولتهم ، ومسرد حوادثهم ؛ فبسطام بن قيس سيد شيبان ، وربيعه بن مكدم فارس كنانة ، ودريد بن الصمة قائد جشم ، وجساس بن مرة قاتل كليب ، وهاشم بن حرمة صاحب السماء . . . هؤلاء وغيرهم من قروم الحرب وأحلاس الخيل ، قد سجدوا في هذه الأيام مواقف ومغاورات تملأ القلوب دهشة وإعجاباً .

ولم تخل هذه الحروب من زعماء قبائل ، ورؤساء عشائر ، كانوا في زعامتهم ورياستهم مثلاً علياً في نصيحة الرأي ، وإصابة المحز ، والتهدى إلى مواطن الضواب ؛ وفيما أثير عن أكنم بن صيفي ، وقيس بن عاصم المنقري ، والحارث بن عباد البكري ، وعبد الله بن جعدان القرشي ما هو جديد على الزمن ، باقٍ على مر العصور .



يبدأن هذه الأيام على خطرها وجليل شأنها ليس بأيدي الناس كتاب خاص بها ينظم عقدها ، ويجمع شتاتها ، ويسهل الانتفاع منها ؛ نعم قد روى صاحب كشف

الظنون وغيره أن أبا عبيدة قد ألف فيها كتاباً صغيراً حوى خمسة وسبعين يوماً ،
وآخر كبيراً جمع فيه ألفاً ومائتى يوم ، وأن أبا الفرج الأصفهاني ألف كتاباً جمع فيه
ألفاً وسبعائة يوم ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم يقع إلينا ، وكل ما عرفناه روايات منتثرة
فى كتب الأدب والتاريخ ؛ ككتاب الأغاني والنقائض والمقد الفريد ومعجم البلدان
وابن الأثير والمسدودى ومعجم ما استعجم ، وهى متفرقة لا يحدها نظام ، ولا تجتمع
فى باب ؛ هذا إلى اختلاف الرواية ، واضطراب الشعر ، وتحريف الأعلام .

ومحبنا أخرجنا كتابنا « قصص العرب » قطعنا على أنفسنا للقراء عهداً أن
نفرد للأيام كتاباً خاصاً يجمع شتيها ، ويؤلف بين رواياتها ، ويرسم معالمها وحدودها ؛
وهانحن أولاء نخرجه اليوم كتاباً قد اجتهدنا فى تنسيقه وتهذيبه ، وتأنقنا فى جمه
وتبويه ، وجعلنا أساس تقسيمه الفروق الجنسية ، أو العصبية القبلية ؛ إذ كان مثار
الحفائظ ومبعث الحروب الخلاف فى الجنس أحياناً ، وفى أصول القبائل أحياناً ؛
وأتبعنا كل يوم ما ورد فيه من شعر ؛ وبذلنا الجهد فى ضبطه وشرحه ، واخترنا
الروايات الصحيحة يكمل بعضها بعضاً ، مشيرين إلى غيرها من الروايات .

وهذا الكتاب - وإن كان معقوداً للأيام التى وقعت فى العصر الجاهلى - قد تضمن
قليلاً من الأيام التى حدثت فى الإسلام كيوم الوقى ويوم الشيطان ويوم سحبل ؛
إذ أنها فى أسبابها لم تخرج عن أسباب الأيام الجاهلية من خلاف حول الآبار ومواقع
السحاب ؛ أو اعتداء على جار ، أو انتهاك الحرم . أما الأيام التى وقعت فى الإسلام
وكانت وليدة الخلافات السياسية والدينية والمذهبية فقد أفردنا لها كتاباً خاصاً
نرجو أن يكون قريباً فى أيدي القراء .

هذا ، وقد اقتصرنا على الأيام المشهورة التي وصل إلينا تفصيل حوادثها
وذكر أسبابها ورواية أشعارها وقصائدها ؛ أما الأيام التي لم يقع في الكتب إلا
ذكر عنواناتها مجردة من الحوادث وذكر الأسباب ، فقد جاوزها اختيارنا ، إذ كان
الفرض من هذا الكتاب خبراً يروى ، أو قصة تحكى ، أو مثلاً يؤثر ، أو شعراً
يذكر . .

والله نسأل أن يجعله عملاً نافعاً مقبولاً .

المؤلفون

{ رمضان ١٣٦١
سبتمبر ١٩٤٢